عارف العارف

نكبة فلسطين والفردوس المفقود

١٩٤٧ ـ ١٩٥٢

الجزء الأول

اصدار
«دار الهدى»

إهداء الكتاب

الى أرواح

الشهداء الخالدين

الذين جادوا بأرواحهم

في سبيل فلسطين

اهدي كتابي هذا

« الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بامو الهم وأنفسهم اعظم درجة عند الله ، واولئك هم الفائزون » سورة التوبة . الآية : ٢٠

صدق الله العظيم

كلمة المؤلف

إليكَ ، أيها القاريء الكريم ، كتابي هذا عن (النكبة) . وقد حدثتك فيه عن الحوادث التي مرت بنا في السنوات الخمس الاخيرة : من اليوم الذي صدر فيه قرار التقسيم الى يومنا هذا .

وكيف لا اسميه (النكبة) ؟ وقد نُكبنا ، نحنُ معاشرَ العرب عامةً والفلسطينيين خاصةً ، خلال هذه الحِقبة من الزمن ، بما لم ننكب بمثله منذ قرون وأحقاب : فَسُلبنا وطننا ، وطُردنا من ديارنا ، وفقدنا عدداً كبيراً من أبنائنا وأفلاذ اكبادنا ، وأُصبنا فوق هذا وذاك بكرامتنا في الصميم . وقد يذكر التاريخُ غداً ان حفنةً ما كان يؤبه لها من شذّاذ الآفاق تغلبت على أربعين مليوناً من العرب . . . ومن يدري ؟ لعل ذلك التاريخ لا يعدِل في حكمه . . . ولعلّ الهوى يجدُ سبيله الى معاقل التاريخ أيضاً ، كما وجده الى أروقة الساسة وهيئات الامم المتحدة في العصر العشرين ، فيمرّ بالحقائق التي وقعت في هذا الجزء من العالم مرّ الكرام ، والهوى يُعمي ويُصم .

فمن واجبنا اذاً أن ندون الحوادث التي حدثت ، كما حدثت ، وان نذكرها كما هي قبل ان ينسُجَ الدهرُ عليها خيوط النسيان .

إنّا إذا ما فعلنا ذلك كان لدى المؤرخين التابعين ، عندما يأتي اليوم الذي يصح فيه التاريخ ، سطورٌ يستطيعون الركون اليها . . . سطورٌ تدعمها الوقائع والاسماء والاماكن والارقام .

وهذا ما حداني الى تسجيل النكبة ، وقد سجلتها بأمانة . وهو ما يحدوني الآن الى وضعِ سجلها هذا بين يديك ؛ ذاكراً طبعاً أن احسنَ التواريخ وأصدقَها ما يكتبه المؤرخون بعد مضي ما لا يقل عن ربع قرن من الزمن ، وليس الذي يُكتبُ فورَ وقوع الحادث . اذ ان الكاتب مهما أوتي من عدلٍ وحكمة وصدقٍ ونزاهة ، لا بد ان يكون

عند حدوث الحادث متأثراً بمصالحه الذاتية او الحزبية أو القومية أو الدينية . ولا يكون حكمه في هذه الحال ، بعيداً عن مواطن الرِّيبة والزَّلل . واما الحكمُ الذي يلفظه المؤرخ بعد حين من الزمن فيكون انقى . وكلما طال الحين كان الحكم أبعد عن الغمز والطعن . اضف الى ذلك ان الكثير من الحقائق التي يميل النـاس بحكم غريزتهم الى انكارها حين وقوعها ، تكون قد تكشفت ووضح امرها ؛ ويكون الاشخاص الذين جرَتْ الحوادث على أيديهم والسنتهم ، أو قامت بسببهم وفعالهم ، قدلاقوْا ربهم وأمسوا في ذمة التاريخ .

بَلى وربِّك ! انني في كتابي هذا (راوية) يريد ان يروي للنـاس ما حدث : وقد آليت على نفسي ألا أروي إلا ما رأيتُ بأم عيني ، وما رواه لي العدلُ الثِّقـات ، مستهدفاً في الحالين ان أدون الوقائع قبل اندثارها ، وان احفظها لابناء الاجيال القادمة فان من حق تلك الاجيال ان تعلم : ما الذي جرى ؟ وكيف جرى ؟ ولماذا أَلـمّتْ بنا هذه النكبة ؟ وكيف انقلبت الاوضاع ، فَغُلِبَ الذين كانوا بالامس القريب يطاولون الثريا بعِزَّتهم وأَنَفَتِهم وشجاعتهم وكرمهم وفروسيتهم ، وانتصر أولئك الذين كنا الى وقتٍ قريب ننعتهم بشُذّاذ الآفاق ، وقد ضُربت عليهم الذِّلةُ والمسكنة وباءوا بغضبٍ من الله منذ قرون وأجيال ؟

فالجواب عن هذه الاسئلة سوف يتلوه أبناء الاجيال القـادمة في هذه الصفحةِ أو تلكَ من صفحاتِ هذا الكتاب . وسيكون في مقدورهم ، اذا ما فرغوا من تلاوته ؛ ان يلفظوا حكمهم على أبناء هذا الجيل دون مواربة أو وجل . عندئذٍ . . وعندئذٍ فقط . . يمكن اعطاءُ ما لقيصرَ لقيصر ، وما لله لله .

وانه لمن دواعي التوفيق ان اكون ، منذ عهـد الصِّبا والدِّراسة في الآستانة ، قد درجت على تدوين (مُذَكِّراتي) في يوميات متتابعة ما انقطعتُ عنها يوماً واحـداً خلال الاعوام الاربعين المنصرمة . ولقد ازددتً شغفاً بتلك اليوميات عندما جدَّ الجدُ وصدر قرارُ التقسيم . فرحتُ اسجل فيها ما يحدث من الاحداث، غيرمتملق أحداً من الناس : ملكاً كان أو زعيما ، حاكما أو محكوماً ، غنياً أو فقيراً . لا ، ولا شايعتً فئةً من الناس ، أو هاجمت اخرى عـن قصد . ولقـد اعتصمت بالنزاهـة ما استطعت الى ذلك سبيلا . فذكرت ما حدثَ كما حدث . ودونت ما كان ، كما كان ؛ لا كما أودت أنا ، أو اراد قومي العرب ، ان يكون . ولم أبال ان كان في روايتي على هذا النحو ما يُرضي هذا الفريق أو يُؤلم ذاك :

« إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله: وتلك الأيام نداولها بين الناس (١) »:
هذا ولست انكر انني ، كأي مخلوق آخر من البشر ، معرض للخطأ والنسيان : ولست بمنزه عن الغرض والهوى . وكثيراً ما جر الهوى والغرض الرواة والمؤرخين ، في هذا العصر وفي العصور الفائتة ، الى الضلال . ولعلني أنا أيضاً اخطأت في بعض رواياتي ، أو فيها كلها ، ولكن عذري في ذلك انني ما فعلت ذلك عن قصد ، والله من وراء القصد : ولقد نويت ، والاعمال بالنيات ، ان لا اصدر عن هوى في روايتي ، وان ابتعد عن مظان الزور في تسجيلي .

واذا غفلت عن حادث من الحوادث أو شخص من الاشخاص ، فما كان ذلك مني عن اهمال مقصود أو نية سوء ، وانما لاني لم اسمع بذلك الشخص او الحادث : او أنني سمعت بهما ، ولكني لم أجد من يحدثني عنها حديث صدق .

ولرب قائل يقول : مالك قد حدثتنا ، بشيء كثير من الاسهاب ، عن حوادث القدس وما جاورها من البقاع ، بينما جاءت احاديثك عن المدن والبقاع الاخرى مقتضبة لا تروي غلة الظمآن . فجوابي انني كنت ، طوال فترة القتال ، في القدس وأنا ابنها . وحضرت أكثر المعارك التي جرت فيها وفيما حولها . وما لم احضره بنفسي رواه لي الرواة الثقات الاقربون . وكان باستطاعتي ان أمحص الخبر فأميز بين غثه وسمينه ، لقربي من الميدان وصلتي الوثقى بالقائمين على الامر . ولم يكن من اليسير الحصول على مثل هذه الاخبار الصادقة عن الميادين الاخرى . فكلما بعدت الشقة ، قلت التفاصيل وكثرت الاضاليل . وما كان التنقل من مكان الى مكان ميسوراً في ذلك الحين .

* * *

في هذا السجل صفحات بيض : : وأخرى سود : : فيه مفاخر : ومخاز : :
وكما ذكرت المخازي ، بالامتعاض والألم ؛ فقد ذكرت المفاخر بالاعتزاز والشمم . وكنت صادقاً في الحالين . وكما ان صفحات الخزي كثيرة ، فان صفحات الفخر أيضاً ، ولله الحمد والمنة كثيرة وفي تدوينها وفاء لدين لا بد من تأديته ، وجميل لا بد من تسجيله . وقد سجلته فور وقوعه . وسجلت بالاضافة الى ذلك ، اسماء الشهداء الابرار الذين لاقوا حتفهم في سبيل الدفاع عن وطنهم في سجل أسميته : سجل الخلود .

ولقد رتبت الوقائع التي وقعت حسب زمن وقوعها . وأشرت الى الاسباب التي

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٤٠

أدَّت الى وقوعها ، عندما كان في مقدوري ان افعـلَ ذلك ، وان اوضح بشيء من الجزم تلك الاسباب . وأظهرت الصلات المنطقية التي تربِطُ كلَّ واقعة بما وقع قبلها وبعدها . وفي غير ذلك من الحـــالات فقد احجمت عن ابداء رأيي ، مكتفياً بسرد الوقائع كما وقعت . وفرَّقت بين المتن والهامش ، فذكرت في المتن الخبر ، وأشرتُ في الهامش الى المصدر الذي استقيته منه . فاذا كان زيداً من الناس ذكرت اسمه ، واذا كان كتاباً من الكتب الموضوعة أو وثيقةً من الوثائق ذكرت اسم ذلك الـكتاب والطريقة التي حصلتُ بها على تلك الوثيقة . وما كنت لا كتفي بنقل ما انفرد لروايته راوٍ واحد من الرواة ، حتى لو كان هذا ثقةً وعدلا . بل كنت اكرر البحث هناوهناك الى ان يصبحَ الحديثُ عن الواقعة التي اردت تدوينها متواتراً ، لا يأتيه الشك من بين يديه ولا من خلفه ، واضعاً نُصبَ عيني أبداً القـــاعدة التي ذكرها غيرُ واحدٍ من المؤرخين (١) : « إنه لا يجوز للمؤرخ ان يكون نَقوعاً(٢) يثق بكل احد او يقناً يصدق كلَّ ما يقرأ » .

وقصارى القول : حرَصت كل الحرص على ان اتثبت في الامر قبل تدوينه ، وان ابذل كل ما في مقدوري ليكون كتابي هذا سجلاً شاملا لكل ما وقع في هذه الديار ، وفي هذه الحقبة من الزمن ، من خير وشر .

فطرقت ما استطعت من أبواب ، واستنطقت ما أمكن من حادثات ، وسألت من لقيت من مقاتلين وسياسيين وزعماء وقواد ؛ مستطلعاً ، في جميع الحالات ، طلع الخبر .

وما هذا الكتابُ الذي أضعه بين يديك ، أيها القارىء الكريم ، إلا نتـــاجَ ذلك البحث والتدوين . فاذا كنتُ قد أصبتُ المرمى ، وحفظت لابناء الاجيال القادمةسجلا يتلون فيه حوادث هذه الحقبة من الزمن . . بمفاخرها ومخازيها . كان ذلك ما أبغي . والا فما هي الا خُطوةٌ خطوتها على قــدر ، وأمنية تركت بقية تحقيقهـــا لمن تولاها بعدي وقدر . .

١٥ ـ ١ ـ ١٩٥٦

عارف العارف

---

(١) عالج الدكتور اسد رستم ، احد اساتذة التاريخ في جامعة بيروت الاميركية ، هذا الموضوع احسن معالجة في كتابه « مصطلح التاريخ » . نشر المكتبه العصرية في صيدا وبيروت الطبعة الثانية عام ١٩٥٥

(٢) جاء في (البستان) ان الرجل النقوع هو الذي يؤمن بكل شيء ، والرجل اليقن هو الذى لا يسمع شيئاً الا ايقن به .

بريطانيا تحيل قضية فلسطين الى هيئة الامم

أيقنت بريطانيا ، بعد انقضاء ثلاثين عاماً على وجودها في فلسطين ، ان ما اسمته عصبة الامم بالانتداب مشروع فاشل ، وان زمام الامور قد افلت من يدها رغم الجهود التي بذلتها لارضاء الفريقين ـ العرب واليهود ـ فلم يعد في امكانها ان تسيطر على البلاد ، كما كانت مسيطرة عليها في أوائل عهد الانتداب(١) .

ولهذا اعتزمت ان تنسحب من الميدان ، كدولة منتدبة ؛ على ان تعود اليه فيما بعد ، بشكل آخر ، يصون كرامتها ، ويضمن لها قسطاً من الغنم ، دون ان تتحمل وحدها الغرم كله .

وكانت نتيجة ذلك ان تحولت القضية الفلسطينية من وزارة الخارجية البريطانية في لندن الى هيئة الامم المتحدة في نيويورك . وقد تم ذلك في ٢ نيسان سنة ١٩٤٧ اذ وجهت بريطانيا يومئذ الى السكرتير العام لتلك الهيئة كتابا ترجوه فيه :

١ ـ دعوة الهيئة العمومية الى عقد دورة استثنائية من اجل تأليف لجنة خاصة لبحث المشكلة الفلسطينية .

٢ ـ درج هذه المشكلة في جدول اعمال الهيئة العمومية عند انعقادها في دورتها القادمة .

هذا هو التفسير الذي عرف في الاوساط الدولية للاسباب التي دعت بريطانيا لاحالة القضية الفلسطينية الى هيئة الامم ولكن الاوساط العربية ، وان شئت فقل معظمها ، فانها تقول ان تلك الخطوة كانت نتيجة خطة دبرها البريطانيون بالاشتراك مع اليهود وبعض الهيئات الدولية لينفذوا مشروع التقسيم . ذلك المشروع الذي وضعوا اساسه قبل بضع سنين .

هيئة الامم المتحدة تنتدب لجنة خاصة لتدرس المشكلة

●

اجتمعت الهيئة العمومية في فلاشنغ ميدوز بنيويورك في ٢٨ نيسان سنة ١٩٤٧ فقررت دعوة جميع الحكومات والشعوب ، وعلى الاخص سكان فلسطين ، الى الامتناع عن اعمال العنف والتهديد ، او القيام باي عمل من شأنه ان يعيق حل المشكلة .

---

(١) اقرأ ما كتبناه عن الاحتلال البريطاني لهذه البلاد (١٩١٧) وعن صك الانتداب (١٩٢٢) وعن القلاقل والثورات التي قامت بسبب هذا وذاك ، في الجزء الاخير من كتابنا (تاريخ القدس) .

وقررت ايضاً انتداب لجنة اسمتها (U. N. S. C. O. P.) United Nations Special Commission on Palestine اي (اللجنة الخاصة للامم المتحدة بشأن فلسطين) وقد عهد اليها بمهمة التحقيق في جميع الشؤون المتعلقة بالمشكلة الفلسطينية ، وتقديم المقترحات التي تراها ملائمة لحل هذه المشكلة على ان تنجز عملها قبل اليوم الاول من شهر ايلول سنة ١٩٤٧ .

والفت اللجنة من احد عشر عضوا (ولكل عضو بديل) يمثلون الدول الآتي ذكرها :

(السويد) القاضي اميل ساندستروم (وهو الرئيس)	Emile Sandstrom
نائبه الدكتور بول موهن	Dr. Paul Mohn
(كندا) القاضي ايوان س راند	Dr. Iv na C. Rand
نائبه مستر ليون مايراند	Mr. Leon Mayrand
(تشيكوسلوفاكية) الدكتور كاريل ليسيكي	Dr. Karel Lisicky
نائبه الدكتور ريشارد بيتش	Dr. Richard Pech
(غواتيمالا) الدكتور جورج غارسياغرا نادوس	Dr. George Garcia Grandos
نائبه مستري ز . كونزاليس	Mr. E. Z. Conzalez
(اوروغواي) البروفوسور ازيك رودرغو فابريغات	Professor E. R. Fabrigat
نائبه مستر اوسكا سيكو ايلاوري	Mr. Osca Secco Ellauri
(هولندا) الدكتور ن.س. بلوم	Dr. N. S. Blom
نائبه الدكتور سبتس	Dr. A. I. Spits
(البيرو) الدكتور البير توالوا (نائب الرئيس)	Dr. Alberto Aloa
نائبه الدكتور ارثورغارسيا سالازار	Dr. Arturo Garcia Salazar
(الهند) القاضي السير عبد الرحمن	Sir, Abdur Rahman
نائبه فنكاتا فزواناثان	V. Viswanathan
(ايران) السيد نصر الله انتظام	Nasrallah Entezam
نائبه الدكتور علي آد لان	Dr. Ali adelan
(يوغوسلافيا) مستر فيلاد يمير سيميك	Mr. Vladimir Simic
نائبه الدكتور جوزا بريليج	Dr. Joza Brilej
(اوستراليا) مستر جون د.ل. هود	Mr. John D. L. Hood
نائبه مستر صومائيل ل . اتيو	Mr. samuel L. Atyeo

ماذا قررت اللجنة الخاصة ؟

●

وبعد انزارت اللجنة معسكرات الاعتقال في اوروباومعظم مدن الشرق، واستمعت الى شهادات عدد كبير من الاشخاص واللجان والجمعيات ورؤساء الحكومات ،في ست عشرة جلسة عامة وست وثلاثين جلسة سرية عقدتهافي ليك سكسس،والقدس ،وبيروت وجنيف ، وضعت في ٣١ آب ١٩٤٧ تقريرها ورفعته الى هيئة الامم وفيه بعض التواصي التي توصلت اليهابالاجماع ومشروعان : ـ مشروع قالت به الاقليـة وهويقضي بتأليف دولة اتحادية . والآخر اقرته الاكثريه وهو يقضي بتقسيم فلسطين الى دولتين .

اما التواصي التي اقرتها اللجنة بالاجماع ، فهي : ـ

١ ـ انهاء الانتداب على فلسطين في اقرب وقت ممكن عمليا

٢ـ تمنح فلسطين الاستقلالفي اقرب وقت ممكن عمليا

٣ـ يسبق منح الاستقلال فترة انتقال ، وتكون هذه الفترة اقصر ما تسمح به تهيئة الاحوال الضرورية للاستقلال .

٤ ـ تكون السلطـة التي تضطلع بادارة فلسطين وتهيئتها للاستقلالمسؤولة امام هيئة الامم المتحدة خلال فترة الانتقال.

٥ـ مهما كان الحل الذي سيقرر العمل به في فلسطين ، تبقى الاماكن المقدسة محتفظة بصبغتها المقدسة ،ويكون الوصول اليها من اجل العبادة والحج مؤمنا وفقاللحقوق الراهنة اعترافا بما للملايين مـن المسيحيين واليهود والمسلمين المقيمين منهم في الخـارج اوفي فلسطين من مصالح حقه في تلك الاما كن ، وتصان من كل اذى . ويستنبط نظام واف لتسوية الخلافات الدينيةلا محاباة فيها .

٦ـ تبادر الجمعيـة العمومية في الحال الى وضع اتفاق دولي وتضطلع بتنفيذه ، لمعالجة مشكلة يهود اوروبا المتشردين الذين يبلغ عددهم في مراكز الاحتشاد نحو مـن ٢٥٠،٠٠٠باعتبار ان هذه المشكلة تتطلب حلاسريعا من شأنهان يسهل حل مشكلةفلسطين

٧ـ على هيئة الامم ان تتاكد من جعل منح الاستقلال موقوفا على شرط اولي وهو ان يكون الجهاز السياسي للدولة الجديدة او الـدولتين الجديتين بما في ذلك دستورهما او قوانينها الاساسية الاخرى ديموقراطية في صميم اساسها ، اي ذات صفـة تمثيلية. ولهذا يجب ان تتضمن هذه القوانين حقوق الانسان والحريات الاساسيـة (بما في ذلك حرية العبادة والعقيدة والخطابـة والصحافـة والاجتماع والتنقل والوقاية من التفتيش

التعسفي والمصادرة) وحقوق تنظيم العمال والملكية الفردية . كمايجب ان تتضمن الحماية التامة لحقوق الاقليات ومصالحها على قدم المساواة التامة مع جميع المواطنين .

٨ـ تدمج المبادىء الاساسية لميثاق هيئة الامم المتحدة في الاحكام الدستورية المقبلة التي ستطبق على فلسطين . فتسوى جميع الخلافات الدولية بالطرق السلمية ، وعدم اللجوء الى القوة والتهديد.

٩ـ يحتفظ بوحدة فلسطين الاقتصادية

١٠ ـ تطالب هيئة الامم المتحدة الى الدول التي كانت فيما مضى تتمتع بامتيازات اجنبية ان تتنازل عن تلك الامتيازات .

١١ـ تناشد الجمعية العمومية اهل فلسطين بان يتعاونوا مع هيئة الامم المتحدة فيما تبذله من جهد لتسوية الحالة الشاقة القائمة في فلسطين ، وان يقفوا عن اعمال العنف وان يحافظوا على القانون .

واقر الاعضاء (خلا اثنيين منهم هما ممثلا اوروغواى وغواتيمالا) بندا آخر ينص على ان اي حل للقضية الفلسطينية لا يمكن اعتباره حلا للمشكلة اليهودية بصورة عامة .

تلك هي المبادىء العامة التي اقرتها اللجنة . واما المشكلة الاساسية فقد وضعت اللجنة لحلها كما قلنا مشروعين :ـ احدهما يقضي باقامة دولة اتحادية

والثاني ينص على تقسيم فلسطين الى دولتين مستقلتين :ـ دولة عربية ، واخرى يهودية على ان تدار مدينة القدس ادارة منفصلة عن الدولتين .

(ب) أما مشروع (الدولة الاتحادية) فقد أقره ممثلو الهند وايران ويوغوسلافيا . وهو يقضي بما يلي :

اولا : تعلن فلسطين دولة مستقلة بعد فترة انتقال لا تستغرق اكثر من ثلاث سنوات على ان يعهد بادارتها ، خلال فترة الانتقال ، الى السلطة التي تختارها الجمعية العمومية ويعلن استقلالها بعد ذلك على ان تشتمل على دولة عربية ، واخرى يهودية ، ويؤخذ عند تحديد كل منهما ، بعين الاعتبار النمو المتوقع في السكان . وتتمتع كل منهما بسلطات واسعة من الحكم الذاتي المحلي

ثانياً : ينتخب سكان فلسطين ، خلال فترة الانتقال ، مجلسا تأسيسيا يتولى وضع دستور (دولة فلسطين الاتحادية المستقلة) على ان يتضمن هذا الدستور بنوداً تضمن هذا الاتحاد ، وأن تتألف اركان الحكومة من رئيس للدولة ، وهيئة تشريعية اتحادية تمثيلية ، وهيئة تنفيذية ، ومحكمة اتحادية ، وحكومتين للدولتين العربية واليهودية . وان تتألف

الهيئة الاتحادية التشريعية من مجلسين. ينتخب احـدهما على أساس التمثيل النسبي لجميع السكان وينتخب الثاني من مجلس الهيئة التشريعية على اساس التمثيل المتساوي لمواطني فلسطين العرب واليهود. وتصبح القوانين نافذة عندما تقرر بأغلبية الاصوات في كـلا مجلسي الهيئة التشريعية الاتحاديه.

وأما رئيس دولة فلسطين الاتحادية فينتخب مـن قبل أغلبية أعضاء مجاسي الهيئة التشريعية الاتحادية في جلسة مشتركة تعقد لتلك الغاية، وكذلك قل عن المحكمة الاتحادية ويتولى الرئيس مهام الرئاسة للمدة التي يقررها الدستور. وتتولى الحكومة الاتحادية مسائل الدفاع الوطني، والعلاقات الخارجية، والهجرة، والعملة وفرض الضرائب فـيما يتعلق بغايات الاتحاد، والطرق المائية، والنقـل والمواصلات، والتأليف، والاختراعات، على ألا تنطوي هذه على تحيز نحو العرب أو اليهود أو اية جماعة اخرى من السكان.

ويجب ان يضمن الدستور حريـة المعتقد، والخطابـة، والصحافة، والاجتماع، والتنقل وعدم التعرض للتفتيش التعسفي، والمصادرة والمحافظة على الاموال الشخصية، وحماية الاماكن المقدسـة والوصول اليها. وحرية العبادة والعـادات التقليدية لمختلف الاديان، وحل المنازعات بالطرق السلمية وعدم اللجوء للتهديد والعنف. وتكون اللغتان العربية والعبرية اللغتين الرسميتين للدولة الاتحادية ولحكومتي الدولتين.

ثالثاً: تكون حدود الدولتين العربية واليهودية في دولة فلسطين الاتحاديـة المستقلة كما هي معينة في الخارطة المرفقه للتقرير. ومن ذلك يفهم ان المنطقة العربية تشمل القسم الاكبر من داخلية البلاد عدا شرق الجليل وقسما كبيراً مـن قضاء بئر السبع، والسهل الساحلي من يافا حتى حدود مصر والقسم الغربي من الجليل. ولكن هذا القسم لن يكون متصلا مع بقية المنطقة العربية. وان المنطقه اليهوديه ايضاً ستكون مؤلفة مـن قسمين منفصلين. وتشمل المنطقة اليهودية السهل الساحلي من المنطقة العربية حتى تل أبيب يمتد حتى حدود منطقة غزة. وتشمل كذلك مرج ابن عامر وبيسان وطبريا ووادي الحولة والقسم الجنوبي من البلاد بما فيه قسم من قضاء الخليل وقسم من قضاء بئر السبع.

رابعا: تتخذ مدينة القدس عاصمة لدولة فلسطين الاتحادية. وتشتمل عـلى بلديتين مستقلتين. تضم الاولى القطاعات العربية بما في ذلك القسم من المدينة الذي يحيط بـه السور، وتضم الاخرى المناطق التي يكون معظمها من اليهود. على ان يكون التمثيل في هاتين الهيئتين مؤمناً بصورة متساوية لجميع اتباع الديانات من السكان.

خامسا: تعمد الجمعية العمومية في الحال الى وضع اتفاق دولي تحل بموجبه مشكلة اليهود الاوربيين المنكوبين كمشكلة خاصة، ويقبل اعضاء هيئة الامم ذات البلاد غـير

المكتظة بالسكان عدداً ملائماً من اللاجئين اليهود في بلادهم على ان تقوم فلسطين ايضاً بنصيبها وفقاً للتوصية الآتية:

سادسا: تباح الهجرة اليهودية الى الدولة اليهودية في دولة فلسطين الاتحادية المستقلة لمدة ثلاث سنوات من تاريخ بدء فترة الانتقال، بأعداد لا تتجاوز قدرة البلاد على الاستيعاب. على ان تتولى تقدير هذه القدرة لجنة دولية قوامها تسعة مندوبين: ــ ثلاثة يعينهم عرب فلسطين، وثلاثة يعينهم يهود فلسطين، وثلاثة يعينهم الفرع المختص في هيئة الامم المتحدة.

(ج) وأما المشروع الآخر فقد اقره سبعة من الاعضاء هم: ــ ممثلو كندا، وتشيكوسلوفاكيا، وغواتيمالا، واورغواي، والسويد، وهولندا، وبيرو.

وهو يقضي بتقسيم فلسطين بين العرب واليهود، على أن تؤلف فيها دولتان مستقلتان واحدة عربية واخرى يهودية وأن تؤلف الدولتان قبل الحصول على استقلالها اتحاداً اقتصادياً. وأما القدس فتوضع تحت وصاية دولية. ويتم ذلك بعد فترة انتقال تستغرق سنتين اعتباراً من اليوم الاول من شهر ايلول سنة ١٩٤٧. وتتولى الدولة المنتدبة الحالية، خلال فترة الانتقال، ادارة فلسطين تحت رعاية الامم المتحدة:

وتشمل الدولة العربية، بموجب مشروع التقسيم هذا: ــ غرب الجليل ومنطقة السامرة الجبلية والسهل الساحلي الجنوبي حتى حدود مصر ولواء القدس (خلا مدينة القدس).

وتشمل الدولة اليهودية: ــ شرق الجليل ومرج ابن عامر والقسم الاكبر من السهل الساحلي وقضاء بئر السبع كله.

هيئة الامم تدرس مشروعي الاتحاد والتقسيم

وتحيلها الى لجنة خاصة من اعضائها

عندما وضعت هيئة الامم التقرير المتقدم ذكره على بساط البحث قررت في ٢٣ أيلول ١٩٤٧ تأليف لجنة خاصة لدراسته ودراسة المشاريع المختلفة التي تضمنته . وكانت هذه اللجنة المسماة ad hoccommittee مؤلفة من ممثلي الامم المنتمية الى الهيئة وعددهم خمسة وخمسون . وانتخب هؤلاء ممثل استراليا الدكتور هـ . ف . ايفـان رئيساً ، وممثل سيام البرنس صبحاسفاستي نائبا للرئيس . وممثل ايسلنده المستر ثورثورز مقرراً . وادلى وزير المستعمرات البريطانية ، مستر كريتش جونز . أمام هـذه اللجنة بتصريح جاء فيه انه يتكلم باسم حكومته بوصفها الحكومة المنتدبة على فلسطين . وان بريطانيا توافق على التواصي العامة المؤلفة من اثنى عشر بنداً ، وانها ـ بصورة خاصة ـ تقر المبادىء الثلاثة الآتية :

اولا ـ انهاء الانتداب على فلسطين

ثانياً ـ منح فلسطين استقلالها التام

ثالثاً ـ على هيئة الامم ان تضع في الحال ترتيبات دولية لمعالجة مشكلة الاوروبيين المشردين من يهود وغير يهود .

وأضاف وزير المستعمرات الى ما تقدم ان بريطانيا لا ترغب في تنفيذ أي قرار يتعلق بمصير فلسطين عن يد الادارة البريطانية والقوات البريطانيـة ، وانها مستعدة لتنفيذ أي حل يقبل به العرب واليهود ، وأما الحل الذي لا يقبل به الفريقان فانها (أي بريطانيا) لا تريد ان تنفذه بل ترى من الضروري ايجاد سلطة اخرى تتولى تنفيذه .

وبعد ان تمنى الوزير لهيئة الامم ان تنجح في مهمتها وان تحل المشكلة الفلسطينية على افضل وجه ، ختم كلامه قائلا : « ان حكومة جلالته وضعت سياستها هذه على اساس التخلي عن الانتداب ، وسحب القوات البريطانية والادارة البريطانية من فلسطين .

اجتماع مجلس الجامعة العربية في عالية

وفي ٧ تشرين الاول ١٩٤٧ عقد مجلس الجامعة العربية(١) اجتماعاً في عاليه (لبنان) حضره رؤساء وزارات الدول العربية السبع . وبعـد ان درس هؤلاء التقريرين اللذين وضعتها لجنة التحقيق الدوليةورأوا ان الحلول المقترحة تمس بحق عرب فلسطين اصدروا قراراً جاء فيه انهم يوصون حكومات دول الجامعة بالمبادرة الى اداء المساعدات المادية والمعنوية لعرب فلسطين لتقويتهم ونصرتهم في الدفاع عن انفسهم وكيانهم . وان ترصد هذه الدول من فورهـا الاموال اللازمة(٢) لذلك عـلى ان تتولى انفاق هذه الاموال لجنة خاصة«٣» .

وختم المجلس قراره كما يلي :

«بالنسبة لقرار الحكومة البريطانيـة المعلن اخيراً بعزمها على التخلي عن انتدابها على فلسطين وانسحابها منها بقواتها العسكرية وجهازهـا الاداري ، ونظراً لوجود القوات الصهيونية ومنظماتها الارهابية التي تهدد سلامة العرب في فلسطين ، يرى المجلس ان الحالة تستلزم من جانب دول الجامعة العربيـة اتخاذ احتياطات عسكرية على حدود فلسطين ؛ ولهذه الغاية يقترح المجلس ان يوصي حكومات الدول العربية بان تبادر لاتخاذ هـذه الاحتياطات العسكرية عـلى ان تيسر الدول المتاخمة لفلسطين للدول غير المتاخمة سبيل الاشتراك والتعاون فيهذا الواجب بالاتفاق بينها »

وتبقى الجيوش العربية مرابطة على حدود فلسطين فلا تدخلها الا اذا تلقى اليهود مساعدة اجنبية وتعرض عرب فلسطين للخطر .

٢ـ وقد جاء في التقرير الذي وضعه الخبراء العسكريون العرب ، انه يجب ان يترك

---

(١) تألف هذا المجلس في ٢٢ آذار سنة ١٩٤٥ عندما اجتمعت وفود الدول العربية في القاهرة ، واعلنت قيام « الجامعة العربية » . لتضم شمل العرب .

(٢) تم الاتفاق في مجلس الجامعة على ان تساهم كل دولة من الدول العربية بالمال من اجل فلسطين بالنسبة التالية : مصر ٤٢٪ ، المملكة العربية السعودية ٢٠ ، سوريا ١٢ ، لبنان ١١ ، العراق ٧ ، الاردن ٥ ، اليمن ٣ .

(٣) سميت اللجنة من الساده : محمود الهندي « سوريا » صبحي الخضرا « فلسطين » اسماعيل صفوت « العراق » بهجت طباره (الاردن) شوكت شقير (لبنان) .

للفلسطينيين انفسهم عبء الدفاع عن بلادهم ، على ان تزودهم الحكومات العربية بالمال والسلاح والخبراء العسكريين . ولا مانـــع من الاستعانـــة بالمتطوعين من ابناء الاقطار العربية . فان الفلسطينيين اخلص لقضية بلادهم واعرف بمداخلها ومسالكها واقل نفقة من غيرهم لوجودهم في منازلهم واعتمادهم على منتجاتهم في معائشهم واولى من غيرهم بالدفاع عن ممتلكاتهم واعراضهم .

واما الجيوش العربية فيجب ان تبقى مرابطة على الحدود .

تلك هي الخطة التي رسمها الخبراء العسكريون العرب، واقرها مجلس الجامعة في عاليه في ٧ تشرين الاول ١٩٤٧ . ولكنهـــا استبدلت ، بعد قليل ، بمـــا يناقضها . وكان لبريطانيا دخل في هذا الاستبدال . اذ انها اعترضت على تسلح الفلسطينيين وتدريبهم واعتبرت ذلك (عملا غير ودي) ضد السلطة المنتدبة التي لم تنسحب من البلاد بعد(١) .

وراح العقلاء من بني يعرب يقولون : كان على الدول العربية ان لا تكتفي بالوقوف على الحدود ، بل ان تأمر جيوشها بعبور تلك الحدود ، واحتلال اكبر جزء ممكن من البلاد .

٣ ــ لم يدع المفتي لحضور مؤتمر عاليه . لا ولادعي احد من رجالات فلسطين . فيما كان المؤتمر منعقداً في فندق طانيوس باغت المفتي المؤتمرين ، ودخل قاعة الاجتماع وكان قد جاء من القاهرة عـــلى متن طائرة مصرية . فاستاء لمجيئـــه مندوب العراق«٢» صالح جبر رئيس الوزراء ووكيل وزير الخارجية . وطلب الى مندوب لبنان رياض الصلح ان يحول دون اشتراك المفتي في جلسات المؤتمر . الا ان هذا لم يفعل شيئاً . لانه (اي المفتي) اصبح ضيف لبنان . وخشي صالح جبران يصر على رأيه، لمايتمتع به المفتي من نفوذ في البلاد العربية .

وحاول المفتي اقناع المؤتمرين كي يوافقوا على تأليف حكومة عربية في فلسطين . الا ان مندوبي العراق والاردن عارضا في تنفيذ هذا الاقتراح الذي من شأنه ــ كما قالا ــ ان يستفز الرأي العام العالمي في هيئة الامم ، وفي غيرها من البلدان التي تقاوم نشاطه

---

(١) هذا ما قاله مفتي فلسطين ، الحاج امين الحسيني ، في حديث له نشرته مجلة (آخر ساعة) المصرية بتاريخ ٣ حزيران (يونيو) ١٩٥٣ العدد ٧١

(٢) اقرأ ما جاء عن هذه الزيارة في الصفحة ٦٧ من تقرير (لجنة التحقيق النيابية العراقية في قضية فلسطين . ذلك التقرير الذي رفعته الى مجلس النواب العراقي بتاريخ ٤ ايلول ١٩٤٩

وتخشى زعامته . واخذ المؤتمرون بهذا الرأي فلم يؤيدوا المفتي في مسعاه .

وقام مندوب العراق بمسعى لتحسين الصلات بين الملك عبد الله ووفود البلاد العربية ، وكانت هذه متوترة . فطار الى عمان ، يرافقه امين الجامعة عبد الرحمن باشا عزام . ووجه الملك دعوة الى رؤساء الوفود ليزوروه في عمان . فقبل الجميع الدعوة ، واموا عمان . الا مندوب سوريا جميل مردم فقد منعه رئيس الجمهورية السورية من تلبية الدعوة . ولما كرر مندوب العراق رجاءه أمر لطفي الحفار ان يسافر مع المسافرين الى عمان .

ولكن .. رغم ما قيل من كلام مغسول ، فان الجو لم يتحسن .. وظلت الريبة تفعل فعلها بين الملوك والرؤساء !...

هذا من الناحية العسكرية واما من الناحية السياسية فقد قرر المجلس في قرره مباشرة الدول العربية لقضية فلسطين امام المنظمة الدولية بكل ما لديها من وسائل على اساس

أ) الغاء الانتداب

ب) اعلان استقلال فلسطين

اللجنة العسكرية

●

انبثقت عن الاجتماع الذي عقده مجلس الجامعة العربية في غالية في ٧ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٧ ـ لجنة اسموها (اللجنة العسكرية) قوامها :

امير اللواء الركن اسماعيل صفوة باشا (عن العراق) . المقدم محمود الهندي (عن سوريا) . فؤاد عمون ، وقد استبدل هذا بعد قليل بالمقدم الركن شوكت شقير (عن لبنان) ، عزة دروزه (عن فلسطين) .

ولم ترسل مصر والاردن واليمن والمملكة العربية السعودية احداً من رجالها العسكريين ليمثلوها في اللجنة(١) وان انابت مصر عنها احد موظفيها المدنيين في المفوضية المصرية

---

(١) جاء في تقرير لوزارة الدفاع العراقية تاريخه ٢٥ تموز ١٩٤٩ ورقمه ٢٠٢ ـ ٤ آ ـ ٤٨٨ ان هذا يدل على عدم اهتمام الحكومات المذكورة بالناحية العسكرية ، وان شئت فقل على حذرها من ان تتقيد بالتزامات عسكرية لا ترغب فيها .

بلبنان، وارسلت المملكة العربية السعودية الشيخ يوسف يسن ليمثلها .

ولما اختير اللواء اسماعيل صفوة باشا رئيساً للجنة(١) وكان هذا عراقيا، انتدبت حكومة العراق امير اللواء نظيف الشاوي ليمثلها في اللجنة .

وانضم الى اللجنة بعد قليل طه باشا الهاشمي كمفتش عام للمتطوعين .

ومع مضي الوقت أصبح هذا (اي الهاشمي) الموجه الاول لاعمال اللجنة(٢) .

---

(١) حدثني اسماعيل صفوة فقال ان امرا بتعيينه لرياسة اللجنة لم يصدر لا من جامعة الدول العربية ولا من ايه حكومة من الحكومات العربية . وانما اختاره زملاؤه للرياسة بوصفه أكبرهم سناً .

انه اسماعيل صفوة بن سعيد ولد في الموصل سنة ١٨٩٥ واتم دراسته الابتدائية فيها وسافر الى استانبول لاتمام دراسته العسكرية ولكنه لم يتمها بسبب اعلان الحرب الكونية الاولى « ١٩١٤ » فتخرج برتبة مرشح « ضابط نامزوي » وسيق الى جبهة الدردنيل . ومنها الى جبهة القفقاس وقد رفع الى رتبة ملازم ثان . وبعد سقوط ارضروم « ١٩١٥ » سيق الى جبهة فلسطين وفيها وقع في شرك الاسر . وبعد ان وضعت الحرب الكونية الاولى اوزارها عاد الى وطنه العراق حيث اشترك في ثورة ١٩٢١ تلك الثورة التي اوقدت نيرانها ضد الانكليز . واداته الانكليز مع من اداتوه من رجال العراق بسبب اشتراكهم في تلك الثورة ، ففر الى الشام . ومكث فيها الى ان احتلها الفرنسيون بقيادة الجنرال غورو فغادرها الى تركيا ثم عاد الى العراق عندما تسنم عرشه الملك فيصل . ودخل كلية الاركان ببغداد « ١٩٣٠ » وتخرج منها . ثم راح يتدرج في مراتب الجيش من ضابط ركن الى قيادة فوج فلواء ومعاون رئيس الاركان . وقضى في اليمن ثلاثة اعوام رئيساً للبعثة العراقية التي انتدبت لتنظيم الجيش اليمني . ولما نشبت حرب فلسطين « ١٩٤٧ » صار كما سبق وقلنا رئيساً للجنة العسكرية واختير مدة من الوقت للقيادة العامة وبعد وقف القتال عاماً عاد الى وطنه العراق وتولى قيادة الفرقة الثانية ثم ترك الجيش « ١٩٥١ » فعين مديرا عاماً للسكك الحديدية .

(٢) هذا ما نعرفه ويعرفه كل واحد منا نحن الذين كنا على اتصال مباشر او غير مباشر باللجنة العسكرية واما طه باشا الهاشمي فيقول عن نفسه «اقرأ مذكراته المنشورة في العدد ١٢ من جريدة « الحارس » البغدادية بتاريخ ١٢ شباط ١٩٥٣ » ما يلي بالحرف الواحد :

لم اتول اي عمل رسمي في فلسطين . ولم اكن مسؤولا عن وضع الخطط وادارة الحركات ولم يصدر اي امر رسمي بتعييني من الحكومة السورية ولا من الحكومة العراقية ولا من الجامعة العربية . وكان عملي لا يختلف عن عمل اى عضو ينتمي الى جمعية سعت لمساعدة فلسطين .

ولكنه في موضع آخر من مذكراته قال :

لقد اتيح لي اثناء اشرافي على شؤون فلسطين ان احضر الاجتماعات الرسمية وان اتصل بالمقامات المسؤولة وان اطلع على ما جريات الامور واستمع الى المناقشات واقف على مذكرات خفية . فسجلت

فراح يعالج شؤون السلاح (للحصول عليه من المصادر المتيسرة وتسلح المتطوعين) . وانتدب بعدئذ خبيراً عسكرياً في (لجنة فلسطين) . لانه (اي الهاشمي) من الرجال العسكريين المعروفين في العراق(١) .

اتخذت اللجنة العسكرية (دمشق) مقراً لاعمالها . وتمنى الكثيرون وفي مقدمتهم ابناء فلسطين ان لو اتخذت (القدس) او اية مدينة اخرى من المدن الفلسطينية مقراً لها لتكون على مقربة من ميادين القتال.

عقدت اللجنة اجتماعها الاول في عاليه للتعارف وفي اجتماعها الثاني الذي عقدته في ٨ تشرين الاول بحثت مسألة النضال في فلسطين وفي اليوم الثالث (٩ / ١٠) رفعت الى مجلس الجامعة تقريراً سريا(٢) جاء فيه :

«ان للصهيونين في فلسطين منظمات سياسية وتشكيلات عسكرية يستطيعون معها ان يؤلفوا فوراً حكومة صهيونية :

وان لهم قوة كبيرة من الرجال والسلاح والعتاد ، وفي مقدورهم ان يجندوا خلال مدة قصيرة ما يريدون من القوات الاحتياطية ...

ما سمعته وما شاهدته وما ابديته من آراء في مساء كل يوم • فوضعت بذلك هذه اليوميات •

وفي موضع آخر من مذكراته «اقرأ العدد ١٧ من جريدة الحارس بتاريخ ١٩ آذار سنة ١٩٥٣» قال : « وبناء على ذهاب امير اللواء اسماعيل صفوة الى القاهرة لحضور اجتماع اللجنة السياسية نبت عنه بناء على طلبه في رئاسة اللجنة العسكرية وكان ذلك بتاريخ ١٨ شباط ١٩٤٨ » .

(١) ولد ببغداد سنة ١٨٨٨ واتم دراسته الابتدائية فيها والعسكرية في استانبول «١٩٠٦» وتخرج من مدرسة الاركان هناك « ١٩٠٩ » وانخرط في صفوف الجيش العثماني بسوريا واليمن « ١٩١٤ » ثم استقال من الجيش العثماني وراح يعمل في الجيش العراقي « ١٩٢٢ » حيث تدرج في مراتبه العليا الى ان اصبح رئيساً للاركان وصار فريقا « ١٩٣٠ » ثم عميدا « ١٩٣٦ » • واحيل الى التقاعد اثر الانقلاب العسكري الذي جرى في العراق سنة ١٩٣٦ . وانتخب نائباً عن بغداد . وتولى وزارة الدفاع ١٩٣٩ وانتدب رئيساً للوزراء ١٩٤١ ولما نشبت حرب فلسطين ١٩٤٧ انتدبه رئيس الجمهورية السورية بصورة خصوصية وفخرية للاشراف على تدريب المتطوعين وتنظيمهم وتجهيزهم . وكان بحكم مهمته على اتصال باللجنة العسكرية . وظل هكذا يعمل مفتشاً عاماً للمتطوعين الى ان دخلت القوات العربية النظامية فلسطين . وهو اليوم « ١٩٥٣ » نائب لرئيس مجلس الاعمار في بغداد .

(٢) اطلعني رئيس اللجنة اسماعيل صفوة باشا على النسخة التي احتفظ بها في اضبارته الخاصة لهذا التقرير عندما زرته ببغداد مستطلعا طلع الخبر•

ولديهم موارد من المال لا تنضب .

وليس لعرب فلسطين في الوقت الحاضر من المال والسلاح والرجال ما يمكن ان يقاس بما لاعدائهم اليهود . وان ما لا يقل عن ٣٥٠,٠٠٠ عربي يعيشون في مناطق اكثريتها يهودية وهم معرضون للفناء اذا ما داهمهم الصهيونيون .

وان فلسطين قادمة على احداث خطيرة بسبب ما اعلنته بريطانيا عن عزمها على الانسحاب من فلسطين .

ولهذا اوصت بما يلي :ـ

اولا : يجب المبادرة حالا بتجنيد المتطوعين وتسليحهم .

ثانياً : يجب ان تحشد الدول العربية جيوشها النظامية على مقربة من الحدود الفلسطينية .

ثالثاً : يجب ان تؤلف قيادة عربية عامة وان يعين المرجع الاعلى لهذه القيادة من جميع الدول العربية .

رابعاً : والى ان يتم ذلك يجب ان يمد عرب فلسطين بما لا يقل عن عشرة الآف بندقية ، وبمقادير كافية من الرشاشات والقنابل اليدوية والمتفجرات وما الى ذلك من الاسلحة .

خامساً : يجب ان يوضع تحت تصرف اللجنة العسكرية ما لا يقل عن مليون دينار لتموين القوات الفلسطينية .

سادساً : يجب على الدول العربية ان تبادر لشراء اكبر كمية ممكنة من الاسلحة والاعتدة وان تدخرها لتموين المجاهدين .

سابعاً يجب حشد اقصى ما يمكن من الطائرات المقاتلة والقاصفة في المطارات القريبة من الساحل الشرقي للبحر الابيض المتوسط لمراقبة المواصلات البحرية والحيلولة دون وصول النجدات الى اليهود من وراء البحار .

ولكن الجامعة العربية لم تبد اي اهتمام لتنفيذ المقترحات المتقدم ذكرها باستثناء تخصيص مليون دينار ، والوعد بارسال كميات من السلاح . الامر الذي حدا باللجنة العسكرية الى حصر جهودها في :

أ) تزويد المناطق الفلسطينية المعرضة للخطر اليهودي اكثر من غيرها بما لديها من

سلاح وعتاد للتمكن من الدفاع عن نفسها الى ان يقضي الله امرا كان مفعولا .

ب) جمع اكبر عدد ممكن من المتطوعين من فلسطين ومن سائر البلاد العربية وتدريبهم وتسليحهم وتشكيل وحدات مقاتلة منهم .

وقبل ان ينتهي شهر تشرين الاول نقلت اللجنة مقرها الى دمشق . وجعلت مكتبها في القادسية(١) ولم يكن قد بقي فيها سوى صفوة ، والهندي ، وشقير ، واستبدل العضو الفلسطيني عزة دروزه بصبحي الخضرا . وكان ذلك بناء على اقتراح قدمه رئيس اللجنة لان الخضرا اكثر اطلاعاً على الشؤون العسكرية من دروزه .

ولاجل تدريب المتطوعين على القتال فتحت اللجنة العسكرية في (قطنا) من اعمال دمشق معسكراً للتدريب والتحق بهذا المعسكر فور افتتاحه زهاء الف شاب من شباب فلسطين المتطوعين وتمنى الكثيرون ان لو استغلت اللجنة العسكرية الرجال والافراد العسكريين من الفلسطينيين الذين قضوا وقتاً طويلا في سلك البوليس والدرك وقوات الجيش والحدود.

وكان هناك في البلاد عدد كبير منهم على استعداد لمغادرة مراكزهم وخدمة امتهم وبلادهم ولقد التحق بالنضال بعضهم من تلقاء انفسهم .

وفي ٢٧ تشرين الثاني ١٩٤٧ (اي قبل صدور قرار التقسيم بيومين) رفع رئيس اللجنة اسماعيل صفوة باشا الى رئيس اركان الجيش العراقي تقريراً ، جاء فيه :

« انه قدر قوة اليهود يومئذ بما لا يقل عن ٥٠,٠٠٠ مقاتل ، ثلهم تحت السلاح والثلثان يمكن حشدهما خلال بضعة اسابيع . وبامكانهم الحصول على نجدات من وراء البحار .

« وان لدى اليهود من الاسلحة الخفيفة ما يكفيهم للقتال عندما يعلنون النفير العام » . ولديهم امكانيات لاستيراد الاسلحة الثقيلة والطائرات من وراء البحار .

«وانه ليس للعرب في فلسطين من القوات المسلحة ما يكفي لدرء خطر اليهود وان كان عددهم يربو على عدد اليهود . وان كرههم الشديد لليهود وشعورهم بالخطر المحدق ببلادهم قد الهب شعورهم الى درجة انهم على استعداد لما يفرض عليهم من جهاد وتضحيات شريطة ان ينظموا ويسلحوا ويدربوا تحت قيادة قوية » : الى ان قال :

« لا يمكن التغلب على اليهود بعصابات . ولا بد من مجابهتهم بقوات نظامية مدربة ومسلحة تسليحاً عصرياً مع الاستفادة من القوات الفلسطينية غير النظامية ومن العصابات ؛

---

(١) على بعد اثنى عشر كيلو مترا من دمشق .

ولما كان الزمن في صالح العدو فان من المصلحة تقصير امد الحرب وانهائها باقصى ما يمكن من السرعة . وتأمين التفوق على العدو في العدد والعدة . »

ولهذا اقترح :

« تنظيم عرب فلسطين وتسليحهم وتدريب اكبر عدد من شبانهم ليتمكنوا من الدفاع عن انفسهم اذا ما هاجمهم اليهود . ومن مشاغلة الاعداء مشاغلة تخفف عن الجيوش العربية عبأها . »

وسافر بعد قليل الى القاهرة ، حيث حضر الاجتماع الذي عقدته اللجنة السياسية فيها وقد حضره كل من النقراشي (مصر) ومردم (سوريا) وجبر (العراق) والصلح (لبنان) والملقي (الاردن) ويسن (المملكة السعودية) والمؤيد (اليمن) والمفتي (فلسطين) وعزام (الجامعة) .

واعاد امام اللجنة ما ذكره في تقريره المتقدم ذكره . كما ذكرها باقتراحه السابق من حيث حشد الجيوش العربية على مقربة من الحدود. فاقترح ان يرابط الجيش العراقي في منطقة المفرق والجيش السوري في القنيطره .. واللبناني في صيدا وصور .. والمصري في العريش .. والسعودي اما في الاردن او في مصر . والاردني في عمان ، مع العلم بان بعض قطعاته موجودة في الوقت الحاضر في فلسطين .

واقترح ان تكون لهذه الجيوش كلها قيادة موحدة عامة .

واكد لي اسماعيل صفوة ، عندما حدثني عن نتائج الاجتماع ، ان اللجنة السياسية لم تعر اقواله اذناً صاغية . لا ، ولا نفذت بنداً واحداً من البنود التي ذكرها في تقريره .

وبعد ان كانت اللجنة العسكرية تطالب بحشد الجيوش العربية على مقربة من حدود فلسطين ، راحت تصر على اجتياز تلك الجيوش للحدود واشتراكها الفعلي في القتال .

فقد جاء في تقريرها الذي رفعته الى الامين العام بتاريخ ٧ كانون الاول ١٩٤٧ رقم ١٤/١٠ آب انه يجب على جيوش الدول العربية ان تشترك بحركات انقاذ فلسطين لان للصهيونيين قوات مسلحة وتشكيلات منظمة . ومن المنتظر ان يأتيهم من وراء البحار امدادات لا تنضب .

وسافر رئيس اللجنة العسكرية بعد ذلك الى القاهرة . واجتمع الى الامين العام عبد الرحمن عزام فسلمه تقريراً تاريخه ٧/١/١٩٤٨ ورقمه ١٥/١٠/آ وقد اشار فيه الى ما جاء في تقاريره السابقة والى اهمال اللجنة السياسية لما جاء في تلك التقارير.

وجاء في تقريره ان الحكومة السورية هي الحكومة الوحيدة التي قدمت اكثر بكثير مما طلب منها.

وقال : - «ان اليهود لم يستخدموا الى الآن جميع قواتهم . ولا يزالون يحتفظون بها للمعارك الحاسمة» .

واشار الى الامل الضئيل في الحصول على الاسلحة التي عقدت صفقاتها في الخارج باسم الحكومتين السورية واللبنانية بسبب العراقيل التي وضعت في طريقها . ولهذا لم يبق امام الدول العربية الا ان تضحي بما لديها من اسلحة وعتاد او باكبر نصيب منها وبوجه السرعة . والا فسيبقى الفلسطينيون عرضة للتقتيل والفناء .

وشكا صفوة من تدخلات المفتي في شؤون القيادة العامة ومن نشره بيانات بتوقيع (القيادة العليا لفلسطين) .

وفي ١٩٤٨/٢/٧ اجتمع في القاهرة مجلس الجامعة فتقدمت اليه اللجنة العسكرية بتقريرها تاريخ ٤٨/٢/٨ ورقم ١١٨/٢٧ آ) وصفت فيه الوضع في فلسطين بعد صدور قرار التقسيم وتعطش الفلسطينيين الى السلاح وبحثهم عنه في كل مكان .

وصفته وصفاً قاتماً يدل على انه سيزداد سوءاً اذا لم تتدخل الجيوش العربية بكامل اسلحتها ومعداتها .

وعلى هذه الجيوش ان تعمل فوراً على استكمال ما ينقصها لتصبح قادرة على العمل واحراز النصر عندما يزول الانتداب او يحين وقت العمل .

وشكت اللجنة بمرارة ان بعض الحكومات العربية لم تسلم الى الآن ما تعهدت به من اسلحة .

وقالت انها لا تعلم شيئاً عن القوات الفلسطينية ومقدار اسلحتها .

وقالت ان الموقف من حيث السلاح لا يدعو الى الاطمئنان .

بريطانيا تتخلى عن الانتداب وتقرر مغادرة البلاد

●

وفي ١٣ تشرين الثاني ١٩٤٧ ابلغ السر الكسندر كادوغان ، ممثل بريطانيا الدائم في مجلس الامن ، الجمعية العمومية لهيئة الامم ان الحكومة البريطانية لن تستخدم جنودها في فرض التقسيم على فلسطين . وانها قررت مغادرة البلاد نهائياً في اول آب سنة ١٩٤٨.

ثم عادت الحكومة المشار اليها فابلغت هيئة الامم انها اعتزمت مغادرة فلسطين في اليوم الخامس عشر من شهر ايار سنة ١٩٤٨ . ولقد صدق النبأ الناس كلهم خلا الفلسطينيين فانهم في بداية الامر ، لم يصدقوا ابداً ان الانكليزيين حقاً ان يغادروا فلسطين ؛

وقد ظل بعضهم سادراً في اعتقاده الى ان رأى بأم عينه الجندي الاخير يمتطي غارب السفر.

ولم يحاول الانكليز ان يقيموا في البلاد حكومة، ولو مؤقتة، او يكونوا فيها جهازاً يتولى ادارتها عندما يغادرونها .

هذا ما عرف رسمياً عن انسحاب بريطانيا من فلسطين .

ويقول عبد الرحمن عزام ، الامين العام للجامعة العربية(١) ، انه استنفد « جميع الوسائل الدبلوماسية لاقناع البريطانيين كي يؤجلوا انسحابهم من فلسطين » وانه عرض على الحكومة البريطانية بواسطة سفيرها بمصر السر رونالد كمبل ، اقتراح التأجيل « مؤكداً لها » اننا نؤيد بقاءها فترة اخرى الى ان يعاد السلم الى نصابه ويوجد حل سلمي للمشكلة » ويضيف عزام الى ذلك قوله : « ولكن الحكومة البريطانية اجابتني انها قررت نهائياً الجلاء في الموعد المحدد . »

ويقول عزام . ان هذه المفاوضات التي جرت بطرق سرية للغاية وقعت قبل الجلاء بنحو شهرين. . وانه فعل ذلك لاعتقاده ان الجيوش العربية ما كانت يومئذ على استعداد للقتال. اذ كان ينقصها السلاح والعتاد.

وصرح الاضون بيرل لوكر ، رئيس اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية، في بيان القاه امام نفر من الصحفيين في القطاع اليهودي من مدينة القدس بتاريخ ١٩ نيسان ١٩٥٣ «٢» « ان وزير المستعمرات البريطاني ناداه اليه ، بعد ان عرضت بريطانيا مشكلة فلسطين على هيئة الامم ، وافهمه ان الحكومة البريطانية على استعداد لتمديد اجل الانتداب خمس سنوات ، اذا ما وافق زعماء الحركة الصهيونية على ذلك . » واضاف الوزير الى ذلك قوله « ان الحكومة البريطانيه على استعداد ايضاً لسحب الكتاب الابيض ، وفتح باب الهجرة بالنسبة الى مقدرة البلاد الاقتصادية على الاستيعاب ، والغاء القوانين التى تحول دون شراء اليهود للاراضي العربية . » ويقول لوكر : « وفيما كان الزعماء اليهود يتنادون لبحث هذا الاقتراح البريطاني سمعوا ارنست بيفن ، وزير خارجية بريطانيا ، يقول : انه لا مجال لاعادة النظر في موقف بريطانيا من المشكلة الفلسطينية ، الا اذا قبل اليهود مشروعه . ومشروعه يقضي بانشاء دولة يهودية في منطقة لاتتعدى كثيراً حدود تل ابيب. . . »

---

(١) اقرأ العدد ١٤٨٤ ، مجلة « المصور » المصرية الصادر بتاريخ ٢٠ آذار « مارس » ١٩٥٣

(٢) اقرأ العدد ٥٢١٨ من جريدة « الدفاع » المقدسية الصادر بتاريخ ٢٠ نيسان « ابريل » ١٩٥٣

لجنة فلسطين ترفض مشروع الدولة المتحدة وتؤيد مشروع التقسيم

في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٤٧ رفضت (لجنة فلسطين) المتقدم ذكرها مشروع (الدولة المتحدة) . وايدت مشروع التقسيم . ذلـك المشروع الذى يقضي بتقسيم فلسطين الى دولتين : ـ دولة عربية ، واخرى يهوديه .

ولقد فاز هذا المشروع باغلبية ٢٥ صوتا ضد ثلاثة عشر صوتا . وامتنع سبعة عشر مندوباً عن التصويت . وتغيب مندوبان .

اما الدول التي ايدته فهي : الولايات المتحدة الاميركية، روسيا البيضاء، الجمهوريات السوفياتية المتحدة ، اوكرانيا ، بولونيا ، تشكوسلوفاكيا ، السويد ، النرويج، الدنيمارك كندا ، اوستراليـا ، ايسلندا ، اتحاد جنوبي افريقيا ، بوليفيـا ، البرازيل ، دومينكا ، الاكوادور ، اورغواى ، نيـكاراغوا ، فنزويـلا ، بنـاما ، كوستاريـكا ، بيرو ، الشيلي ، غواتيمالا .

اما الدول التي رفضته فهى ، سوريا ، مصر ، العراق ، لبنان، اليمن ، المملكة العربية السعودية ، الهند ، الباكستان ، افغانستان ، ايران ، تركيا ، سيام ، كوبا ،

واما الدول التي امتنعت عن التصويت فهي : انكلترا ، نيوزيلدا، يوغسلافيا ، اليونان هولندا ، البلجيك ، فرنسا ، لوكسمبورغ ، المكسيك ، كولومبيا ، هايتي ، السلفادور ، هندوراس ، ليبريا ، الحبشه ، الصين ، الارجنتين .

وتغيبت كل من : براغواى ، والفلبين .

هيئة الامم تقرر التقسيم

وفي ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ اصدرت هيئة الامم قرارها القائـل بتقسيم فلسطين ، واقامة دولتين فيها احداهما عربية ، والاخرى يهودية . اصدرته باغلبية ٣٣ صوتا ضد ١٣ صوتا وقد امتنع عن التصويت عشرة مندوبين وتغيب مندوب واحد .

اما الدول التي ايدته فهي (١) ـ **الولايات المتحده . روسيا السوفياتيه (٢) . اوكرانيا بولونيا . تشيكوسلوفاكيا . السويد . النرويج فرنسا . البلجيك . لوكسمبورغ . الدنيمارك . هولندا . كنـدا . اوستراليا . جنوب افريقيا . ايسلنده . بوليفيا . البرازيـل . دومنيكا . نيوزيلنده . الاكوادور . نيكاراغواى . اورغواى .**

---

(١) وضعت خطا صغيرا تحت اسم كل دولة غيرت رأيها في هذا الاجتماع ، بعد ان كانت ، عند بحث المشروع في لجنة فلسطين متجهة اتجاهاً اخراً .

(٢) تلك هي المرة الاولى ، في تاريخ هيئة الامم ، التي يتفق فيها الروس والاميركيون في قرار واحد .

فنزويلا . بناما . بيرو . هايتي . كوستاريكا . عواتيمالا . ليبريا . براغواى . الفلبين

واما الدول التي عارضته فهي ـ مصر . العراق . سوريا . لبنان . المملكة العربيه السعودية . اليمن . تركيا . الهند . الباكستان . ايران . افغانستان . كوبـا . اليونان

واما الدول التي امتنعت عن التصويت فهي ـ انكلترا . يوغوسلافيا . المكسيك . الشيلي . السلفادور . هندوراس . الارجنتين . الحبشه . الصين .

وتغيبت سيام .

وتتلخص قرار التقسيم في النقط التالية (١)

١ ـ ينتهي الانتداب في وقت لا يتاخر عن اليوم الاول من شهر اب ١٩٤٨ .

٢ ـ تؤسس في فلسطين دولتان مستقلتان ـ واحدة عربية ، واخرى يهودية .

٣ ـ تؤسس في القدس ادارة دولية خاصة .

٤ ـ تتألف الدولتان ، العربية واليهودية ، والادارة الدولية في القدس في مدة لا تتاخر عن اليوم الاول من شهر تشرين الاول ١٩٤٨

٥ ـ تشمل الدولة العربية ـ الجليل الغربي (عكا والناصره) . السامره (نابلس وجنين وطول كرم) . قطاع القدس (خلا مدينـه القدس الدوليـة) . قطاع بيت لحم (خلا مدينة بيت لحم) . قطاع الخليل (خلا الجزء المحاذي منه للبحر الميت) . مدينة يافا . معظم قطاع اللد والرمـله . السهل الساحلي في جنوب فلسطين (غزه والمجدل وخان يونس) . الجزء الغربي الشمالي من قطاع بئر السبع (منطقة العوجا ـ حفير)

٦ ـ تشمل الدولة اليهودية ـ الجليل الشرقي (صفد وطبريا وبيسان) . وحيفا وقراها . تل ابيب والمستعمرات اليهودية الواقعة في السهل الساحلي . قطـاع يافا (باستثناء مدينة يافا) ، الجزء المحاذي للبحر الميت من قطاع الخليل . جزء كبير من القرى الشرقيه في القطاع الغربي قطاع بئر السبع (خلا منطقة العوجا ـ حفير) حتى العقبة .

٧ ـ حدود القدس الدولية ـ من الشرق ابو ديس : من الغرب عين كارم . من الشمال شعفاط . من الجنوب بيت لحم

٨ ـ يضع مجلس الوصاية دستورا مفصلا لمدينة القدس الدولية .

٩ ـ يطلب الى جميع الدول ان تتنازل عن حقها في الامتيازات والحصانات الاجنبيه التي كانت تتمتع بها من قبل .

هذه هي النقط الاساسية في قرار التقسيم . وهناك نقط اخرى تجدها في الملحق ، ولم

(١) تجد النص الاصلي في الملحق الاول لهذا الكتاب .

ثر لزوما لادماجها في صلب الكتاب كاللجنة المؤلفة من خمس دول من الاعضاء في الجمعية العمومية لادارة البلاد خلال فترة الانتقال ؛ والقوة المسلحة (المليشيا) التي لابد من وجودها لحفظ النظام ريثما تتكون الدولتان ، ومجلس الحكومة الموقت في كل من الدولتين الـذي يقوم باجراء انتخابات للمجلس التأسيسي ، والدستور الذي يضعه هذا المجلس والذي ستدار البلاد بموجبه ، والاتحاد الاقتصادي المشترك الذي لابدمن تامينه قبل قيام الدولتين ، واحترام الاماكن المقدسة ، وحرية العبادة ، وحقوق الاقليات ، والجنسية ، والتعهدات الدولية ، والالتزامات المالية ، وممتلكات الدولة المنتدبة المنقولة وغير المنقولة ، والانتساب الى هيئة الامم المتحدة .

وانه ليجدر بنا ان نذكر ان عـدد سكان فلسطين كان ، عند صدور قرار التقسيم ، مليونا وستمئة وخمسة وثمانين الفـا . منهم مليون ومئـة وعشرون الف عربي ، والباقون يهود . وكان على ٤٠٧٠٠٠ عربي ـ اذا ما نفذ هذا القرار ـ ان يعيشوا تحت حـكم الدولة اليهودية . وعلى ١٠٠٠٠ يهودي في الدولة العربية .

واما في القدس نفسها فكان يعيش ١٦٤٥٠٠ نسمه من السكان موزعون كمايلي (١)

عرب	يهود	
٣٣٦٠٠	٢٤٠٠	في المدينة القديمه (داخل السور)
٣٠٠٠٠	٩٠٠٠	في الجزء العربي من المدينة الجديدة (خـارج السور)
١٥٠٠	٨٨٠٠٠	في الجزء اليهودي من المدينة الجديدة (خارج السور) .
٦٥١٠٠ +	٩٩٤٠٠ = ١٦٤٥٠٠	

ان توزيع الاراضي والسكان والمدن والقرى في فلسطين ، اذا نفذ قرار التقسيم هذا ، سيكون كمايلي (٢) :

---

(١) هذا ما قاله المسترجون مارتن ، المستشار البريطاني في هيئة الامم ، الى اللجنة التي الفت للبحث في مشروع التقسيم .

(٢) هذه الارقام اخرجها من سجلات دائرة الاراضي التـابعة لحكومة الانتداب بفلسطين السيد سامي هنداوي ، الموظف المسؤول عن تحققات الضرائب في الحكومة المذكورة ، ونشرها في كراس اسماه « حقائق واحصاءات » في شهر اب سنة ١٩٥١ .

	المساحة بالدونمات	النسبة المئوية
الدولة العربية	١١،٥٨٩،٨٧٠	٪ ٤٢،٨٨
الدولة اليهودية	١٥،٢٦١،٦٤٩	٪ ٥٦،٤٧
منطقة القدس الدولية	١٧٥،٥٠٤	٪ ٠،٦٥
		٪ ١٠٠،٠٠

المساحة بالدونمات

	عرب	يهود	طوائف اخرى	الحكومة	المجموع
الدولة العربية	٨،٨٤٨،٢٩٠	٩٥ ، ٥٤٣	٨٣،٤٥٤	٢،٣٦٢،٥٨٣	١١،٣٨٩،٨٧٠
الدولة اليهودية	٣،٥٧٧،٨٢٥	١،٣٨٣،٨٥٨	٥٠،٠٩٠	٩،٧٤٥،٨٧٦	١٤،٧٥٧،٦٤٩
منطقة القدس الدولية	١٤٨،٦٥٩	١٢ ، ٢٩٨	٥٠٦	٦٩٠٤١٨	١٧٥ ، ٥٠٤
	١٢،٥٧٤،٧٧٤	١،٤٩١،٦٩٩	١٤٢،٠٥٠	١٢،١١٤،٥٠٠	٢٦،٣٢٣،٠٢٣

عدد المدن والقرى

	عربية		يهودية		مختلطة		المانية		المجموع	
	مدن	قرى	مدن	قرى	مدن	قرى	مدن	قرى	مدن	قرى
الدولة العربية	١٦	٥٥٢	١	٢٢	—	—	—	—	١٧	٥٧٤
الدولة اليهودية	١	٢٧٢	١٤	١٨٣	٣	١	١	٣	١٩	٤٥٨
منطقة القدس الدولية	٣	١٧	—	٢	١	—	—	—	٤	١٩
	٢٠	٨٤١	١٥	٢٠٧	٤	—	١	٣	٤٠	١٠٥١

ان هذه الارقام والاعتبارات جعلت معظم الناس يعتقدون ان القرار الذي اصدرته هيئة الامم صعب التنفيذ . ولهذا قررت الجمعية العمومية لهذه الهيئة عنـد بحثها قرارها من الناحية التنفيذية تأليف لجنة قوامها خمسة أعضاء لدرس هذه النـاحية ، وتقديم تواصيها . وسميت هذه (اللجنة الخماسية)(١) .

روى الامير عادل ارسلان ، وزير خارجية سوريا الاسبق ، للسيد حبيب نحولي (٢)

(١) انظر الى القرار الذي اصدرته هذه اللجنة في ١٦ شباط ١٩٤٨ .

(٢) اقرأ مقدمة الكتاب الذي ترجمه هو وزميله السيد ياسر هواري بعنوان «ثمن اسرائيل» وذلك الكتاب الذي وضعه باللغة الانكليزية الكاتب اليهودي المعروف Alfred Lilienthal من جود اميركا بعنوان What Price Israel .

كيف كسب اليهود الاصوات التي أيدت مشروع التقسيم في هيئة الامم ، فقال . « كان المفروض ان تبلغ هذه الاصوات ثلثي أعضاء الهيئة . وكان ممثلو الدول العربية مطمئنين الى تأييد ثماني عشرة دولة من الدول التي تتألف منها الهيئة بحيث يستحيل ان يحظي مشروع التقسيم بأغلبية الثلثين المطلوبة ولكن الصهيونيين ، ومن ورائهم اميركا التي كانت تناصرهم ، بذلوا قصارى جهدهم وما يملكون من وسائل مغرية لاستمالة بعض المندوبين الذين كانوا قد أبدوا معارضتهم لمشروع التقسيم ، فتمكنوا من استمالة مندوبي هايتي وليبريا وسيام (١) . ووقف هؤلاء الى جانب قرار التقسيم بعد ان كانوا قد صرحوا بأنهم سيقاومونه . وفوجيء المندوبون العرب عندما وقف مندوب هايتي فقال والدمع يترقرق في عينيه ، انه ما يزال عند رأيه الشخصي في معارضة التقسيم ، ولكنه بصفته ممثلا لحكومته لا يسعه الا ان ينزل عند ارادتها بالموافقة على المشروع . هذا بعد ان رفض الرشوة التي قدمها اليه موشه شاريت وقدرها اربعون الف دولار . وأما ليبريا فقد اضطرت للنزول على مشيئة تجار المطاط ، وفي طليعتهم (شركة فايرستون) العالمية ، وكانت هذه تؤيد الصهيونية . والمطاط هو المورد الرئيسي لخزانة البلاد . وأما سيام فقد استبدلت مندوبها الذي أبدى معارضته للتقسيم بمندوب آخر من مؤيديه . وجاء هذا الاستبدال نتيجة وشاية فبركها اليهود ، اذ اتهموا المندوب الاول بأنه لا يؤيد الحكومة الجديدة التي قامت في سيام اثر انقلاب داخلي ؛ فاستبدلته حكومته بمندوب أيد التقسيم».

هذا ما قاله الامير عادل ارسلان وقد ايد ذلك الفرد ليلينتال في كتابه ، فقال(٢) : «تمكن الصهيونيون من اقناع بعض مندوبي الدول كي يطلبوا تأجيل الاجتماع . وكان قد حدد للاقتراع ٢٦ تشرين الثاني . فتأجل . ولا يعلم احد الى الآن كيف تأجل ؟ والذي أجله هو مندوب البرازيل مسيو اوسوالد وارنها وكان يومئذ رئيس الهيئة . وصادف ان كان اليوم التالي (٢٧ تشرين الثاني) عيد الشكر . وعندما اجتمعت الهيئة يوم الجمعة ٢٨ تشرين الثاني) وقف مسيو بارودي مندوب فرنسا يطلب التأجيل مدة ٢٤ ساعة وعندما حل يوم التصويت (السبت ٢٩ تشرين الثاني كان اليهود قد تمكنوا من استمالة بعض الاعضاء بحيث نال المشروع اغلبية الثلثين » .

وعندما ذكر ليلينتال اسماء المندوبين الذين انقلبوا بين عشية وضحاها ذكر مندوبي هايتي وليبريا والفلبين الذين كانوا قد اعلنوا ، قبل ٢٤ ساعة ، انهم سيعارضون قرار التقسيم . حتى ان الجنرال كارلوس برومولو مندوب الفلبين كان قد اعلن في جلسة اللجنة الخاصة ، انه تلقى من حكومته تعليمات تقضي بعدم تأييد قرار التقسيم .

---

(١) انضم اليهم بعد قليل مندوب الفلبين .

(٢) اقرأ ما كتبه هذا في كتابه What Price Israel الصفحات ٥٣ – ٨٣

وقال الزعيم السوري المعروف فارس الخوري ، وكان يومئذ ممثلا لسوريا في مجلس الامن ، لمندوب (المصور)(١) : « ان هيئة الامم المتحدة اقرت مشروع التقسيم بأغلبية صوتين اثنين ، وان المعركة بلغت اشدها في اليوم الذي سبق قرار التقسيم ، وان معظم الدول كانت تؤيد العرب في وجهة نظرهم ، لولا تدخل الولايات المتحدة ؛ اذ راحت هذه تؤثر على مندوبي الدول واحداً فواحداً ، وتضغط عليهم ضغطاً متواصلا ؛ حتى انني لاذكر ان مندوب الفلبين بعد ان وعد بتأييدنا اضطر الى الهرب حتى لا ينقض وعده استجابة للضغط الاميركي ، وان مندوب هايتي بكى امامي لأن مصالح بلاده مع اميركا اقدس من مصالح العرب . ولهذا اضطر ان ينقض وعده » .

وأضاف فارس الخوري الى ما تقدم قوله « ان المستر تريجفي لي السكرتير العام للامم المتحدة مسؤول الى حد كبير عن النكبة التي حلت بالشعب الفلسطيني . اذ انه جند الموظفين الذين يعملون تحت رياسته في الأمم المتحدة ، وعددهم ثلاثة آلاف ليندسوا بين الاعضاء للتأثير عليهم » .

وقع قرار التقسيم في البلاد

كان لقرار التقسيم المتقدم ذكره اسوأ الوقع عند العرب ، واحسنه عند اليهود . فبينما كان هؤلاء (اي اليهود) يقيمون معالم الزينة في شوارعهم وصلوات الشكر في معابدهم ، اذ اعتبروه اول نصر نالوه منذ عهد المكابيين ، راح اولئك (اي العرب) يفكرون في اجدى الطرق التي يجب ان يتبعوها من اجل الحيلولة دون تنفيذه . ولكنهم لم يجمعوا على رأي فيما اذا كان من المصلحة ان يبدأوا بالمقاومة من فورهم ، او يتريثوا الى ان ينظموا صفوفهم ويعدوا للقتال عدتهم .

ولم يكن في القدس يومئذ سوى نفر قليل من شبان العرب المسلحين لا يجاوزون عدد اصابع اليد ، ولم يكن هؤلاء مزودين باكثر من بضعة مسدسات وبضع بنادق لا تتجاوز عدد اصابع اليد ايضاً وسبع رشاشات من طراز ستن ورشاش واحد من طراز برن هذا في البلدة القديمة داخل السور . واما في الاحياء العربية الجديدة خارج السور فكان زهاء مئتين ، سلاحهم المسدسات والبنادق القديمة وبنادق الصيد .

(١) العدد ١٤٧٠ من مجلة « المصور » المصرية بتاريخ ١٢ كانون الاول ١٩٥٢

وعندما اكفهر الجو وشعر الكل بان البلاد قادمة على احداث جسام ، تألفت في كل حي لجنه . وانبثق عن هذه اللجان المحلية لجنة مركزية اسموها . (اللجنة القومية) والفت اللجنة القومية لجانا فرعية بعضها لجمع المال ، وبعضها للدعايه ، والبعض الآخر للدفاع ، وسافر بعض اعضاء هذه اللجان الى مصر والشام ، ليبتاعوا من السلاح والعتاد ما استطاعوا الى ذلك سبيلا . واعتورتهم صعاب ، فلم يتمكنوا خلال الاسبوعين الاولين ، من ابتياع اكثر من اربع وعشرين بندقية من البنادق الافرنسية القديمة من الشام ، ومثل هذا العدد من البنادق الانكليزية والالمانية والايطالية من بقايا حرب العلمين بمصر .

وبعد ذلك بقليل ازداد عدد الشبان المتحمسين الذين انخرطوا في صفوف الجهاد . وازدادت اسلحتهم ، فاصبح لديهم زهاء ثلاثمئة بندقية ، ومئة مدفع رشاش ، ، وبضع بنادق من طراز طومي . هذا طبعا خلال الاسلحة الخصوصية التي ابتاعها السكان باموالهم بقصد الدفاع عن النفس .

ومع ذلك فان الرأي العام في بيت المقدس ظل منشطراً الى شطرين :

شطر كان يرى ان هذا العدد من المناضلين ، وذلك المقدار من السلاح لا يكفي ابدا لكسب الحرب ؛ ولاسيما لان بعض الدول ، وفي مقدمتها بريطانيا والولايات المتحدة تعضد اليهود ، وان من الحكمة ان نقبل التقسيم وان نتريث الى ان نعد للامر عدته . فان الفرق كبير بين الطرفين ، في العدد والعدد ولكن القائلين بهذا الرأي كانوا قلة فلم يستطيعوا انفاذ رأيهم ،لا ، ولا الجهر به . وآخر كان يرى انه لا بد من خوض غمار الحرب على الفور ، معتقداً ان الغرب يصغي لقعقعة السلاح اكثر مما يصغي لصوت الحق ونداء الضمير ، وان الوقت نفذ ،فلا يجوز اضاعته بالقيل والقال ، وان اليهود ايضاً في حاجة للسلاح والرجال — فلا بد من مباغتتهم قبل ان يستعدوا . والفريق الثاني هذا كان قوامه الشباب وعامة الشعب . ولم يكن في الميدان يومئذ هيئات قومية تستطيع ان توجه الرأي العام توجيهاً صالحا .

اولم تكن هذه حالتنا مذ فرض الانتداب علينا ، وراح وعد بلفور يفعل فعله فينا؟ فلقد قضينا ثلاثين عاماً نقول ولا نفعل نؤلف اللجان والجمعيات ، ونقيم المؤتمرات والمظاهرات ونكتب المقالات والاحتجاجات . . دون ان نردف هذا كله ، اوبعضه بالعمل الصالح المجدي فلم نشتري من السلاح الا اقله . ولم تدرب على الاعمال العسكرية من شبابنا سوى الاقلين .ولم نعمل بالآية الكريمة التي وردت في قرآننا (١)

---

(١)صوره الانفال صفحة

«واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، ومن رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله وعدوكم .»

وزادت الحكومة طيننا بلة بالاساليب القاسية التي اختطتها في الثلاثين سنة الماضية والطرق الجهنمية التي انتهجتها لافقار البلاد وارهابها ، كي تجعلها تربة صالحة لنمو (الوطن القومي اليهودي) كما نص على ذلك صك الانتداب (١) .

وكم كنا نود ان يتسع كتابنا هذا لذكر القوانين التي فرضها الانكليز على هذه البلاد، ومنها القانون الذي حرم على الناس حمل السلاح (٢) . ولقد طبق هذا القانون بحذافيره على العرب ولم يطبق على اليهود بمثل تلك القسوة . والادلة على ذاك كثيرة . ليس هذا فحسب . فانِ السلطة المنتدبة راحت تزود الاحياء والمستعمرات اليهودية بالسلاح ، على اعتبار انهم اقلية تجب حمايتها ضد العرب سكان البلاد الا كثرين .

هكذا كان الوضع لافي القدس وحدها ، وانما في سائر انحاء فلسطين عندما صدر قرار التقسيم : شعب اعزل لاسلاح لديه . . تلطمه هيئة من اكبر الهيئات الدولية بأظلم واقسى قرار عرفه التاريخ..ويقضي عليه بالتجزئة والحرمان وضياع الامل بالحرية التي كان ينشدها ، والوحدة التي كان يصبو اليها ، والاستقلال الذي طالما تمناه . . ويرى بعين دامية وقلب واجف الهوة السحيقة التي حفرت امامه والتي سيقع فيها حتما ، اذا لم يهب لانقاذ بلاده ، قبل ان يتمكن الاعداء من تأسيس دولتهم .. ولكن وسائله محدودة ووسائل اعدائه متوفرة .. فيقف حائرا ، متسائلا ، ما العمل ؟ وكيف السبيل الى النجاة؟

---

(١) جاء في ديباجة صك الانتداب ما يلي : «. لما كانت دول الحلفاء الرئيسية قد وافقت على ان تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن تنفيذ التصريح الذي صرحت به حكومة جلالة ملك بريطانيا في ٢ تشرين الثاني سنة ١٩١٧ (وعد بلفور) وصادقت عليه الدول المذكورة بان ينشأ في فلسطين وطن قومي للشعب اليهودي . . . وقالت المادة الثانية من الصك المذكور : تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن جعل البلاد في احوال سياسية وادارية واقتصادية تكفل انشاء الوطن القومي اليهودى كما جاء في ديباجة هذا الصك .

ولقد ذكرنا الصك كله في الفصل الذي خصصناه للقدس في عهد الانتداب البريطاني ، فليرجع اليه من شاء .

(٢) ذكرت المادة ٥٨ من انظمة الطوارىء (الدفاع) لسنة ١٩٤٥ مع تعديلاتها التي جرت حتى اليوم الثاني من شهر اذار سنة ١٩٤٧ انواع العقوبات التي يتعرض لها المرء اذا ما حمل او استعمل اي نوع من انواع الاسلحة او القنابل اليدوية او المتفجرات او المواد القابلة للالتهاب دون ترخيص من الحكومة ومنها الاعدام . كما حظرت المادة ٥٩ من الانظمة نفسها على الناس اقتناء الاسلحة والقنابل والمتفجرات وصنعها دون ترخيص من الحكومة . وفرضت على المخالفين لهذا الحظر عقوبة السجن المؤبد .

وفي لجج من هذه الافـكار القلقة وما يتبعها عادة من فوضى واضطراب ، قررت الهيئة العربية العليا رفض قرار التقسيم ، ودعت الامة الى اضراب العام ، فاضربت البلاد عن العمل ثلاثة ايام (١) وسار الشبان في مظاهرات صاخبة منادين بسقوط الانتداب وسقوط الاستعمار الانكليزي الذي جر البلاد الى هذه الهاوية . وسقوط الوطن القومي اليهودي وسقوط هيئة الامم وقرار التقسيم الذي اصدرته . هاتفين بحياة فلسطين عربية حرة مستقلة . وازداد الناس حماسة عندما اتتهم انباء البلاد العربية معلنة قيام مظاهرات مماثلة في مصر والشام والعراق ولبنان وعمان حتى وفي عدن والبحرين والمغرب الاقصى . ولقد مزق المتظاهرون في بعض هذه العواصم العلم الاميركي وفي بعضها الاخر العلم الانكليزي وهاجموا شركات البترول وقناصل الدول التي اقرت التقسيم .

مضى اليوم الاول (٢ كانون الاول) في بيت المقدس على هذا المنوال دون ان يشتبك الفريقان في قتال ، ولكن ، ما كاد فجر اليوم الثاني (٣ كانون الاول) ينبلج حتى راح افراد الجماهير في المدينة المقدسة يتنادون للقتال ، مرددين قوله تعالى (٢) « كتب عليكم القتال وهو كره لكم ، وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ، وعسى ان تحبوا شيئاً وهو شر لكم ، والله يعلم وانتم لا تعلمون . » فقتل يهودي وجرح ستة يهود وعربيان واحرق اليهود اليمانيون سينما ركس العربية في شارع الاميرة ماري ، واشعل العرب النار في المخازن اليهودية بسوق الشماعة ، فاحترق معظمها . كما احترق زهاء عشرين عمارة من العمارات الكائنة في الحي المذكور . وظلت الحرائق مشتعلة اربعا وعشرين ساعة . ومزق الشباب الثائرون البضائع التي عثروا عليها . ولم ينهبوها . ورجموا رئيس البلدية المستر غريفز R. M. GRAVES بالحجارة لاعتقادهم انه يناصر اليهود . وقدر الخبراء الخسارة الناجمة عن حرائق الشماعة بخمسة ملايين جنيه .

وقام افراد البوليس البريطاني باعمال من شأنها ان تزيد النار ضراماً في هذه السوق وفي غيرها من الاسواق (٣) وبينما كانوا يحرضون العرب في سوق الشماعة راحوا

---

(١) من ٢ الى ٤ كانون الاول ١٩٤٧

(٢) سورة البقرة : الاية ٢١٦

(٣) حدثني كثيرون ممن كانوا يومئذ في الشماعة فقالوا انهم رأوا مصفحة من المصفحات التابعة لمصلحة البوليس البريطاني وهي تحاول تحطيم الابواب الحديدية للدكاكين والمخازن اليهودية الكائنة في الحي المذكور وسمعوا رجال تلك المصفحة وهم ينادون الشبان المتحمسين ويحرضونهم على دخول

يحرضون اليهود في شارع مأمن الله . وفي غيره من الجهات .

وفي اليوم الاخير من الاضراب (٤ كانون الاول) ارسلت اللجنة العسكرية بدمشق الى القدس ٧٢ بندقية وقليلا من العتاد . وارسلت مثل هـذا العدد ، في اليوم نفسه ، الى كل من يافا وحيفا .

اجتماع مجلس الجامعة العربية في القاهرة

في ٨ كانون الاول ١٩٤٧ عقد مجلس الجامعة العربيـة في القاهرة اجتماعاً حضره رؤساء الحكومات العربية السبع (مصر وسوريا ولبنان والعراق والمملكة الاردنية الهاشمية والمملكة العربية السعودية واليمن) ، كما حضره الامين العام للجامعة ومندوب عن الهيئة العربية العليا . وبحثوا القضية الفلسطينية على ضوء القرار الذي اصدرته هيئة الامم بتقسيم فلسطين وبعد ان قلبوا وجوه الرأي في القرار المذكور ، وفي القضيـة بوجه عام زهاء عشرة ايام ، اصدروا البيان التالي : -

منذ تلاقت اغراض الاستعمار واطماع الصهيونية عـلى انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين وعرب هذه البلاد في محنة ، تفرض القوة عليهم جماعات اجنبية عنهم ، تاتيهم من الغرب والشرق بلغاتها وعاداتها ومذاهبها الاجتماعية . ولا تلبث هذه الجماعات ان تنتزع من العرب بشتى الوسائل اراضيهم . موارد رزقهم . وهي اليوم تسلبهم اوطانهم وقد مدت الدولة المنتدبة هؤلاء الدخلاء بالمعونة ، فمكنتهم من انشاء جيش مـدرب ومسلح ، انقلب في السنين الاخـيرة الى اداة ارهاب واداة شر على البلاد بمـا عاثوا فيها من فساد .

تلك المخازن والد كاكين ، والقسم حدهم انه رأى احدهؤلاء الرجال وهويناول صديقا له ثقاب الكبريت ليحرق البضائع التي يجدها هناك ولا يستطيع حملها . ويستنتج من هذا ومن الحوادث المماثلة التي وقعت بعد ذلك التاريخ والتي لعب فيها الانكليز على الحبلين . انه كانت هناك خطة ترمي الى اشعال نار القتال - اذ كانوا يعضدون العرب تارة واليهود اخرى . ولقد قام الجنود البريطانيون بمثل هـذا العمل في انحاء فلسطين الاخرى . فعرضوا 'عند (ذكرون يعقوب) ' اسلحتهم علـى قارعة الطريق ' فابتاعها اليهود المسافرون بين حيفا وتل ابيب . ولم يقتصروا في ذلك على الاسلحة الخفيفة : بـل كانوا يبيعون الثقيلة ايضاً . كالمصفحات الثقيلة التي يسمونها Shermans و Cromwells ومـا الى ذلك . وكانت المصفحة من هذا النوع تباع بخمسمئة جنيه استرليني . ولقد استفاد اليهود مـن هذا العرض اكثر من العرب . ذلك لانهم ذوو مال وخبرة اكثر من العرب .

وقد أخطرت حكومات الدول العربية الدولة المنتدبة وغيرها من الدول في مناسبات كثيرة بطرائق شتى وفي مؤتمرات متعددة بسوء المنقلب في فلسطين. وكاشفتها بالعاقبة الوخيمة لعملها وعمل الصهيونيين، وما تؤدي اليه من حروب وفتن بين المسلمين والمسيحيين من ناحية واليهود من ناحية اخرى تعم الشرق باسره وقد تمتد احقابا طويلة.

ولما تفاقمت الحالة في فلسطين عجزت الدولة المنتدبة عن حفظ الامن والنظام، فعرضت امر الانتداب على هيئة الامم المتحدة فادت الدول العربية في دورتي الجمعية العامة واجبها كاملا، فاظهرت حق العرب وبغي الصهيونية، وانذرت بالعواقب الوخيمة اذا ما تجاهلت الجمعية مبادئ الحق والديمقراطية. ولكن لشديد الاسف تنكرت الجمعية لذات المبادىء التي تضمنها ميثاقها. فاوصت بتقسيم فلسطين واقامة دولة يهودية فيها. وهي بذلك قد اهدرت حق كل شعب في اختيار مصيره وتقريره، واخلت بمبادىء الحق والعدالة جميعا. وهي بعد قد رسمت للتقسيم حدوداً تجعله غير قابل للتنفيذ عملا وتجعله ابداً مصدر الاضطراب والفتنة. فادخلت فيما اسمته بالدولة اليهودية اجود اراضي العرب واوسعها رقعة، واكبر موارد الثروة الاقتصادية في البلاد واخطرها شأناً، ووضعت نصف مليون من العرب مسيحيين ومسلمين تحت نير الصهيونيين وسيف ارهابهم، وهم نفسهم لا يتجاوزون عدد العرب الذين يراد وضعهم تحت سلطان الصهيونية. وذلك بعد ان نزعت الدولة المنتدبة من العرب سلاحهم ومكّنت للصهيونيين من رقابهم.

ولقد استفز هذا الوضع الظالم الشرق باسره، بل اكثرية سكان العالم اجمع، فهبت الشعوب العربية والاسلامية جميعاً مندفعة لازهاق الباطل واحقاق الحق وانقاذ عرب فلسطين المستضعفين في اراضيهم وديار ابائهم واجدادهم.

وحكومات دول الجامعة العربية تقف صفاً واحداً بجانب شعوبها في نضالها، لدفع الظلم عن اخوانهم العرب، وتمكينهم من الدفاع عن انفسهم، ولتحقيق استقلال فلسطين ووحدتها.

ولقد قرر رؤساء وممثلو هذه الحكومات في اجتماعهم بالقاهرة ان التقسيم باطل من اساسه. وقرروا كذلك عملا بارادة شعوبهم ان يتخذوا من التدابير الحازمة ما هو كفيل بعون الله، باحباط مشروع التقسيم الظالم ونصرة حق العرب ومجابهة كل احتمال من الاحتمالات: وسيرى العالم استحالة اخذ العرب بالعنف واخضاعهم بالقوة ايا كان

مصدرها . وسيرى العالم أن العرب حين دعوا الى التمسك بقواعد الحق وحين انذروا بعواقب المغامرة الصهيونية انما كانوا طلاب حق وعدل بين الناس جميعا ، راغبين في استبعاد اسباب الفتن والاضطراب من الشرق الاوسط ، حريصين على اقرار السلام في ربوعه . وسيرى العالم كذلك ان الذين عملوا على تقسيم فلسطين دون تدبر العواقب يتحملون وحدهم مسؤولية الفتن والاضطرابات التي اثاروها والتي لا يعلم مداها .

اما وقد تغلبت الشهوات والاغراض حتى في ساحة الامم المتحدة واغلقت ابواب الحق والعدل في وجوه العرب ، فانهم قد وطدوا العزم على خوض المعركة التي حملوا عليها وعلى السير بها حتى نهايتها الظافرة باذن الله ، فتستقر مبادىء الامم المتحدة في نصابها السليم وتسود في الارض المقدسة مبادىء العدالة والمساواة بين الناس اجمعين.»

هذا هو البيان . وقد كانت له اصداء متباينة في البلاد . فحبذه الاكثرون ، وراحوا يتوقعون الخير كله من ورائه . كما ارتاب آخرون وراحوا يتساءلون .

ما هي التدابير الحازمة التي اتخذها مجلس الجامعة لاحباط مشروع التقسيم ؟ . . . ومجابهة الاحتمالات التي اشار اليها في بيانه ؟ . . . أنسينا قوله تعالى (١) : « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، ومن رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله وعدوكم » وكنت اينما جلت وحيثما سرت تسمعهم يقولون :

« نريد عملا ، لا قولا ! نريد سلاحاً ! نريد مالا ! ونريد مع هذا كله تعبئة قومية شاملة وخطة قومية مرسومة وقيادة مخلصة موحدة ! ولتقم بعد ذلك ثورة جامحة في الجزيرة كلها ، لا في فلسطين وحدها ، ونار ملتهبة تأكل اليهود ومن والاهم من رجال الغرب ! . »

وودّ المخلصون ان لو قرر مجلس الجامعة يومئذ تأليف حكومة فلسطينية تتولى تصريف الامور ، على ان يمدها هو بالرأي والسلاح والمال . وكانت الهيئة العربية العليا ايضاً من القائلين بهذا الرأي . وود المخلصون ايضاً ان لو قرر مجلس الجامعة القيام بتعبئة عامة للشبان القادرين على العمل ، ان لم يكن في البلاد العربية كلها ، ففي فلسطين على اقل تقدير . لان الفلسطينيين اولى واقدر من غيرهم . ويكفي ان تمدهم الدول العربية بالمال والسلاح والخبراء العسكريين .

فقد انقضى وقت الكلام ، ولطالما غرقنا في لجحه فيما فرط من الايام ، وآن وقت العمل .

---

(١) سورة الانفال : الاية ٦٠

ـ مثل الحكومة المصرية في هذا الاجتماع محمود فهمي النقراشي رئيس الوزراء . والحكومة العراقية صالح جبر رئيس الوزراء . والحكومة السورية جميل مردم رئيس الوزراء . والحكومة اللبنانية رياض الصلح رئيس الوزراء . وحكومة المملكة العربية السعودية الامير فيصل آل سعود . وحكومة اليمن علي المؤيد مندوبها بمصر .

وقد حضر الاجتماع فجأة الحاج امين الحسيني المفتي .

واثار الامين العام للجامعة عبد الرحمن عزام باشا ، في هذا الاجتماع ، موضوع الادارة المحلية في فلسطين . قائلا ان الضرورة تقضي بتأليف هذه الادارة . فايده في رأيه هذا كل من النقراشي (مصر) ومردم (سوريا) وفيصل (المملكةالعربيةالسعودة) .ولم يكتف النقراشي بتأييد الفكرة ، بل اقترح ان يوضع المفتي على رأس هذه الادارة .

فاعترض مندب العراق قائلا : لا حاجة لمثل هذه الادارة لفلسطين وهي في حالة حرب . وان ادراتها يجب ان تبقى بيد القائد العسكري . وان المفتي لا يصلح لهذا العمل للاسباب التي ذكرها وفد العراق في مؤتمر عاليه . .

فصرف المؤتمرون النظر عن تولية المفتي ، وتركوا المسألة لبحثها مرة اخرى من لدن دول الجامعة . وقال وفد العراق ان البت في هذا الامر يعود للفلسطينيين وحدهم ، وليس للجامعة . ولن يتم ذلك قبل ان تندحر الصهيونية . ويملك اهالي فلسطين حريتهم في العمل .

ودام اجتماع القاهرة حتى مساء ١٧ كانون اول ١٩٤٧ . وبالاضافة الى قرارهم العلني الذي ذكرناه فى اول هذه السطور ، اقروا ، بشكل سري ، البنود التالية :

(١) العمل على احباط مشروع التقسيم . والحيلولة دون قيام دولة يهودية .والاحتفاظ بفلسطين عربية مستقلة موحدة .

(٢) تزويد للجنة العسكرية الدائمة حالا بعشرة آلاف بندقية : الف من كل من شرق الاردن ولبنان ، والفان من كل من مصر وسورية والعراق والمملكة العربيةالسعودية مع عتاد لا يقل عن ٥٠٠ خرطوشة لكل بندقية .

(٣) تزويد اللجنة العسكرية بما لا يقل عن ثلاثة آلاف متطوع : خمسمئة من كل من فلسطين ومصر والعراق والمملكة العربية السعودية وسوريا وثلاثمئة من لبنان ومئتان من المملكة الاردنية .على أن يكون هؤلاء كاملي العدة ، وأن تتكفل كل بلد بلوازم متطوعيها وان يصلوا الى المعسكرات التي تعينها لهم اللجنة العسكرية قبل منتصف شهر يناير ١٩٤٨

(٤) لم تكلف اليمن بارسال متطوعين لبعد المشقة . لا ، ولا كُلفت بارسال سلاح ومع هذا فقد امر ملك اليمن بتحويل نصف مليون ريال يمني لمساعدة فلسطين .

(٥) اعتماد مليون جنيه آخرين ، بنفس النسبة والحصص ، لتصرف في شؤون الدفاع عن فلسطين .

(٦) يتولى اللواء الركن اسماعيل صفوت باشا قيادة قوات المتطوعين المتقدم ذكرها.

وتذكر الناس ، عند صدور البيان الذي اصدره مجلس الجامعة في ٨ - ١٢ - ١٩٤٧ البيانيين المماثلين (١) اللذين سبقاه : (الاول) في انشاص في ٢٨ ايار ١٩٤٦ . و (الثاني) في بلودان (٢) وفي ٨ حزيران ١٩٤٦ .

وانه ليجدر بنا ان نعيد هنا ذكر المقررات السرية التي اقرها المؤتمرون في بلودان وان كنا قد ذكرنا في الملحق الثالث لهذا الكتاب مقرراته العلنية . فقد اقر المؤتمرون القرارات السرية التالية :

أولا ـ حث الشعوب العربية على التطوع لنصرة عرب فلسطين بجميع الوسائل : بالمال والسلاح والمجاهدين .

ثانياً ـ اذا قبلت توصي لجنة التحقيق الانكلو ـ اميركية وشرع في تنفيذها ، تتخذ الدول العربية التدابير التالية(٣) .

١) عدم السماح للدولتين البريطانية والاميركية او لاحداهما او لرعاياهما باي امتياز جديد .

٢) عدم تأييد مصالح هاتين الدولتين في اية هيئة دولية .

٣) مقاطعتهما مقاطعة ادبية .

٤) النظر في الغاء ما يكون لهما من امتيازات في البلاد العربية .

٥) رفع الشكوى الى مجلس الامن والى الامم المتحدة .

---

(١) ذكرنا ملخص هذين البيانيين عندما اعلنت الهدنة الثانيه في ١٨ تموز ١٩٤٨ ، كما ذكرنا النص الاصلي لكل منهما في الملحقين الثاني والثالث لهذا الكتاب .

(٢) من اعمال دمشق

(٣) هذه المقررات كلها بقيت حبراً على ورق ، ولو نفذت ، او نفذ جزء منها لما وصلت الحالة الى ما وصلت اليه في فلسطين .

جيش الانقاذ

●

كان أول عمل قامت به اللجنـــة العسكرية بدمشق ، بعد تأليفها ، ان دعت الشبان القادرين على حمل السلاح الى التطوع والانخراط في جيش التحرير ، وقد أسمته « جيش الانقاذ » . وتولى قيادته رئيس اللجنة نفسهـــا ، اللواء الركن اسماعيل صفوت باشا (عراقي)(١) ، يساعده ضابط الركن الاول العقيد محمود الهندي (سوري) للادارة ، وضابط الركن الثاني المقدم شوكت شقير (سوري) وضابط الركن الثـــالث الرئيس وصفي مصطفي التل (أردني) للحركات . وانتدب المفتش العام العميد الركن طه باشا الهاشمي (عراقي) للتدريب والتنظيم .

ولقد تم تأليف جيش الانقاذ في اليوم الاول من شهر كانون الثاني (يناير) ١٩٤٨ وكان عبارة عن ثمانية أفواج :

١ ــ فوج اليرموك الاول : قائده المقدم محمد صفا (سوري)

٢ ــ فوج اليرموك الثاني : قائده الرئيس اديب الشيشكلي (سوري)

٣ ــ فوج اليرموك الثالث : قائده الرئيس عبد الحميد الراوي (عراقي)

---

(١) هذا ما قاله لي عدد من ضبـــاط جيش الانقاذ . اما سليمان بك طوقان رئيس بلدية نابلس في اثناء القتال فقد قال لي نقلا عن اسماعيل صفوت باشا نفسه انه (اي اسماعيل صفوت) كلف لا بقيادة جيش الانقاذ فحسب ، بل والجيوش كلها التي ستجتاح فلسطين ،ولكنه رفض ذلك التكليف ، الا اذا زود بخمس فرق مجموع رجالها خمسون الفاً ، مزودين بكامل الاسلحة والاعتدة . وا كد اسماعيل صفوت الى محدثي انه يعلم العلم اليقين ان رجال المقاتلين في جيش الهـــاغنا كانوا يومئذ يتوفون على الستين الفاً ، وانهم مدربون ، وانهم مزودون بأحدث آلات القتـــال . وكان من المعتقدين ان الحرب يجب ألا تطول ، وانها كلما طالت ، كلما زادت من قوة الاعداء .

وقد حدثني اسماعيل صفوت باشا نفسه ــ يوم زرته مستطلعاً رأيه في احداث فلسطين ، وكان ذلك بتاريخ ١٤ ــ ١٢ ــ ١٩٥٣ــ انه طلب من الحكومات العربية ان تدخل جيوشها الى فلسطين قبل انتهاء الانتداب وقبـل ان تسقط المواضيع الاستراتيجية التي كانت بأيدي المناضلين ، الا ان طلبه هـــذا لم يلب ، ولما انتهى الانتداب ودخلت تلك الجيوش فلسـطين كان الوقت متأخراً ، وكانت معظم المدن الفلسطينية الهامة بيد اليهود ، وجادت بوصل حين لا ينفع الوصل .

٤ – فوج القادسية : قائده المقدم مهدي صالح العاني (عراقي)
٥ – فوج حطين : قائده الرئيس مدلول عباس (عراقي)
٦ – فوج اجنادين : قائده الرئيس ميشال العيسى (فلسطيني)
٧ – فوج العراق : قائده المقدم عادل نجم الدين (عراقي)
٨ – فوج الدروز (جبل العرب) : قائده الرئيس شكيب عبد الوهاب (درزي)

وعدد الفوج(١) وان كان في العرف العسكري الفاً ، الا انه هنا ما كان يزيد على السبعمئة . وكثيراً ما كان يهبط الى خمسمئة . وكانوا خليطاً من السوريين (من دمشق وحمص وحماه وحلب) ومن العراقيين والفلسطينيين وقليل منهم دروز وا كرادوشرا كسة وكان الجندي الواحد يتقاضى راتباً شهرياً قدره اربعة جنيهات ونصف الجنيه (فلسطيني) والنائب ستة جنيهات ونصف الجنيه والضابط الصغير خمسة وعشرين جنيها ، والكبير خمسين . هذا طبعاً عدا الطعام والكساء والسلاح . والجامعة العربية هي التي تولت الانفاق عليهم .

اما فوج اليرموك الاول ، فقدعهداليه بمهمة العمل في القطاع الكائن بين جنين وبيسان.

وأما فوج اليرموك الثاني،فقد تولى العمل في منطقة الجليل (صفد وعكا والناصرة) عدد قواتة يتراوح بين ٣٥٠ و ٤٠٠ وجهته من عكا الى صفد فالنبي يوشع والناحية الغربية من بحيرة طبريا طولها ستون كيلو متراً . ومن رجاله عامر حسن آمر لواء اليرموك الاول.

وكان مع هذا الفوج فصيل عبارة عن مدفعين من عيار ٧٥ مليمتر ، يقوده فايز قدسي.

واما فوج اليرموك الثالث . فقد دخل فلسطين في ٢٤ نيسان ١٩٤٨ وراح يعمل في قطاع رام الله أولا ثم في قطاع القدس . وكان يقوده المقدم عبد الحميد الراوي . من رجاله الرئيس ميشال العيسى (بدو) والملازم الاول جاسم عمارة (في النبي صمويل) والملازم الثاني جاسم محمد جنابي من شتوره . والملازم الاول مشهور حسن (من بيت اكسا)(٢) .

---

(١) (الفوج) يعني (الكتيبة) ، الاول يستعمله الجيش السوري والثاني الاردني . وجمعها افواج وكتائب وهو ما كان الاتراك يسمونه (طابور) والانكليز Batalion

(٢) عندما تسلم فوج اليرموك الثالث قطاع القدس ، وكان يقوده المقدم عبد الحميد الراوي ، أمر الرئيس فاضل عبد الله الذي كان يدير دفة القتال فيها ، بأن يضع نفسه تحت تصرف الراوي . فأصبح مساعدا له . ووزع الراوي قواده على مناطق القدس كما يلي : الملازم الاول حنا الحلو في ابي داود والثوري . الملازم الثاني جاسم محمد جنابي في المصرارة ووادي الجوز . ابراهيم جاشة من الشيخ جراح . جاسم عمارة ، ومشهور حسن في الاحياء الاخرى .

واما فوج القادسية فقد وضع في باديء الامر تحت تصرف القيادة للاحتياط . ثم راح يأتمر بأوامر القاوقجي ، ويعمل في قطـاع رام الله وباب الواد : ومعظم رجاله عراقيون .

واما فوج حطين فقضى معظم وقته في قطاع السامرة ، ولا سيما في طولكرم .

واما فوج اجنادين . فقد تولى العمل باديء ذي بدء في القطاع الساكن بين رام الله والقدس . ولكنه امر بعد حين بالعمل في يافا .

واما فوج العراق . فقد عهد اليه ان يعمل في يافا والقطاع الغربي ، معظم رجاله من العراق وبعضهم من حمـاة ، والبعض الآخر اتراك ويوغوسلافيون مسلمون ، ويسمونه أيضاً (فوج الحسين) .

واما فوج الدروز ، ورجاله كلهم من الدروز . فكانت مهمته مساعدة فوج اليرموك الثاني في منطقة الجليل . وكان يعمل في شفاعمرو . يقوده الرئيس شكيب وهاب . جبهته تمتد من شفا عمرو والى نقطة قريبة من حيفا ، طولها خمسة عشر كيلومتراً .

هذه هي الافواج التي تم تأليفها في شهر كانون الثاني (يناير) ١٩٤٨ وان شئت فقل عندما بدأ النضال بشكل جدي .

وكثيراً ما كان يلتحق بهذا الفوج او ذاك ، سرية من هنا واخرى من هناك . كسرية منكو للمتطوعين الاردنيين ، وسرية حلب التي عرفت بأسود الشهباء ، هاتين السريتين اللتين التحقتا بفوج اليرموك الثالث وراحتا تقاتلان اليهود في مدينة القدس وكذلك قل عن السرية اللبنانية التي كان يقودها الرئيس مدحت ، وعدد افرادها لا يجاوز المئتين . والسرية الاردنية التي التحقت بفوج اليرموك الثاني . وكانت تقاتل في قطاع صفد وكان الجيش العربي ينفق على هذه السرية وهو الذي زودها بالسلاح والعتاد . وتم تدريبها مع باقي القطعات التي تألف منها جيش الانقاذ في معسكر (قطنه) بالقرب من دمشق

ومعظم رجال جيش الانقاذ كانوا قبلا في الجيش السوري . فقد حدث رئيس اركان الجيش السوري اللواء الركن عبد الله عطفه ان الجيش السوري زود جيش الانقاذ بستة وأربعين ضابطاً من ضباطه وبما ينوف عن الاربعمئة جندي ونقيب من جنوده ونقبائه وبمقادير كبيرة من الاعتدة والاسلحة . ومن الضبـاط الذين انخرطوا في صفوف هذا الجيش (غير اولئك الذين ذكرناهم في السطور المتقدمة) المقدم محمد ناصر . الرئيس جمال فيصل . الملازم محمد جديد (استشهد في حرب فلسطين) . الملازم الاول جميل زهر الدين ، الملازم فائز حديفي . الملازم الاول حسن مهنا . وغيرهم كثيرون .

وارادت اللجنة العسكرية ، عند تأليف جيش الانقاذ ان تعهد بقيادته في الميدان الى فوزي القاوقجي ، الا انها لاقت ، في سبيل ذلك صعاباً جمة . منها :

اولا : بعد المسافات وعدم تيسر وسائل النقل والمخابرات . ولهذا جعلت فوج اليرموك الثاني الذي يقوده الشيشكلي ، وفوج الدروز الذي يقوده شكيب وهاب تابعين لها وليس للقاوقجي ، وفي قول انهما هما اللذان رفضا الانقياد له .

ثانياً : ان المفتي الحاج امين عارض في قيادة القاوقجي ، قائلا انه لا يصلح لقيادة الميدان «١» . اضف الى ذلك انه (أي المفتي) ما كان يؤمن باسماعيل صفوت ولا بغيره بل كان يريد ان يتولى القيادة العامة هو . على ان تكون قيادة الميدان بيد ابن عمه عبد القادر الحسيني . وكثيراً ما صارح رجال الجامعة العربية واللجنة العسكرية بقوله ان الفلسطينيين يستطيعون القيام بالعبء شريطة ان يزودوا بالمال والسلاح وان يدعموا بالمتطوعين .

ولما لم يتوصل الفريقان الى اتفاق في هذا الباب لجئا الى حل وسط . هو ان تقتصر اعمال جيش الانقاذ على المناطق الشمالية (الجليل والسامرة) . وان يعهد بالدفاع عن المنطقة الوسطى الى فرق (الجهاد المقدس) . تلك الفرق التي تدين للمفتي بالولاء . فتولى عبد القادر الحسيني قيادة القطاع الشرقي من المنطقة الوسطى (القدس ورام الله وباب الواد) والشيخ حسن سلامه قيادة القطاع الغربي من المنطقة نفسها . وكثيراً ما كان افراد هذه السرية او تلك ، يتركون سراياهم ، ويلتحقون بسرايا الافواج الاخرى دون ان يردعهم رادع . واكثر التنقل كان يجري بين الفلسطينيين الذين آثروا الخدمة في صفوف (الجهاد المقدس) عليها في صفوف (جيش الانقاذ) اذ كان رجال هذا الجيش ينظرون اليهم كخونة وجواسيس وجبناء لا يصلحون للقتال . وكان معظم الفلسطينيين ينظرون الى رجال جيش الانقاذ كدخلاء ومرتزقة ورؤساء غير صالحين لتحمل اعباء القتال .

واستشارت اللجنة المفتي عند تعيينها امراء الحاميات في المدن فانتدبت :

١ ــ الرئيس فاضل رشيد عبد الله (عراقي) آمراً لحامية مدينة القدس من فوج القدس
٢ ــ الرئيس عبد الوهاب الشيخ علي (عراقي)
٣ ــ المقدم عادل نجم الدين (عراقي) آمراً لحامية مدينة يافا (٢)
٤ ــ فالرئيس ميشال العيسى (فلسطيني)

---

(١) اقرأ ما كتبناه عن القاوقجي وما قاله رئيسه اميراللواء اسماعيل صفوت باشا فيه عند انسحاب جيش الانقاذ من فلسطين.

(٢) في الفصل الذي خصصناه لمعارك يافا ذكرنا السبب في التغييرات التي وقعت في قيادة الحامية .

٥ ـ الملازم الاول محمد الحنيطي (اردني) } آمر الحامية مدينة حيفا(١)
٦ ـ فالرئيس امين عز الدين (درزي) }
٧ ـ الملازم الاول اسماعيل طهبوب (فلسطيني) آمر الحامية مدينة بيسان
٨ ـ العقيد عاهد السخن (فلسطيني) آمر الحامية مدينة غزه

وقام المفتي ، في الوقت نفسه ، بتعيين امراء لحاميات بعض المدن دون استشارة اللجنة : كأبي ابراهيم الكبير ، وابي ابراهيم الصغير ، ومحمود الصفوري في قطاع الجليل ، وغيرهم في القطاعات الاخرى . وكثيراً ما كان يصول في الميدان قائدان مختلفان : هذا منتدب من قبل اللجنة العسكرية ، وذاك من لدن المفتي او الهيئة العربية العليا التي تدين له بالولاء .

وعبثاً حاول المخلصون ان يقربوا بين وجهات النظر المختلفة . الامر الذي كان له اسوأ الوقع عند الشعب واوخم العواقب في ميادين القتال .

(١) عندما استشهد محمد الحنيطي انتدب امين عز الدين لقيادة حامية حيفا .

الهيئة العربية العليا

●

وفي الوقت الذي انبثقت فيه « اللجنة العسكرية » عن اجتماع مجلس الجامعة في عالية نشطت الهيئة العربية العليا ، وهي اعلى مؤسسة عربية فلسطينية فراحت تضاعف جهودها. ونرى من الفائدة أن نعود قليلا إلى الوراء لنذكر كيف ومتى تألفت هذه الهيئة فنقول: —

كان في فلسطين في عهد الانتداب البريطاني ستة احزاب (١) هي : —

« الحزب العربي » يرأسه جمال الحسيني و « حزب الدفاع » يرأسه راغب النشاشيبي و « حزب الاصلاح » يرأسه الدكتور حسين الخالدي و «حزب الكتلة الوطنية» يرأسه عبد اللطيف صلاح و «حزب الشباب» يرأسه الحاج يعقوب الغصين و«حزب الاستقلال» يرأسه عوني عبد الهادي . وعندما اعلن الاضراب العام في البلاد عام ١٩٣٦ اتحدت تلك الاحزاب ، فألفت هيئة شعبية متحدة سميت (اللجنة العربية العليا) وكان ذلك في شهر نيسان من تلك السنة . وقد الفت يومئذ من رؤساء الاحزاب المتقدم ذكرهم مضافاً اليهم المفتي الحاج امين الحسيني وكان يومئذ رئيساً للمجلس الاسلامي الاعلى وقد انتخب رئيساً للجنة واحمد حلمي باشا وكان نائباً للرئيس وأميناً للمال ، ويعقوب فراج والفرد روك عن المسيحيين .

وظلت هذه اللجنة تشرف على الحركة الوطنية في البلاد الى ان أمرت حكومة الانتداب بالغائها (١٩٣٧) ، وراحت تطارد اعضاءها . وقد القت القبض على عدد منهم ونفتهم الى جزيرة سيشل وهم: ـ احمد حلمي باشا والدكتور حسين الخالدي . والحاج يعقوب الغصين ،وأما جمال الحسيني فقد حجزته السلطات البريطانية في روديسيا.

وممن نفوا في الوقت نفسه فؤاد سابا ورشيد الحاج ابراهيم وفر رئيسها الحاج امين من البلاد قبل ان تتمكن السلطة من اعتقاله فهبط لبنان ثم جاء الى العراق واشترك في الثورة العراقية التي اضرم نارها (رشيد عالي الكيلاني) وعندما خمدت تلك الثورة غادر العراق مع من غادره من العراقيين والفلسطينيين ، ونزل ايران . ثم سافر الى المانيا حيث

---

(١) ذكرنا في موضع آخر من هذا الكتاب كيف ومتى تألف كل حزب من هذه الاحزاب . . وما نعرفه عن سيرة رئيسه ، فليرجع اليه من شاء .

أسس مكتباً وراح يعمل على تنشيط الحركة الوطنية ومقاومة الانتداب البريطاني والوطن القومي اليهودي في فلسطين .

ومكث اعضاء اللجنة في المنفى زهاء خمسة عشر هلالاً . ثم اطلق سراحهم وسمح لهم بالعودة الى وطنهم (١٩٣٩) فعادوا ولكنهم راحوا يعملون متفرقين اذ اعـاد الحزب العربي تأليف اللجنة العربية العليا (١٩٤٥) وتألفت من الاحزاب الأخرى هيئة ثانية سموها (الجبهة العربية العليا)

ولما عقد مجلس الجامعة جلسته المشهورة في (بلودان) وكان ذلك في ٨ حزيران سنة ١٩٤٦ رأى المجلس أن يعمل على توحيد الأحزاب الفلسطينية وبناء عـلى ايعازه دعت لجنة الشؤون الداخلية المؤلفة من لطفي الحفار نائب دمشق رئيساً ومن صائب سلام وزير داخلية لبنان مقررا ، رؤساء الاحزاب الفلسطينية فلبى هؤلاء دعوتها وسافر الى بلودان كل من احمد حلمي باشا وعوني عبد الهادي وراغب النشاشيبي ويعقوب الغصين وعبـد اللطيف صلاح ، والدكتور حسين الخالدي وجمال الحسيني . وبعد مفاوضات دامت اربعاً وعشرين ساعة وافق الجميع على ترك المسألة لمجلس الجامعة متعهدين بان يقبلوا باي قرار يصدره واقترح مقرر اللجنة ، الغاء كل من (اللجنة العربية العليا) و (الجبهة العربيـة العليا) ، وتأليف (هيئة عربية عليا) من اربعة : اثنين من اللجنة واثنين من الجبهة . على ان يحتفظ بالرئاسة الى الحاج امين وقبل الحاضرون هذا الاقتراح . فتألفت (الهيئة العربية العليا) من : الحاج امين الحسيني (رئيسا) ، جمال الحسيني (نائباً للرئيس) ، الدكتور حسين الخالدي (سكرتيراً) احمد حلمي باشا ، واميل الغوري (اعضاء) .

كان الحاج امين يومئذ في المانيا وقد عاد منها في ٢٩ ايار ١٩٤٦ فاضاف الى الهيئة خمسة اعضاء جدد : الشيخ حسن ابو السعود . واسحق درويش ، وعزة دروزة ، ورفيق التميمي ، ومعين الماضي .

ولكن هؤلاء الاعضاء لم يكونوا على وفاق تام ، وكانوا متفرقين : فريق منهم في مصر ، وآخر في سورية ولبنان . وراح فريق آخر يعمل في بغـداد . ولم يكن منهم في فلسطين عندما اشتعلت نار القتال سوى اثنين هما : احمد حلمي باشا والدكتور حسين الخالدي . وان كان بعض الاعضاء الآخرين كانوا يترددون على فلسطين في فترات متقطعة ولاعمال معينة ، وما كان باستطاعة المفتي ان يدخل فلسطين بسبب تعنت الانكليز وقد اتخذ القاهرة مركزاً لاعماله واعمال الهيئة .

ذلك لان الانكليز حظروا عليه دخول فلسطين . وراحوا يطلبون من الحكومة المصرية ان تلقي عليه القبض . والحوا في طلبهم ولما رفضت هذه طلبهم طلبوا اليها ان تحول دون خروجه من مصر فنزلت عند طلبهم ، وكان يرأسها في ذلك الحين اسماعيل صدقي باشا ، وتعهد الباشا للانكليز بأن لا يسمح للحاج امين بالقيام باي نشاط سياسي في مصر .

وأراد الحاج أمين أن يأتي إلى فلسطين عندما غادرها البريطانبون في ١٤ ايار ١٩٤٨ الا أن بعض الوزراء العرب نصحوه ، بأن لا يفعل ذلك خشية ان لا يغضب عمله الملك عبد الله . فتتفرق كلمة الدول العربية، فنزل عند نصحهم . وبقي في مصر .

جاء في بيان كتبه منيف الحسيني باسم المفتي الحاج امين ونشرته جريدة (الحياة) البيروتية لصاحبها كامل مروه في عددها ٢١٠٠ الصادر بتاريخ ١٣ آذار ١٩٥٣ مايلي (١) :

ان الهيئة العربية العليا تمكنت بالاموال التي تبرع بها الشعب الفلسطيني الى بيت المال والتي تبرع بها المهاجرون العرب والشعوب العربية والاسلامية وبعض الحكومات العربية من شراء ٥٣٩٦ بندقية و٤٩٩ مدفعاً رشاشاً و٣٦٤ مدفع تومي وستن و ٣٠٩ مسدسات و١٢٤ مدفع بويز ضد المصفحات و٢٣ مدفعاً من طراز هاون ومورتر و ٦٦ مدفعاً مضاداً للدبابات والطائرات من قياس ٢٠ الى ٥٠ مليمتراً ، وكذلك اشترت نحو سبعة ملايين طلقة للبنادق والرشاشات ومدافع بوز والمسدسات (٢) ، واكثر من ستين الف قنبلة للمدافع المضادة للدبابات والطائرات، ونحو ١٢،٤٨٣ قنبلة لمدافع الهاون والمورتر

وارسلت الى فلسطين ١٦٠ صندوقاً من المتفجرات على اختلاف انواعها و ٤٦،٧٤٠ قنبلة يدوية و٣٨٦٧ لغما جاهزاً وكمية كبيرة من كبسول القنابل والذخائر واكياس البارود والتجهيزات العسكرية والملابس والاغطية والخوذ الفولاذية والاجهزة اللاسلكية والخرائط الحربية والعلاجات والمواد الطبية .

واسست الهيئة في الوقت نفسه ورشة فنية في مرسى مطروح بصحراء مصر الغربية وثلاث مصانع لصيانة السلاح في القاهرة، وفي داخل فلسطين، ومعملاً لتعبئة الذخيرة في دمشق

---

(١) اطلعنا علي هذه الارقام والمعلومات ايضا من بيان اصدرته الهيئة العربية العليا عن مطبعة دار الكتاب العربي بالقاهرة سنه ١٩٥١

(٢) ٦،١٠٢،٣١٦ طلقه للبنادق ٢٦٧،١٨٥ طلقة للرشاشات ٥٦٦،٢٥٧ طلقه لمدافع تومي واستن ٤،٢٦٢ طلقة للمسدسات ٧،٦٤٥ طلقة لمدافع بويز ضد المصفحات

وعنابر ومخازن للسلاح والذخيرة في دمشق وبيروت وصيدا والسلوم ومرسي مطروح والحمام والقاهرة والعريش وعدة اماكن من فلسطين .

ولما اشتد خطر الهجوم اليهودي على بيت المقدس استأجرت الهيئة العربية بعض الطائرات ونقلت السلاح بواسطتها من القاهرة ودمشق وكانت هذه تهبط في سهل اريحا

كما ان الحكومة المتوكلية اليمانية وضعت ثلاثاً من طائراتها بتصرف الهيئة العربية العليا لهذا الغرض ، وكان عدد الشحنات بالطائرات ١٧ شحنة منها ثلاث بالطائرات اليمانية ، والباقي بطائرات استأجرتها الهيئة .

وبلغ ما ارسلته الهيئة العربية بواسطة الطائرات وحدها سبع مدافع عيار ٤٧مليمترا و١٨ مدفعاً مضاداً للدبابات والمصفحات و١٧ مدفعا رشاشاً و٣٧ بندقية ٢٢٧١ قنبلةضد الدبابات والمصفحات و١٤٠٠,٠٨٤ طلقة رشاشات و٧٤ قنبلة هاون عيار ٣ بوصات و ٣٥٠ قنبلة ميلز

وبلغ مجموع ما انفقته الهيئة العربية العليا ثمناً لهذه الاسلحة وصيانتها ونقلها ٨٠٠,٣٣٠ جنيه ، ولولا ذلك لما تمكن الفلسطينيون من الصمود في وجه العدو خمسة شهور من قرار التقسيم حتى دخول الجيوش العربية .

ومما جاء في البيان نفسه (١) ان الهيئة العربية العليا انتدبت عام ١٩٤٧ رسولا من قبلها لزيارة الملك عبد العزيز آل سعود ، وان هذا الرسول قد زار في موسم الحج (سنة ١٣٦٦ هـ – آب ١٩٤٧) مكة والرياض ولقي من الملك عطفاً واهتماماً كانت نتيجتها ان تبرع الاهلون بخمسة ملايين ريال سعودي (ما يعادل نصف مليون جنيه مصري) وامر الملك بارسال كمية قيمة (?) من البنادق والذخائر الى فلسطين . وكان المتفق عليه ان ترسل هذه التبرعات الى الهيئة العربية العليا لتستخدمها في انقاذ فلسطين . ولكن خصوم الحاج امين وعلى رأسهم دعاة الاستعمار من البريطانيين والامريكيين وقفوا حجر عثرة في هذا السبيل ؛ فحالوا دون وصول هذه الاموال وتلك الاسلحة الى المجاهدين الفلسطينين .

ليس هذا فحسب بل ان بعض الحكومات العربية لم تكتف بمنع الاسلحة والاموال عن الهيئة العربية ومجاهدي فلسطين ، بل صادرت الاسلحة التي في ايدي الفلسطينيين والاسلحة التي في مستودعات الهيئة في فلسطين وفي البلاد العربية المجاورة .

ان المبالغ التي تسلمتها الهيئة العربية العليا من الحكومات العربية خلال سنة ونصف

---

(١) اقرأ العدد ٢١٠١ من جريده الحياه نفسها الصادر بتاريخ ١٤ آذار سنه ١٩٥٣ .

(اي من حزيران ١٩٤٦ الى آخر شهر تشرين الثاني ١٩٤٧)هي ١٤٣،٢٩٤ جنيـه و ٤٠٠ مليم ، منها :

مليم	جنيـه	
٤٠٠	١٠٣,٧٩٤	من الحكومة السوريه
٠٠٠	٢٠,٠٠٠	من الحكومة المصرية
٠٠٠	١٥,٠٠٠	من الحكومة اللبنانيه
٠٠٠	٤,٥٠٠	من الحكومة اليمانيه
٤٠.	١٤٣,٢٩٤	يضاف الى ذلك
٠٠٠	٤٦,١٧٥	من ثلاثه مصادر عربيه كبرى (لم تسمح بنشر اسمائها)
٤٠٠	١٨٩,٤٦٩	

ولقد تمكنك الهيئة المشار اليهامن جمع بعض المال أتاها عن طريق التبرع : منه ستون الف جنيه من الكويت والبصرة ، وستون الفاً من البا كستان ، وخمسون الفاً من الملك عبد العزيز آل سعود ،وأربعون الفاًمن اندونسيا وخمسةوعشرون الفاً من أسبانياوالحبشة، وخمسة آلاف جنيه من البنك العربي ، وخمسة آلاف من بنك الامـة، وتسلمت من بيت المال الفلسطيني ما كان فيه من مال ، قدره بـ ٢٠٢ ، ١٥٦ جنيه و ٨٠١ مل تسلم قسماً منه مكتب الهيئة في القدس والباقي ارسل الى مكتب القاهرة ، وتبرعت كل دولة مـن الدول العربية التي يتألف منها مجلس الجامعة بنصيبها المقرر . (١)

هذا ما علمنا به . وقد يكون هناك مبالغ لم تصل الى علمنا . وان كنا نعلم ان موسى العلمي من قادةالحركةالفلسطينية البارزين قدرفض ان يسلم الهيئةأي جزءمن المبلغ الذي تسلمه من الحكومة العراقية (٥٠٠،٠٠٠ دينار) . ذلك المبلغ الذي انفق جزء منه على مكاتب الدعاية في لندن وواشنطن ، والجزء الآخر استعمل بعد اغلاق تلك المكاتب ، للمشروع الانشائي في اريحا .

وأما السلاح فانها رغم المساعي التي بذلتها ، لم تتمكن من الحصول عليه بالقدر الذي تدعو اليه الحاجة . وان حصلت على مقدار ضئيل منه في مرسى مطروح وبعض انحـاء الصحراء الغربية ، ومن هنا وهناك في مصر وبر الشام ، وكان هذا قليلا ، ورديئاً للغاية

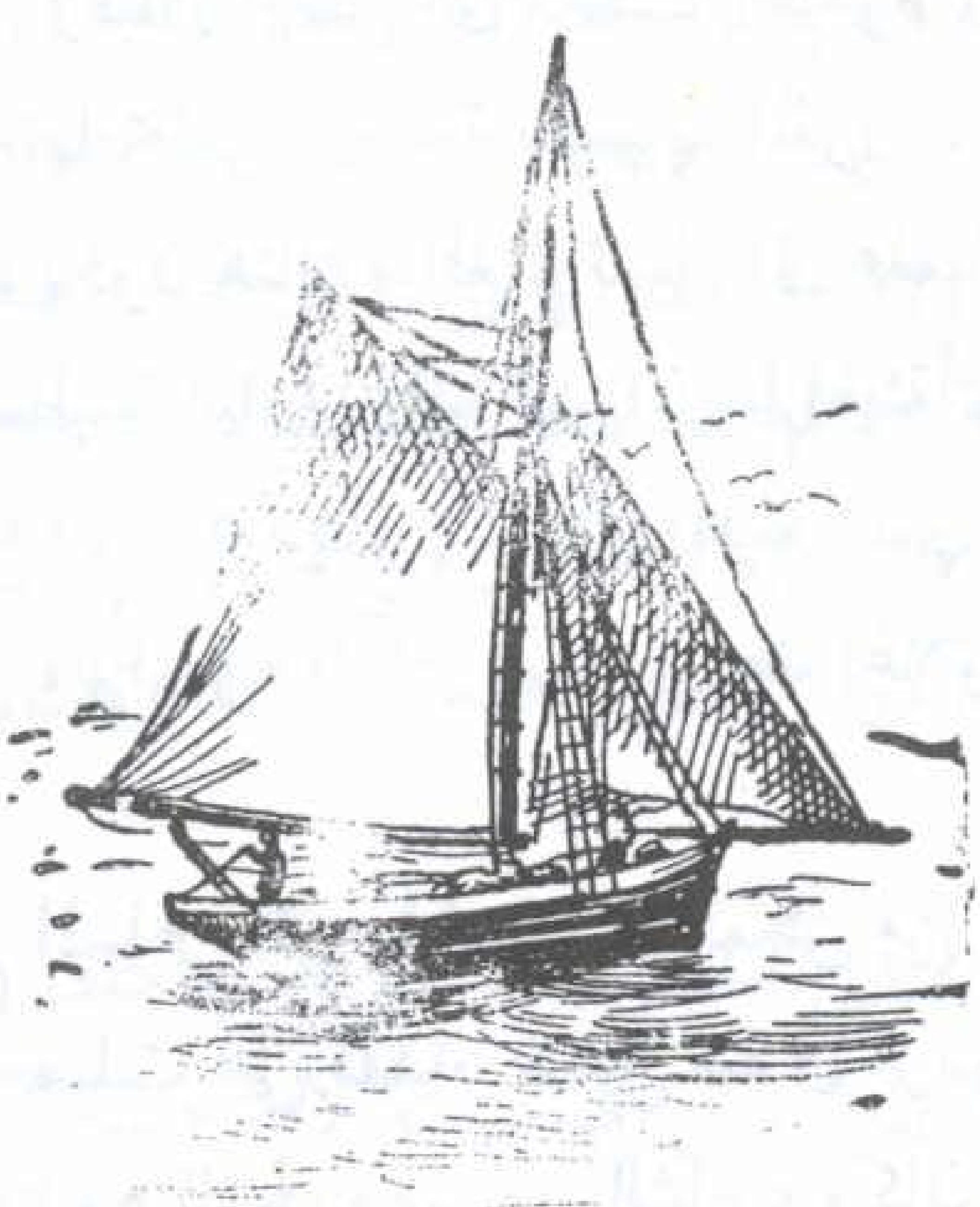
(١) اقرأ ما كتبناه عن حصة كل دولة في اجتماع مجلس الجامعة العربيةبعالية في ٩ تشرين الاول سنة ١٩٤٧ .

انه من بقايا الحرب الكونية الثانية (١٩٣٩ ١٩٤٣) تلك الحرب التي دارت رحاها بين الانكليز والالمان وانتهت باندحار الآخرين في العلمين .

ولقد زاد الطين بلة ان بعض الرجال ممن ينتمون الى الهيئة وغيرهم أساءوا استعمال المبالغ التى قبضوها من الناس ليبتاعوا بها السلاح . كما أنهم لم يحسنوا التصرف بالاسلحة التي تسلموها .

وما كان شيء من هذا ليكون لو كانت الهيئة ابعد نظراً ، وأوفر تنظيما وإنسجاماً واكثر تجربة واختباراً . وكان عليها ان تتخذ القدس أو أي بلد آخر من البلدان الفلسطينية القريبة من الميدان ، مقراً لاعمالها . ذلك اجدى من العمل في مدن بعيدة كالقاهرة وبيروت والشام . ولكنها لم تفعل . وهذا خطأ لا يغتفر .

وبالرغم مما تقدم سارت الامور ، في باديء الامر ، سيراً مرضيا ، وفي صالح العرب . ولكن الى حين ... كما سنذكر ذلك في السطور التالية .



جمعية انقاذ فلسطين

●

في ٧ كانون الاول سنة ١٩٤٧ وافقت وزارة الداخلية العراقية على قيام جمعية الفها عدد من عيون الشعب العراقي في بغداد ، وقد اسموها : (جمعية انقاذ فلسطين) . وقد انتخبوا الذوات الاتية اسماؤهم اعضاء في هيأتها التنفيذية العليا :

الفريق الركن حسين فوزي ابراهيم باشا رئيساً . امير اللواء الركن ابراهيم باشا الراوي نائباً للرئيس . عبد الرحمن خضر محاسباً . ابراهيم عطا رباش اميناً للصندوق . محمود فهمي درويش سكرتيراً عاماً . العلامة الشيخ امجد الزهاوي . الزعيم الركن توفيق حسين . العقيد طاهر محمد عارف . العقيد عبد القادر العزاوي . النائب جميل الاورفهلي الدكتور اسماعيل ناجي . الشيخ فرحان العرس . جميل روبحي . نور الدين داود . الشيخ محمد محمود الصواف (اعضاء) وقد استقال ، بعد قليل ، العضوان الاخيران فحل محلهما المحاميان عبد الباقي السعيدي وابراهيم مصطفى الايوبي . فكان اول عمل قامت به هذه الجمعية ان دعت الشعب العراقي الى التطوع . فلبى دعوتها زهاء خمسة عشر الف شخص ، سجلوا اسماءهم في سجل المتطوعين من اجل انقاذ فلسطين . جلهم — ان لم نقل كلهم . ممن سبق لهم أن انخرطوا في سلك الجندية (في الجيش او الشرطه) جنوداً وضباطاً . وتألفت من المتطوعين افواج عديدة بأسم : الحسين والقادسية وما الى ذلك من الاسماء التاريخية . وتكونت سرية من المغاوير (الكوماندوس) قوامها ضباط متدربون على مثل هذه الاعمال . واقيم في بغداد معسكر لتدريب الجنود الاحداث . وكلما تم تدريب فريق من المتطوعين سيقوا الى الشام ، ليكونوا تحت تصرف اللجنة العسكرية فيها . تلك اللجنة التابعة للجامعة العربية .

وفي ٧ - ١ - ١٩٤٨ غادر بغداد اول وحدة من سرية المغاوير ونزلت دمشق . يرافقها اثنان من اعضاء الجمعية هما عبد الرحمن خضر ومحمود فهمي دريش ، لتنظيم الاتصال بين الجمعية واللجنة العسكرية .

وفي ١٥-١-١٩٤٨ سيق الى الشام فوج (١) الحسين بن علي . وتبعه بعد ذلك بيومين فوج القادسية . وأرسل الى الشام ، في الوقت نفسه ، السلاح والعتاد اللازمين لهذه الوحدات .

وفيما كانت الجمعية منهمكة في اعداد وحدات اخرى تلقت من اللجنة العسكرية بدمشق كتاباً أشير عليها فيه (٢) **ان تكف عن ارسال عدد آخر من المتطوعين الى اشعار آخر . . .**

والذي اشار على الجمعية بأن لا ترسل اكثر من ٥٠٠ متطوع هو صالح جبر رئيس وزراء العراق في ذلك الحين . وقد فعل ذلك اثر عودته من انكلترة وقبوله مشروع المعاهدة التي عرفت بعد ئذ بـ (معاهدة بورتسموث) (٣) .

وكذلك فعل طه باشا الهاشمي المفتش العام للمتطوعين . فقد حدثني رئيس الجمعية حسين فوزي باشا ان الهاشمي قال له بالحرف الواحد : « اذا ارسلتم عدد آخر من المتطوعين اعيدهم الى بغداد على نفقة الجمعية » . هذا على الرغم من ان الجمعية كانت قد تولت تمويلهم وتسليحهم .

ولما رأت انه لامناص من الامتثال للامر ، توقفت عن تسجيل المتطوعين. واكتفت بجمع الاعانات من مختلف المدن العراقية . وراحت بعدئذ توزع على المتطوعين الذين انخرطوا في جيش الانقاذ ما جمعته من نقود (٤) وبطانيات وتمور (٥) وسكاير ومربيات وزار بعض اعضاء الجمعية ميادين القتال ، وتحدث البعض الآخر الى القائمين على الامر في مصر والشام ومن هؤلاء طه باشا الهاشمي المفتش العام للمتطوعين .

---

(١) قوة الفوج ٥٠٠ رجل .

(٢) اقرأ النشرة رقم ٤ التي نشرتها جمعية انقاذ فلسطين بعد وقف القتال « ١٩٤٨ » وقد طبعت بمطبعة الفيض الاهلية ببغداد .

(٣) هذه المعاهدة كانت السبب في سقوط وزارة صالح جبر .

(٤) دفعت الجمعية الى عائلات الشهداء العراقيين اكراميات تختلف بالنسبة الى الرتبة التي كان يحملها الشهيد . فالعائلة الواحدة تتقاضى اكرامية تعادل راتب سنة كاملة من الرواتب التي كان يتقاضاها الشهيد في حياته . هذا بالاضافه الى مبلغ مقطوع قدره خمسة وعشرون ديناراً يدفع لها من صندوق الجمعية عندما تتبلغ الخبر . ولقد ذكرنا اسماء الشهداء العراقيين مع الشهداء الاخرين في الملحق التاسع

(٥) جمعت الجمعيه ٥٠ طناً من التمر من البصرة وحدها .

ويبدو من التقارير التي نشرتها انها (اي الجمعية) جمعت في غضون المدة التي انقضت من تاريخ تأسيسها (٧-١٢-١٩٤٧) حتى نهاية كانون الاول ١٩٤٨ -٣٨٧و ٧٠ ديناراً و ٢٢٦ فلساً . أنفقت منها ٧٤. و٥٩ ديناراً و٣٠٠ فلساً .

حدثني حسين فوزي باشا ، عندما زرته ببغداد في اواخر سنة ١٩٥٣ مستطلعاً اخبار هذه الجمعية التي كان رئيسها فقال :

ألغيت جمعيتنا بمساعي الحكومة وقد ألفت هذه ، بــدلاً منا ، هيأة جديدة اسمتها (الجبهة المتحدة لانقاذ فلسطين) فيها ممثلون لعدد من الهيئات الحكوميــة والجمعيات الشعبية التي كانت تعمل من اجل فلسطين . ومنها جمعيتنا . اللهم وان قالوا ان الغاية من تكوين هذه الجبهة هي توحيد الجهود لانقاذ فلسطين ، ولكنهم في الحقيقة ارادوا عرقلة المساعي التي كانت جمعيتنا تريد ان تقوم بها في هذا السبيل ، يدلنا عــلى ذلك ان الجبهة التي كونوها لم تفعل شيئاً ، سوى ان الاموال الــتي جمعت لانقاذ فلسطين ثم تجميدهــا على يدها . . .

ان الاشخاص الذين تــكونت الجبهة منهم وان كانوا مخلصين لوطنهم ، إلا انهم ينتمون الى احزاب ، وعقليات مختلفة ، بشكل لم يسمح لهم بالتعاون والعمل المشترك . نذكر منهم الرئيس جميل المدفعي . ومحمد الصدر رئيس الاعيان . ومصطفى العمري . وعبد العزيز القصاب . وعمر نظمي . ومهدي كبه رئيس حزب الاستقلال . وكــامل الجادرجي رئيس الحزب الديمقراطي الوطني . وارشد العمري . وصالح جبر . وبهجت الاثري وغيرهم .

هذا ما قاله لي رئيس الجمعية حسين فوزي باشا . ولقد اكــد لي من اثق بصدق روايته انه كان بين اعضاء الجبهة المتحدة اعضاء يهود .

حدثني السيد محمود الدرة (١) فقال :

---

(١) ولد في بغداد سنه ١٩١. للميلاد واتم دراسته العسكريه فيها ١٩٣٠. كان مدفعياً ركناً في رئاسة اركان الجيش العراقي وكان سكرتيراً لمجلس الدفاع الاعلى وصار ضابطاً اشترك في حركة رشيد عالي الكيلاني ضد الانكليز ١٩٤١ فاحيل على التقاعد بسبب اشتراكه في تلك الحركة ثم طرد من الجيش ثم سجن اربع سنوات بقرار من المحكمة العسكرية . ولما خرج من السجن ١٩٤٥ اشترك في تاسيس حزب الاستقلال ، ونطوع في حرب فلسطين وساهم في تكوين الجبهة الشعبية المتحده ولا يزال يعتبر من اعضائها العاملين، اصدر مجلة (المواطن) الاسبوعية وله عدة مؤلفات في (التعبئة العسكرية) وفي (حروب محمد) .

ان الجبهة المتحدة للدفاع عن فلسطين جمعت من الشعب العراقي ما يزيد على مئتي الف دينار وانها انتدبته لشراء الاسلحة من ايطاليا . وان وزير الدفاع العراقي شاكر الوادي المعروف باتصالاته مع الانكليز عندما عرف واطلع على التقرير الذي ارسله (اي الذي ارسله الدرة) الى رئيس الجبهة حول هذا الموضوع قرر الاستيلاء على المبلغ المتقدم ذكره وقد استولى عليه بالفعل .

وفيما يلي صورة التقرير الذي رفعه محمود الدرة الى رئيس الجبهة بتاريخ ١٢ حزيران ١٩٤٨ قال :

الى فخامة رئيس الجبهة المتحدة للدفاع عن فلسطين السيدجميل المدفعي الافخم ـ بغداد

الموضوع : تقرير شراء اسلحة من ايطاليا .

١) ـ خلاصة الرحلة :

أ) تلبية لرغبة فخامتكم فقد سافرت الى ايطاليا لشراء اسلحة للجبهة المتحدة فاستغرقت رحلتي اربعة اسابيع من ١٣-٥-١٩٤٨ لغاية ١٠-٦-١٩٤٨

ب) قضيت الاسبوع الاول متنقلا بين سورية ومصروروما وميلانو فحصلت من وزارة الخارجية السورية تفويضاً رسمياً يخولني شراء اسلحة ومهمات حربية وشحنها . وتذاكرت مع فخامة طه الهاشمي واللواء اسماعيل صفوة على احتياجهم من الاسلحةوفق رغبة فخامتكم وعرجت بالطائرة الى مصرومنها الى روما فطلبت احدى شركات الاسلحة مواصلة سفري الى ميلانو حيث يجري التفاوض وحيث توجد الاسلحة .

ج) وفي مطلع الاسبوع الثاني من الرحلةاي في ٢٢-٥-١٩٤٨ انجزت واجبي فابرقت لفخامتكم عرض الشركة .

د) وبنتيجة تشبثاتي حصلت على عرض آخر ارسلته برقياً وذكرت تفاصيله بالبريد حيث وجدت اعطائي رأيكم النهائي لأستطيع العودة الى الوطن .

هـ) وبتاريخ ٣١-٥-١٩٤٨ تلقيت اول وآخر اشعار من فخامتكم برقيا بوجوب العودة الى بغداد مع الحصول على عروض اخرى وبتفاصيل جديدة ، وعلى اثر هذه البرقية اتصلت بالشركة وزرت بعض معامل الاسلحة وحصلت على عرض جديد وحجزت اول طائرة تذهب الى بيروت بتاريخ ٨-٦-١٩٤٨

و) اتصلت بفخامة طه الهاشمي بدمشق لاستوضح منه مدى استفادة الجيوش المتطوعة من الاسلحة التي عرضت عليها .

٢) ـ العروض :

مدافع هاون ٨١ ملمتر وقنابلها رشاشات ٩ مليمتر وعتادها . مدافع ضد الدبابات وعتادها . . . . ان الكميات المطلوبة يمكن توفرها ومن اليسير شراء مـا تحتاجه الجبهة وشحنه الى اي جبهة تريدها .

. . . ان العروض التي اذكر تفاصيلها ادناه كلها من شركات في وضع يمكنها مـن تنفيذ ما تلتزم به نظراً لامكانياتها التجارية .

اقتنعت ان الاسعار المقدمة لنا هي مرتفعة بنسبة تتراح بين ١٠ ــ ٢٠ بالمائة مـن اصل اثمانها والسبب هو اشتراطنا بوجوب دفع الثمن بعد وصول البضاعة سيف بيروت

ارجو ان يسمح لي فخامتكم بالقول بانه اذا كان هناك عزم اكيد على شراء الاسلحة من ايطاليا وان هناك امكانيات فتح الاعتماد بالعملة الاسترلينية فان الطريقة الواجبـة الاتباع هي . . . . . .

(وهنا يشرح تفاصيل العمل . . . .) .

١٢-٦-١٩٤٨

التوقيع
محمود الدرة

مشكلة السلاح

●

ان مشكلة السلاح من اعوص المشا كل التي اعتورت سبيل الجهاد العربي في فلسطين لا ، بل ان اعوصها طراً، وأبعدها أثراً من مصير هذا الجهاد. اذا كانت الحكومة البريطانية طوال احتلالها هذه البلاد (١٩١٧-١٩٤٧)؛ قد حرمت على الناس ليس حمل السلاح واستعماله فحسب ، بل واقتناءه في منازلهم ايضاً . وسنت من اجل ذلك قوانين صارمة ، وصلت في بعض الاحايين حد الشنق والاعدام (١) . ولهذا لم يكن في البلاد عندما جد الجد وتلبدت فيها سحب القتال ، سوى عدد ضئيل من البنادق والمسدسات لا يبل غلة الظمآن، دع عنك المدافع اوالرشاشات وما الى ذلك من المعدات التي لا بد منها للقتال .

ولهذا راح المجاهدون من ابناء فلسطين يبحثون عن السلاح في كل مكان . فريق منهم أموا السلوم والعلمين وسائر انحاء القطر المصري وليبيا وبر الشام . وشروا ما وجدوه هنا وهناك بأموالهم ، وقد باعوا من أجل ذلك حلى نسائهم ومـا يملكون . وآخرون ولوا وجوههم شطر اللجنة العسكرية بدمشق ، يرجونها أن تمدهم بما لديها من سلاح .

ولكن . أنى لهـذه اللجنة أن تلبي رغبتهم ، وهي نفسها لا تملك منه شيئاً . ورغم انها نصحت في تقريرها الاول الذي رفعته بتاريخ ٩ تشرين الاول ١٩٤٧ بوجوب تسليم عرب فلسطين ما لا يقل عن عشرة آلاف بندقية ومقادير كافية من العتاد ، فانها لم تعط كل ما طلبته ، ولم يـكن لديها - عندما صدر قرار التقسيم في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ سوى ٧٠٠ بندقية تسلمتها من سوريا و٢٠٠ بندقية من لبنان ، ومقدار ضئيل من العتاد.

بعثت اللجنـة بالوفود الى سويسرا وفرنسا والبلجيك وتشيكوسلوفاكيـا إلا أن جميع المساعي التي بذلتها هذه الوفود باءت بالفشل ، بسبب العراقيل التي وضعها اليهود. ومن والاهم من رجال الغرب ، في هذا السبيل ، وهؤلاء كثيرون ؛ حتى ان الصفقة التي تم الاتفاق عليها في ٣٧ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧ باسم الحكومـة السورية مـع مصانع اسكودا في تشيكوسلوفاكيا لشراء ٨,٠٠٠ بندقية وسبعة ملايين

---

(١) اقرأ المادة ٥٨ من أنظمة الطوارىء «الدفاع» لسنة ١٩٤٥ مع تعديلاتها التي جرت في تواريخ مختلفة كان اخرها في ٢ اذار ١٩٤٧ .

طلقة و ٢٠٠ رشاش لم يوفق السوريون في الحصول عليها . وكانت اللجنة قد انتدبت للسفر الى اوروبا لجنة يرأسها وكيل وزارة الدفاع السورية احمد اللحام .

وعندما فشلت اللجنة في مسعاها رفعت بتاريخ ٧ كانون الاول ١٩٤٧ رقم ١٤-١٠ آ تقريرها الى مجلس الجامعة .

وقد عبرت فيه عن اسفها لعدم تمكنها من تسليح الفلسطينيين وتقويتهم ، ليستطيعوا الصمود في وجه اعدائهم ، وذلك لقلة السلاح والعتاد الموجود بين يديها ، قائلة انها الى الان لم تحصل الا على : ٥٥٦ بندقية و ١٣٤ مسدساً و ٢٣,٠٠٠ طلقة من الحكومة السورية ، و ٣٠٠ بندقية و ٣٠ مسدس و ٥٠,٠٠٠ طلقة من الحكومة اللبنانية . هذا من اصل ٢٠,٠٠٠ بندقية و ٢٠٠٠ رشاشة خفيفة و ٣٠٠٠ مسدس ومقادير اخرى من الاعتدة والمتفجرات كان يجب ان تكون تحت تصرف اللجنة . وطالبت اللجنة في تقريرها ذاك بضرورة الاسراع في تسليح المتطوعين .

فاجتمعت ، على اثر ذلك ، اللجنة السياسية واتخذت قراراً يلزم الدول العربية بارسال المقادير التالية من السلاح :

المقادير التي فرضتها اللجنة السياسية

اسم الدولة	بندقية	طلقة
العراق	٢٠٠٠	١٠٠٠ لكل بندقية
مصر	٢٠٠٠	١٠٠٠ « «
المملكة العربية السعودية	٢٠٠٠	١٠٠٠ « «
سوريا	٢٠٠٠	١٠٠٠ « «
لبنان	١٠٠٠	١٠٠٠ « «
المملكة الاردنية	١٠٠٠	١٠٠٠ « «

وانتدبت اللجنة العسكرية ، في الوقت نفسه ، السيد صبحي الخضرا مع اشخاص آخرين لشراء الاسلحة التي كانت مبعثرة في ليبيا من بقايا الحرب الكونية الثانية (١٩٣٩ ١٩٤٥) . فلم يتمكن هؤلاء من الحصول الا على كميات ضئيلة من البنادق وكان معظمها في حاجة الى تعمير .

ونود ان نقف هنا قليلا لنستمع ما يقصه علينا العميد الركن طـه باشا الهاشمي في مذكراته (١) عن الاسلحة ، وما تسلمته اللجنة منها ، وما بعثت به الى مختلف الجبهات

(١) اطلعنا على هذه المذكرات في الاعداد ١٢-٢٣ من جريدة الحارس البغدادية من تاريخ ١٢ شباط ١٩٥٣ الى ٣٠ نيسان ١٩٥٣

في فلسطين . قال :

١ – في ١٣ كانون الاول ١٩٤٧ تسلمت اللجنة العسكرية بدمشق من العراق ١٢٦٠ بندقية فرنسية . ولما كانت هذه البنادق من غير عتاد ؛ فقد جهزتها وزارة الدفاع السورية بالعتاد اللازم من مستودعاتها .

٢ – وفي ٢٨ كانون الاول وصلت الى دمشق ٦٠,٠٠٠ طلقة فرنسية من العراق . فتسلمتها اللجنة العسكرية .

٣ وفي ٣٠ كانون الاول جاء معتمد المفتي ابو ابراهيم الصغير واخبر اللجنة ان شحنة السلاح التي ارسلها المفتي من مصر بالباخرة (وهي من الحكومة المصرية)وصلت الى صيدا ، وهي عبارة عن ٢٥٠ بندقية المانية وعتاد الماني ومواد متفجرة . وظهر من الفحص ان البنادق لا تصلح للاستعمال ، اذ ان الصدأ كان قد خربها . ولدى تنظيفها اتضح ان ٢٥ بندقيه فقط صالحة للاستعمال . وكذلك قل عن العتاد . والمادة الوحيدة التي كانت صالحة هي الجلنجيت . وكان هذا موضوعاً في ثلاثمئة صندوق مع فتائله .

٤–وفي ١ كانون الثاني ١٩٤٨ تسلمت اللجنة العسكرية ٢٥٠بندقية المانية و١٤,٠٠٠ طلقة من لبنان .

٥– وفي ٢ كانون الثاني اتصل السيد صبحي الخضرا من القاهرة بالمقدم محمود الهندي بدمشق ، عن طريق الهاتف ، واخبره ان الحكومة المصرية سلمته ١٢٠٠ بندقية ، ارسل منها ٥٠٠ الى فلسطين . هذا ما قاله الهاشمي . واما اسماعيل صفوة باشا فقد اخبرني ان الذي أرسل الى عرب فلسطين في ٤ كانون الثاني ١٩٤٨ هو ١٢٣٠ بندقية و ٢٠٠ مسدس و ١٣٠٠ قنبلة يدوية و ٢٥٠,٠٠٠ طلقة .

٦ – وفي ٦ كانون الثاني وردت برقية من عبد الرحمن عزام ، الامين العام للجامعة الى اللواء اسماعيل صفوة باشا يخبره فيها ان صبحي الخضرا تسلم ١٥٠٠ بندقية (المعتقد انها هي التي ذكرت في البند المتقدم) .

– عقدت اللجنة العسكرية اتفاقاً مع الحكومة التشيكوسلوفاكية . وقد تم الاتفاق بواسطة الحكومة السورية – على ان تزود هذه الحكومة اللجنة بـ ١٠,٠٠٠ بندقية و ١٠٠٠ رشيش و ٥٠٠ رشاش و ١٢,٥٠٠,٠٠٠ طلقة . وبعد ان أعد قسم من هذه الصفقة للشحن ، وكان ذلك في ٧ كانون الثاني (يناير) ١٩٤٨ ، منعت الحكومة التشيكوسلوفاكية شحنه ، وعهد الى العقيد فوزي سلو ان يتسلم الباقي ويشحنه ، شريطة ان لا يدفع الثمن الا بعد ان يتأكد من وصوله الى ارض الوطن .

ولكن هذا ايضاً لم يصل . (هنا يجب التأكد من حكاية مردم).

٧- وفي ١٣ كانون الثاني وصلت من العراق ٥٠٠ بندقية تشيكوسلوفاكية مع ٣٠,٠٠٠ طلقة باسم القوة التي جهزتها حكومة العراق في بغداد ، قياماً بتعهدها بتأليف فوج قوامه ٥٠٠ جندي كامل السلاح والعدة .

٨ - وفي ٢٣ كانون الثاني ١٩٤٨ وردت برقية من محسن البرازي من الرياض جاء فيها ان الملك عبد العزيز آل سعود اخبره ان الف بندقية وخمسمئة طلقة لكل منها ارسلت للحكومة المصرية .

٩ - وفي ٢٥ كانون الثاني ١٩٤٨ وردت برقيــة اخرى من البرازي في الرياض ، تقول ان ابن السعود وافق على تسليم الالف بندقية المتقدم ذكرها الى الحكومة المصرية على ان تسلمها الى اللجنة العسكرية . وان المبالغ التي جمعت من المملكة العربية السعودية بلغت خمسة ملايين ريال .

١٠ - وفي ٢ شباط عاد صبحي الخضرا من القاهرة ، واخبر ان الحكومة المصرية سلمته ٣٠٠ بندقية (لعلها الفرق بين البنادق المذكورة في البندين الخامس والسادس) . من هذه البنادق ١٩٥ طليانية و ١٠٥ المانية وانكليزية . وتسلم ايضــاً ٢٥٠ مسدساً ، واعتدة متنوعة منها ١٧,٠٠٠ طلقة تومي . وبندقيتان ضد الدبابات و ٣٠٠٠ كبسول كهربائي .

وقال الهاشمي انه عندما فحص هذه الاسلحة بالاشتراك مع محمود الهندي وجد ان البنادق قديمة ، وان بعضها يحتاج الى تعمير وان معظم المسدسات عاطل لايصلح للاستعمال

بلغ مجموع ما تسلمته اللجنة العسكرية بدمشق من الحكومات العربية حتى ٨ شباط ١٩٤٨ وقد وضعته في مستودعاتها بالمزة ٤١١٠ بنادق ١,٨٠٩,٠٠٠ طلقة

هذا ما جاء في تقرير وضعه رئيس اللجنة بتاريخ ٨ شباط رقم ١١٨ /٢٧/ آ . وقد جاء في التقرير نفسه ان الشطر الاكبر من هذه الاسلحة تسلمته اللجنة من الحكومة السورية وهو :

٢٦٤٥ بندقية مختلفة ٢٥٣ مسدس ٥٩ رشاش فرنسي ٤ برنات ١٥ ستن ١٢٣٢٨ قنبلة يدوية ٦٠١٤ ديناميت ٦ مدافع هاون عيار ٦٠ مم مدفعا هون عيار ٨١ مم ستة مدافع هاون عيار ٧٥ مم ٣٤٠٠ طلقات مدافع مختلفة ١,٤٨٩,١٣٤ طلقات مختلفــة للبنادق ٧ دراجات نارية ٤٥ بغلاً .

وجاء في التقرير ايضاً انها (اي اللجنة) وزعت من الاسلحة المذكورة المقادير التالية:

بندقية	طلقة	
١٦٥٧	٤٠٠,٠٠٠	الى اهالي فلسطين (وخاصة القدس ويافا وحيفا).
١٥٠١	٩٠٩,٠٠٠	الى المتطوعين الذين دخلوا فلسطين
٣١٥٨	١,٣٠٩,٠٠٠	

١١ – وزعت اللجنة العسكرية كل ما تسلمته من اسلحة على مختلف الجهات (١) فلم يبق لديها في مستودعاتها بدمشق، في ١٠ شباط، سوى ٤٩ بندقية انكليزية واميركية و ٤٠ بندقية المانية.

١٢ – في ٢٣ شباط ارسل صبحي الخضرا من مصر كتاباً جاء فيه ان نحواً من ١٧٣ بندقية من البنادق السعودية (اقرأ البند التاسع) غير صالحة للاستعمال، وانها سلمت لمعامل الجيش المصري لتعميرها. اما الصالح وعدده ٢٣٦ فقد ارسل بالطائرة.

١٣ – وفي ٢٤ شباط وصل من العراق ١٠٠٠ بندقية فرنسية، وهي بقية ما تعهدت به حكومة العراق. ووصل، في الوقت نفسه، ٣٠ رشاشاً متنوعاً.

١٤ – وفي ٢٩ شباط هبطت في مطار دمشق طائرة قادمة من القاهرة، تحمل ٣٥٨ بندقية و ١٠٠ مسدس من مصر، ومئة بندقية من الحكومه السعوديه.

١٥ – وفي ٤ آذار ١٩٤٨ عقدت (لجنه فلسطين) اول اجتماع لها في دمشق، ترأسه رئيس وزراء سوريا جميل مردم بك. وحضره رئيس وزراء لبنان رياض الصلح، وامير اللواء اسماعيل صفوة باشا، ومعين الماضي بدلاً من المفتي الذي تأخر في القاهرة لاسباب صحية. وقررت اللجنه ايفاد اللواء اسماعيل صفوة الى عمان لحمل الحكومة الاردنية على تقديم ما تعهدت به من رجال وسلاح وعتاد.

١٦ – وفي ٦ آذار ١٩٤٨ هبطت في اسكاكه من اعمال الجوف طائرة سوريه، نقلت ما كان فيها من اسلحة واعتدة سعودية، وهي كما يلي:

العدد	النوع	ملحوظات
٢٣٧	بندقية نمساوية	قديمة جداً. تعرف بالحديوية. غنمها الوهابيون من الجيش المصري في الحرب التي قامت في نجد في القرن الماضي.
٢٣٣	بندقية المانية	

(١) حبذا لو ذكر الهاشمي كيف وزعت هذه الاسلحة؟ ولمن سلمت؟

٤٧ بندقية انكليزية
٢١ بندقية روسية
٧٥ بندقية عثمانية
٧٧ بندقية عثمانية (ام صندوق)
١٧ بندقية المانية (من النوع الطويل)
٤ بنادق افرنسية (ام حبة)
٢ بندقيتان تركيتان معشرة)
١ بندقية هندية

٧١٤

ولدى فحص هذه البنادق مع البنادق السعودية الاخرى في المعمل العسكري السوري بدمشق تبين ان ٢٣٥ بندقية منها لا تصلح ابداً للاستعمال (هذا من الناحية الميكانيكية) واما البنادق النمساوية ٢٣٧ والروسية ٢١ فانــه لا نفع يرجى منها ، لفقدان عتادها ، واما الباقي فبالامكان ان يستعمل بعد التعمير .

١٧ - ولدى فحص البنادق التي ارسلتها الحكومة المصرية بتاريخ ٦ آذار ١٩٤٨ تبين ان ١٧ بندقية المانية من مجموع ٨٦ لا تصلح للاستعمال ، وكذلك قل عن ٢٠ بندقية انكليزية من مجموع ٢٠٠ ؛ و ٥ بنادق ايطاليــة من مجموع ٦٥ ، وبندقية واحدة من بندقيتين اميركيتين ، وبندقيتان عثمانيتان

١٨ - وفي ١٠ آذار عاد اللواء اسماعيل صفوة باشا من عمان ، فاخبر اللجنة أن ١٥٠ اردنياً من مسرحي الجيش حجزتهم الحكومة الاردنية وسلحتهم ، وستسلمهم الى دمشق ، تنفيذاً لتعهدها . ووصل ، في مساء ذلك اليوم ، من هؤلاء ١١٠ مسرحــين ؛ معهم ضابطان . وكانوا مزودين بمئة بندقية انكليزية و ١٥ رشاشاً من طراز لويس .

١٩ - وفي ١١ آذار عاد من القاهرة صبحي الخضرا ، فاخبر اللجنة العسكرية ان الطائرة التي كانت قد تعهدت بنقل المهمات من مصر الى سوريا امتنعت عن السفر ، لان نظام الطيران يحظر نقل العتاد بالطائرات. واضاف الى ذلك قوله « ان الحكومة المصرية كانت قد وعدت بتجهيز المتطوعين بمدافع الهاون. تلك المدافع التي استغنت عنها الحكومة المصرية وجيشها. ولكنه بعد ملاحقة الامر من دائرة الى اخرى ظهر بانها غير موجودة»

٢٠ - وفي ١٢ آذار قام فريق من اعضاء اللجنة بدمشق (الهاشمي والهندي والخضرا)

يفحص مستودعات اللجنة ، فوجدوا ان العتاد الالماني الصالح لايزيد عن ٤٠،٠٠٠ طلقة وكان هناك يومئذ عتاد ايطالي للرشاشات مختلف العيار ، وبعض العتاد الايطالي للبنادق، وعدد غير قليل(١) من العتاد الانكليزي .

هذا ما قاله العميد الركن طه باشا الهاشمي من مذكراته عن الاسلحة التي قدمتها الدول العربية باسم فلسطين قبل ان تشترك جيوشها في القتال بصورة رسمية . وانا لنجد اختلافاً ظاهراً بين هذه الارقام ، والارقام التي ذكرها امير اللواء الركن اسماعيل صفوة باشا في تقريره السري(٢) الذي رفعه باسم اللجنة العسكرية الى الامانة العامة لجامعة الدول العربية . وقد جاء في ذلك التقريران مجموع الاسلحة التي تم تسليمها الى اللجنة المذكورة حتى ذلك التاريخ (٢٣ آذار ١٩٤٨) كان كما يلي : —

	بندقية	طلقة	ملحوظات
العراق	٣٨٦٠	٦٠٠،٠٠٠	وقدم العراق ستين رشاشاً نصفها من طراز برن والنصف الاخر من نوع سيداوم
مصر	٨٠٠	٧٠٠،٠٠٠	قالت الحكومة المصرية ان الرصيد الباقي وقدره ١٢٠٠ بندقية سلمته للمفتي
المملكة العربية السعوديه	١٦٠٠		لما كان اكثر من نصف هذه البنادق غير صالح للاستعمال ، فقد اعادته اللجنة العسكرية وسلمته الى الشيخ يوسف يس(١) .
سوريا	٢٠٠٠	٢،٠٠٠،٠٠٠	وسلمت سوريا ايضاً عدداً لا يستهان به من الرشاشات ومن مدافع الهاون .
لبنان	٥٥٠	٦٠٠،٠٠٠	
المملكه الاردنيه	١٠٠٠	٥٠٠،٠٠٠	وسلمت المملكة الاردنية بعض الرشاشات ايضاً
	٩،٨١٠	٣،٨٦٠،٠٠٠	
	٨١٠		ما اعادته اللجنة الى الحكومة السعودية
	٩،٠٠٠		

(١) حبذا لو ذكر الكمية بالضبط .

(٢) هذا ما قاله اللواء اسماعيل صفوت باشا . واما محسن البرازي وزير خارجية سوريا فيقول في مذكراته التي نشرتها جريدة « الحياة » البيروتية في العدد ٢٠٦٥ تاريخ ٣٠ — ١ — ٩٥٣ انه علم من خلال حديثه مع الملك عبد العزيز آل سعود في ٢٢ — ١ — ١٩٤٨ ان عدد السلاح الذي ارسله الف بندقية وعشرة صناديق عتاد ؛ وان تلك البنادق انكليزية وجديدة .

ولسنا ندري اذا كانت الاسلحــة التي تسلمتها اللجنة العسكرية قد خصصت كلها لجيش الانقاذ .

ام ان جزءاً منها فقط اعطي لهذا الجيش والجزء الآخر تسلمته الجيوش العربية نفسها ؟ ولا نعلم مقدار ما اعطي منها لقوات الجهاد المقدس التي كان يقودها عبد القادر الحسيني . هذا مع العلم بان هذه القوات كانت دائبة السعي لشراء السلاح من مصادر اخرى بمالديها من مال .

ومهما كان الامر فانه مما لا بد من ذكره ان مسألة السلاح بجميع وجوهها ، من جمع وتعمير وتوزيع واستعمال ، لم تسر سيراً معقولا. ولو سارت كما يتطلبه فن القتال لكانت الفائدة منها اضعاف ما اتت به اثناء القتال.

●

قضى عرب فلسطين شهر كانون الاول سنة ١٩٤٧ والشهور التي تلته قبل نهاية الانتداب باحثين عن السلاح ، وعن اقصر الطرق واجداها لقهر الاعداء . وما كان الشك ليتسرب الى نفوسهم بان النصر سيكون حليفهم . ذلك لانهم على حق في نضالهم ولان الانباء تواترت ، بعد اجتماعي مجلس الجامعة العربية في عاليه (٩ تشرين الاول) والقاهرة (٨ كانون الاول) ، بان الدول العربية مصممة على الاخذ بيدهم . وما كانوا ليرتابوا ابداً في ان عاهل الجزيرة الملك عبد العزيز آل سعود ، سيستعمل السلاح الذي بيده ، وهو امضى الاسلحة للضغط على اصدقائه الاميركيين كي يركضوا لنصرة اخوانه عرب فلسطين ، او يكفوا على الاقل عن مساعدة اعدائهم اليهود ، وهذا السلاح هو النفط وكان باستطاعة ابن سعود ان يقول للاميركيين انه لا يستطيع ان يمضي في تعهداته او يسمح لهم باستخراج النفط من بلاده ونقله الى بلادهم ، الا اذا وقفوا موقفا شريفاً مرضياً من عرب فلسطين . اوليس هو القائل فيما مضى : فلسطين عزيزة علي انها بؤبؤ عيني وأني لا ارضى لها الا ما ارضاه لنفسي . وهو يعلم علم اليقين انه لا غنى لاميركا عن نفط بلاده .

ولكن سرعان ما علموا ان الوفد السعودي في مجلس الجامعة رفض الاقتراح القائل باتخاذ امتياز النفط في بلاده سلاحاً لحل المشكلة الفلسطينية . وما عتموا ان سمعوا ؛ في اليوم العشرين من الشهر نفسه (كانون الاول) وعلى امواج الاثير ، وزيرخارجية المملكة العربية السعودية يقول :

«ان العاهل السعودي لا يريد الخلط بين الاقتصاد والسياسة . . . وانه ينوي ان يقوم بتعهده من حيث حماية شركة (التابلاين الاميركية ...)وانه لا ينوي فسخ الامتيازالممنوح لهذه الشركة ويرى من واجبه ان يحمي ارواح الاميركيين الذين يعملون في الجزيرة ».

ولكن مسألة البترول هذه عادت فاحتلت الصدارة في ابحاث الجامعة . و اصدرت اللجنة السياسية في ٢٢ شباط ١٩٤٨ قراراً اوصت فيه حكومات الدول العربية بالمحافظة على الوضع الراهن في البلاد العربية والامتناع عن منح امتيازات تتعلق بانابيب البترول او تنفيذ الامتيازات التي منحت بالنسبة لهذه الانابيب ، التي تمد داخل البلاد العربية لمصلحة شركات اجنبية في المملكة العربية السعودية او في العراق . وذلك ما دامت الدول

التي تنتسب اليها هذه الشركات تسعي لارغام العرب على قبول التقسيم :

ولقد وقع هذا القرار . احمد خشبه وزير خارجية مصر . حمدي الباجهجي وزير خارجية العراق . جميل مردم رئيس الوزارة السورية . سعيد المفتي وزير داخلية المملكة الاردنية رياض الصلح رئيس وزراء لبنان .

واما الشيخ يوسف يسن ، المندوب السعودي في اللجنة المشار اليها فانه رفض التوقيع على هذا القرار محذراً من اتخاذ اي قرار في مسألة امتيازات البترول الانجلو ـ اميركية وجاء في خطابه الذي القاه في اجتماع اللجنة قوله(١) :

«ان اليهود اقوياء واذكياء واغنياء . انهم اغنياء في كل شيء : في المال والعلم والفن والقوة القاهرة . بينما نحن عزل من السلاح وفقراء لا نملك من اسباب القوة قليلا او كثيرا لنتمكن من محاربتهم .

ليس هذا فحسب بل ان الملك عبد العزيز آل سعود لم يكتف بالموقف الذى ارتضاه لنفسه في مسألة البترول ، بل راح يستغل نفوذه الشخصي على رجالات سوريا ولبنان ، كي يسمحوا بمرور الانابيب التي يسيل فيهــا البترول السعودي عبر الاراضي السوريــة واللبنانية الى شواطىء البحر المتوسط . اما لبنان فلم تبد اعتراضا ، واما سوريا فقد عارضت في ذلك الا ان الشركه التي تولت هذا العمل (وعرفت بالتابلاين) اميركيـة ولان موقف اميركا من القضية الفلسطينية كان مغايراً لمصلحــة العرب . ولهــذا رفضت الحكومة السورية وعلى رأسها شكري القوتلي رئيس الجمهورية ، عقــد الاتفاق الذي اعدته الشركه المتقدم ذكرها . عندئذ طلبت الشركة من ابن السعود ان يستعمــل نفوذه فابرق هذا الى القوتلي(في آب ١٩٤٧) يرجوه الاسراع في امضاء الاتفاق . ورفض القوتلي قائلا : (ان المصلحة القومية ارفع من المصلحة الاقتصادية)فغضب ابن السعود وكان بين الرئيس والملك بعدئذ ما كان ، مما تقرأه في مــذكرات محسن البرازي وزير خارجية سوريا في ذلك الحين . تلك المذكرات التي نشرتها جريدة (الحياة) البيروتية في عددها ٢٠٦٦ الصادر بتاريخ ٣١ كانون الاول ١٩٥٣ .

فالم بالعرب عامة ، والفلسطينين خاصة ، يأس شديد . وتذكروا قول ابن السعود فيما مضى عندما ذكر فلسطين ، وقال انها بؤبؤ عينه . وراحوا يتسألون : اين هذا مما جاء في بيان وزرائه الاخير . ورددوا قول رب العالمين :

---

(١) اذاع هذا القول النائب العراقي عز الدين النقيب . اذاعه في البرلمان العراقي ببغداد . وقد نشرته جريدة العرب التي تصدر بباريس في عددها الصادر بتاريخ ١٤ تموز ١٩٤٩ .

« يا ايها الذين امنوا، لم تقولون مـــالا تفعلون ؟ كبر مقتاً عند الله ان تقولوا مـــا لا تفعلون (١) ».

واذا كانت هناك موانع لا نعرفها تحول دون استعمال النفط سلاحاً لحل المشكلة وهي مشكلة تمس مصالح العرب كلهم في الصميم ، ولا تخص فلسطين وحدها ، افما كـــان باستطاعته ان يمد ابناءه . . . ابناء فلسطين بالسلاح (٢) او بالمال على الاقل يشترون به السلاح وقد ناف دخله السنوي من النفط فقط على مئة مليون من الدولارات ، دع عنك دخله من الالآف المؤلفة من الحجيج الذين يفدون الى الحجاز من جميع انحاء العالم الاسلامي في كل عام .

ومن الانصاف ايضاً ان اذكر هنا ؛ والشيء بالشيء يذكر ، ما نقلـــه الي احـــد الرواة (٣) اذ قـــال انه سمـــع المستر جيمس مكلين وهو اميركي يعمل في حقول النفط بالظهران ، سمعه يقول :انه كان على رأس قوة ميكانيكية (٤) ارسلها ابن سعود عبر الاردن الى فلسطين لتحارب اليهود . وكانت هذه القوة مؤلفة من ستة عشر الف جندي ، ولما وصلت الحدود الاردنية منعت من اجتياز تلك الحدود ، فرجعت ثم سافرت الى مصر حيث التحقت بالجيش المصري الذي ارسل الى القطاع الجنوبي من فلسطين .

تلك هي رواية محدثي ولم اعثر بين الروايات الاخرى على ما يؤيدها او ينفيها. وان كنت قرأت في احدى التقارير العراقيـــة ان القوات السعوديـــة التي اشتركت في حرب فلسطين كانت عبارة عن ست سرايا من المشاة وسرية من المدافع الرشاشة وفصيلين مدرعين وان هذه القوات الحقت بالجيش المصري بعد الشروع بالحركات بمدة طويلة.

---

(١) سورة الصف : الآيتان ٢ ـ ٣

(٢) اقرأ ما كتبناه عن الاسلحة التي قدمها ابن السعود في موضع آخر من هذا الكتاب

(٣) هو السيد اديب اسحق مدير الشركة الاميركية الشرقية للشحن في بيروت .

(٤) السيارات التي تقل الجنود اميركية ومهمتها نقل الجنود الى الحدود واما الجنود انفسهم فقد كانوا على قول محدثي سعوديين

موقف الملك عبد الله من قرار التقسيم

بينما كان الناس في حيرة من أمرهم بسبب قرار التقسيم ، لا يدرون ايهما اقرب الى مصلحتهم :

ايرضخون لمشيئة هيئة الامم ، ويقبلون قرارها القائل بتقسيم بلادهم ؟ ام يرفضونه ويقاتلون من يحاول فرضه عليهم ؟ راح فريق من عقلائهم يتساءلون :

ترى ما هو رأي الملك عبد الله في هذا القرار ؟ وهل هو على استعداد لمقاومته بالقوة ؟ واذا كان هو على استعداد لمقاومته فهل الجيش العربي الذي يتولى قيادته على استعداد لتعضيده ؟ ولتساؤلهم هذا سببان : اولهما ان فكرة التقسيم من وضع اصدقائه الانكليز ، وما كان الملك في وضع يسمح له بمخالفة هؤلاء الاصدقاء. وثانيهما ان الجيش الذي يقترن اسمه باسم العرب ليس الا قطعة من القطعات العسكرية التي يتكون منها الجيش البريطاني . ولا غرو فان رئيس اركانه ـ وان شئت فقل قائده ـ غلوب باشا انكليزي الاصل ، والاموال التي تنفق على تجهيزه وتزويده بالاسلحة والاعتدة والرجال تدفعها الخزانة البريطانية .

وهذا ما حدا بالقوم الى التساؤل الذي وصفناه في الاسطر المتقدمة . وفيما كانت الاسئلة المتقدم ذكرها ، وما يشبهها من اسئلة اخرى، تدور على الالسن ، كان البريجادير تشارلز كلايتون الوسيط البريطاني بين الدول العربية وحكومته بريطانيا يخط تقريره التالي ليرفعه الى السفير البريطاني والى وزارة الخارجية في لندن ، وفيما يلي ترجمة نصه الاصلي بالحرف الواحد (١) : ـ سري جداً .

الموضوع : محادثات مع زعماء البلاد العربية ـ اقتراحات بشأن تقسيم فلسطين ـ النقط الحربية في الشرق الاوسط ـ نشاط الشيوعية في الشرق الاوسط

رقم القيد ٤٥ ـ ١٩٤٧ التاريخ ١٤ ديسمبر سنة ١٩٤٧ .

الى صاحب السعادة : السفير البريطاني في القاهرة ـ صورة الى القائد العام

---

(١) بقي هذا التقرير في طي الكتمان ، لا يعلم عنه احد شيئاً ، قرابة ثلاثة شهور ، الى ان نشرته جريدة اليقظة العراقية لصاحبها سلمان الصفوي في عددها ٢٥١ الصادر بتاريخ ٢٤ شباط ١٩٤٨ . وقد اكد لي الاستاذ الصفوي انه حصل عليه من صديق كان على اتصال بالسفارة البريطانية في القاهرة . وتردد الناس يومئذ في تصديق ما قيل عن الملك وعن قبوله قرار التقسيم ، لانهم سمعوه يقول غير هذا القول .

صاحب السعادة

١ - تعلمون سعادتكم انني قمت اخيراً بعدة مباحثات مع زعماء البلاد العربية المشتركة في جامعة الدول العربية الغرض منها تبين الموقف الرسمي لحكومات هذه البلاد حيال مشروع تقسيم فلسطين الى دولتين يهودية وعربية ، وقد اتضح لي من هذه المباحثات ان هذه البلاد اتخذت موقفاً صريحاً من هذه المسألة وقد اعلنته على لسان ممثليها في جامعة الدول العربية غير اني لمحت في احاديثي مع رؤساء الحكومات العربية ولا سيما رؤساء وزارات شرق الاردن وسوريا ولبنان الى خطر نشوب حرب ثالثة متسائلا عن الموقف الذي ستقفه بلادهم من المملكة المتحدة والولايات المتحدة الاميركية وعن مدى استعدادهم للمساهمة في المجهود الحربي المنتظر عما اذا كانت بلادهم ستتساهل في منحنا قواعد حربية في بلادهم ومنح قواتنا حق المرور والاقامة فيها فراوغ رئيسا لبنان وسوريا في الاجابة على اسئلتي وقالا انهما لا يستطيعان ان يتعهدا لي بشيء قبل عرض الامر على رئيسي الجمهوريتين السورية واللبنانية وأخذ رأي مجلس البرلمان في بلديهما ولكنني على يقين من أننا لو لجأنا الى شيء من التهديد فلا شك في أنه سيأتي بأطيب النتائج .

٢ - ولقد لمست من أحاديثي مع رئيسي وزارتي سوريا ولبنان بشأن مسألة تقسيم فلسطين ان البلاد العربية اجمعت رأيها على الحيلولة دون اتمامه غير ان في مقابلتي الاخيرة لسعادة رئيس وزارء شرق الاردن تبين لي ان له رأياً يخالف راي رؤساء حكومات البلاد العربية وقد ادلى الي بأقتراحات لو نفذت لامكن تنفيذ تقسيم فلسطين التقسيم الذي نص عليه قرار منظمة الامم المتحدة دون ان تعترض البلاد العربية ، واستطعنا - لو نفذت هذه الاقتراحات ان نحتفظ بمراكزنا الاستراتيجية في شرق الاردن وفلسطين .

٣ - وترى الاقتراحات التي صرح لي بها سعادة رئيس وزراء شرق الاردن (١) انه عند اتمام جلاء القوات البريطانية عن فلسطين تنفيذاً لقرار منظمة الامم المتحدة تنسحب معها القوات الاردنية المعسكرة في فلسطين ومتى تم انسحابها يقدم الضباط الانكليز الذين يعملون في جيش شرق الاردن استقالاتهم. ويعتزلون العمل رسمياً في الجيش على ان يبقوا في البلاد ومما لا شك فيه ان الثورة ستشتد في فلسطين وسيتدفق عليها المتطوعون من جميع البلاد العربية وعندئذ تعلن الحكومة الاردنية عن قرارها بزحف القوات الاردنية على فلسطين بحجة تخليصها من الصهيونيين ولا شك في ان الجيش الاردني مدرب تدريباً حسناً فمتى اخترقت قواته اراضي فلسطين فمن المعقول ان

(١) كان يرأس الوزارة الاردنية يومئذ توفيق باشا ابو الهدى .

ينضم اليه المتطوعون الذين سيكونون خاضعين لرئاسة الجيش الاردني .

٤ ــ مما تقدم تبين أن تنفيذ الشرط الاول من اقتراح الرئيس الاردني لن يثير ريبة الدول العربية . اما فيما يختص بالقسم الثاني من الاقتراح فيرمي الى انــه كل ما تم لهــذه القوات احتلال بلدة من بلدان فلسطين يعلن ضمها الى المملكة الاردنية وستعمل القوات الاردنية جاهدة على احتلال البلاد التي تقع في القسم العربي وقد أكد لي سعادة رئيس وزراء شرق الاردن ان القوات الاردنية ستتحاشى مهاجمة القرى اليهودية وانما ستقوم مــن وقت لآخر بهجمات خفيفة على هذه القرى لمنع الشبهات عنها وأضاف أنه عندما يــتم احتلال المنطقة العربية من فلسطين فان الحكومة الاردنية ستقوم بالاتصال بزعماء اليهود في فلسطين لحملهم على تقديم الضمانات الكافية لعدم محاولة توسيع دولتهم أو الاغارة على القرى العربية المتاخمة لمنطقتهم وهنا قلت له « قــد تحاول المملكة الاردنية في المستقبل الهجوم على سوريا ولبنان لتحقيق فكرة سوريا الكبرى الامر الــذي يخلق اضطرابات في هذه البقعة من الشرق » فابتسم سعادته وقال وكيف لنا أن ننفذ هذه الفكرة ونحن خاضعون لنفوذكم وبيننا وبينكم معاهدة .

٥ ــ ورأيت قبل أن اختم حديثي مع الرئيس الاردني أن اسأله عما اذا كان قــد عرض هذه المقترحات على صاحب الجلالة الملك عبد الله فقال ما نصه « وهل يحق لي أن ابدي اقتراحات او أن اتحدث باسم صاحب الجــلالة دون عرضها عليه وموافقته عليها » وعرضت على سعادته ان ادون مقترحاته كتابة وأن يذيلها بتوقيعه وان ينص فيها على ان جلالة الملك عبد الله موافق عليها فلم يمانع في ذلك ودونتها فعلا ووقعهــا بامضائه ولما لم استطع مقابلتكم لعرضها عليكم فقد رأيت الاسراع بارسالها الى وزارة الخارجية لاطلاع الوزير عليها بعد أن احتفظت بصورة منها .

٦ ــ وقد اكد لي الامير السنوسي في آخر اجتماع تم بيني وبينه انه لا يمانع في منح يطانيا أو اي دولة متحالفة معها حق اقامة قواعــد حربية في برقة اذا منحت استقلالها ونصب ملكاً عليها وقال انه على استعداد لان يعقد معنا معاهدة عــلى غرار المعاهدة التي عقدت مع مصر أو شرق الاردن وقد دار بيني وبينه حديث طويل في شأن مستقبل برقة وضعت عنه مذكرة تفصيلية رفعتها الى وزارة الخارجية بتاريخ ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧

٧ ــ أما فيما يختص بالنشاط السوفياتي في بلاد الشرق الاوسط فانه لم يبلغ فيها بعد

المرحلة التي يخشى خطرها غير ان نشاط دعاة السوفييت في لبنان بلغ ما لم يبلغه في البلاد العربية الاخرى كسوريا والعراق ومصر حيث يلقون اشد المقاومة من حكوماتهم وهيئاتها الدينية التي لا تنفك عن التصريح بأن المبادىء الشيوعية تنافي تعاليم الدين الاسلامي وسأقدم لكم قريباً مذكرة تفصيلية عما تجمع لدي من معلومات بشأن نشاط دعاة السوفييت في مختلف بلاد الشرق العربي .

٨ – وتفضلوا سعادتكم الخ ...

(امضاء) تشارلز كلايتون

بريجادير

المندوب السامي ينذر والنار تشتعل

في ١٠ كانون الاول ١٩٤٧ اذاع المندوب السامي لفلسطين ، السير الن غوردن كاننغهام ، بلاغا رسميا انذر فيه الفريقين ان يبتعدوا عن اعمال العنف ، والقتل والتدمير . ولكن نداءه كان صرخة في واد . فلم ينقض يوم من الايام التي اعقبت هذا النداء دون حرب اوقتال ، ولا مرت ساعة دون ان تسمع صوت الرصاص يلعلع في الفضاء . وما كنت لترى ، اينما حللت وحيثما سرت في مدينة القدس ، سوى جثث القتلى مبعثرة هنا وهناك . هذا يهودي ، وذاك عربي ، وهناك شخص اخر انكليزي كان قد اتى ليحول دون اصطدام الفريقين ، او ليحرض احدهما على الاخر . ولم تنقطع الحرائق واعمال النسف والتدمير . تارة في هذا الحي ، وطوراً في ذاك ؛ وقد تنطفيء النار في حي او تخبو وقتا قصيراً ؛ لتعود فتشتعل ، اوتزداد ضراماً في الاحياء الاخرى . وارسلت اللجنة العسكرية بدمشق وبعد ذلك البيان بثلاثة ايام (١٣ كانون الاول) ، مئة بندقية الى القدس من البنادق الافرنسية (١٢٦٠) التي تسلمتها من العراق . (١)

وكثيرا ماقامت المظاهرات ، وأعلن الاضراب . وفرضت السلطة نظام منع التجول على سكان المدينة ، فيقبع الناس في منازلهم يوماً او بعض يوم ؛ لا ليستريحوا ، وانما ليتأهبوا لغدهم ولينقضوا على اعدائهم .

وراح السجناء يهربون من السجون ليلتحقوا بمواطنيهم ، وراح العرب من رجال البوليس الفلسطيني يفرون من قطعاتهم ليلتحقوا بحركة النضال ؛ ويشتركوا في الذود عن الاوطان . فريق منهم بمفرده ، واخر بسلاحه وعتاده . وكذلك فعل اليهود . واماالانكليز فقد قبعوا في مناطق مخصصة ، اسموها (مناطق الامن) احاطوها بالاسلاك الشائكة ، وحظروا على الناس اجتيازها الا باذن خاص من رجال الامن .

وكانت الطريقة التي اتبعها اليهود في كفاحهم قبل نهاية الانتداب عبارة عن — مباغتة . . وضرب . . وهرب . . ينطبق عليهم في ذلك قوله تعالى : (٢) — « لا

(١) هذا ما قرأنه في مذكرات طه الهاشمي . تلك المذكرات التي نشرتها جريدة (الحارس) العراقية في عددها ١٢ الصادر بتاريخ ١٢ شباط ١٩٥٣ ولست ادرى من الذي تسلمها في القدس . ويقول الهاشمي في المذكرات نفسها ان هذه البنادق وصلت من العراق من غير عتاد ، وان الحكومة السورية هي التي زودتها بالعتاد اللازم من مستودعات جيشها .

(٢) سورة الحشر : الاية ١٤

يقاتلونكم جميعا الا في قرى محصنة ، او من وراء جدر ، بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً ، وقلوبهم شتى ... »

فلم يحفل العرب ، ولم يهنوا ، متذكرين قوله تعالى : (١) فلا تهنوا ، ولاتحزنوا ، وانتم الاعلون ، ان كنتم مؤمنين . » فراحوا يعملون على كبح جماح اليهود بكل ما اتوا من قوة . فتصيدوهم حيثما وجدوهم . وعرقلوا سير قوافلهم بين القدس وتل ابيب . فوقفوا لها بالمرصاد في الطرق والمنعطفات وعند باب الواد . وحطموا انابيب الماء في مواضع عديدة : ـ من رأس العين الى اللطرون ، فسريس ، والقدس . كما عرقلوا سير السيارات التي كانت تنقل البوتاس من البحر الميت . فبنوا الحواجز والمتاريس في المداخل والزوايا والمنعطفات . وكذلك قل عن محطات السكة الحديدية والقطارات ، فما سلمت هذه يوما من تعدي العرب واليهود على حد سواء . فقلت الحاجيات ، وفقد معظمها من الاسواق ، وارتفعت الاسعار بدرجة لا تطاق . ولاسيما في الاحياء اليهودية التي حاصرها العرب من جميع جهاتها . فقد كانت الاسعار في هذه الاحياء اشد وطأة منها في الاحياء العربية . وكانت خطة العرب ترمي الى عرقلة المواصلات اليهودية وقطع كل اتصال بين الاحياء اليهودية في القدس وخارجها .

فتعطلت مصالح الماء والكهرباء، (٢) واسلاك البرق والهاتف ، وتعطل البريد .

واما الباصات التي تنقل الركاب في داخل المدينة ، فما سلمت في يوم من الايام من الاذى اذ كان العرب يرجمون الباصات اليهودية كلما مرت من احيائهم . وكذلك كان اليهود يفعلون بالسيارات العربية التي تمر من شوارعهم . وراحت القوافل اليهودية بين القدس وتل ابيب تسير بحراسة الجند . وانقطع الموظفون اليهود عن اعمالهم في الدواوين والمصالح الحكومية القريبة من الاحياء العربية . وكذلك فعل الموظفون العرب في الدوائر القريبة من الاحياء اليهودية

ويبدو ان الحكومة كانت على يقين من حدوث مثل هذه الفوضى ، فراحت تسرع في انجاز العمل الذى بدأته قبل بضعة اسابيع (٣) ، فصورت جميع القيود والسجلات

---

(١) سورة آل عمران : الاية ١٣٩

(٢) اعلن مجلس ادارة شركة الكهرباء ان خسارتها في مدينة القدس في سنة واحدة بلغت تسعين الف جنيه .

(٣) بدأت عملية التصوير في اواخر عام ١٩٤٧ وانتهت في اوائل ١٩٤٨

الرسمية (١) الكائنة في مصلحة التسجيل وهي ماكانت تسمي : (الطابو) في ذلك الحين. تلك السجلات التي تبين ملكية الاراضي والعقارات لافي القدس وحدها . ولـكن في جميع انحاء فلسطين. وارسلت الافلام المصورة الى لندن لاجل تحميضها والاحتفاظ بها (٢) . ونزح اليهود عن منازلهم في القطمون والبقعة والحي الالماني الى رحافيا كما نزح العرب عن منازلهم في رحافيا والطالية العليا الى الاحياء الاخرى . وما جرى في القدس جرى مثله في المدن الاخرى . ولو اردنا ان نأتي عـلى ذكر جميع الحوادث التي جرت في كل مدينة وفي كل حي ، من قتل وجرح ونسف وحرق وتدمير لما وسعها القرطاس . ولهذا اكتفينا بذكراهم تلك الحوادث وابعدها اثرا في تاريخ فلسطين . وهي الـتي دوناها في الفصول التالية .

وانا لنرى ازاما علينـا ، قبل ان نبدأ في سرد الحوادث ، ان نقـول ان المسلمين والنصارى كانوا صفاً واحداً في القتال ضد اليهود ، لا في بيت المقدس وحده ، وانمـا في جميع انحاء فلسطين . ولا غرابة في ذلك ، فان عدو هؤلاء واولئك واحد والنصارى كانوا وما برحوا اقرب مودة للمسلمين من اليهود . اولم يات في كتابه العزيز (٣) :

« لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود ، والذين اشركوا ، ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا ، الذين قالوا إنا نصارى ، ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا ، وأنهم لايستكبرون . »

نسف انابيب المياه بين رأس العين والقدس

في ١٥ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٧ نسف خط الانابيب التي تجري فيها الميـاه من رأس العين «٤» الى القدس . نسفه المناضلون العرب . نسفوه في موضع قريب من

---

(١) وضع اليهود ايديهم على السجلات الاصلية عندما احتلوا فندق الاوقاف « بالاس اوتيل » ١٨ ايار ١٩٤٨ وكان هذا الى الجنوب من مقبرة ماملا :

(٢) أعيدت نسخ عن السجلات المصورة الى القدس العربية في آذار ١٩٥١

(٣) سورة المائدة — الاية ٨٢

«٤» تبعد عن القدس سبعة وثلاثين ميلا . وهي منها الى الشمال الغربي ماؤها عذب وغزير . تعطي ١٠٥٠٠٠ غالونا في الساعة بينها وبين القدس اربع محطات ، فيها مضخات لدفـع الماء قوة الواحدة منها ٣٦٠ حصانا : ينساب الماء منها في انابيب من الحديد والفولاذ قطرها ١٨ بوصة وطولهـا ٦٠ كيلومترا ومن الخزان المقام في : روميا : الى الغرب من القدس ، ينساب المـاء الى المنازل بقوة الجاذبية ووصلت مياه رأس العين الى القدس لاول مرة ، في مطلع عام ١٩٣٥ .

وكانت المدينة ، قبل نشوب القتال فيها تستهلك في كـل يوم مقدارا من الماء لايقـل عن ثلاثة ملايين غالون

مدينة اللد فانقطعت المياه عن مدينة القدس ، وظلت مقطوعة خمسة ايام . وقامت الاحياء الغربية وجلها ان لم نقل كلها يهودية الامرّين من جراء العطش الشديد . وكذلك قل عن قطعات الجيش البريطاني التي كانت تخيم في ذلك القطاع . الى ان تمكنت الحكومة من تعمير الانابيب المعطوبة وعادت المياه الى مجاريها .

في ١٥ كانون الاول ١٩٤٧ هاجم السلاونة(١) قافلة يهودية مؤلفة من بضع سيارات تحمل البوتاس ، وكانت هذه آتية من ناحية البحر الميت . فقتلوا سبعة من ركابها . فجاء اليهود بعد ذلك بيومين (١٧ كانون الاول) . وانسلوا الى أطراف القرية تحت جنح الظلام بقصد الانتقام وبعد أن نسفوا بعض المنازل ، ولوا الادبار .

ولم يقف اليهود من سلوان عند هذا الحد . فانهم ، بعد هذا الحادث ، لم ينقطعوا يوماً واحداً عن ضربها بالرصاص من الحي اليهودي بالبلدة القديمة . من كنائسهم وحصونهم الكائنة في الحي المذكور والمشرفة على القرية اشرافاً تاماً ولما سقط الحي المذكور بيد العرب ، راحوا يقصفونها بقنابلهم من مدافع المورتر من ناحية النبي داود وجبل المكبر وكلا هذين الحيين مشرف على سلوان الاشراف التام . حتى ان السلاونة ما كانوا يستطيعون ارتياد منازلهم في النهار . بل كانوا يأتون اليها بعد المغيب ويخرجون منها قبل طلوع النهار .

ولقد قتل مئتان وخمسة وثمانون شخصاً من اهالي هذه القرية ، بين رجال ونساء واطفال من اليوم الذي بدأ فيه النضال الى أن صدر الامر بوقف اطلاق النار .

الخلايلة يهاجمون سيارة عسكرية بريطانية

في ٢٢ كانون الاول ١٩٤٧ أوقف المناضلون في جبل الخليل سيارة من سيارات الجيش البريطاني كانت مسافرة الى بئر السبع . اوقفوها على مقربة من مدينة الخليل ، وكان يقودهم عبد الحليم الجيلاني المعروف بالشلف : فاستولوا على مدفعين من طراز ستن وعلى مقادير كبيرة من العتاد وبعض الثياب العسكرية ، بينها خمسة وسبعون معطفاً .

«١» اهالي قرية «سلوان» وهي من قرى القدس المعروفة بـ «الوادية» يعيش فيها اربعة آلاف نسمة كلهم عرب مسلمون .

قوات الجهاد المقدس

●

في ٢٥ كانون الاول ١٩٤٧ ، أي بعد صدور قرار التقسيم بشهر ، تألفت في صوريف من أعمال جبل الخليل قوة من الشباب المتحمسين للقتال أسميت (قوة الجهاد المقدس) الفها عبد القادر الحسيني (١) وكانت يومئذ من خمسة وعشرين مقاتلا ، هم :

(١) عزمي الجاعوني ـ القدس (٢) ابراهيم أبو ديه ـ صوريف (٣) محمد عبد الرحمن الميدني ـ صوريف (٤) محمود حسن نصر القاضي ـ صوريف (٥) جبريل جابر ـ بيت نوبا (٦) عبد الله سمرين ـ لفتا (٧) حسين سالم أبو فـاره ـ صوريف (٨) عبد الحفيظ يوسف ابو فاره ـ صوريف (٩) عبد الحميد الزكراوي ـ زكريـا (١٠) محمد مصطفى الجمل ـ صوريف (١١) محمد محمود نصار ـ صوريف (١٢) محمد سالم الاعرج ـ صوريف (١٣) سليم علي الحبح ـ صوريف (١٤) احمد محمود عيسى ـ بيت اولا (١٥) أحمد محمود غنايم ـ صوريف (١٦) محمد صبيح ابو فاره ـ صوريف (١٧) محمد محمود القاضي ـ صوريف (١٨) محمد عبد العزيز القاضي ـ صوريف (١٩) رجب عطيه عليان صوريف (٢٠) محمود ابو راس ـ دورا (٢١) ابراهيم سليم عفانه ـ صوريف (٢٢) محمد محمود عايش العرعر ـ صوريف (٢٣) محمود حمدان غنايم صوريف (٢٤) محمد أبو راس ـ دورا (٢٥) عمر أبو عرقوب ـ دورا .

وتألفت في الوقت نفسه ، فرق اخرى تحمل هذا الاسم (الجهاد المقدس) في القدس وحيفا والناصرة وجنين وكثير من المدن الاخرى .

وكانت في البلاد قبل هذا ، كتل من الشباب تعمل في الخفاء من اجل مقاومـة الاستعمار والانتداب والوطن القومي اليهودي .

تولى قيادة قوات الجهاد المقدس كلها عبد القادر الحسيني ، ونائبه كامل عريقـات وأمين للسر قاسم الريماوي .

بعد وفاة عبد القادر تولى قيادة (الجهاد المقدس) ابن عمه خالد شريف الحسيني (٢)

---

(١) ذكرنا نبذة من تاريخ حياته عندما لاقى حتفه في معركة القسطل بتاريخ ٨ نيسان ١٩٤٨

(٢) لم يكن المفتي الحاج امين الحسيني موفقاً في اختياره خالد الحسيني هذا لقيادة قوات الجهاد المقدس خلفاً لابن عمه المغفور له عبد القادر الحسيني · ذلك لانـه غير اهل لهذا المنصب . وكان بين افراد الاسر الاخرين ، غير الحسينية ، من هو اقدر منه واكفأ .

وله نائب هو كامل عبد الرحمن عريقات ، وأمين للسرهو قاسم الريماوي ، وهناك مفتشان احدهما للشؤون العسكرية وهو منير ابو فاضل ، والثاني للشؤون الادارية وهو الدكتور داود الحسيني .

ونفقات هذه القوات كانت تدفعها الهيئة العربية العليا ، الا القوات المرابطة في بيت لحم . فقد كانت نفقاتها تدفع من صندوق الجامعة العربية بوساطة الجيش المصري . وكان هناك في قطاعي يافا والجليل سرايا اخرى تابعة للجهاد المقدس ، وكان رؤساء هذه القطاعات خاضعين لاوامر الهيئة العربية العليا . ورغم أن هذه القوات لم تحظ بالتأييد الذي كانت تنشده من اللجنة العسكرية في دمشق - لاسباب المعنا اليها في الفصل الذي خصصناه لمعركة القسطل - ورغم الفوضى التي كانت تبدو على أعمالها في بعض الاحايين ، فقد تمكنت ، خلال الفترة التي انقضت بين اليوم الذي ظهرت فيه الى عالم الوجود واليوم الذي دخلت فيه الجيوش العربية البلاد ، من انزال بعض الضربات القاسية بالاعداء عن طريق الحرب الخاطفة التي شنتها عليهم هنا وهناك واليها يعزى الكثير من اعمال النسف والتدمير التي حدثت في المدينة ، ومنها شارع هاسوليل الذي نسف في ١ شباط ١٩٤٨ وبن يهودا في ٢٢ منه ودار الوكالة اليهودية في ١١ آذار وكذلك قل عن القتال المرير الذي خاضت غماره في شوارع القدس وأحيائها الاخرى منها ما حدث في القطمون والشيخ جراح في شهري آذار ونيسان ١٩٤٨ وفي كفار عصيون في ٢٧ آذار وفي القسطل من ٤ الى ٨ نيسان وفي باب الواد من ١ آذار الى ١٠ أيار وفي الحي اليهودي بالبلدة القديمة من ٢٦ كانون الثاني الى ٢٨ أيار ١٩٤٨ . الأمر الذي فصلناه تفصيلاً في حينه .

وما ذكر الناس هذه القوات بخير ، كما ذكروها بعد أن دخلت الجيوش العربية فلسطين ، وتولت مهمة القتال ، وانتهت تلك الجيوش الى ما انتهت اليه من فشل ذريع .

ورغم ان مجال العمل أمام قوات الجهاد ضاق بعد دخول الجيوش العربية فقد ظلت هذه القوات قائمة الى أن صدر الامر بحلها من عمان . وقد حدث هذا في الثامن عشر من شهر كانون الثاني سنة ١٩٤٩ .

ورغم ان الحكومة الاردنية صادرت جزءا ضئيلا من اسلحتها ، الا انها تمكنت من الاحتفاظ بجزء كبير منها ، وظلت ترابط في بعض الخطوط الامامية ، الى أن اتاها الامر من الهيئة العربية العليا بالقاهرة في ١٥ ايار ١٩٤٩ فانقطعت عن العمل (١)

---

(١) اقرأ ما كتبناه عن هذ القوات في ١٨ كانون الثاني ١٩٤٩ وفي مواضع اخرى من هذا الكتاب

بيت صفافا

يظهر ان اليهود كانوا يتتبعون تطور الموقف في الجانب العربي ، فارادوا ان يكون، المرة هذه ، زمام المبـادرة بايديهم ، قبـل ان يلم العرب شعثهم ويجمعوا صفوفهم . فقاموا ، في ٢٥ كانون الاول ، ١٩٤٧ ، باول هجوم على (بيت صفافا) (١) قاصدين قتل روح المقاومة العربية في عاصمة البلاد وهي القدس . فاتوها من ناحيتين : من رامات راحيل في الشرق ، وتولى هؤلاء مهمة الهجوم . ومن ميكور حاييم في الشمال ، وكانت مهمتهم الاشغال . وكانوا زهاء مئة وخمسين مقاتلا .

فتصدى لهم حماة القرية . وردوهم عـلى اعقابهم . وراحوا يقاتلونهم بشدة . وظلوا على تلك الحال ، الى ان جاء الجنود البريطانيون في اليوم السادس من شهر شباط ١٩٤٨ ، وعسكروا في القرية قاصدين الحيلولة دون اشتباك الفريقين . فقد حدث ذلك اثر اشتباك دموي قام بين حامية القرية والحاميـة اليهوديـة في ميكورحاييم . وكان العرب عند حد اليقين ان اليهود لن يجراوا عـلى دخول قريتهم من تلك الناحية مادام الانكليز مرابطين فيها . ولا سيما عندما اكد الكولونيل هاربر ، قائدالسريـة البريطانية التي كانت مرابطة في معسكر (العلمين) ، لصاحب الدار ـ عندما سلمه هذا مفاتيحها

انه لن يسمح لليهود بالمجيء الى ذلك المكان ، وانه لن يسلم المفاتيح لاحـد سواه عندما يخليها . ولكنه خان عهده ولم ينجز وعده . فقد اخلى الدار بعد سبعة ايام دون ان يخبر صاحبها بما فعل . اخـلاها بعد غروب الشمس . وما كاد الجند يبتعد عنها حتي جاءها اليهود فنسفوها (٣ /٢/١٩٤٨) ، كمانسفوا ثـلاثة من المنـازل المرتفعة القائمة في الطرف الشمالي من القرية ، والمطلة على مستعمرة (ميكور حاييم) . وراحوا من هناك يسلطون مدافع المورتر على دور المجاهدين من سـكان القرية ، ولاسيما دار

---

(١) قرية عربية واقعة جنوب القدس وتكاد تعد حيا من احيائها فيهاالف وخمسمائةنسمة من السكان . كلهم عرب مسلمون وهي قائمة على تل مطل على خط السكة الحديدية التى تربط القـدس بيافا وتل ابيب ، وعلى الطريق التي تربط القدس ببيت لحم والخليـل . ولهذا وضعها اليهود نصب اعينهم ، منذ بدأ القتال ، وراحوا يرسمون الخطط للاستيلاء عليها ، ليقطعوا ـ من الناحية الواحـدة ـ كل اتصال بين القدس والجزء الجنوبي من فلسطين ، وليؤمنوا ـ من الناحية الثانية ـ اتصال مستعمرتهم الكائنة شرقي الطريق (رامات راحيل) بمستعمرتهم الكائنة غربيها (ميكور حاييم) . وبيت صفافا واقعة بينها . هذا هو السرفي الغارةالتي شنهااليهود على القرية اليوم ، والغارات الكثيرة الاخرى التي اعقبتها .

عبـــد الله العمرى (١) الذى كان يترأس حركـــة النضال هناك . فالقوا ما ينوف عن سبعين قنبلة ، ومع ذلك فقد صمد لهم المناضلون . وظلوا مرابطين في القرية واما باقي السكان ، من نساء وشيوخ واطفال فقد رحلوا عنها . وكان حنقهم على الانكليز اكثر من اليهود اذ اعتبروا عملهم هذا تآمراوخيانة. ويعد هذا الحادث من اهم الحوادث التي وقعت في القطـــاع الجنوبي. اذ راح اليهود ، من بعده ، يسيطرون على ذلك القطاع ، وسدوا الطريق التي تمر من هناك وتصل بين القدس والمدن الواقعة في جنوبها (٢) .

لفتـــا (٣)

•

وكان اليوم السابع والعشرون من شهر كانون الاول ١٩٤٧ من ايام القدس العصيبة ، اذ اقتتل فيه الفريقان حيثما التقيا ... في المدينـــة القديمة ، وفي لفتا وروميما ، وفي حي القطمون وباب الخليل ، وعند طلعة القسطل وباب الواد ، وفي كل مكان .

وكانت اخطر هذه الحوادث ما جرى لقافلـــة يهودية في المكان المعروف بطلعة القسطل على طريق القدس - يافا . فقد هاجمها العرب ، وقتلوا اربعة من افرادها احدهم (هانس برايت) من رجال الوكالة اليهوديه . وجرحوا خمسة منهم (غولدا مايرسون) رئيسة الشعبة السياسية في الوكالة اليهودية . فمزقت سيارتها ارباً .

وهاجموا ، في الوقت والمكان نفسها ، قافلـــة اخرى كانت مسافرة الى عرطوف . فقتلوا ثلاثة من رجالها ، وجرحوا ثـــلاثة اخرين . وكانوا ، قبل ذلك بيومين ، قـــد اعترضوا سيارة ركاب كبيرة في طريقها بين جبعات شاؤول والقدس . فقذفوها بقنبلة محرقة ، وأطلقوا النار على ركابها . فقتل بعضهم ، وظلت السيارة تتدحرج والنارمشتعلة فيها الى ان وقفت عند مستشفى و لخ .

---

(١) من رجال بيت صفافا • ولد عام ١٩٠٧ . اتم دراسته الاولية في القرية والثانويـة في مدرسة الفرير بالقدس (١٩٢٥) • اشترك في الحركات الوطنية التي قامت بفلسطين منذ عام ١٩٣٦ . اعتقل مرارا • وطورد من قبل الانكليز . فقضي ثلاث سنوات (١٩٣٧ - ١٩٤٠) في بيروت والشام وبغداد وعمان . ولما رجع الى وطنه فلسطين عومـل معاملة المجرمين • وامر باثبات وجوده ثلاث مرات في كل يوم . فاشتغل بالتجارة . ولمانشبت حوادث فلسطين الاخيرة تولى حركة النضال في بلده •

(٢) اقرأ بعد هذا ما كتبناه عن هذه القرية في ٣ ايار ١٩٤٩ :

(٣) قرية غربية واقعة غربي مدينة القدس وتكاد تعتبر حياً من احيائها . فيها ٢٥٥٠ نسمة من السكان كلهم عرب مسلمون . مساحة اراضيها ٨٧٤٣ دونما ليس لليهود فيها سوى ٧٥٦ دونما •

ونسف اليهود في الوقت نفسه منزل الحاج محمود اللفتاوي في روميما ، وكان يقوم في جانب من جوانبه معمل للكازوز (١) . وقدرت خسارته بعشرة آلاف جنيه : والقوا على مقهى صالح عيسى اللفتاوي قنبلة دمرت جانباً منه :

ثم اعادوا الكرة في اليوم التالي (٢٨ كانون الاول) . وكانوا في هذه المرة ،مسلحين بالمدافع من نوع ستن وطومي . فهاجموا المقهى ، وقتلوا ستة (٢) من رواده ، وجرحوا سبعة . ورأى الحادث راعٍ بـدوي كان هناك ،فاختطف بندقية رفيق له كان بجانبه ، وقتل بها أربعة من المهاجمين .

ولقد أحدث هذا الحادث ذعراً في لفتا ، فرحل عنها يومئذ معظم سكانها ولا سيما اولئك الذين يعيشون في منازل بين ميكور باروخ وروميما . وتبعهم بعد قليل الباقون . ولا سيما عند ما تقوى اليهود بالعدد والعدد ، ونسفوا معظم المنـازل العربية الكائنة في (خلة الطرحه) الى الشرق من لفتا . ولم يكن بيد اللفتاويين يومئذ اكثر من خمسين بندقية . وما كانت هـذه بكافية لدرء الشر عنهم . عندئذ خلت القرية من السكان : وسدت في وجه العرب طريق القدس ـ يافا من هذه الناحية . وكان هذا وحادث بيت صفافا أول الحوادث التي ادت الى رحيل السكان عن منازلهم (٣) من قطاع القدس .

قنبلة باب العمود

●

في ٢٩ كانون الاول ١٩٤٧ انفجرت بباب العمود برميل طافح بالمتفجرات القاه نفر من منظمة الارغون (١)اليهودية . فقتل اربعة عشر عربياً (٢) وجرح سبعة وعشرين : وفيما كان العرب مقتفين أثر السيارة التي تحمل الفاعلين راح الجنود البريطانيون المرابطون

---

(١) انه المعمل العربي الوحيد من نوعه في القدس • اسسه جماعة من العرب ، عام ١٩٣٦ .

(٢) ان اسماء هؤلاء الستة والشهداء الاخرين لاقوا حتفهم في معارك بيت المقدس تجدها في الملحق التاسع لهذا الكتاب .

(٣) اقرأ بعد هذا ، السطور الاولى من الفصل الذى خصصناه للاجئين .

(٤) اقرأ ما كتبناه عن هذه المنظمة والمنظمات اليهودية الاخرى في الفصل الذي بحثنا فيه الاحزاب اليهوديه في ٢٥ كانون الثاني ١٩٤٩ ويقال ان الذي القى هذه القنبلة يهودي من يهود القدس

(٥) اقرأ اسماءهم في الملحق التاسع . (اسمه موسى الزعفران) :

في العمارة الالمانية المقابلة لباب العمود من الشمال يطلقون النار عليهم فزادوا في الطين بلة ، وقتلوا آخرين . ولقد نجح العرب في ايقاف السيارة والقبض على أحد الجناة ، الا ان كونستابلاً بريطانياً تدخل في الامر ، فأنقذه منهم. عندئذ ثارت ثائرة العرب القريبين من مكان الحادث ، فقتلوا الكونستابل البريطاني ; كما قتلوا رفيقاً له جاء لانقاذه . وأحرقوا سيارة يهودية جاءت لتحمي الفاعلين . وحاولوا ، في الوقت نفسه ان ينتقموا من اليهود ، فالقوا قنبلة على ابنائهم المستخدمين في بنك باركلس ، قتل من جرائها شخص يهودي هو (موشه رامباخ) ، وجرح اثنان . وقتل العرب في اليوم نفسه يهودياً في شارع شمويل هانفي ، ويهودية من سكان المدينة القديمة . وانسحب جميع الاطباء اليهود من مستشفى الحكومة . وسد العرب باب المغارة المعروفة بمغارة الكتان (٣) والكائنة تحت السور خشية ان يتسلل اليهود اليها ليلا ، فيزرعون فيها الالغام وينسفون الحي القائم فوقها والمعروف بحي السعدية .

حصار الحي اليهودي في البلده القديمه

●

في ٢ كانون الثاني ١٩٤٨ اشتبك العرب واليهود في قتال بين الشيخ جراح ومياشورم اثر محاولة قام بها اليهود لنسف عمارة الوقف القريبة من بوابة مندلبلوم . وقد دمروا جانباً منها . ودام الاشتباك طيلة الليل والنهار واشترك فيه ما يربوا على المئتين من رجال الهاغانا ، ومثل هذا العدد من العرب . واضطر هؤلاء لاطلاق النار على اليهود من مدفع رشاش نصبوه على مئذنة المسجد . وظل الفريقان مشتبكين الى ان جاء الجنود البريطانيون وفرقوهما .

وضيق العرب الخناق على اليهود في البلدة القديمة . فحصروهم في حيهم حصارا تاماً . وكان بامكانهم ان يستولوا على الحي المذكور كله لولا البريطانيون . فلم يجد العرب بداً من تجويعهم . ورفض هؤلاء الانذار الذي وجه اليهم بالتسليم .

---

(٣) تسمى (منارة سليمان) وهي على بعد مئتي متر من باب العمود الى الشرق . وكانت فيها مضى محجرا يقتطع المقدسيون منه الحجارة اللازمة لبناء منازلهم .

معارك الصبيح

في ساعة مبكرة من صباح اليوم الثالث من شهر كانون الثاني ١٩٤٨ وقبل انبثاق اشعة الفجر اصطدم ثمانية من ابناء عشيرة الصبيح يقودهم علي النمر بفئة من اليهود قوامها عشرون مسلحاً اصطدموا في الاراضي الواقعة بين مضارب العشيرة ومستعمرة كيشت واقتتلوا فكان النصر حليف العرب . وارتد اليهود الى مستعمرتهم تاركين ورائهم سبعة قتلى .

ولكن ما كاد اليهود يعودون الى منازلهم حتى راحوا يفكرون بالانتقام ، اذ عز عليهم ان يندحروا ، وخشوا ان يتقدم العرب فيستولوا على المستعمرة ولهذا طلبوا النجدة من قيادة الهاجانا فانجدتهم هذه بعدد كبير من ابناء العفولة والمستعمرات الاخرى المجاورة لها .

ولكن العرب كانوا اسرع منهم اذ تنادوا للقتال واتتهم النجدات من كل صوب من الشجرة وكفر كنا والناصرة وكانت هذه قوة قوامها اربعون مناضلا يقودهم المجاهد الجريء عبد القادر الفاهوم . وما كاد المؤذن ينادي الى صلاة الظهر حتى كان عدد المنجدين قد بلغ التسعين وكانوا مسلحين ، وكان معهم مدفع رشاش واحد من طراز برن ، فخندقوا حول المستعمرة بشكل هلال واستطاعوا السيطرة على السهل الواقع بين مضارب العشيرة ومنازل المستعمرة وعلى الوادي الكائن على مقربة من السهل ، وكان البرد شديداً وكانت الامطار تنهمر بغزارة عندما بدأ القتال وراح اليهود يقصفون المواضع التي خندق بها المناضلون بقنابل مدافعهم القوية (المورتر) من عيار ثلاث بوصات وقد استعملوا الرشاشات ايضاً ولكن ما كانت هذه ولا تلك لتؤثر على المناضلين لبعد المسافة التي كانت تفصل بين مواضع الفريقين ورغم ان اليهود كانوا يعلمون ذلك الا انهم ثابروا على القصف لاعتقادهم ان ذلك يوثر على المناضلين ويوهن عزائمهم وقد دام هذا ساعتين ولما رأوا ان القصف لم يجدهم نفعاً ، خرجوا من المستعمرة وراحوا يزحفون في اتجاهين وكانوا فريقين : فريق مكون من ثلاثة فصائل مجموع افرادها تسعون مقاتلا ، ساروا في اتجاه الجنوب من الغرب ، قاصدين عبور الوادي القائم الى الجنوب الغربي من مضارب العشيرة وآخر مكون من مئة مقاتل ، اتجهوا صوب التل الذي وقعت عليه معركة الفجر ، قاصدين اجتياز السهل ، ولما كان هذا قد امتلأ بالاوحال بسبب الامطار

فقد استعمل اليهود الحراثات (تراكتور) لنقلهم وكانت هذه تجر السيارات المصفحة من ورائها .

ولقد احسن المجاهدون بالتزامهم جانب السكوت فلم يحركوا ساكناً ولم يطلقوا النار على اليهود . وتركوهم يتقدمون ، الى ان اقترب هؤلاء منهم وترجل مشاتهم وكانوا قد وصلوا الى الوادي كما وصلت الحراثات والسيارات المصفحة الى اسفل التل ، عندئذ شرع المجاهدون في اطلاق النار ، وقد اطلقوها بسرعة وشدة الامر الذي احدث بلبلة في صفوف اليهود، وحاول اليهود رغم هذه البلبلة ان يتسلقوا التل الا انهم لم يفلحوا اذ صمد لهم المناضلون . وراح الفريقان يتبادلان النار ولما رأى اليهود انهم رغم انقضاء ثلاث ساعات لم يتقدموا اكثر من ثمانين ياردة ، وان الحراثات لم تعد تكفي لنقل جرحاهم راحوا يتراجعون . فلحق بهم المجاهدون حتى السهل . ولكنهم لم يستطيعوا اللحاق بهم حتى المستعمرة . لانها كانت محصنة تحصيناً تاما . وما كان لدى المجاهدين من الاسلحة الثقيلة ما يكفي لدكها . ولا كان لديهم عتاد يكفي للبنادق الاعتيادية التى كانت بايديهم ولقد اكد لي عبد اللطيف الفاهوم الذى قاد المناضلون في هذه المعركة انهم عندما جن الليل احصوا ما تبقى لديهم من عتاد فلم يكن بيد الواحد منهم سوى عشر طلقات ؛ وعندما طلع النهار (٤ كانون الثاني) جاء رجال الصليب الاحمر مع فئة من رجال البوليس في الناصرة ، جاءوا يتوسطون في نقل قتلى اليهود فوافق ونقل اليهود قتلاهم ، وقد بلغوا العشرين وجرح عشرون اخرون واما المجاهدون فلم يقتل منهم احد وان جرح اثنان . ويحدثك الرواة احاديث تدعوا الى الاعجاب عن بطولة المناضلين من ابناء الشجرة الذين اشتركوا في تلك المعركة .

اليهود ينسفون فندق سميراميس

في ٥ كانون الثاني ١٩٤٨ نسف رجال الهاغانا (فندق سميراميس) في حي القطمون بالقدس نسفوه بالمتفجرات (١) . فتهدم على ما فيه من الزائرات والزائرين وكلهم عرب وبلغ عدد الذين لاقوا حتفهم في هذا الحادث ثمانية عشر رجلا وامرأة (٢) وجرح زهاء عشرين. واخرجت من تحت الردم امرأتان على قيد الحياة .

---

(١) زراعوا خمسة الغام لم يثر منها سوى اثنين

(٢) اقرأ اسماءهم في الملحق التاسع

حدثني احد الاصدقاء انه كان في الفندق يومئذ عبد القادر الحسيني قائد الجهاد المقدس وكان هذا يبحث مع رهط من اصحابه فيما يجب عمله لدرء الهجوم الذي كانوا يتوقعونه على الحي من الناحية اليهودية. ولقد غادروا الفندق قبل وقوع الحادث ببضع دقائق. والمعتقد ان في الامر خيانة. وان اليهود لا بد ان يكونوا قدسمعوا بوجودهم هناك اما عن طريق الجواسيس الذين وضعوهم في كل مكان ليجوسوا خلال الديار، او عن طريق الجنود البريطانيين الذين كانوا على اتصال معهم.

كان لهذا الحادث الوقع الذي كان يهدف اليه اليهود. اذ ان الرعب دب، على اثره بين سكان، الحي، فراحوا يرحلون عن منازلهم. واستاء المقدسيون لهذا الرحيل، كما استاءوا لرحيل سكان الشيخ جراح، لان هذين الحيين واقعان كما ذكرنا في غير هذ الموضع على هضاب لها اهميتها الاستراتيجية من حيث الدفاع عن المدينة.

ومما زاد في استيائهم نبأن، نبأ وصلهم امس عن حادث مماثل اقترفه اليهود في يافا اذ نسفوا بالالغام الموقوته السرايا القديمة وعمارة بنك باركلس وتعطل من جراء ذلك عمارات عديدة. منها البنك العربي ودار البلدية القديمة وبعض المخازن والحوانيت المجاورة وقتل سبعة عشر عربيا. وجرح مئة او يزيد وبين القتلى والجرحى عدد غير قليل من النساء والاطفال. وكانت مصلحة الشؤون الاجتماعية تستعمل السرايا لاطعام الفقراء والايتام والمعوزين من طلاب المدارس. ونبأ اذاعته محطات الاذاعة عن اكتشاف سبعة وسبعين صندوقاً في ميناء جرزي باميركا فيها ١٨٥,٠٠٠ رطل من المتفجرات المعروفة ب(ت ن ت) وكانت هذه مرسلة الى اليهود في تل ابيب.

قنبلة باب الخليل

●

في ٧ كانون الثاني ١٩٤٧ انفجر بباب الخليل برميل طافح بالمتفجرات، القاه خمسة من الارهابيين اليهود بين الجموع المحتشدة. فقتل من جرائه تسعة عشر عربياً (١) وارمني واحد. وجرح ستة وثلاثون. وتعقب العرب السيارة (٢) التي كانت تحمل الجناة فقتلوا سائقها، وقتل الجنود المرابطون في عمارة جنرالي ثلاثة من الفاعلين. وحرقوا السيارة. واصيب عريف بجراح. عندما دخلوا الى مفترق الطرق (ماملا —

---

(١) اقرأ اسماءهم في الملحق التاسع.

(٢) ظهر عند التحقيق، انها من السيارات المصفحة التابعة لمصلحة البوليس الفلسطيني، تآمر اليهود مع رجال البوليس البريطانيين من اجل سرقتها لهذه الغاية. وبعد ان فعلوا فعلتهم ارجعوها الى حيث كانت.

سان جوليان ــ برنسيس ماري)وكونستبلان من البريطانيين ، حين حاولوا الفصل بين الفريقين ، بجراح . وقتل في هذا الحادث بوليس عربي مــن رجال مصلحــة المرور ، واجتاز باقي الجناة مقبرة ماملا ، فاختفوا عن الابصار ونسف رجال الهاغانا في اليوم نفسه مطحنة اشتكلف الكائنة في بيت صفافا . وجرح المناضلون سبعة من رجال الانكليز واراد هؤلاء ان يقتصوا من العرب فقتلوا ثلاثه اخوة .

فوج اليرموك الثاني يجتاز الحدود

●

في ٨ كانون الثاني ١٩٤٨ اجتاز فوج اليرموك الثاني ، من افواج جيش الانقاذ حدود فلسطين اجتازها عن طريق بنت جبيل ،وكان يقوده الرئيس اديب الشيشكلي وقدحطرحله في قطاع صفد . نذكر من رجاله اكرم الحوراني نائب حماة في البرلمان السوري والدكتور فيصل ركبي . والنائب الدكتور عبد السلام العجيلي ، والاستاذ عبد الكريم الزهور مدير مدرسة حماة : والاستاذ خليل كلاس وهوليسانس حقوق والملازم هشام العظمة (دمشق)

وكان عدد رجاله ٣٠٠ مقاتلا ، مزودين بـ ٢٧٠ بندقية وستة رشاشات خفيفة.

وكانت احدى سراياه اردنية ؛ فيها مئتا (٢٠٠) متطوع اردني ، نذكر من ضباطهم : الرئيس ساري الفنيش (الحصن). الرئيس اميل جميعان (مأدبا) . الملازم الاول محسن يعيش (بدوي من الرولة) . الملازم الاول علوش داغش (بدوي من الحويطات) الملازم عبد النبي محمد (الكرك) الملازم عبد الغني (الكرك) . الملازم علي الصخراوي (عجلوة) وكان رجال هذه السرية قد دربوا في معسكر (قطنا)قبل ان ينضموا الى فوج اليرموك هذا.

معركة سنهدريا

●

وفي اليوم العاشرمن شهر كانون الثاني ١٩٤٨ هاجم فريق من جماعة الجهاد المقدس، يقدر عددهم بمئة مقاتل ، الحي المعروف بسنهدريا(١). وكان الليل قد انتصف . ولكن اليهود المرابطين في ذلك الحي تمكنوا من صدهم . وما كان هذا الهجوم ليفشل لو نجح المغيرون في تنفيذ الخطة التي رسمها لهم قائدهم . اذ بدأ المشاة الزاحفون في اطلاق النار قبل وصول حاملي الالغام . فانتبه اليهود ، وفتحوا على المغيرين ناراً حامية . وكادوا يحصدونهم ، لولا ان احدهم (عوض الترمسعاوي) سلط نيران رشاشه على الكشاف الكهربائي الذي استعمله اليهود في كشف مواضعهم ، فأعطبه . وبذلك نجا المهاجمون وقد أصيب احدهم بجراح .

ولقد اشترك في هذا الهجوم جماعة من سكان قرى رام الله كستجل وترمسعيا وبيتونيا والمزرعة الشرقية . وكان على رأسهم عبد القادر الحسيني ، يساعده كل من كامل عريقات (ابو ديس) والشيخ عبد الفتاح المزرعاوي (المزرعة الشرقية) وابراهيم ابو دية (صوريف) .

معركة كفار عصيون الاولى وظهر الحجة

●

في ١٣ كانون الثاني ١٩٤٨ أخليت جميع مرا كز البوليس في جبل الخليل من جنودها البريطانيين . وفي ١٤ كانون الثاني ١٩٤٨ فشل العرب في الهجوم الذي شنوه على (كفار عصيون) . ذلك الهجوم الذي كانوا يهدفون من ورائه الى الانتقام من سكان تلك المستعمرة الذين اطلقوا في اليوم السابق النار على سيارة القنصل العراقي وهو في طريقه الى الخليل . وقد اشترك فيه عدد كبير قيل انه جاوز الالفين من سكان مدينة الخليل وقراها . والقدس وقراها ، ومن بدو بئر السبع . الا انهم صدوا عن المستعمرة ، وما كان في ايديهم اكثر من بضع بنادق اعتيادية، اضف الى ذلك انهم جاءوا في صفوف غير منتظمة لا يقودهم قائد ، وليس لهم هدف معين . وعبثاً حاول الرجال الذين يتقدمون الصفوف (اسعد طهبوب واسماعيل طهبوب واسماعيل سليم حجازي وبدوي جنيد وناجي القواسمي) تنظيم صفوفهم . فاستشهد منهم اربعة عشر قتيلا(٢) وجرح أربعة وعشرون .

---

(١) من الاحياء اليهودية القائمة شمال المدينة ، بين حي مياشورم اليهودي وحي الشيخ جراح العربي.

(٢) اقرأ اسماءهم في الملحق التاسع .

ولكن سرعان ما انتقم العرب لانفسهم من اليهود . وكان ذلك بعد يومين من تاريخ هذه المعركة (١٧ كانون الثاني) عندما قدم فريق من اليهود من ناحية (عرطوف) لنجدة اخوانهم في (كفار عصيون) . ولما اقترب هؤلاء من قرية صوريف وأحس بهم سكان تلك القرية تصدوا لهم ، وراحوا يطاردونهم ، الى ان ارغموهم على الاعتصام بجبل يدعى (ظهر الحجة) ، واقع في شمال القرية وعلى بعد اربعة كيلومترات منها . ورغم ان هذه النجدة اليهودية كانت مدججة بالاسلحة الاتوماتيكية وبجهاز لاسلكي وكان عددها وفيراً ، الا ان المناضلين العرب تمكنوا من التغلب عليها . فأبادوها عن بكرة ابيها . ولاقى أربعة من المناضلين حتفهم في هذه المعركة (١) .

وأما قتلى اليهود في هذه المعركة فاربعون . وقال اليهود انفسهم ان قتلاهم من هذا الحادث خمسة وثلاثون معظمهم من الشباب وبعضهم من طلاب الجامعة العبرية ، واحداهم فتاة وذكرت جريدة « جيروسالم بوست » المقدسية في العدد ٧٤٦٦ اسماءهم:

١ ـ حايم انجل	٢ ـ بني بوغوسلافسكي	٣ ـ يهودا بيتنسكي
٤ ـ بن زيون بن ماير	٥ ـ اوديد بنيامين	٦ ـ يعقوب بن عطار
٧ ـ يوسف باروخ	٨ ـ ايتان غائون	٩ ـ سابو غولاند
١٠ ـ اسحق غينزبورغ	١١ ـ اسحق هاليفي	١٢ ـ الياهو هرش قوفسق
١٣ ـ الكساندر فوهين	١٤ ـ اسحق زيفولوني	١٥ ـ يعقوب فوهين
١٦ ـ دافيد طاش	١٧ يشائيل كالب	١٨ ـ يعقوب كسبي
١٩ ـ يونا ليفين	٢٠ ـ الكساندر لوستيغ	٢١ ـ الياهو مزراحي
٢٢ ـ عمنون ميخائيل	٢٣ دانيال ماس	٢٤ ـ اسرائيل مرتزل
٢٥ ـ شاؤول بنويلي	٢٦ ـ موشه برلشتاين	٢٧ ـ بنيامين بيرزتس
٢٨ ـ باروخ يات	٢٩ ـ دافيد زاباري	٣٠ دافيد زويبز
٣١ ـ يعقوب كوتيك	٣٢ ـ يوسف قوفلر	٣٣ ـ طوفيا كوشنر
٣٤ ـ دانيال رايخ	٣٥ ـ يعقوب شموئيلي	

وجاءت في اليوم التالي ١٨/١/٤٨ قافلة يهودية عن طريق بيت نتيف لنقل جثث القتلى . ولكنها أُصليت ناراً حامية فارتدت على اعقابها بعد معركة دامت سبع ساعات . وقتل فيها من العرب ثلاثة ومن اليهود ثلاثة عشر . ولكن الحكومة تدخلت ، فنقلت تلك

---

(١) اقرأ بعد هذا ما كتبناه عن مستعمرة كفار عصيون في ٢٧ آذار ١٩٤٨ ومن ٦ الى ١٣ ايار سنة ١٩٤٨ .

الجثث من (واد المصرّ) ويسمونه أيضاً (واد السر) . وفي ذلك انشد الاستاذ اسماعيل سليم حجازي يقول :

في يوم (واد السِّر) قد سقطوا كأوراق الخريف
لما مضت صوريف بالأ بطال في زحفٍ عنيف

ومن اليهود الذين قتلوا في ١٨/١ اثنان من كبار رجالهم هما :

ابراهيم ماس : ابن صاحب مكتبة ماس في القدس
موشه ليفي : مدير مكتب شركة الكيرن قايمت في القدس

وانقسمت الصحف اليهودية على نفسها بعد هذا الحادث ؛ فراحت « هاآرتس » تطالب باخلاء المستعمرات اليهودية الكائنة في جبل الخليل ابعدها . وأصرت « داڤار » على ابقائها ، لان عليها واجباً هو اشغال المسلحين العرب الذين يعملون في جبل الخليل ، لئلا يهبطوا الى السهول .

معركتا كفر كنا وعين ماهل

●

عرف اليهود بواسطة عيونهم ان المناضلين الذين ناصروا عرب الصبيح في نضالهم يتمركزون في كفر كنا . وهي قرية صغيرة تقع على مقربة من الناصرة ، ومنها الى الشمال الغربي ، ولهذا اعتزموا ان يحتلوها ويقطعوا دابر المناضلين منها . فهاجموها بعد اسبوعين من معركة الصبح (أي حوالي منتصف كانون الثاني ١٩٤٨) . جاءوا عبر الوادي الواقع على حدود القرية من ناحيتها الشرقية ، وتمكن فصيل من مقاتليهم من التقدم فوقف على أبواب المعسكر . وهنا شعر بهم الخفراء فقامت بين الفريقين معركة كان النصر فيها حليف المناضلين . وفيما كانت المعركة قائمة هنا راحت فصائل اخرى من اليهود المسلحين تتقدم من مكان يبعد عن كفر كنا ثلاثة كيلو مترات ، وتحاول تطويق القريةمن ناحيتها الجنوبية الغربية . ولما علم هؤلاء بفشل فصيلهم المتقدم من الشرق وانسحابه انسحبوا هم ايضاً . وتعقبهم المناضلون فوصلوا الى « كرم الزيتون » التابع لمستعمرة الشجرة . ولقد غنم المناضلون في هذه المعركة بندقيتين وبغلين على كل منهما محفة لنقل الجرحى .

وقام اليهود بعد معركة كفر كنا المتقدم ذكرها بأسبوع ، (أي حوالي ٢٠ — ٢٣من شهر كانون الثاني ١٩٤٨) بهجوم مماثل على معسكر المناضلين العرب في عين ماهل .

ومهدوا لهجومهم هذا بقنابل المورتر . ثم راحوا يزحفون وكانوا زهاء ستين . ولم يكن في عين ماهل يومئذ سوى خمسة عشر منــاضلا ، ولم يكن معهم سوى مدفع رشاش قديم الطراز من نوع براوننغ وبضع بنادق اعتيادية ، وتمكن المنــاضلون من صد اليهود رغم ان هؤلاء كانوا يفوقونهم عدة وعدداً .

من ذلك مافعله المناضلون يوم جاءوا من الناصرة يقودهم عبد اللطيف الفاهوم فكمنوا لقطيع من بقر المستعمرة يحرسه خمسة من المسلحين فقتلوا الحراس الخمسة ونهبوا القطيع وهو عبارة عن ثلاثين بقرة حلوباً . وحاول اليهود استرداد القطيع من المناضلين . فقامت بين الفريقين معركة انتهت بنصر المناضلين . وعاد اليهود الى مستعمرتهم تاركين ورائهم أربعة قتلى آخرين .

وكمن المناضلون بعد هذا الحادث بيومين ، لقافلة يهودية كانت آتية من طبريا كمنوا لها عند موضع يسمى « مسكنة » على مقربة من لوبية ، حيث زرعوا لغما . ويبــدو ان اليهود علموا بالامر . اذ اتوا بحراســة خمس من مصفحات الجيش المرابط في طبريا وطائرتين من طائرات الجيش ، فطوقوا المكان الذي كان يرابط فيه المناضلون ، ولكن هؤلاء تمكنوا من الانسحاب قبل ان يلحق بهم الجند .

ونقل المناضلون اللغم من ذلك الموضع فوضعوه تحت جسر « الشرار » بين الشجرة والعفولة ونسفوا به الجسر . وحولوا مجرى الماء الى الارض الزراعية القريبة من هناك . وراحوا يرقبون مرور القوافل اليهودية . وما هي الا ساعة او بعض الساعة حتى مرت سيارة يهودية تحمل ستة من اليهود المسلحين . ولما كان الجسر مدمراً فقد اضطر اليهود ان يقطعوا الارض المحروثة والمغرقة بالمياه . وفي وسط الوحل غرزت سيارتهم . فهاجمها المناضلون وقتلوا من فيها ، وغنموا بنادقهم .

وتسلل المناضلون بعد هذا الحادث بثلاثة أيام الى جسر المجامع ، فنسفوا بالديناميت أربعة من خزات الكهرباء ، وتعطلت هذه ، فبقيت مستعمرات اليهود في المرج المعروف بـ « مرج بن عامر » في ظلام دامس .

واستغل المناضلون بعدئذ هــذا الظلام ، فزرعوا لغما في الطريق التي تربط مستعمرة الدجاج بالعفولة . ولقد انفجر هذا اللغم عندما مر فوقه باص يهودي . فنسف الباص ، وقتل عدد كبير من ركابه .

وراح المناضلون بعدئذ يقطعون الطريق الواقعة بين طبرياوالشجرة ، في موضع قريب من لوبية . وعندما مرت من هناك قافلة يهودية هاجموها فقتلوا وجرحوا خمسة عشر شخصا

من ركابها . وكان ذلك في اواخر شهر شباط ١٩٤٨ وانقطع سير القوافل على الطريق المذكورة بعد ذلك الحادث ؛

واراد اليهود بعد اسبوع ان يفتحوا الطريق ، فهاجموا لوبية مع الفجر ؛ ووصلوا الى طرفها الغربي . ولكن المناضلين من ابناء القرية صدوهم ، ثم اقتفوا اثرهم ؛ وقتلوا منهم سبعة عشر رجلا ، واستشهد في هذا الحادث ستة من شباب القرية ؛ وجرح اربعة من حامولة الشهابية . وبقيت لوبية في حوزة العرب الى ان سقطت الناصرة ؛

هذه وما اليها من الحوادث جرت في شهر شباط . وكلها كما ترى ، عبارة عن مناوشات بسيطة .

خسائر الفريقين

●

في ١٧ كانون الثاني ١٩٤٨ بلغت خسائر الفريقين وقوات الامن ، الفاً وتسعمئة وثلاثة أشخاص بين قتيل وجريح ، يوزعون كما يلي :

١٠٥٠	عرب
٧٥٠	يهود
١٠٣	انكليز
١٩٠٣	

انابيب مياه عين فاره :

في ١٨ كانون الثاني ١٩٤٨ قطع العرب مياه عين فاره (١) عن الاحياء اليهودية اذ دمروا الانابيب التي توصل مياه هذه العين الى تلك الاحياء ودمروها عند حي الشيخ جراح . فتدخل الجيش الانكليزي ، وطلب من المناضلين وقف اطلاق النار ، ريثما تعمر تلك الانابيب ويسيل الماء فيها . فرفض المناضلون ولكن الجيش تدخل بعدئذ ، وعمرها بالقوة .

الحكومة تحمي الموظفين اليهود

في ١٩ كانون الثاني ١٩٤٨ أصدرت الحكومة أمرها الى اصحاب الحوانيت الكائنة غربي بنك باركليس وحديقة البلدية (المنشية) طالبة منهم اغلاق متاجرهم في الثامنة من صباح كل يوم الى التاسعة ، ومن الواحدة بعد الظهر الى الثانية ، ليتمكن موظفو البنك ، وجلهم من اليهود ، من الوصول الى مكاتبهم في الصباح ومغادرتها بعد الظهر دون أن يتعرضوا لنيران العرب .

فاستغرب العرب هذا الامر واعتبروه تحيزاً من السلطة لليهود . والذى حدى بهم لاساءة الظن أن السلطة لم تتخذ مثل هذا التدبير في الامكنة اليهودية التي يخشاها العرب .

فوج اليرموك الاول يجتاز الحدود

في ٢٠ كانون الثاني ١٩٤٨ اجتاز الحدود فوج اليرموك الاول من أفواج جيش لانقاذ . اجتازها عند نهر الاردن ، الى الجنوب من بيسان ، وكان يقوده المقدم محمد

---

(١) تقع هذه العين في (وادى فاره) على بعد ١٤ كيلو متراً من القدس الى الشمال الشرقي • تعطى ٢٢٠و٠٠٠ غالونا من الماء في كل يوم . بينها وبين المدينه ثلاث محطات فيها مضخات لدفع الماء قوة الواحدة منها ٦٠ حصان . ومن الخزان المقام على هضبة تعرف بالتل الافرنسي ، في شمال القدس ينساب الماء الى المدينة بقوة الجاذبية في انابيب قطرها ثماني بوصات . ووصلت مياه هذه العين الى القدس لاول مرة ، في ٢٦ تموز ١٩٢٦ • وقد استغني عن مياهها عندما انجز المشروع الجديد وراحت المدينة تزود بالماء من (رأس العين) وقد تم ذلك في نهاية عام ١٩٣٥• الا ان سكان القدس العرب رجعوا الى عين فارة . عندما قطعت عن المدينة مياه راس العين اثناء الحرب الفلسطينية (١٩٤٨) .

صفا (سوري) ومعظم رجاله من السوريين ، بعضهم فلسطينيون تدربوا في معسكر (قطنا) والبعض الآخر مصريون وحجازيون . وكان هذا الفوج مؤلفاً من ثلاث سرايا الاولى يقودها الملازم الاول غسان، والثانية يقودها الملازم الأول اتاس (الدكتور شوقي ؟) والثالثة يقودها الملازم الاول حسن مهنا (فلسطيني). ومن ضباطها الملازم صلاح الدين ابو العلا . والملازم فؤاد عقاد .

كان عدد رجال هذا الفوج ٦٣٠ مزودين بـ ٦١٤ بندقية و ١٨ رشاشاً خفيفاً وأربعة مدافع هاون من عيار ستين . وقد زود كل مقاتل بمئتي طلقة وقنبلتين يدويتين ، وكل رشاش باربعمئة طلقة .

ان هذا الفوج هو الذي خاض معركة الزواعة (١) .

الطائرات اليهودية تقصف محطة غزة

في ١٩ كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٤٨، اغارت على محطة السكة الحديدية بغزة ظهراً ثلاث طائرات يهودية، فقذفتها بتسع من قنابلها . فقتل من جراء ذلك تسعة اشخاص(٢) وجرح أربعة جلهم ان لم نقل كلهم من موظفي المحطة : نذكر منهم مفتش الحركة نصري الصانع . وهدمت بئر المازوت واحترق صهريج البترول .

العرب يوافقون على نقل جرحى اليهود من البلدة القديمة

في ٢٠ كانون الثاني ١٩٤٨ نقلت السلطات الحكومية مرضى اليهود وجرحاهم الذين كانوا يعالجون في المستشفى اليهودي (بيكور حوليم) بالبلدة القديمة . نقلتهم بعد ان حصلت على وعد من رجال الحرس الوطني بعدم الاعتداء عليهم أثناء مرورهم بالاحياء العربية . ورافقهم هؤلاء من حدود الحي اليهودي بالبلدة القديمة حتى حدود الاحياء اليهودية بالمدينة الجديدة ، وتمت عملية نقل الجرحى باشراف الشيخ ياسين البكري بالنيابة عن المناضلين وسعد الدين العارف بالنيابة عن لجنة الطوارىء (٣) وفيما كانت عملية النقل هذه تجري في حراسة العرب ، كان العرب واليهود يقتتلون خارج السور .

---

(١) اقرأ ما كتبناه عن هذه المعركة في ١٦ شباط ١٩٤٨

(٢) اقرأ اسماءهم في الملحق التاسع

(١) اقرأ ما كتبناه عن هذه اللجنة وعن اللجنة القومية في ٢٦ كانون الثاني ١٩٤٨

ولا سيما في حي الشيخ جراح ومياشورم : وأطلق اليهود النار على الجند في البلدة القديمة فأجابهم هؤلاء بالمثل وقتلوا يهودياً ، وجرحوا ثلاثة .

فرض التقسيم بالقوة واعداد احدى موانيء فلسطين لاستقبال المهاجرين

●

في ٢١ كانون الثاني (يناير) ١٩٤٨ ابلغ السر الكسندر كادوغان مندوب بريطانيا الدائم في هيئة الامم ، الجمعية العمومية لتلك الهيئة ، ان حكومته لا تستطيع ان تنفذ القرار الذي أصدرته (لجنة فلسطين) (١) والذي يقضي بفتح احدى موانيء فلسطين لاستقبال المهاجرين اليهود اعتباراً من اليوم الاول من شهر شباط (فبراير) ١٩٤٨ . فعلت بريطانيا ذلك خشية أن يثور العالم العربي عليها .

وكان موقفها سلبياً أيضاً من القرار الذي أصدرته هذه اللجنة والذي طلبت فيه من بريطانيا بوصفها الدولة المنتدبة ومن هيئة الامم أن يتعاون الجميع فيفرضوا التقسيم فرضاً ، وأن يوجدوا قوة عسكرية يهودية في البلاد لتكون على استعداد للعمل عند انتهاء الانتداب :

سبعة من رجال البوليس اليهود يقتلون على طريق القدس — تل ابيب

●

وفي ٢٢ كانون الثاني ١٩٤٨ اقتنص العرب سبعة من رجال البوليس اليهودي المكلفين بحراسة المستعمرات ، اقتنصوهم على طريق القدس — تل ابيب ، فقتلوهم

فوزي القاوقجي (٢)

●

في ٢٥ كانون الثاني ١٩٤٨ عبر حدود فلسطين القائد المعروف فوزي القاوقجي ؛ وقد اجتاز الحدود ، في الوقت نفسه ، أفواج من جيش الانقاذ غير التي ذكرناها في الثامن ، وفي العشرين من هذا الشهر ، وقد حط القاوقجي رحله بادىء ذي بدء في طرباس من أعمال نابلس . انتقل الى جبع من أعمال جنين : وقد اتخذها مقراً لقيادته .

---

(١) اقرأ ما كتبناه عن هذه اللجنة في ١٦ شباط ١٩٤٨

(٢) اقرأ ما كتبناه عنه وعن جيش الانقاذ عندما انسحب هذا الجيش من فلسطين في ٢٠ ايار ١٩٤٨

وبلغ عدد رجال هـذا الجيش الـذين هبطوا فلسطين ، في اواخر شهر كانون الثاني ، الفين . وتضاعف هذا العدد ، فأصبح اربعة آلاف عندما انتهى الانتداب .

معركة بيت سوريك

●

في ٢٥ كانون الثاني ١٩٤٨ اتصل بفوج من المناضلين ، عندما كانوا في بيت عنان يتنادون للقتال ، ان قافلة يهودية كبيرة ماضية في طريقها الى القدس عن طريق باب الواد وان زعيم اليهود الاكبر حايم وايزمان الذي وصل الى فلسطين يومئذ بطريق الجو كان مع القافلة فوقفوا لها بالمرصاد ، وزرعوا مقادير كبيرة من الالغام على مقربة من القسطل واعتزموا ان يحاولوا دون مرورها مهما كلفهم ذلك من ثمن . وكان عددهم في بادىء الامر اربعة وثلاثين . ثم التحق بهم واحد وعشرون ، فاصبحوا خمسة وخمسين . بعضهم مـن قرى القـدس ورام الله ، والبعض الآخر مـن قرى الخليـل . يتقدمهم ابراهيم ابو دية وعزمي الجاعوني والقائد عبد القادر الحسيني وفوزي القطب الذي تولى بث الالغام وكامل عريقات .

عندما اقترب رجال القافلة من المكان ، ورأوا ما رأوا ، تركوا سياراتهم ، وراحوا يتسلقون الجبـال مولين وجوههم شطر (مستعمرة الخمس) فتعقبهم المناضلون الى ان اصبحوا على مسافة قريبة منهم . واشتبك الفريقان في قتال ، كان سلاح اليهود فيـه القنابل اليدوية والعرب البنادق الاعتيادية ورشاش واحد من طراز برن . وجرح ابراهيم ابو دية في هذه المعركة .

وفيما كانت رحى المعركة دائرة في هذه الناحية راح رجال الصاعقة اليهود المعروفون بـ(البالماخ) يهـاجمون قرية (بيت سوريك) وكان معهم اربعة مدافع رشاشة ، اثنان من طراز برن ، واخران من طراز ستن واكد لي من اثق بصدق حديثه من رجال الجهاد المقدس الذين اشتركوا في هذه المعركة انه رأى بام عينه مصفحتين بريطانيتين من مصفحات قوة الطيران البريطاني وهما تقاتلان في صفوف اليهود وقد اصلتا المناضين ناراً حامية من مدافعها الرشاشة . ولقد احاطوا بالقرية وبالمجاهدين الذين فيها احاطة السوار بالمعصم . وذاع الخبر ان عبد القادر وصحبه في خطر وانتشر رسل القرية في القرى المجاورة يستفزون القوم ، ويستصرخونهم للنجدة . فلبى هؤلاء النداء ، وانسلوا الى الميدان من كل حدب

وبلغ عدد المنجدين الذين خفوا للنجدة الفاً . وبلغت حماسة الناس الى درجة لا توصف فرأيت بام عيني عندمـا كنت في سنجل وترمسعيـا استفز المناضلين لنجـدة اخوانهم

المحصورين ، فتى راح يتوسل الى ابيه الشيخ كي يسمح له بالذهاب الى ميدان الوغى بدلا منه . وابى الشيخ في البدء الا ان يذهب هو ثم عاد فاستجاب لرجاء ولده . وسلمه بندقيته وقال « اذهب يا بني . . وعين الله ترعاك . . »وكذلك قل عن اخوين كادا يتضاربان ، اذ ود كل منهما ان يكون هو مع الذاهبين ، وما كانا ليختلفا لو كان معهما بندقيتان .

واني لاقسم غير حانث انه لم يتخلف عن القتال يومئذ سوى الضعفاء والمرضى والذين لم يجدوا دابة تحملهم او سيارة تنقلهم . وفي هؤلاء وامثالهم نزل قوله تعالى (١) : «ليس على الضعفاء ولا على المرضى الذين لايجدون ما ينفقون حرج ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت لا اجد ما احملكم عليه ، تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزناً الا يجدون ما ينفقون » .

وقصارى القول ما كادت شمس ذلك النهار تجنح الى المغيب حتى كان النصر معقوداً للعرب . فرفع الحصار ، وارتد اليهود الى الوراء ، تاركين ورائهم اربعة وثلاثين قتيلا وتسعة وعشرين جريحاً . ولم يقتل من العرب سوى رجل واحد من بني صخر . وجرح خمسة ، احدهم القائد ابو دية . ومن الذين ابلوا في هذه المعركة بلاءاً حسناً عوض محمود الترمسعاوي ، رفيق القائد عبد القادر الحسيني وحارسه . فقد شهد كثيرون من زملائه انه قتل في تلك المعركة سبعه من اليهود بصلية واحدة من رشاشه ، واما بطولة القائد عبد القادر فحدث عنها ولا حرج ، اذ كان من الشجاعة والجرأة لدرجة انه عرض نفسه لرصاص الاعداء دون ان يخشى خطراً .

وغنم المجاهدون ثماني بناق واربعة رشاشات . وام هؤلاء ، بعد انتهاء معركة بيت سوريك ، مستعمرة الخمس ، يريدون مهاجمتها ، لولا ان تعرض لهم رهط من رجال البوليس البريطاني . وكان هؤلاء قد خفوا الى الميدان مستطلعين طلع الخبر ، وكان يرافقهم عدد من رجال البوليس اليهود ، فاشتبك الفريقان في قتال ثاني . ولكن النصر في هذه المرة بجانب الجند ، فارتد المناضلون الى بيت سوريك

الدكتور الخالدي يرفض جعل القدس مدينة مفتوحة

●

في ٢٥ كانون الثاني ١٩٤٨ سافر الى دمشق الدكتور حسين فخري الخالدي ، امين السر العام للجنة العربية العليا لمباحثة ولاة الامر في الوضع القائم في القدس ، وعقد في مساء

---

(١) سورة التوبة – الايتان ٩١ و ٩٣

اليوم نفسه اجتماعاً في القصر الجمهوري حضره كل من شكري القوتلي رئيس الجمهورية وجميل مردم رئيس الوزراء واحمد الشراباتي وزير الدفاع والمقدم محمود الهندي والقائد فوزي القاوقجي والعميد الركن طه باشا الهاشمي . فاوضح الدكتور الخالدي للمجتمعين الموقف في فلسطين فقال (١) :

« ان المدن الفلسطينية في حالة ذعر ، وانها تحتاج قبل كل شيء الى تنظيم ، وذلك بتعيين قائد لها ، وتزويدها بالسلاح والرجال . واذا لم تنجد فانها ستمنى بخسائر فادحة » .

وشكا الدكتور الخالدي من اللجنة العسكرية التي لا تزوده وزميله احمد حلمي باشا وهما العضوان من اعضاء اللجنة العربية العليا الباقيان في فلسطين ، بالمعلومات اللازمة عن التدابير التي تتخذها بشأن فلسطين . الى ان قال :

« ان قناصل الدول المسيحية راجعوني ، على اثر حوادث الانفجار التي وقعت في القدس ، وطلبوا الي الموافقة على جعل القدس مدينة مفتوحة ، وكانت الوكالة اليهودية قد وافقت على ذلك ، ولما سألتهم عما اذا كان هذا الطلب من حكوماتهم ؟ قالوا : لا . عندئــذ طلبت اليهم ان يراجعوا قناصل الدول العربية لان الامر يخصهم هم ايضــاً »

واضاف الدكتور خالدي الى ذلك قوله انه اوضح للقناصل العرب انه اذا تقرر جعل القدس مدينة مفتوحة فستطلب مدينة يافا والمدن المجاورة لها ذلك ايضاً . وفي هذا فشل للحركة القومية . وعلى اثر ذلك رفض القناصل العرب طلب قناصل الدول المسيحية .

---

(١) اقتبست اقوال الدكتور الخالدي ونبأ هذا الاجتماع من مذكرات العميد الركن طه الهاشمي تلك المذكرات التي نشرتها جريدة « الحارس » البغدادية في العدد ١٤ الصادر بتاريخ ٢٦ شباط ١٩٥٣

اللجنة القومية .

ولقد شعر المقدسيون في مطلع السنة الجديدة (١٩٤٨) بالحاجة الى تنظيم صفوفهم فالفوا ، في ٢٦ كانون الثاني ١٩٤٨ (١) لجنة قومية قوامها :

١ ـ الدكتور فوتي فريج	٨ ـ المحامي انور نسيبه
٢ ـ الشيخ اسعد الامام	٩ ـ صالح عبده
٣ ـ حنا عطاالله	١٠ ـ الحاج فوزى الخياط
٤ ـ توفيق وفاالدجاني	١١ ـ الحاج عيد عابدين
٥ ـ الحاج طاهر بركات	١٢ ـ جميل وهبه
٦ ـ المحامي تحسين كمال	١٣ ـ يوسف عبده
٧ ـ شريف صبوح	١٤ ـ المحامي وديع صلاح

(١) كانت في القدس ، قبل هذا التاريخ، لجان محلية ، تألفت اثر صدور قرار التقسيم . في كل حي لجنة عهد اليها تنظيم شؤون الدفاع عن ذلك الحي . وكان عليها ايضا ان تشتري السلاح وتقيم العسس ، وتنظم شؤون الاسعاف الاولي وما الى ذلك . وكانت هذه اللجان تجمع الاموال ، التي يتبرع بها سكان الحي من اجل الشؤون المتقدم ذكرها .

وكان يقوم على رأس هذه اللجان المحلية لجنة اسموها (لجنة الطوارىء) : مؤلفة من اميل الغوري سعدالدين العارف ، غالب الخالدي ، راضي ابو السعود ، فؤاد عبد الغني الخالدي ؛ صالح الرعاوي . اوعز بتأليفها : الهيئة العربية العليا . وكان ذلك عندما اذاع الانكليز انهم سينسحبون من البلاد . وكانت الهيئة تغذيها بالمال .

وراحت هذه اللجنة تسيطر على الشؤون العربية المختلفة : من ادارة وصحة وامن وحدود ومال وسلاح . والفت من بعض اعضائها (محكمة) للطوارىء . سمحت لنفسها بالحكم على الخونة بالاعدام وقد اعدمت الكثيرين من اليهود الذين ثبت لها انهم كانوا يتجسسون .

وكانت لجنة الطوراىء هذه تجبي من الناس بعض الضرائب والرسوم (كرسوم المحاكم والنقل والمعاملات الاخرى) لقاء ايصالات تصدرها باسم (صندوق الامة) . والمشرف على هذا الصندوق هو : الدكتور عزة طنوس .

وعندما تألفت (اللجنة القومية) حلت (لجنة الطواري) هذه . فنقلت صلاحياتها اليها .

ودام الحال على هذا المنوال الى ان حدث حادث باب العمود في ٢٩ كانون الاول ١٩٤٧ يوم القى اليهود مقدارا كبيرا من المتفجرات ، ولاقى اربعة عشر عربيا حتفهم : فايقن القوم ان عمل اللجان ، على ذلك الشكل المتفرق ، غير كاف : واعتزموا تأليف « لجنة قومية » بالشكل الذي اوردناه في هذه السطور .

وتقرر بعد ئذ ان يضم هؤلاء اليهم خمسة آخرين ، يمثلون قرى القضاء . وتولت هذه اللجنه الاشراف على شؤون المدينة ، وراحت تعمل في عمارة لدير الروم بين حارة النصارى وباب الخليل . وارادت ان تشترك في شؤون الدفاع ، فاشير عليها بان تحصر اعمالها في الشؤون الادارية، على ان تبقى شؤون الدفاع منحصرة في اللجنة العسكرية : ورغم هذا فقد كانت اللجنة القومية على اتصال بالرجال المسؤولين عن شؤون الدفاع : وكثيرا ما مدت الجهاد المقدس بالاعتدة والمؤن . ووضعت اللجنة ميزانية لاعمالها ، فبلغت هذه زهاء ستة وثلاثين الف جنيه . الا انها لم تظفر بموافقة (الهيئة العربية العليا) عليهـا . ورجع امين سرها ،انور نسيبه، الذي سافر الى مصر خصيصا لهذه الغاية ، بخفي حنين. . وكل ماتمكنت اللجنة من جمعه من سكان بيت المقدس لم يجاوز الخمسة آلاف من الجنيهات انفقته على العسس وتموين الفقراء واللاجئين .

وكان في المدينة يومئذ زهاء مئتي حارس عهد اليهم بحراسة الاحياء والاسواق والحيلولة دون السرقات : هؤلاء غير المناضلين الذين اودعت اليهم شؤون النضال . وقد ذكرناهم في غير هذا المكان ، عندما ذكرنا حوادث ١٢ أيار

وقد انضم الى اللجنة القومية ، بعد ذلك بقليل ، مدير بيت المال : وراح هذا ينفق ، على شؤون الدفاع في القدس ، المبالغ التي جمعت لبيت المال من ابناء القدس . اضف الى ذلك الضرائب التي فرضتها اللجنة على الخضـار والمؤن ووسـائل النقل ، ورسوم القضايا التي تعرض على محاكمها .

وظلت اللجنة القومية قائمة ، تعمل بجد واخلاص في سبيل تحقيق اهدافها ، الى ان وقعت كارثة (ديريس) . وراح اللاجئون الوافدون من هذه القرية ومن القرى الاخرى يهيمون على وجوههم في جميع انحاء المدينة . فاضطرت اللجنة الى تخصيص ما تملك من وقت ونقد من اجل اسكانهم واطعامهم . وكانت تنفق في هذا السبيل مبلغا يتراوح بين ٦٠٠ جنيه و ٧٠٠ في كل يوم . فنضب معينها . ولم يبق لديهم ما تنفقـه على الدفـاع : الامر الذي حدا بها للاستدانة . وقد استدانت من البنك العربي خمسة آلاف جنيه ، كما استدانت مثل هذا المبلغ من بنك الامة وانفقت هذين المبلغين على شؤون الدفاع .

وهي التي مونت جيش الانقاذ ، وامدته بالمؤن وللذخائر ، وقد انفقت عليه في هذا السبيل ، زهاء اثني عشر الف جنيه . وعندما حاولت اللجنة استرداد هذا المبلغ مـن اللجنة العسكرية في الشام ، تلك اللجنة التي كانت مسؤولة عن شؤون جيش الانقاذ ، رفضت هذه تسديد المبلغ ، لان لهذا الجيش مخصصات ، ومـا كان لـه ان يتعدى على اموال اللجان القومية .

حصار اليهود في الحي القديم

وفي ٢٦ كانون الثاني ١٩٤٨ دمر العرب ثلاثة منازل يهودية بالبلدة القديمة . واطلقوا النار بكثرة على اليهود ، وعلى الجنود البريطانيين الذين تولوا حراسة الحي . وراحوا في الوقت نفسه ، يضيقون الخناق علي اليهود خارج السور . فشدوا عليهم الحصار : ومنعوا عنهم اللحم والخضار وارتفعت في اسواقهم الاسعار فوصلت الى درجة لا تطاق .

وانا لذاكرون فيما يلي اسعار الحاجيات الضرورية كما كانت يومئذ في السوقين(١) :

النوع	في الاسواق العربية	في الاسواق اليهودية
الموز	٤٠	٩٠٠
البندورة	٢٠	١٠٠
الفول الاخضر	٥٥	٢٠٠
الملفوف	١٥	٨٠
البرتقال	١٠	٣٠
البطاطا	٣٠	٨٠
القرع الاصفر	٢٠	٧٠
القنبيط	٢٠	٩٠
الباذنجان	٣٥	١٤٠

وفي ٤ شباط ١٩٤٨ كان حصار الحي اليهودي بالبلدة القديمة قد بلغ اشده . وكانت المؤن تنقل الى ذلك الحي بحراسة الجند وما كانت هذه لتكفيهم (٢) فاشرفوا على الهلاك . ونصحت الحكومة اليهود ان يخلوا هذا الحي والحي التجاري في الشماعة . كما نصحتهم ان ينسحبوا من مستعمراتهم في جنوب فلسطين . فرفض رجال الهاغانا هذا النصح . واما اليهود الاشكنازيون (ويلقبهم المقدسيون بالسكناج) فقد وجهوا نداء الى العرب رجوهم فيه رفع الحصار ، واعلان المدينة القديمة (مدينة مفتوحة) . الا ان العرب اشترطوا ان يسلم اليهود انفسهم تسليما تاماً . ذا كرين قوله تعالى (٣) : (فاذا

(١) اقتبسنا هذه الارقام عن التقارير الرسمية التي نشرتها الحكومة . وهي تمثل سعر الكيلو الواحد بالمل .

(٢) كانت خطة العرب ترمي – كما قلنا – الى تجويع اليهود اكثر من قتلهم .

(٣) سورة محمد – الاية ؛

لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق، فاما منّا بعد واما فداء حتى تضع الحرب اوزارها ...) .

حراسة دور القناصل واقفال الجسور القائمة على صفتي الاردن

●

وفي ٢٩ كانون ١٩٤٨ هبط بيت المقدس عـدد من الجنود والضباط السعوديين لحراسة دار القنصلية السعودية . كما هبطها عدد من الجنود والضباط السوريين واللبنانيين والمصريين للغاية نفسها واما القنصليات الاردنية والعراقية فكان يقوم على حراستها ، منذ بدء القتال ، فئات من الجيش العربي الاردني ، كانت ترابط في البلاد منذ عام او يزيد .

وذاعت الحكومة ، في اليوم نفسه ، انها اقفلت جميع الجسور التي تربـط فلسطين بالمملكة الاردنية بقصد مراقبة التخوم . الا (جسر اللنبي) فقد ابقته مفتوحاً .

رحيل الرعايا البريطانيين

●

وفي ٣١ كانون الثاني ١٩٤٨ بدأ رحيل النساء والاطفال والمدنيين من الرعايا البريطانين عن القدس وعن باقي انحاء فلسطين . ولم تستثن الحكومة من قرارها هذا سوى اصحاب المناصب العالية الذين لا يمكن الاستغناء عنهم، وتركت للصحفيين ورجال الدين واصحاب الاعمال الخيار بين الرحيل اوالبقاء حيث يشاون . على ان يتحملوا هم مسؤولية عملهم . وراح الذين لم يرحلوا يعيشون في احياء ثلاثة منعزلة احاطها الجيش بالجند وبالاسلاك الشائكة . الاول في البقعة والحي الالماني وحي النمامرة ، والثاني في المسكوبية وماحولها، والثالث على مقربة مـن المستشفى الايطالي ودار الاذاعة . وحظر على الناس ارتياد هذه الاحياء ، الا بأذن هذا مع العلم بانه كان يرابط في القدس وفي انحاء فلسطين الاخرى يومئذ زهاء مئة الف جندي بريطاني ، كلهم مدججون بالـسلاح .

نسف شارع هاسوليل

●

في اليوم الاول من شهر شباط ١٩٤٨ (الساعة العاشرة والدقيقة الاربعين مساء) نسف شارع هاسوليل اليهودي . فاضحى طللا . وتحطمت ثماني عمارات من العمارات الضخمة القائمة على جانبيه . ومنها مطبعة (البالستاين بوست (١) . وأعطبت اربعة واربعون منزلا من المنازل المجاورة . وقتل عدد كبير من اليهود . واصيب خمسون بجراح مختلفه . بينهم عدد من الصحفيين ومديري الشركات والحاخام عوزيل كبير الحاخامين . ونزح زهاء ثلاثمئة يهودي ويهودية عن منازلهم في ذلك الحي . وبات عدد غير قليل منهم في العراء . وحطمت نوافذ معظم الحوانيت والمنازل الكائنه في شارعي بن يهودا والملك جورج . ودمرت مكاتب بعض وكالات الانباء . وظلت الحرائق مشتعلة اثنتين وسبعين ساعة . عمل على اطفائها جميع فرق المطافيء بالمدينة من انكليزية وعربية ويهودية . وقصارى القول قدر الخبراء خسارة اليهود من جراء هــذا الحادث بما لايقل عن نصف مليون جنيه فلسطيني .

ان الذي رسم الخطة هو قائد فريق الجهاد المقدس عبد القادر الحسيني . وهو الذى صنع اللغم الذى استعمل للنسف مشتركا في صنعه مــع قائد فرقة التدمير العربية فوزى القطب (٢) . واشترك في التنفيذ فريقان عرب وانكليز (٣) . وكان هؤلاء قد انخرطوا في صفوف المناضلين العرب عند بدء القتال . فاستعان بهم العرب لسرقــة الاسلحة والمعدات كما استعانوا بهم وبزيهم ورطانتهم في اللغة عند اجتيازهم المخافر .

وفي طليعة العرب الفاعلين عبد النور خليل جنحو (٤) . وقيل انه الوحيد الذي كان

---

(١) Palestine Post جريدة تصدر في القدس باللغة الانكليزية، وهي لسان حال الوكالة اليهوديه

(٢) اقرأ ما كتبناه عن هذا الشاب في ٢٢ شباط ١٩٤٨

(٣) ادى براون Edie Brown وبترمادسون PeterMardson وشخص ثالث لانعرف مــن هو ؟ اما الاول (ادى براون) فقد كان مأجورا في الجيش البريطاني . نقم على اليهود بسبب قتلهم اخاه . فاقسم ان ينتقم له . واما الاثنان الاخران فانا لانعرف عنهما شيئاً .

(٤) شاب في الثانية والعشرين مــن عمره . اصله من يافا . وقد استوطن مــع ابيه وباقي افراد اسرته القدس . اتم دراسته الثانويــة في مدرسة المطران وانخرط في الجندية . فعمــل ، في غضون الحرب الكونيــة الثانية (١٩٤٢) متطوعا في صفوف الجيش البريــطاني . وحضر معظم المعارك الحربية التي وقعت في مرسي مطروح والعلمين والصحراء الغربية ، وحاز وسام الشجاعة المعروف بورق البلوط . وكان مراقبا للمساجين في سجن القدس عندمــا التحق بفرقه الجهــاد المقدس . تعلم فن الطيران في مصر على نفقة الحاج امين قاد سريــة المغاوير . واشترك في معارك القطمون وجرح في معركة ميكور حايم .

قال لي ، وهو يحدثني عن الخطة التي اتبعها هو وزملاؤه في هذا الحادث ، ان عبد القادر الحسيني هو الذي كلفه القيام بهذه المهمة . ولقد تولاها برضاء وطيبة خاطر .

هناك ساعة التنفيذ . وامـا الانكليز فكانت مهمتهم تسهيل العبور من المخافر القائمة في مداخل الحي ، ومعظم حراسها منهم فـكانوا ، كلما اجتازوا مخفرا يحيون رجالـه باللغة الانكليزية . الامر الذى لا يدع مجالا للشك بان المارين موظفون حكوميون .

لقدجاء هؤلاء في سيارتين :ـ واحدة صغيرة ، من نوع فوكسهول مهمتها فتح الطريق ونقل الفاعلين. والاخرى كبيرة ، من نوع دودج ، سرقوها من كاراج مصلحة البوليس بالقدس ،وفيها المتفجرات(١) .وعليهاشارة البوليس الفلسطيني المؤلفه حرفين P.P. جاءوا الى القدس من مقر الجهاد المقدس في بيرزيت حيث اعدت الخطة وعندما وصلوا الى مفترق الطريق القريب من المستشفى الايطـالي اوقفهم الخفراء البريطـانيون فاحصين هويتهم . ولما رأوا انهم من ابناء جنسهم تركوهم . فاتجهوا نحو الغرب في الشـارع المعروف بـ (شارع الانبياء) . وبعد برهة اوقفهم الخفراء اليهود من رجال الهاغنا . ولكن هؤلاء ايضا سمحوا لهم بالمرور عندما سمعوهم يرطنون اللغة الانكليزية .

وبعد قليل افترقت السيارتان . ـ فعبرت احداهما (وهي الكبرى حاملة المتفجرات) شارع ابن بطوطه المتجه جنوبا نحو سينما زيون . ومن هناك راحت الى شارع هاسوليـل حيث قامت بتنفيذ مهمتها . وظلت الثانية (وهي الصغرى والتي أعـدت لنقل الفاعلين بعد ان يكونوا قد اتموا مهمتهم) تسير في شارع الانبياء، حتى تقاطع الطرق بين مستشفى بيكور خوليم والمستشفى الالماني القديم وهناك اتجهت جنوبا . حتى مفترق الطرق (يافا والملك جورج) ثم عادت فسارت باتجاه شرقي الى الساحة الكائنة امام سينما زيون . ومن شملت ، فوقفت عند المراحيض القائمة على مقربة من شارع هاسوليل .

ان الطريق التي قطعتها السيارة الثانية طويلة . ولقد اختيرت هذه الطريق خصيصا لئلا تقف حيث وقفت طويلا . فما ان وصلت الى المـكان المتفق عليه ـ القريب من المراحيض المتقدم ذكرها ـ حتى كانت عملية النسف قد تمت ، وكان الفاعلون قد وصلوا فركبوا السيارة . ونجوا بانفسهم سالكين الطريق نفسها التي جاؤا منها .

---

(١) كانت هذه مزيجا من الامينول Aminol والفان قطن Gun Cotton والجلنجيت . وفيها قطع حديدية منقوعة في الالومينيوم للاحتراق . وقد وصلت بفتيل يشعل عند اللزوم .

الحكومات العربية ابطأت في تهيئة جيوشها : -

●

عقدت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية في اليوم الثامن من شهر شباط ١٩٤٨ اجتماعا في القاهرة استمعت ، فيه الى رئيس اللجنة العسكرية امير اللواء الركن اسماعيل صفوت باشا الذي اوضح خطورة الموقف العسكري في فلسطين. وطلب ان تسرع الحكومات العربية فتهيء القوات اللازمة للقتال قائلا : - ان الزمن في صالح العدو .... وان كل يوم يمر تزداد هذا فيـه قوة ً ويزداد العرب ضعفا ... اذ ان موارد العرب محدودة ، وامكانياتهم لتدارك السلاح والعتاد ضعيفة . على النقيض من اليهود الذين تسندهم منظماتهم المنتشرة في اكثر انحاء العالم . (١) ولكن الحكومات العربية لم تفعل شيئاً مجدياً يؤمن الوصول الى الهدف المنشود . فلا جندت جميع القادرين من شبابها ، ولا حشدت من كان للبها من الجنود على الحدود

العرب لم يعرفوا كيف يستفيدون من قوة الحدود

●

في ٨ شباط (فبراير) سنة ١٩٤٨ شرع الانكليز في تسريح قوة الحدود ، تلك القوة التي اوجدوها في اوائل الاحتلال لحماية الحدود، وقد اسموها (قوة حدود شرق الاردن) (The T. J. Frontier Force) وقـد تم تسريحها في شهر أيار ، وقبيل رحيلهم عن فلسطين ببضعة أيام . وكان عدد رجال هذه القوة عند تسريحها (٢٩٢٥) منهم :

٩ برتبة قائم مقام Major و ٢٥ برتبة قائد Captain و ٢٤ برتبة رئيس .Lieut و٣١ برتبة ملازم . 2nd Lieut و ١٧٤ برتبة نائب Sergant و ١٨٠ برتبة عريف Caporal والباقون ٢٥٠٠ جنود اعتياديون Troopers

معظمهم عرب فلسطينيون واردنيون وسوريون ومصريون وسودانيون ، وكثيرون شراكسة ويونان وارمن وشاشان واكراد ، وقليل منهم يهود . انه وان قيل يومئذ ان عدداً من الضباط والجنود الفلسطينيين والاردنيين قد انخرطوا بعد تسريحهم في صفوف الجيش العربي وان السوريين عادوا الى سوريا وهناك التحق فريق منهم بالجيش السوري واخرون بجيش الانقاذ .. وان المصريين والسودانيـين عادوا الى بلادهم مصر والسودان .. الا ان الواعين المخلصين لبلادهم تمنوا ان لو يلهم الله القائمين على الامر فيجندون كل من كان في قوة الحدود من ابناء العرب لدرء الشر عن فلسطين ، ومـا احوجها لأمثالهم ممن الفوا النظام ودربوا على القتال . ولو فعلوا ذلك لاصاب البـلاد خير على يدهم . ولكن ..!!! واقترفت الهيئـة العربية العليا والقائمون على امرها خطأ كهذا عندما تقدم اليها ، اثر صدور التقسيم ، نفر كثير من الشباب الذين تدربوا عـلى

---

(١) اقرأ بعد هذا تقريره الذي رفعه الى رئيس لجنة فلسطين بتاريخ ٢٣ آذار ١٩٤٨

القتال في صفوف الجيش البريطاني(١)

وقالوا انهم على استعداد للنضال والذود عن حياض الوطن المهدد وتدريب المناضلين على القتال . كما دربوا هم عليه في صفوف الجيش البريطاني من قبل . ولكنهم رفضوا بجفاء . وقيل لهم بصراحة ان الهيئة العربية تعتبرهم خونة مارقين !.

كذا قيل عن البوليس الاضافي العربي الذي كان يعمل في مختلف انحاء فلسطين عند صدور قرار التقسيم وقد نافوا على العشرين الفاً . وكانوا مدربين .

وكان في البلاد زهاء عشرة الاف شاب انخرطوا في منظمة اسموها (النجادة) وكان هؤلاء من خيرة الشبان. ولقد تدربوا تدريباً حسناً وكان بالامكان ان يستفاد منهم ومن اجسامهم النضرة وعضلاتهم المفتولة ومن نشاطهم واخلاصهم. ولكن ... (الحزبية)!.. قاتلها الله ... بددت تلك المنظمة، وخلقت حيالها منظمة منافسة لها اسميت بـ (الفتوة)... وما عتمت المنظمتان ان توارتا عن الانظار ، ولما تفد البلاد منها ما كانت تتوقعه ...

العرب لم يستفيدوا من البولونيين

ذكرنا ، في الفصل المتقدم ، كيف ان العرب لم يستفيدوا من رجالهم العسكريين الذين تدربوا على القتال في (قوة الحدود) التي تم تسريحها. ونود هنا ان نذكر ، والشيء بالشيء يذكر ، كيف انهم لم يستفيدوا من خبرة البولونيين المدربين على القتال.

فقد حدثني صديق اثق بصدق حديثه هو المحامي السيد عمر الصالح البرغوش فقال : ان عدداً كبيراً من البولونيين غادروا بلادهم بولونيا اثر احتلال الروس لها ، وتغلغل النفوذ الشيوعي فيها (١٩٣٩) . فنزل فريق كبير منهم فلسطين ومصر وسائر انحاء هذا الجزء من الشرق ، وفريق آخر تشتت في انحاء اوربا . وقدر عدد الذين نزلوا الشرق من ضباط وجنود بخمسة وسبعين الفاً ، ورفض معظمهم العودة الى بلادهم بعد انتهاء الحرب الكونية الثانية (١٩٤٤) . وعرض هؤلاء خدماتهم على البلاد العربية لينخرطوا

---

(١) دعت الحكومة البريطانية عندما نشبت الحرب الكونية الثانية (٣٩ - ٤٢) أبناء فلسطين للانخراط في صفوف جيشها الذي كان يحارب الالمان في العلمين فتطوع للعمل ثلاثون الفاً من اليهود ولم يتطوع له من فلسطين «عرب فلسطين» الا قليل . ذلك لان الشعب العربي كان حاقدا على البريطانيين وكان يتمنى ان لو يتغلب الالمان عليهم لاعتقادهم بانهم « أي البريطانيين » أساس الشر الذي نزل بفلسطين . ومع ذلك فقد رضي بالتطوع ثلاثة عشر الفاً منهم لفقرهم والبعض الاخر لاعتقادهم ان ذلك انفع لهم ولبلادهم .

في جيوشها . ولما رفضوا . عرضوا انفسهم على اليهود . فوجدها هؤلاء فرصة سانحة ، واستخدموا عدداً كبيراً من ضباطهم وخبرائهم . الامر الذي كان له اثره في مصير القتال بفلسطين(١).

ومضى محدثي في حديثه فأكد لي انه رافق الجنرال اندروس البولوني في زيارة قام بها لنوري السعيد في شهر كانون الاول ١٩٤٤ عندما عرض عليه وعلى قنصل العراق في القدس شاكر الوادي ان يلتحق البولونيون المتقدم ذكرهم بالجيش العراقي كمدربين قائلا انهم على استعداد للتجنس بالجنسية العراقية. وكذلك فعل مع النقرشي في القاهرة، ومع المؤيد قنصل سوريا في القدس . ولكن موقف رجالات العرب كان سلبياً . حتى انهم لم يأبهوا لقوله عندما عرض عليهم ان يبيعهم ، اسلحة رجاله بأرخص ثمن(٢) ولما رفض طلبه ، اتلف معظم تلك الاسلحة ، والقى في اليم ما لم يستطع اتلافه . وكان بين الاسلحة التي أتلفت عشرة آلاف بندقية .

المتطوعون

●

في ٨ شباط سنة ١٩٤٨ بلغ عدد المتطوعين الذين تم تدريبهم في معسكر الجيش السوري بقطنا زهاء اربعة الاف وتسعمئة وستة وسبعين ينتمون الى الاقطار التالية (٣):

العدد	
٢٩٨٧	سوريون
٨٠٠	فلسطينيون
٨٠٠	عراقيون
٣٠٥	لبنانيون
٥٠	مصريون
٣٤	يوغوسلافيون
٤٩٧٦	

(١) اشترك عدد كبير من البولونيين مع اليهود في معارك النقب وباب الواد .

(٢) يؤكد محدثي انهم طلبوا خمسمئة جنيه ثمناً للدبابة ، ومئة جنيه ثمناً لآلة اللاسلكي

(٣) من تقرير رفعته اللجنة العسكرية الى الامانة بتاريخ ٨ - ٢ - ١٩٤٨ رقم ١١٨ - ٢٧ آ .

دخل فلسطين منهم حتى هذا التاريخ الفان وخمسمئة متطوع والباقون كانون تحت التدريب .

حي المونتفيوري

●

في ١٢ شباط ١٩٤٨ ، هاجم العرب حي المونتفيوري (يمين موشه) . وكان اليهود قد قتلوا عربياً عندما مر من هناك قبل يومين . ونسفوا عدداً من المباني العربيــة في حي الشاعة منها عمارة طنوس الكبيرة ... هاجموه من باب الخليل . وكان فريق منهم يطلق النار من ناحيتي النبي داود والثورى بقصد التغطية . واغلق فريق آخر طريــق ماملا بالسيارات والباصات خشية ان تأتي اليهود نجدات بريطانية من هذه الجهة . واشترك في هذا الهجوم فريقان ــ يقود احدهما حافظ عبــد الشكور بركات ابو الفيلات ، والثاني زكريا القضماني .

وقاوم اليهود مقاومة شديدة . وكان قائــد الحامية Uzi من رجال البالماخ ، في منتصف العقد الثالث من العمر . ولمــا رأوا تــدفق المدنيين (١) استنجدوا باخوانهم القاطنين في الاحياء الغربية . فأتتهم نجدات كبيرة . ولكنها صدت .

وتمكن العرب من اقتحام الحي ، ومن نسف بعض منازله . واخرجوا اليهود المقيمين في اطرافه . وكاد الحي كله يسقط لولا ان تدخل البريطانيون . وانذرهم قائدهم انهم اذا لم ينسحبوا في بحر نصف ساعة اضطر لاخراجهم بالقوة . فانسحبوا ، وكانوا يومئذ راغبين عن الاصطدام بالجند . لئلا يقاتلوا جيشين في آن واحد .

قتل في هذا الحادث ستة من العرب وجرح سبعة . واما خسائر اليهود فبلغت عشرين ـ بين قتيل وجريح . وقال المستر غريغس رئيس البلدية في ذلك الحين ان القتلى ستة عشر : اربعة عشر منهم عرب ، وواحد يهودي وواحد انكليزي . واما الجرحي من الطوائف الثلاث فاربعون .

واقام الانكليز ، اثر ذلك ، قوتين ــ واحدة في الحي نفسه ، واخرى عــلى سور المدينة تجاه النبي داود .

وفي ٢٣ آذار ، اقتحمه اثنان من رجال الجهاد المقدس هما ناجي مصطفى وعبــد

---

(١) فريق من هؤلاء جاء لينجد المجاهدين ، وآخرون جاءوا للاشتراك في الغنيمة .

القادر التونسي . والذي رسم خطة الهجوم عبد القادر الحسيني اقتحماه في سيارة كبيرة كانت تحمل الالغام . وكانت الساعة قد دقت السادسة مساء . جاءا من باب الخليل ، وسلكا الطريق الفرعية الموصلة للحي بين الشماعة وبركة السلطان . وفيما كانا يحاولان قطع الاسلاك الشائكة التي نصبها اليهود في مداخل الحي، كان رفاقهم المرابطون في المرتفعات المجاورة يحمونهم بنيران رشاشاتهم - بهجت ابو غربيه وصحبه من ناحية النبي داود ، وعادل شرف وفرحات وصحبهما من عمارة شاميه ، وحافظ بركات وصحبه من السور ، وابو حمدي بركات وصحبه من ناحية الثورى . وكان عدد الاسلحة المعدة للتغطية سبع برنات وبراوننغ واحد :

وما كاد اللغم الكبير (٢) الذي يحملانه يتفجر حتى هوى عـــدد كبير من المنازل ، وأعطبت جميع الطوابق العليا في الحي : وقتل عدد كبير من السكان : وجرح كثيرون : وكان الحي قبـــل ذلك ، غاصاً بالسكان . فاصبح بعد ذلك خاويا . اذ تهدمت معظم منازله . ومالم يتهدم اعطب ، واضحى في حالة لا تصلح للسكن .

ولم يعرف بعد لماذا لم يحتل المناضلون الحي . فقال قائـــل انه ما كانت لديهم قوة كافية لاحتلاله بشكل مستديم : وقال اخرون ان الجند اصروا على انسحاب المناضلين . وحدثني صلاح الحاج مير من رجال الحامية في ذلك الحين انهم ما كانوا يقصدون احتلال الحي ، وانما كانوا يقصدون النسف والارهاب ، انتقاما من اليهود الذين كثرت في تلك الايام اعتداءاتهم على طرق المواصلات العربية؛ ولا سيا عند مستعمرة النبي يعقوب علي طريق القدس - رام الله .

ولقد عاد اليهود فحصنوا هذا الحي ووطدوا اقدامهم فيه . وما كان في مصلحتهم ان يفعلوا غير ما فعلوا ، اذ انه قائم على نشز من الارض مسيطر على طرق المواصلات بين باب الخليل والنبي داوود ومحطة السكة الحديدية لبيت لحم فمن استولى عليه استطاع ان يسيطر على المدينة من تلك الناحية وقطع كل اتصال بينها وبين اجزائها الجنوبية :

وعلى ذكر هذا الحي نقول :

يسميه اليهود (يمين موشه) . ومن اسمائه (مونتفيوري) نسبة الى منشئه السرموسى مونتفيوري ، من عيون الجالية اليهودية في انكلترا ، الذي زار القدس سنة ١٨٤٩ اثر

---

(١) كان هذا من النوع المعروف : « ت • ن • ث » وزنه نصف طن . صنعه فوزي القطب قائد فرقة التدمير .

المجاعة التي المت بها . ثم عاد فزارها مرة اخرى في تموز ١٨٥٥ حاملا فرمانا من السلطان يأذن له بالقيام ببعض المشاريع ، منها بناء هذا الحي . الامر الذي اغضب المسلمين من سكان المدينة . وقد رفض هؤلاء الدعوة التي وجهها اليهم يومئذ المتصرف ليقرأ عليهم فرمان السلطان ، متظاهرين انهم مضطرون للذهاب الى المسجد للصلاة . وتمكن موسى مونتفيوري من اتمـــام مشروعه في حماية السلطة وحرابها . وقد تم ذلك وبنى الحي في ١٨٦٢ للميلاد .

مناضلو جبل الخليل يهاجمون قافلة كفار عصيون

●

في ١٣ شباط ١٩٤٨ هاجم عدد من المناضلين من سكان جبل الخليل قافلة يهوديـــة كانت آتية من كفار عصيون ومتجهة صوب القدس . فاحرقوا سيارتين من سياراتها ، وقتلوا اثنين من ركابهـــا . وجرحوا اثنـــين آخرين . ولولا وصول كوكبة من الجند البريطانيين لقضوا على البقية الباقية من رجال القافلة(١) .

معركة الزراعة

●

وقعت هذه المعركة في اليوم السادس عشر من شهر شباط ١٩٤٨ : وقعت بين اليهود وفوج اليرموك من جيش الانقاذ : واليك ما عرفناه عنها .

قلنا في موضع آخر من الكتاب (٢) ان فوج اليرموك الاول من افواج جيش الانقاذ اجتاز حدود فلسطين في ٢٠ كانون الثاني ١٩٤٨ : وان هذا الفوج كان مؤلفاً من ٦٣٠ مقاتلا مزودين بستمئة واربع عشرة بندقية واربعة من مدافع الهاون وبعض القنابل اليدوية وكان الفوج مؤلفاً من ثلاث سرايا .

واما القائد المسؤول عن الفوج كله فكان المقدم محمد صفا وهو سوري :

كان اول عمل قام به فوج اليرموك الاول هذا ان هاجم مستعمرة (الزراعة) :

انها مستعمرة كبيرة : فيها محطة لتوليد الكهرباء ، وماكنة لاستخراج الماء ، وبرك واسعة لتربية السمك : وهي من المستعمرات الزراعية الهامـــة التابعة لقضـــاء بيسان ، والقريبة من الحدود السورية ،

---

(١) اقرأ بعد هذا ما اصاب قافلة كفار عصيون في ٢٧ آذار ١٩٤٨

(٢) اقرأ ما كتبناه عن فوج اليرموك الاول في ٢٠ كانون الثاني ١٩٤٨

كانت الأرض التي بنيت عليها هذه المستعمرة اليهودية ، في الاصل ، ملكاً ليوسف العرسان واخوته من عرب الصقر . اشتراها منهم موسى فيضي العلمي وأنشأ فيها مزرعة ثم باعها لرجل مسيحي يدعى (جوزيف فاكياني) من الشام . وهذا باعها بعد قليل الى اليهود فبنوا عليها مستعمرة هي التي عرفت بعدئذ بـ (الزراعة) .

بدأ الزحف صوب المستعمرة في اليوم الخامس عشر من شباط (فبراير) ١٩٤٨ . وما كادت الساعة تدق الثالثة من صباح اليوم التالي (١٦) شباط حتى كان المجاهدون قد طوقوها من ثلاث جهات ، ووقفوا على ابوابها يبغون احتلالها ولكنهم ما عتموا ان ادركوا ان احتلالها يكاد يكون مستحيلا .

اذ كان اليهود قد حصونها تحصيناً متيناً . فاحاطوها بالخنادق والابراج والاسلاك الشائكة . ليس هذا فحسب ، بل سلطوا المياه على اراضيها. وغمروها بالماء حتى اصبحت مستنقعاً يكاد يكون من المستحيل اجتيازه الا بالدبابات . وكانت هذه مفقودة . اضف الى ذلك ان المطر كان ينهمر بشدة ، ولم ينقطع تهطاله طوال فترة القتال . وكان الظلام دامساً . وكان الجنود يجهلون بالمرة طبيعة الارض هناك وقدرة السكان على القتال ولم يكونوا مدربين ، وقد سيقوا الى الميدان قبل ان يكونوا قد اتموا تدريبهم . وكان عتادهم قليلا . فلم يكن بيد المقاتل الواحد اكثر من مئتي طلقة وقنبلتين يدويتين ، وفي كل رشاش اكثر من اربعمئة طلقة .

ومع هذا فقد صدرت الاوامر بالزحف ، وراح المجاهدون في تمام الساعة الرابعة يزحفون . وكان في مقدمتهم اربعة من المغاوير ، يحملون اربعة صناديق مليئة بالالغام وقد اموا برج المراقبة . فاصلاهم اليهود ناراً حامية من مدافعهم الرشاشة . ولما وصلوا الى السلك الشائك الذي يحيط بالمستعمرة فتحوا ثغرة فيه . وبعد قليل اعترضهم خندق طافح بالماء ، فاجتازوه ، وتمكن احدهم من الوصول الى البرج الرئيسي فزرع لغماً . واشعل الفتيل ، ولكنه لم يشتعل بسبب المطر . وهكذا خاب امله . وكذا كان مصير الفتيل الثاني . ولما لم ينجح في مهمته عاد الى الخندق وكانت الساعة قد دقت الخامسة والنصف ، وكان الفجر قد لاح .

عند ئذ تقدم المشاة يقودهم الملازم غسان وتبعه البدو الحجازيون يقودهم الملازم سعدون . وراحت السرية الثالثة وفيها عدد من المتطوعين المصريين تحمي ظهور المتقدمين من ناحية التل المجاور . تحميها بنار حامية من مدافع الهاون فهدم عدد من منازل اليهود وقتل عدد من رجالهم . وانهال برج الكشاف على من فيه . ولكن المشاة لم يستطيعوا التقدم الا قليلا بسبب المطر الذي لا يزال في تهطال مستمر . وكانت المياه (مياه الامطار

ومياه المستعمرة المتدفقة) قد غزت السهل كله ... الكائن حول المستعمرة . وغاص المجاهدون وان شئت فقل معظمهم في الطين حتى الركب فصدر الامر بالانسحاب . وتولى حماية المنسحبين من ناحية التل فئة من السريه الثانية يقودها الملازم عبد العزيز حمدي . وعندما انسحب المجاهدون كانت الساعة تدق الثامنة والنصف .

وعد المجاهدون شهدائهم فكانوا ثمانية وثلاثين . أما جرحاهم فكثيرون . واما اليهود فلا نعرف عدد قتلاهم وان قال المناضلون الذين كتبت لهم الحياة في هذه المعركة انهم (اي قتلي اليهود) جاوزا المئة . وفي قول مئة وثمانون وبلغ جرحاهم سبعة وثلاثين .

وهكذا انتهت معركة الزراعة بالفشل . وما كانت لتفشل لولا الاسباب التي تقدم ذكرها ومهما كان الامر فقد كان لهذا الفشل اسوأ الاثر ،لانها المعركة الاولى التي يخوض غمارها المتطوعون وقد حطمت معنوياتهم

ويقول الرئيس محمد صفا قائد الفوج الذي خاض المعركة في تبرير موقفه انه اراد ان يبرهن للقادة العليا وللجنة العسكرية في دمشق انه من الصعب كسب الحرب بجنود غير مدربين كهؤلاء الجنود ، ولا مزودين بالسلاح الكافي ؛ والعتاد الذي لا بد منه .

ضحايا القتال وتقرير اللجنة الخماسية

في ١٦ شباط ١٩٤٨ بلغ عدد الضحايا في فلسطين منذ صدور قرار التقسيم ٨٦٩ قتلى و٢٠٠٠ جرحى (١) ، بعضهم عرب ، وبعضهم يهود والبعض الاخر بريطانيون .

ونشر التقرير الذي رفعته (اللجنة الخماسية (٢)) لمجلس الامن ، وقد جاء فيه انه لا مناص من تاليف قوة دولية تتولى فرض التقسيم في فلسطين ، على ان تكون هذه ـ من حيث العدد ـ قادرة على التنفيذ ، وان تنتخب من غير الفلسطينيين ، وقالت انها لا تستطيع تنفيذ التقسيم بغير سند مادي من الامم المتحدة ، واذا لم تقم قوة دولية مقام الجنود البريطانيين عند جلائهم عن فلسطين في ١٥ ايار ، فستواجه هيئة الامم فترة من الفوضى وسفك الدماء فيها ، ولن يسلم من ذلك مدينة القدس نفسها ؛ ومما قالته ان فشل الامم المتحدة في حل القضية الفلسطينيه سيكون سابقة خطرة ومضرة بسمعة الامم المتحدة وقالت ان الهيئة العربية العليا بفلسطين تقوم بمجهود محكم لتحدي قرار التقسيم ،

---

(١) هذا ما قاله ممثل بريطانيا لهيئه الامم المجتمعة في ليك سكسس :

(٢) انظر ما ذكرناه عن هذه اللجنة في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ ، وفي ٢١ كانون الثاني ١٩٤٨

واستبداله ـ بالقوة ـ بتسوية تتلاءم ومصلحة العرب ، وان الحكومات العربية تناصر الهيئة المذكورة في مساعيها .

ولكن ، لا مجلس الامن ، ولا الجمعية العمومية لهيئة الامم ، وافقت على تواصي هذه اللجنه ، تلك التواصي التي تتلخص بفرض التقسيم بالقوة ، وقال الناس ان الغرب يخشى ان تضع روسيا السوفياتية اصبعها في الامر اذا ما فرضت القوة ،وبهذا يتسع المجال في الشرق لانتشار الشيوعية ، وهذا ما حدا به الى الاحجام عن اتباع هذه الخطوة .

ورفضت بريطانيا السماح للجنة الخماسية بالمجيء الى فلسطين الا عندما ينتهي الانتداب او قبل ذلك بمدة وجيزة ، انها فعلت ذلك بوصفها المسؤولة عن الامن والنظام حتى ١٥ ايار ١٩٤٨ .

مسألة القيادة العامة

●

قررت اللجنة السياسية التابعة لمجلس الجامعة العربية في جلستها المنعقدة بتاريخ ١٦ شباط ١٩٤٨ تعيين امير اللواء الركن اسماعيل صفوة باشا العراقي قائداً عاماً ، على ان يرجع في اعماله الى لجنة اسمتها (لجنة فلسطين) : وقد ألفت هذه اللجنة من :

١ـ عبد الرحمن عزام باشا (او من ينوب عنه) رئيساً
٢ـ امير اللواء المتقاعد نظيف الشاوي عن العراق عضواً
٣ـ جميل مردم رئيس وزراء سوريا عن سوريا عضواً
٤ـ رياض الصلح رئيس وزراء لبنان عن لبنان عضواً
٥ـ امير اللواء عبد القادر باشا الجندي عن الاردن عضواً
٦ـ خير الدين الزركلي عن المملكة العربية السعودية عضواً
٧ـ الحاج امين الحسيني عن عرب فلسطين عضواً
٨ـ العميد الركن طه باشا الهاشمي خبيراً عسكرياً

وثبت بعد قليل ان تعيين القيادة العامة على هذا الشكل لا يحقق الغاية التي ترمي اليها وانه يترتب ان يكون للقيادة الحرية التامة في اصدار الاوامر للجيوش وضمان تنفيذ تلك الاوامر بحذافيرها ، ولهذا استقال اسماعيل صفوة من القيادة العامة (١) وإعيد النظر في

(١) حدثني اسماعيل صفوه باشا عن اسباب استقالته فقال . كانت شؤون القيادة فوضى لا سائس لها ولا زاجر . وكانت قراراتها عرضة للتغيير ، ما يقررونه اليوم يعدلون عنه غداً ، وكان الملك عبد الله اكثر الناس تدخلا في شؤون اللجنة ، ياتي من بعده عبد الرحمن عزام ، مع انه ليس بعسكري

هذه المسألة بعد قليل ، وعهد بالقيادة الى امير اللواء الركن نورالدين محمود قائدالقوات العراقية . وقد تم ذلك بموافقة اللجنة السياسية . وسنذكر ذلـك عند ذكرنا للمؤتمر العسكري الذي انعقد بعمان في ٣٠ نيسان ١٩٤٨ .

وحدثت بعد ذلك ، وقبل دخول الجيوش العربية ، تطورات ادت الى اسنادمنصب القيادة العامة الى الملك عبد الله . على ان يتولى ادارة الحركات بالنيابة عنه ، امير اللواء الركن نور الدين محمود وقد تم ذلك بناءعلى طلب الملك نفسه (١) .

ومع ذلك فقد جاء في التقرير الذي وضعته لجنة التحقيق النيابية العراقية ان الجيشين المصري والاردني ، لم يكترثا لاوامر وكيل القائد العام .وبعد ان كانت الجيوش الاخرى السورية واللبنانية والعراقية ، تعمل باوامر القيادة العامة ، راح كل جيش من هـذه الجيوش ايضاً يتلقى اوامره من مرجعه الاعلى في بلاده .

حدثني نور الدين محمود باشا فقال : « اسندت الي قيادة الجيوش العربيـة بصورة شفوية من عبد الرحمن عزام الامين العام للجامعة . وكان ذلك في ١٢ ايار . كنت قائداً عاماً ، ولم اكن وكيلا للقائد العام . ولما رأيت ان القيادة اسميـة لا فعلية وان الامور فوضى قدمت استقالتي ، وكان ذلك في ٦ حزيران ١٩٤٨ ، وعدت لتولي قيادة الجيش العراقي فقط (٢) :

---

(١) ان تسليم القيادة العامة للملك عبد الله لـم يكن في مصلحة العرب ذلك لانـه (اي الملك عبد الله) كان راضخاً لمشيئة رئيس اركان جيشه غلوب باشا ، وكان هذا انكليزياً ، يعمل لمصلحة قومه وبلاده اكثر مما يعمل لمصلحة الاردن او اي بلد من البلاد العربية : وكانت ارادته هي العليا . ذلك لان سلاح الجيش العربي الاردني ، وذخيرته ، وقادته ، ومعظم رجالة الذين كانوا يديرونه انكليز ليس هذا فحسب . بل ان المال الذي ينفق على هذا الجيش ، وعلى معظم مصالح الحكومة الاردنية كان من الخزانة البريطانية . وكان الملك عبد الله يقول لنا كلما رجوناه ان يعهد برياسة اركانه من احد المخلصين من بني قومه : « لا استطيع ان اغير سرج حصاني في وسط المعمعة » وفي الوقت الذي كان غلوب باشا يحرك فيه الجيش العربي الاردني كما يشاء ، كان البريجادير كلايتون Clayton – وهو من كبار موظفي السفارة البريطانية في القاهرة – يرافق رجال الحكم في الاردن اينما حلوا وحيثما ساروا . ولقد حضر هذا معظم المؤتمرات العربية ولا سيما موءتمر زهراء انشاص (٢٨ ايار ١٩٤٦) وبلودان « ٨ حزيران ١٩٤٦ » وعالية « ٧ تشرين الاول ١٩٤٧ » :

(٢) ولد في الموصل عام ١٨٩٩ من ابوين عراقيين . اتم دراسته الابتدائية في العراق والعسكرية في استانبول ١٩١٦ اشترك في الحرب الكونية الاولى (١٩١٦) فأسر ، وعاش في معتقل للاسرى في الهند الى ان وضعت الحرب اوزارها ١٩١٨ . فعاد الى العراق ، وتدرج في مراتب الجيش الى ان اصبح عميداً ركنا . تخرج من كلية الاركان ١٩٢٩ . واتم دراسته في كلية الاركان بانكلترا (كمبرني ولما عاد الى بـلاده انتدب للتدريس في كليـة الاركان (١٩٣٣) وعين بعـدئذ آمراً لهـذه

كانت (الزرقاء) مقر القيادة العامة . وكان مع القائد العام ثلاثة من الضباط الاركان هم : العقيد محمود الهندي (سوري) وكان هذا رئيساً لهيأة الارتباط مع الجيش السوري والزعيم سعد الدين صبور (مصري) وكان هذا رئيساً لهيئأة الارتباط مع الجيش المصري، واسماعيل صفوة باشا (عراقي) وكان هذا ضابط الركن الاول في القيادة .

والغريب في الامر ان الجيش العربي الاردني (وان شئت فقل قادته) كانوا اكثر الناس ابتعاداً عن التعاون . فقد جاء في التقرير الذي رفعه اسماعيل صفوة باشا الى وزير الدفاع بتاريخ ١٦ تشرين الثاني ١٩٤٨ قوله : « ان القيادة الاردنية ما كانت تنصاع لاوامر القيادة العامة . بل انها كانت مستقلة في حركاتها ، وغامضة في مقاصدها . وماكنا لنعتمد الاعتماد كله على الجيش العربي الاردني ، وعلى تعاونه مع الجيش العراقي لا ، بل كنا نخشى ان تقوم القيادة الاردنية بحركة تؤثر على موقف الجيش العراقي تأثيراً سيئاً » .

ولقد اعيد البحث في موضوع القيادة العامة في القاهرة في شهر تموز سنة ٩٤٨ ١ فاقترح ان تتولى مصر هذه المهمة . الا ان مصر رفضت ذلك رفضاً باتاً . كما رفضت ان تضع جيشها تحت قيادة اية دولة عربية اخرى (١) .

ففكر عندئذ العراقيون والاردنيون في توحيد قيادة الجيشين العراقي والاردني . واتفق الفريقان على تسليم هذه القيادة الى قائد عراقي. كما اتفقا على ان يتولى قيادة الجيش الاردني أيضاً قائد عراقي . وصدر ببغداد امر ملكي (تاريخه ٢٢ ايلول ١٩٤٨ ورقمه ٦٠٤)

الكلية (١٩٤٤) . وتولى قيادة الفرقة الاولى ١٩٤٥ واشترك في اخماد عددمن الثورات الداخلية كحركات بارزان والاشوريين وفي عام ١٩٤٨ ارسل الى فلسطين برتبة امير اللواء ليتولى قيادة القطعات العراقية (٥ ايار – ١٩٤٨، وفي ١٤ ايار تولى قيادة الجيوش العربية كلها، وقد ترفع الى رتبة فريق . واستقال من تلك القيادة في ٦ حزيران حيث عاد لتولى قيادة القطعات العراقية المرابطة في فلسطين ولما انسحبت تلك القطعات من فلسطين وعادت الى العراق (١٩٤٩) تولى ثانية قيادة الفرقة الاولى ثم انتدب رئيسا لاركان الجيش ١٩٥١ : وعندما قامت مظاهرات ضد الوضع الحاضر في العراق واضطرب الامن عهد اليه (٢٣ تشرين الثاني ١٩٥٢) بتاليف الوزارة ، فالفها ، وكان يقوم في الوقت نفسه باعمال وزارتي الدفاع والداخلية .

(١) حدثني العميد الركن صالح باشا صائب الجبوري الذي كان رئيساً لاركان الجيش العراقي في اثناء القتال – عندمازرته مستطلعاً رأيه في موقف الجيش العراقي من القتال، وكان ذلك في ١٤–١٢–١٩٥٣ فقال : انه عرض على المصريين ومعارك النقب الثانية قائمة بينهم وبين اسرائيل في جنوب فلسطين ان نضع الجيش العراقي تحت تصرف المصريين على ان يقوده واحد منهم (اي من المصريين) . الا ان المصريين رفضوا ذلك. وقال لي محدثي انه تقدم بعرضه هذا الى القائد المصري المعروف جبور بك. وكان ذلك في الزرقاء وفي الاسبوع الاخير من شهر كانون الاول ١٩٤٨

يقضي بان يتولى الفريق الركن صالح صائب الجبوري رئيس اركان العراق القيادة العامة للجيوش العراقية المرابطة بفلسطين وشرق الاردن ، هذا بالاضافة الى منصبه الاصلي وسافر الجبوري الى الزرقاء في ٢٦ ايلول ١٩٤٨ ولكن لم تصدر ارادة كهذه في عمان . ولم يتحقق الاتفاق (١) ؛

وهكذا انتفى النفع الذي كان متوقعاً من وجود قيادة عامة . ولقد ادى هذا الوضع الى اسوأ النتائج (٢) واذا كنت في حاجة للمزيد من المعلومات في هـــذا الباب فاقرأ الصفحات ١٩٠ –١٩٣ من التقرير الذي ذكرناه في غير هذا الموضع والذي رفعته لجنة التحقيق النيابية الى البرلمان العراقي بتاريخ ٤ ايلول ١٩٤٩ .

---

(١) قرأت في مذكرات محسن البرازي وزير خارجية سوريا ، تلك المذكرات التي نشرت بعد وفاته في العدد ٢٠٧٤ من جريدة « الحياة » البيروتية بتاريخ ١٠ شباط ١٩٥٣ ، انه تم الاتفاق ، من وقت ما «؟» على تسليم قيادة الجيوش العراقية والاردنية الى قائد عراقي ، قد انتخب مصطفى راغب قائداً ، ذلك لان الملك عبد الله أصبح يكره نور الدين محمود ». ولكن يظهر ان هذا الاتفاق ايضاً لم ينفذ .

(٢) اقرأ بعد هذا ما كتبته عن فوضى القيادات المحلية في ١١ آذار ١٩٤٨

معركة صور باهر (١)

●

في ١٧ شباط ١٩٤٨: اقتتل الفريقان عند مدخل الحي اليهودي بالبلدة القديمة. فقتل عربي، وجرح اخر. كما جرح عدد من اليهود واربعة من الجنود عندما تدخلوا في الامر ليحولوا دون توسع الحرق. واخر تدخل الجند بالعرب، اذ تمكن اليهود من نسف منزل من منازل آل نمر. وراحوا يطلقون الرصاص على ساحة الحرم، فازعجوا المصلين.

وبدا للناس، بعدئذ؛ ان اليهود كانوا يهدفون من وراء حركاتهم بالبلدة القديمة الى تغطية الهجوم الذي كانوا قد اعتزموا شنه على القطاع الجنوبي. اذ هاجموا قرية صورباهر هاجموها من نواحيها الثلاث: من الشمال (تل بيوت) والجنوب (رامات راحيل) والغرب (ميكورحايم) فحرقوا مطحنة فيضي اخوان، وقتلوا حارسها، ونسفوا منزلاً من منازل العرب في اطراف القرية. وقدرت يومئذ خسارة المطحنه وحدها بستين الف جنيه.

وراح العرب يعنون بصور باهرا كثر من عنايتهم من قبل. فحصنوها ذلك لانها ذات موقع استرتيجي هام. وهي واقعة بين القدس وبيت لحم ولهذا ارسلوا اليها عدداً آخر من المناضلين وانضم اليهم بعد قليل جماعة من الاخوان المسلمين الاردنيين يقودهم (عبد اللطيف ابو قوزة) رئيس الاخوان في عمان. وعندما حل في قطاع بيت لحم الاخوان المسلمون المصريون يقودهم احمد عبد العزيز انتدب احد ضباطه اليوزباشي (محمود عبده) للدفاع عنها ثم خلفه في قيادة حاميتها الملازم الاول (خالد فوزى) من الاخوان المسلمين المصريين. وهو الذى صد اليهود عنها، واخرجهم من المرتفع المطل عليها والمعروف بـ (تبة اليمن) عندما هاجمها اليهود عنها في ١٩ تشرين الاول. كما سنذكر ذلك في حينه.

---

(١) قرية عربية واقعة جنوبي القدس، وتكاد تعتبر حياً من احيائها. فيها ٢٤٥٠ نسمة من السكان كلهم عرب مسلمون. ومساحة اراضيها ٩٤٧١ دونماً ليس لليهود منها سوى ٥٤٠ دونماً. ولكنها محاطة من الشمال والجنوب والغرب بثلاث من المستعمرات اليهودية.

شارع بن يهودا

●

في ٢٢ شباط ١٩٤٨ (الساعة السادسة والدقيقة الخامسة والعشرين صباحاً) نسفت شارع بن يهودا بأمر من عبد القادر الحسيني قائد فرق الجهاد المقدس ، وهو الذي صنع الالغام وأشرك معه في صنعها فوزي القطب قائد فرقة التدمير العربية وقام بالتنفيذ عرب(١) وانكليز (٢) ولو لا هؤلاء ما استطاع العرب اجتياز المخافر القائمة على الحدود .

وصل الفاعلون الى مكان الحادث في ثلاث سيارات كبيرة من نوع دودج تحمل كل منها طنا من المتفجرات (٣) . يتقدمهم مصفحة (٤) سرقوها من كاراج البوليس بيافا . وكانوا يرتدون الملابس العسكرية ، جاءوا الى القدس عن طريق رام الله – بيت عور باب الواد .

---

(١) احدهم عزمي بن عارف الجاعوني ، من شباب بيت المقدس وهو من رفاق عبد القادر المخلصين اشترك في حركة النضال ، وكان قائداً لفرقة التدمير في القطاع الجنوبي . والثاني محمود السمان .

(٢) ادى براون Edie Brown بترمارسن Peter Marsdon طومي Tomy وايت White اسطفان Stephan الاربعة الاخرون من رجال البوليس الفلسطيني . هربوا من خدمة الحكومة والتحقوا بالمناضلين . واما الاول فقد ذكرنا عنه بعض الشيء في حادث نسف هاسوليل بتاريخ ١ شباط ١٩٤٨ وكذلك قل عن الاخرين وعن امثالهم من البريطانيين الذين عادوا اليهود بسبب اعتداءات اليهود المتكررة على اخوانهم ، وعلى دور الحكومة ومراكز البوليس . ومنهم من التحق بالعرب لا حباً بسواد عيونهم ، وانما ليزيد النار ضراما .

(٣) انها من النوع المرتبط بفتيل يشتعل في دقيقتين .

(٤) ضبطت هذه المصفحة بعد حادث النسف هذا بمدة وجيزة عند مستعمرة (النبي يعقوب) على طريق القدس – رام الله . وكان فيها ثلاثة من رجال البوليس الانكليزي الفارين من الخدمة (غير اولئك الذين اشتركوا في حادث النسف) وكان هؤلاء يقاتلون اليهود في صفوف العرب . ولما اعتقلتهم الحكومة حاول عبد القادر الحسيني انقاذهم ، الا انه لم ينجح في اختطافهم . ذلك لان الحكومة اقلتهم في الحال الى حيفا وهناك سيقوا الى المحاكمة امام محكمة عسكرية اجتمعت على ظهر المدمرة البريطانية (او شن فيغور) . وكان منتظرا ان يعاقبوا عقابا شديدا لولا ان عبد القادر ارسل كتاباً الى المحكمة قال فيه انه هو الذى احتجزهم في مقر قيادته عندما اشتبه بهم وظن انهم عملاء لليهود وانه عاد فاطلق سراحهم عند ما تبين له انهم ابرياء . وانه اعطاهم المصفحة التي ضبطت ليرجعوا بها الى مراكز عملهم . وتلقت المحكمة في الوقت نفسه ، كتابا من البوليس بترمارسن اعترف فيه انه هو الذي سرق المصفحة من يافا . فادانتهم المحكمة وحكمت عليهم بمدد مختلفه . ولم تكن قاسية وامروا بمغادرة فلسطين .

فتحطمت معظم العمارات اليهودية . ذلك لانه (اي الشارع) واقع في قلب المنطقة اليهودية من المدينة . ودب الرعب في السكان .وقدرت الخسائر بالممتلكات بما لا يقل عن مليونين من الجنيهات . وقتل وجرح خلق كثير .

جاء في البيان الحكومي ان القتلى ٤٩ والجرحى ١٣٢ ، وقال اليهود ان القتلى ٧٤ والجرحى ٢٠٠ وزعم العرب أن عدد القتلى ينوف على المئتين وقدروا عدد الجرحى بالف هذا أثر وقوع الحادث وقبل رفع الانقاض ، وأما بعد ذلك فقد ظلت الارقام مكتومة الا عن السلطات اليهودية .

ومن العمارات الضخمة التى تشعثت ، من جراء هذا الحادث ، فندق الاتلانتيك (١) وفندق امدروسكي ودار الهستدروت (٢) ، وبناية فلنشك وبنك التسليف وعدد غير قليل من العمارات الكائنة في شارعي يافا والملك جورج .

وجاءت الى مكان الحادث فرقة من المهندسين التابعة للجيش البريطاني كي تساعد اليهود في رفع الانقاض وانتشال جثث القتلى . الا ان اليهود رفضوا السماح لهذه الفرقة بالعمل ، فانصرفت من حيث أتت .

وقال قائل من اليهود ان للانكليز يداً في هذا الحادث وفي بعض الحوادث التي سبقته ، فثار ثائر اليهود ، وراحوا يطلقون النار عليهم حيثما وجدوهم ، ولقد قتلوا في ذلك اليوم عدداً غير قليل من جنودهم ، وجرحوا أيضاً كثيرين ، ولم يقف الجيش بطبيعة الحال ،جامداًحيال هذه الحركات فراح الفريقان يقتتلان حيثما التقيا . في شارع رحافيا وروميا ، ومياشورم ،وفي كل مكان .

واصدرت قيادة الهاغاناه بياناً اعتبرت فيه الجنود البريطانيين اعداء للشعب اليهودي ونزح رجال البوليس البريطاني عن مراكزهم في الاحياء اليهودية .

ليس هذا فحسب ، بل حاول اليهود ، بعد ذلك بأسبوع، الاعتداء على قائدالقوات البريطانية بفلسطين ، الجنرال ماكميلان . فنسفوا سيارته عندما كانت تجتاز طريق القدس يافا ، وفيما كان اللغمان الكهربائيان اللذان وضعوهما على الطريق يشتعلان ، كان اليهود الكامنون في مكان ما ، على مقربة من الطريق ، يطلقون النار على السيارة فاخترقتها ؛ ولكن القائد لم يكن فيها .

---

(١) كان فيه ٢٧٤ اميركيا بينهم عدد من الكتاب والموظفين التابعين للجنة التقسيم .وكان هؤلاء قد وصلوا الى القدس ونزلوا فيه خفية قبل حادث النسف ببضعة أيام . فقتل وجرح منهم خلق كثير .

(٢) كانت هذه الدارمقرا لقيادة الهاغانا يومئذ .

خروج فلسطين من منطقة الاسترليني وتجميد اموالها

●

وفي ٢٢ شباط ١٩٤٨ أصدرت حكومة فلسطين بياناً رسمياً جاء فيه أن فلسطين خرجت ، اعتباراً من ذلك اليوم ، من نطاق الاسترليني ، واضافت الى ذلك قولها انها احتفظت في لندن بمئة مليون جنيه استرليني ، وذلك من الرصيد الذي تملكه فلسطين . وافتتحت في بنك انكلترا حساباً مجمداً ، لايصرف منه شيء الا بموافقة البنك ووفقاً للشروط التي يتم الاتفاق عليها فيما بعد بين بريطانيا والجهات المختصة بفلسطين وبعد استقرار الامور فيها . ويشتمل هذا المبلغ على أموال تخص مجلس النقد الفلسطيني وأموال فلسطينية مودعة فى بنوك انكلترا وأسهم وسندات بريطانية يملكها أشخاص مقيمون في فلسطين ، فامتعض الفريقان (العرب واليهود) لهذا البيان ، وكان امتعاض اليهود أشد وأعظم ، لأن لهم في البنوك أكثر مما للعرب ، وود العرب أن لو تعطى اليهم حصتهم ، ليشتروا بها السلاح ، فانهم في حاجة اليه ، ذلك لأن الوضع الحربي في البلاد ما زال قائماً ، ولا سيما في القدس ... عاصمة البلاد ، وقلبها الخفاق .

ولئن كان للانكليز بعض العذر في تجميد الاموال والاسهم التي يملكها أبناء فلسطين في خزائنهم ، فليس ثمة أي عذر للمجلس الاسلامي الاعلى في احجامه عن صرف المبالغ المتجمعة في خزائنه من أجل استغلال مرافق البلاد وتقوية المعاهد والمنظمات القومية والدينية ، ولا سيما ذلك المبلغ الذي تسلمه من الحكومة قبل بضعة أيام (١٨ شباط) وقدره ثلاثمئة الف جنيه فلسطيني ، تسديداً لحصة الوقف من ضريبة العشر عن السنوات السبع المنصرمة ، فقد أذاع المجلس انه ينوي ان ينفق ذلك المبلغ في سبيل تعمير المساجد ومنها قبة الصخرة وقبة السلسلة وانشاء دار جديدة لايتام المسلمين .

فسر لهذا النبأ قوم . وامتعض آخرون ، وود هؤلاء لو ان الله يلهم رجال هذا المجلس ان ينفقوا ما لديهم من مال ـ او بعضه على الاقل ـ من اجل تقوية المعاهد والمنظمات القومية والدينية ، فتنقذ البلاد ، وبانقاذها يدرأ الخطر عن قبة الصخرة والقباب الاخرى والمساجد الكائنة في البلاد ، والا فأن المدينة التي تضم جميع هذه المعاهد والمساجد تصبح مهددة بالفناء اذا ما قصر العرب والمسلمون في الزود عنها .

فاضل عبد الله يتولى حامية القدس

●

في ٢٥ شباط ١٩٤٨ طلبت اللجنة العسكرية بدمشق من فوزي القاوقجي الذي عينته قائداً لقوات الانقاذ أن يرسل الى القدس سرية من سرايا فوج الحسين يقودها الملازم الاول فاضل عبد الله العراقي ، لتتولى هي حماية المدينة ، ويتولى هو قيادة الحامية ، وهبط هذا البلاد ، فحط رحله في بيت جالا الى الجنوب من المدينة . ولكنه لم يدخل المدينة ، ومضى اسبوعان وهو هناك ، معتذراً بفقدان المحل المناسب (؟) لسكنى السرية ، ولم يدخلها الا بعد اليوم الواحد والعشرين من شهر آذار ١٩٤٨ ، فاتخذ (الروضة) الى الشمال من الحرم مقراً له ، وقد أمرته اللجنة بالتعاون مع احمد حلمي باشا والدكتور حسين الخالدي وهما العضوان الوحيدان اللذان بقيا في القدس من أعضاء الهيئة العربية العليا .

وادي الجوز

●

وفي ساعة مبكرة من صبيحة اليوم السادس والعشرين من شهر شباط ١٩٤٨ قام اليهود بهجوم كبير على (وادي الجوز) ، فبدأوا زحفهم صوب هذا الحي من ناحية مستشفى الهداسا والجامعة العبرية ، وكان عددهم زهاء مئة وخمسين ، فاحتلوا الاكمة المعروفة بتل العفيفي ، ونسفوا منزلين من منازل العرب الكائنة هناك . أحدهما لنظيف عبده والثاني لابن عدنان الشامي وصمد لهم العرب ، وكان منهم هناك يومئذ سبعون مناضلا ، فقاتلوهم ، وظلوا يقاتلونهم الى ان دحروهم الى الوراء ، وكانت خسارة اليهود في تلك المعركة اثني عشر قتيلا و ثمانية عشر جريحاً ، وأما العرب فقد قتل منهم ثلاثة اطفال بقوا تحت الردم في احد المنزلين المتقدم ذكرهما ، ورغم ان النصر في هذه المعركة كان حليف سكانه فقد نزح معظمهم عن منازلهم بعد هذه المعركة ، ولم يبق منهم الا القليل ..

كان يقطن هذا الحي قبل نشوب القتال ، الفان وخمسماية نسمة ، كلهم عرب مسلمون وكان عدد رجال حاميته ، في باديء الامر ، عشرين ، ثم صعد هـذا العدد الى سبعين رئيسهم محمد عادل النجار ولما جرح هذا جاء عادل عبد اللطيف ، وكثيراً ما اشتبك هؤلاء مع الحامية اليهودية في الجامعه العبرية ومستشفى الهداسا في معارك ، كانت اشدها في ٢٨/١/٤٨ و ٢٢/٢/٤٨ و ٢٣/٢/٤٨ .

وراح الشبان الذين لم يرحلوا يحصنون مداخل الحي عندما أيقنوا أن اليهود قداتخذوا هاتين المؤسستين (الجامعة العبرية والمستشفى) المواجهتين لـه قلاعاً للهجوم . ولهذا لم يجدوا أية صعوبة في رد اليهود الى الوراء قبل أن يأتوا بأية حركة تذكر ، وذلك عندما حاولوا اقتحام الحي للمرة الثانية في أواسط شهر آذار سنة ١٩٤٨ .

ولم يحدث بين الفريقين أي حادث يذكر بعد ذلك التاريخ .

العرب يسيطرون على مداخل المدينة في الشرق والشمال

واليهود في الغرب والجنوب

●

كانت خطةالعرب ، في شهر آذار ، ترمي الى عرقلة وسائل النقل وخطوط المواصلات اليهودية ، والحيلولة دون وصول المياه والمؤن الى القدس ، وتتلخص هـذه الخطة في كلمات موجزة وهي : حصار القدس ، وأماتة اليهود من سكانها عطشاً وجوعاً .

وفي ١٠ آذار كان تطويقهم للمدينة محكما ، الى درجة انه لم يصل اليهود يومئذ ماء ولا طعام ، وكان المناضلون مرابطين على الطرق التي تربط المدينة بالخارج ، حتى ان المستر بولاق ، حاكم لواء القدس استنجد بي ـ بوصفي الحاكم الاداري لقطاع رام الله ـ فبعث الي رسولا يخبرني انه مسافر غداً الى انكلترا ، ويرجوني أن اتولى حمايته أثناء مروره بمنطقتي ـ رام الله وقراها ـ في طريقه الى مطار اللد ، فأرفقته بعدد من المجاهدين الذين رافقوه الطريق كلها من اللحظة التي دخل المنطقة فيها الى ان خرج منها .

ومن الحوادث التي حدثت يومئذ أن اليهود قطعوا عن الأحياء العربية المجاورة لهم جميع الاسلاك ، سواء في الاسلاك التلفونية او الكهربائية فانقطع التيار الكهربائي عن الاحيـاء العربية . ثم نسفوا منزلين من منازل القطمون هما لثريا البديري وعبد الله منى واستشهد من رجال الحـامية حسين الدخدري العراقي ، وقضى نحبه يومئذ محمود حسن رباح ، والقى البوليس القبض على ثلاثة مـن رجال البوليس البريطانيين الذين هربوا مـن خدمة الحكومة والتحقوا بالمناضلين العرب ، واستعاد المصفحة التي كانوا فيها . وقد سرقوها من مخزن البوليس يوم الهرب ، وقد استعملت هذه المصفحة في نسف شارع بن يهودا .

الارغون تنسف نادي الضباط البريطانيين

●

في ١ آذار ١٩٤٨ نسفت منظمة (ارغون تسفاي لئومي) (١) الارهابية اليهودية نادي الضباط البريطانيين في شارع الملك جورج بالقدس ، وقتل في هذا الحادث اثنا عشر بريطانياً من الجيش والبوليس . واذاعت المنظمة اثر وقوع هذا الحادث بياناً اعترفت فيه بانها هي التي فعلت ذلك انتقاماً لثلاثة من رجالها الذين حكمت عليهم المحكمة العسكريه في ١٠ شباط بالاعدام :

الانكليز يستنكرون الارهاب اليهودي

●

وفي ١ آذار ١٩٤٨ اصدرت حكومة فلسطين بلاغاً رسمياً رقمه ١٤٦ ، استنكرت فيه فظائع الارهابيين اليهود واعمالهم البربرية ، كما استهجنت موقف الوكالة اليهودية حيال هذه الاعمال . واعترفت بان هذه الهيئة الدولية ظلت سنوات تخالف قوانين فلسطين والبلدان الاخرى التي تعمل فيها وتسير على سياسة مدبرة . ولفتت نظر الشعب اليهودي الى ان استمرار الارهاب لن يؤدى الا الى فقدان هذا الشعب حقه في نظر العالم اجمع بان يعد شعبا متمديناً . وحظرت الحكومة في الوقت نفسه ، على جميع السفن التجارية البريطانية الاقتراب من ثغور فلسطين . وحظرت على التجار استيراد البضائع من الخارج ، ولم يكن في البلاد من الطعام المخزون ما يكفيها . ولم يكن ضرر العرب من هذه التدابير كضرر اليهود ومع ذلك فقد ثابر اليهود على سياسة العنف والارهاب . . تلك السياسة التي قالت عنها حكومة فلسطين انها مدبرة . وراحوا يقتلون الانكليز حيثما وجدوهم . عندئذ اعلن الانكليز الاحكام العرفية في تل ابيب ، وفي الاحياء اليهودية من القدس .

ولا يذهبن بك الظن ، اذا ما قرأت السطور المتقدمه ، الى ان العرب كانوا راضين عن الحكومة . او انهم اقتنعوا بان الانكليز ثابوا الى رشدهم بعد تلك الاخطاء الكثيرة التي اقترفوها والتي ادت بالبلاد الى وضعها الحالي . كلا ، فان الحوادث الاخيرة ما كانت لتزيد العرب الا قناعة بان الانكليز ما برحوا اليوم كما كانوا بالامس ، وانهم لن يتركوا ابداً السياسة التي اتبعوها في هذا الجزء من الشرق الا وهى (سياسة الوجهين) :

---

(١) اقرأ ما كتبناه عن هذه المنظمة والمنظمات اليهوديه الاخرى في الفصل الذي بحثنا فيه الانتخابات اليهودية في ٢٥ كانون الثاني ١٩٤٩ .

اجل . انهم مصدر البلاء الذي حل بفلسطين . ذلك لان وزير خارجيتهم بلفور هو الذي منح اليهود وعده المشهور (١).

وهم الذين اشتركوا في وضع صك الانتداب ، وقبلوا الانتداب نفسه ، وفعلوا ما فعلوا في فلسطين طيلة الثلاثين سنة المنصرمة فجعلوها صالحة لتأسيس الوطن اليهودي (٢)

وهم الذين افقروا البلاد (٣) ، فاضطروا اهلها لبيع اراضيهم .

وهم الذين سنوا من القوانين الصارمة ما حال دون تسلح العرب (٤) .

وهم الذين سهلوا لليهود سبل الهجرة الى فلسطين . فدخلها الوف منهم بحماية اساطيلهم وحرابهم . ولولا ذلك ما استطاع اليهود دخول فلسطين ، لا ، ولا تمكنوا من تثبيت اقدامهم فيها .

وهم الذين اقطعوا اليهود مساحات شاسعة من الاراضي فاسسوا عليها مستعمراتهم وقد سلموهم ودربوهم على الجندية باشراف عدد من ضباطهم وسمحوا بعدئذ بتأليف فرقة عسكرية يهودية كاملة دربت اثر ثورة العرب عام ١٩٣٦ باشراف قوادهم .

---

(١) اليك نص الكتاب الذي ارسله اللورد بلفور وزير الخارجية البريطانية الى اللورد روتشيلد اليهودي بتاريخ ٢ تشرين الثاني ١٩١٧ .

«عزيزي اللورد روتشيلد ،

يسرني جدا أن ابلغكم بالنيابة عن حكومة جلالة الملك بان حكومة جلالته تنظر بعين الرضى الى انشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين وتبذل الجهود في سبيل ذلك . على ان لا يجري شيء يضر بالحقوق الدينية والمدنية لغير اليهود في فلسطين . او يضر با لليهود من الحقوق والمقام السياسي في غيرها من البلدان الاخرى » .

ولقد جاء في مذكرت وايزمن التي نشرها بعد انتخابه لرئاسة اسرائيل «ان اللورد بلفور استشاره قبل ان يذيع بيانه وان اعضاء اللجنة السياسية الصهيونية التي يرأسها (سو كولوف) ايضا قد استشيروا قبل ان توضع صيغة البيان . وقد حدث ذلك في ١٨ تموز ١٩١٧ »

(٢) عندما ذكرنا قرار التقسيم الصادر في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ اشرنا الى ديباجة صك الانتداب والمادة الثانية من الصك المذكور التي تجعل الدولة المنتدبة مسؤولة عن جعل البلاد في احوال سياسية وادارية واقتصادية تكفل انشاء الوطن القومي اليهودي .

(٣) الامثلة على ذلك كثيرة ، يكفي ان نذكر منها تدني اسعار الحبوب في سنتي ١٩٢١ ، ١٩٢٣ بسبب الحظر الذى فرضته الحكومة على التصدير ، الامر الذى افقر الفلاح واضطره لبيع اراضيه .

(٤) اقرا المادة ٥٨ من انظمة الطوارىء (الدفاع) لسنة ١٩٤٥ . تلك المادة التي اوردناها عند ذكرنا لقرار التقسيم ، والتي تقضي بالحكم على من يستعمل سلاحا اويحمله بالاعدام او السجن المؤبد .

وهم الذين خنعوا للارهاب اليهودي فلم يستطيعوا كبح جماح اليهود كما استطاعوا قتل الروح القومية عند العرب بالقوانين القاسية ، وانظمة الطوارىء والمحاكم العسكرية وما مبدأ (التقسيم) هذا الا من نتاج افكارهم . فهم الذين اخترعوه ، وهم الذين ايدوه في تقرير لجنتهم التي اسموها (لجنة بيل) (١) . وهم الذين شجعوا اكثر الدول على تأييده في الجمعية العمومية لهيئة الامم المتحدة عندما اصدرت هذه في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ قرارها بالتقسيم (٢).

وقصارى القول ، كان الانكليز طيلة حكمهم لهذه البلاد ذوي وجهين. ولقد ساروا على الخطة نفسها في الحرب الفلسطينية الحاضرة ولعبوا على الحبلين . فتطوع الكثير من ابناءهم في صفوف اليهود ، وتطوع آخرون في صف العرب (٣) . وراحوا يؤيدون هذا الفريق تارة وذاك طوراً . وظلوا سادرين في خطتهم هذه الى ان وقعوا في مأزق لا يحسدون عليه . فلا كان العرب راضين عنهم ولا اليهود ، بل راح العرب يتهمونهم بانهم يؤازرون اليهود ، كما راح اليهود يتهمونهم بانهم ضالعون مع العرب . ويحدثك هؤلاء واولئك عن وقائع مؤيدة بالادلة والارقام والتواريخ فيبرهنون على صدق ما يقولون .

ولما كنا قد ذكرنا ، في الاسطر المتقدمة ، التهم التي نوجهها نحن معشر العرب الى الانكليز بوصفهم منتدبين على فلسطين ، فانا نرى من الحق والانصاف ان نشير الى التهم التي يوجهها اليهم اليهود ايضاً . منها(٤)

ان الانكليز لو شاءوا ان يطفئوا ثورة العرب في بدئها لفعلوا، ولكنهم لا يشاءون:

وانهم اغمضوا عيونهم فسمحوا للمتطوعين السوريين واللبنانيين والعراقيين والاردنيين

---

(١) اقرأ تقرير (اللجنة الملكية) الصادر بتاريخ ٧ تموز ١٩٣٧ رقم ٥٥١٣ وتقرير (لجنة التقسيم الصادر بتاريخ ١ اكتوبر ١٩٣٨ رقم ٥٨٥٤ .

(٢) رغم ان مندوبيهم في الجمعية امتنعوا عن التصويت لئلا يتهموا بانهم مؤيدون لاحد الفريقين .

(٣) حدثني الاب او يجن هود Eugene Hoade وهو ايرلندى ينتمي الى الاباء الفرنسيسين فقال ان سبعة وثلاثين انكليزيا من رجال الجيش والبوليس انضموا قبل انتهاء الانتداب الى صفوف العرب المقاتلين في المدينة القديمة وان مثل هذا العدد او اكثر قد انخرطوا في صفوف اليهود .

(٤) اقتبسنا هذه الاتهامات من مذكرات الدكتور وايزمن Trial Error ومن كتاب لارثور كوستلر عنوانه Promise Ful fillment وقد ذكرنا الكتابين في غير هذا الموضع من الكتاب

والمصريين بدخول فلسطين : فلقد دخلها منهم في ١٩ كانون الثاني ١٩٤٨ ثمانمئة سوري مسلح . وفي ٣٠ منه دخلها ثمانمئة اخرون : وفي ٣ شباط دخلها ستمئة دربوا على القتال في الشام . وفي المدة الواقعة بين ٥ و ٧ شباط دخلها زهاء الف مسلح ، وكان هؤلاء مزودين بالمدافع والاسلحة الاوتوماتيكية . وفي ١١ شباط كان عدد المتطوعين الذين هبطوا فلسطين كبيراً بدرجة انهم سيطروا على ادارة البلاد سيطرة واسعة رغم ان الانتداب لم يكن قد انتهى بعد . وفي ٣ آذار اخبر وزير المستعمرات اعضاء مجلس العموم البريطاني ان عدد العرب المسلحين الذين اجتازوا حدود فلسطين منذ قرار التقسيم بلغ خمسة الاف(٢) . وان فوزي القاوقجي هو قائدهم .

وانهم (اي الانكليز) لم ينقطعوا عن تزويد البلاد العربية بالسلاح :

وانهم عقدوا (في ١٥ آذار) معاهدة مع الحكومة الاردنية تعهدوا بموجبها ان يزودوا الاردن بالسلاح وان يمدوها بالمساعدات اللازمة اذا ما دخلت في حرب : وراحوا يمدونها بالمال(مليونين من الجنيهات في كل عام) لتتمكن من الاحتفاظ بجيشها : وجيشها هذا يقوده البريغادير غلوب باشا ومساعدوه ، وجلهم من الانكليز .

ورغم ان الانكليز تخلوا عن الانتداب واحالوا قضية فلسطين الى هيئة الامم المتحدة فقد رفضوا تنفيذ القرار الذي اصدرته هذه الهيئة في صدد التقسيم . كما رفضوا السماح للجنة الخماسية التي انتدبتها الهيئة ان تأتي الى فلسطين لتدبير شؤون الادارة والامن فيها عند انتهاء الانتداب .

ورفض الانكليز ان يزودوا وسائط النقل اليهودية بحراس مسلحين . كما رفضوا ان يسمحوا لليهود بتسليح قوافلهم . وقد اشتركوا مع العرب في نسف شارع بن يهودا وهاسوليل ودار الوكالة اليهودية .

هنا تنتهي الاتهامات اليهودية للانكليز .

ويبدو لنا ان الانكليز كانوا يسيرون على خطة من شأنها الا يتغلب فريق على الاخر : لا العرب ولا اليهود . وان تبقي المشكلة الفلسطينية بعيدة عن الحل : ليظل الباب مفتوحاً امامهم ـ فيدخلون متى شاءوا ويخرجون متى يشاءون . وان شئت فقل ـ

---

(١) لم يذكر اليهود شيئا عن الالاف المؤلفة من المهاجرين غير الشرعيين الذين دخلوا فلسطين تحت سمع الحكومة وبصرها .

ليذكرهم الفريقان بالخير :. فيترحمون على الزمن الذي كان فيـه العلم الانكليزي يخفق فوق هذه الربوع .

ومهما كان الحال ، فمما لا شك فيه ان الانكليز خسروا الفريقين عن هذه الطريق . ولو اتبعوا سياسة اشرف واقوم، فآزروا احد الفريقين مؤازرةفعلية صادقة غير مستورة ولا ملتوية وصارحوا الثاني بما ينوون ؛ اجـل انهم لو فعلوا ذلك لصانوا سمعتهم وما خسروا كرامتهم .

هذا طبعـاً كان بالامكان قبـل نشوب نار القتال . اما وقد نشبت هـذه ، واضطرمت ، وتفاقمت الامور الى هذا الحد فقد سبق السيف العذل ، ولم يعد بالامكان تلافي ما كان(١) ..

معركة الماصيون

في ساعة مبكرة من اليوم الاول من شهر آذار ١٩٤٨ قام تسعةعشر يهودياً من سكان مستعمرة (عطاروت) الواقعة الى الجنوب من مدينة رام الله وعلى بعد بضعةأميال منها، فعبروا السهل الكائن شمالي قرية رافات ، وراحوا يتربصون لباص رام الله(٢) عند نقطة قريبة من الطريق التي تربط رام الله بباب الواد . وعندما مر الباص من هناك قذفوه بعدد من قنابلهم ، ثم راحوا يطلقون النار عليـه من بنادقهم ، الا انهم لم يصيبوا احـداً من ركابه بسوء . وعندما أرادوا العودة من حيث أتوا و كان الفجر قد لاح خشوا أن يراهم المقاتلون من سكان (رافات) المرابطون على طرف ذلك السهل من الجنوب، فعبروا الوادي المعروف بـ (وادي الدير) . ذلك الوادي الذي يفصل بـين بيتونيا ورام الله . وعندما كانوا يصعدون التل المعروف بـ (الماصيون) من أراضي رام الله كان عدد من المناضلين

---

(١) يستحسن ان تقرأ ، بعد هذا ، ما كتبناه عن الولايات الاميركية المتحدة وعما كان لنفوذها من اثر في خلق الدولة اليهودية عند ذكرنا لحوادث ٢٥ كانون الثاني ١٩٤٩

(٢) كان اليهود انفسهم قبل ذلك باسبوع قد وقفوا لهذا الباص عند ذلك الموضع • وقتلوا ثلاثة من ركابه هم : ابن سليم غنايم « رام الله » وابن صالح زعتر « البيره » و . . . « بيتونيا » .

من أبناء رام الله والبيرة قد سمعوا الخبر ، وهرعوا الى مكان الحادث ، يتقدم الاولين الدكتور جليل بدران(١) ولبيب جشمه(٢) والاخرين عبد الدايم عبد الصمد(٣) وعبد الرؤوف اسماعيل(٤) . فأخذ فريق منهم مواضعه على جبل (العباص) وفريق على جبل (الماصيون) . ونشبت معركة بين العرب واليهود كان النصر فيها حليف العرب . وتمكن المناضلون من قتل خمسة من اليهود هناك . وفر الباقون . فاتجهوا صوب الوادي (وادي الماصيون) ولكن المناضلين اقتفوا أثرهم . وكان في تلك اللحظة ان وصل الى مكان الحادث عدد كبير من المناضلين من الجيب وبيتونيا ومن رافات والجديره. فحاصروا اليهود . وقتلوا منهم ستة . واستسلم الباقون ، فألقوا بنادقهم ، ورفعوا أيديهم . ولما اقترب المناضلون منهم ليتسلموهم، رماهم أحد اليهود بقنبلة، وانبطح الخمسة الاخرون علي بطونهم . الامر الذي حدا بالمناضلين للارتياب ، فقتلوهم . وبهذا يكون العرب قد قضوا على المهاجمين (١٧) ولم ينج منهم سوى اثنين . فعادا الى المستعمرة يحدثان رفاقهما بما جرى . وصل الى الميدان ، والمعركة قائمة ، قائد فرق الجهاد المقدس عبد القادر الحسيني . كما وصل المكان نفسه مصفحة انكليزية تحمل عدداً من رجال الامن، معظمهم عرب ، وبعضهم انكليز . فحمل هؤلاء جثث القتلى. حملوها في سيارة كبيرة . وجاءوا بها الي . وكنت الحاكم المسؤول عن قطاع رام الله ، فأمرت بتسليمها الى أصحابها . وثبت من أوراق الهوية التي وجدناها في جيوب القتلى ان خمسة منهم من موظفي مصلحة البريد في القدس . وقد حصلوا على أذن من رؤسائهم كي يتغيبوا عن العمل لقضاء مصالحهم العائلية . واشتركوا في القتال . فلاقوا حتفهم .

واقتسم المناضلون الاسلحة التي غنموها في هذه المعركة . وكانت قسمة ضيزى . اذ حصل أبناء (الجيب) على الشطر الاكبر من تلك الاسلحة(٥) ـ لقربهم من المكان ـ مع أن عبء القتال وقع على عاتق أبناء رام الله والبيره أكثر من الجميع .

---

(١) رئيس منظمة الشباب في ذلك الحين « ١٩٤٨ » ورئيس بلدية رام الله اليوم « ١٩٥٢ » .

(٢) رئيس فرقة الكشاف العربي برام الله .

(٣) شيخ في السبعين من عمره ، اشترك في الثورة التي قامت بفلسطين في عهد الانتداب .

(٤) مدير شركة الباصات الوطنية برام الله والبيره .

(٥) ست بنادق ، وستن ، وبرن .

فشل الجهود لجعل القدس مدينة مفتوحة

في ٢ آذار ١٩٤٨ أعلن رجال الصليب الاحمر الدولي أنهم يوفون تجنيب القدس ويلات الحرب ، وأذاعوا من محطة القدس كلمة ناشدوا فيها جميع الذين يهمهم أمر هذه المدينة المقدسة كي يجتنبوا كل ما من شأنه ان يؤدي الى دمارها . فتقدمت الجمعية الطبية العربية(١) مستطلعة الشرط الذي لا بد منه لاجل الوصول الى هذه الغاية . فقيل لها : — اذا رفع علم الصليب الاحمر على المدينة بأكماها ، فلا يجوز عندئذ ضربها . لان هذا مخالف لميثاق جنيف لسنة ١٩٢٩ ، ذلك الميثاق الذي وقعت عليه الدول المتحاربة كلها . وكل ما يطالب في هذا الصدد موافقة الفريقين المتحاربين ، العرب واليهود ، على هذا الاقتراح . ولما استشيرت الهيئات المسؤولة أبدى الحاج أمين الحسيني بوصفه رئيساً للهيئة العربية العليا ، موافقته وأبدت الهيئة نفسها أيضاً موافقتها . على ان يشمل الاتفاق منطقة تنظيم المدينة المقدسة كلها ، لا حدود البلدية فحسب . وقيل يومئذ ان اللجنة العسكرية في دمشق وافقت ، بناء على توصية من مجلس الجامعة العربية ، على تجنيب المدينة المقدسة ويلات القتال . ووافقت الهيئات اليهودية أيضاً على الاقتراح ؛ غير انها طلبت توقيع جلالة الملك عبد الله . وقابل وفد من العاملين على ابرام هذا العقد جلالته في عمان ، وكان ذلك في اواخر شهر نيسان ١٩٤٨ فأبدى موافقته قائلا أنه سيحترم علم الصليب الاحمر أينما كان ، ما دامت حكومته قد أبرمت ميثاق جنيف .

ولكن اليهود رفضوا هذه الموافقة الشفهية وطلبوا تعهداً خطياً ممضي من الحكومة الاردنية ومن جلالة الملك عبد الله معاً . فأمر جلالته رئيس وزرائه توفيق باشا أبا الهدى ان يمضي التعهد . ولكنه (أي رئيس الوزراء) رفض قائلا : — « ان حكومة شرقي الاردن ، اذا امضت تعهداً كهذا ، تكون قد اعترفت بالتعدي واعلان الحرب . وهي لا تريد توريط نفسها ... » فرجع الوفد بخفي حنين . وقال قائل من رجال الصليب الاحمر في القدس أنه كان بأستطاعة اليهود أن يكتفوا بالتعهد الشفهي الذي أعطاه الملك لولا أنهم قصدوا غرقلة المساعي . وقد تسربت يومئذ الى هذه الهيئة الدولية بعض المعلومات السرية عن العراقيل التي وضعها اليهود في هذا السبيل ، اذ كانوا يؤملون

---

(١) هذه المعلومات مستقاة من تقرير للدكتور محمود الدجاني ، شكرتير الجمعية الطبية العربية .

احتلال المدينة كلها في وقت قصير . وكانوا غير راغبين في الهدنة :

ومع ذلك فقد تم الاتفاق بين القواد المحليين ، في أواخر شهر نيسان ١٩٤٨ على احترام الاماكن التالية وعدم الاعتداء عليها . وقد رفعت عليها أعلام الصليب الاحمر :
ـ دار جمعيه الشبان المسيحيين . فندق الملك داود ، دار الحكومة على جبل المكبر ، الكلية العربية ، كلية تراسانطه ، المستشفى الايطالي ؛ عمارة داود اخوان بشارع الملك جورج ،وبعبارة اخرى تعهد اليهود أن يحترموا جميع المباني التي ترفع علم الصليب والهلال الاحمر والتي تتألف من المستشفيات ومراكز الاسعاف والمخازن الطبية . كما تعهد العرب أن يحترموا العمارات التي ترفع النجمة الحمراء وهي العلامة اليهودية لمحال الاسعاف والمستشفيات .

وقد أمضى الاتفاق عن الجانب العربي فاضل رشيد عبد الله العراقي قائد حامية القدس في ذلك الحين .

ولكن احترام اليهود لهذا الاتفاق لم يدم أكثر من يوم أو بعض يوم . اذ احتلوا بعد ذلك بقليل بعض المباني التي تعهدوا بالا يعتدوا عليها . احتلوها ، ولما يجف المداد الذي وقعوا به الاتفاق كما سنذكر ذلك في حينه .

وقال لي المسيو رينه ، قنصل فرنسا في القدس وأحد أعضاء لجنة الهدنة القنصلية التي تألفت بعدئذ لعقد هدنة بين الفريقين ان هذا الاقتراح فشل، لان الفريقين رفضاه رفضاً باتاً . وهناك من يعتقد أن العرب رفضوه بايعاز من الانكليز .

ولقد حدثني عمر حسن صدقي الدجاني الذي انتدبه الملك ، خلال عامي ١٩٤٧ و ١٩٤٨ ، لاكتساب الرأي العام في الولايات المتحدة انه قام في وقت ما ـ بعيد قرار التقسيم ـ بدور الوسيط بينه (اي بين الملك) وبين اليهود ، وان الملك أبدى موافقته يومئذ علي تقسيم فلسطين شريطة ان يعطى القدس كلها ويافا والجليل الغربي ، وان اليهود وافقوا على طلبه خلا القدس ، فقد أصروا على أن تكون يهودية . ومن هذا تتضح لنا الاسباب التي أدت الى فشل المساعي التي بذلت يومئذ لجعل القدس مدينة مفتوحة .

بعد قرار التقسيم

تاليف لجنة خماسية لتسلم السلطة من البريطانيين وتسليمها للعرب واليهود

يقضي قرار التقسيم بوجوب تأليف (لجنة خماسية) من الدول الاعضاء في هيئة الامم المتحدة ؛ لتشرف على عملية تسلم مسؤوليات الحكم من بريطانيا وتسليمها الى رجال الدولتين : العربية واليهودية .

وقد ألفت اللجنة من ممثلين عن بوليفيا وتشكوسلوفاكيا والدانيمارك وبناما والفلبين . وباشر هؤلاء أعمالهم في مقر هيئة الامم . واختار المستر تريجفي لي السكرتير العام للهيئة ، المستر رالف بانش سكرتيراً لهم .

ودعا الفرقاء المختصين لانتخاب من يمثلهم في اللجنة . فعينت الوكالة اليهودية موشه شرتوك . وأما الهيئة العربية العليا فلم تعين أحداً . بل أبرقت الى المستر تريجفي لي في ١٩ كانون الثاني ١٩٤٨ تقول ان (الهيئة العربية العليا تصر على رفض التقسيم ، وانها لهذا ترفض قبول الدعوة للاشتراك في أعمال اللجنة الخماسية) .

وفي ٦ شباط ١٩٤٨ رفعت اللجنة تقريرها الى المستر تريجفي لي وقد جاء فيه ان العرب يعملون على تغيير قرار هيئة الامم بالعنف والقوة ، وانه لابد من ارسال قوة دولية مسلحة الى فلسطين اذا ما اريد تنفيذ التقسيم . وختمت اللجنة تقريرها بقولها انه اذا لم ترسل قوة دولية لتتولى الاشراف على الامن بعد ٤٨/٥/١٥ فان الاضطراب وسفك الدماء والفوضى ستعم فلسطين كلها وليس القدس وحدها، واذا جرى هذا فانه سيكون كارثة في بلد يعنى به العالم المتحضر كله : وقد أيدها في تقريرها هذا المستر تريجفي لي ؛ ورفعه الى مجلس الامن .

وفي ٢٤ شباط ١٩٤٨ بحث مجلس الامن ذلك التقرير : فكان جواب بريطانيا على الاقتراح القائل بارسال قوة دولية الى فلسطين تتولى الاشراف على الامن ، الرفض ، اذ قال وزير مستعمراتها يومئذ ، كريتش چولز ؛ ان حكومته وان قبلت التقسيم الا انها لا تستطيع ان تتعاون على تنفيذه بالقوة ،انها وان انتدبت السر الكسندركادو غان ليمثلها في

اللجنة الا انها أعلنت أنهـا لن تساهم في أي مشروع لا يكون مقبولاً من العرب واليهود معاً .

وعملاً بهذا المبدأ رفضت أيضاً بريطانيا أن تسلم سلطاتها في فلسطين الى اللجنـة الخماسية الا في ١٥ أيار ١٩٤٨ وبعد انتهاء الانتداب .ورفضت أيضاً تأليف القوة المحلية المسلحة التي دعيت بـ (المليشيا) في قرار التقسيم كما رفضت تخطيط الحـدود بين الدولتين .

ويقول المستر تريجفي‌لي في مذكراته التي اقتبسنا عنها هذا القول أن بريطانيا لم ترض بالجلاء عن ميناء فلسطين ليتمكن اليهود من استقبال مهاجريهم في مملكتهم الجديدة عملا بالقرار الذي يقضي بمثل هذا الجلاء في أول شباط سنة ١٩٤٨ .

هذا ما فعلته بريطانيا . وأمـا الولايات المتحدة فقد قال مندوبها في مجلس الامن ، المستر وارن‌اوستن ، ان مجلس الامن لا يملك القوة التي يستطيع ان ينفذ بها قرار التقسيم الا اذا كان الوضع في فلسطين يهدد بالسلام العالمي . وبدا من قوله انه يشك فيما اذا كان الوضع فيها قد وصل الى هذا الحد .

وفي ٢٦ شباط ١٩٤٨ وجهت الهيئة العربية العليا نفسها الى السكرتير العام لهيئة الامم كتاباً قالت فيه : (ان عرب فلسطين لن يخضعوا لاية قوة تأتي الى فلسطين لتنفيذالتقسيم)

وفي الاسبوع الاول من شهر آذار سنة ١٩٤٨ وصلت الى القدس طلائع اللجنـة وكانت تلك الطلائع قد غادرت نيويورك في ٢٢ شباط ١٩٤٨ وهي مؤلفـة من رجال السكرتيرية .

جاءوا الى القدس ليبدأوا العمل مع الحكومة المنتدبة ورغم أنهم نزلوا ضيوفاً عـلى حكومة فلسطين ، فان رجال هذه الحكومة لم يتعاونوا معهم ، فغادروا فلسطين في الحال .

الشيخ حسن سلامه

●

في ٦ آذار ١٩٤٨ تلقى الشيخ حسن سلامه أمراً من أمير اللواء الركن اسماعيل صفوة باشا بوصفه (القائد العام لقوات فلسطين) يقول له فيه ان مهمته ، في الوقت الحاضر والى ان يتم حشد القوات ، تنحصر في :

(آ) الدفاع عن المدن والقرى عند مهاجمتها من قبل العدو ، وبصورة خاصة الدفاع عن يافا وسلمة وأبو كبير ويازور .

(ب) القيام بغارات خاطفه على مراكز العدو ومستعمراتـه الضعيفة بقصد أشغال قواته ومنعه من استخدامها في أماكن اخرى .

(ج) عرقلة مواصلات العدو وضرب قوافله .

(د) تأمين المواصلات بين يافا والمدن العربية .

وقد أوصاه بتجنب الاصطدام مع القوات البريطانية ، وبحصر مخابراته مـع القيادة العامة ، والاتصال مع آمر منطقة القدس عبد القادر الحسيني ومع قائـد الجبهة الشمالية فوزي القاوقجي بقصد تبادل المعلومات فقط ...

وقد حدد القائد العام في كتابة هذا ، المنطقة التي وضعت تحت قيادته : من الشمال خط يمتد من هرتسليا الى حوارة ، ومن الجنوب خط يمتد من المجدل وجورة عسقلان الى الفالوجة، ومن الشرق خط مواز للطريق العام المار من نابلس ـ رام الله ـ القدس ـ بيت لحم ـ الخليل ـ ومن الغرب البحر . واسميت هذه (منطقة اللد) بدلا من (القطاع الغربي للمنطقة الوسطى) .

أما القوة التي وضعت تحت أمرته (الشيخ حسن سلامه) بأمر من القائد العام في ٤٨/٣/٦ فهي :

	آمر الحامية	متطوع نظامي	مجاهد دائمي
حامية يافا	١	١٠٠	٤٠٠
حامية سلمة	١	ـ	١٠٠
حامية ابو كبير	١	ـ	١٠٠
حامية يازور	١	ـ	٥٠
القوة الضاربة	٣	١٢٨	٣٠٠
	٧	٢٢٨	٩٥٠

العرب يضعون ايديهم على (رأس العين)

في ٨ آذار سنة ١٩٤٨ هبط قطاع (رأس العين) زهاء خمسمئة مقاتـل من رجال الانقاذ ، معظمهم عراقيون . فاحتلوا المباني الواقعة في ذلك القطاع : وسيطروا عـلى رأس العين .

انهم وان لم يقطعوا ، بادئي ذي بدء مياههـا عن القدس خشية ان يتضرر العرب القاطنون في الاحياء الغربية اليهودية . الا انهم طردوا جميع الموظفين اليهود والذين كانوا يعملون في ادارة الموتورات ، واستبدلوهم بالموظفين العرب : وراحوا يراقبون الوضع عن كثب :

وعبثاً حاولت الوكالة اليهودية اقناع الحكومة البريطانية كي تستعمل نفوذها ، فتقنع الجيش البريطاني ليطرد رجال الانقاذ من هناك، ويعيد الموظفين اليهود الى أعمالهم وذلك لان عدد المجاهـدين العرب كان كبيراً ، وكانوا أقوياء . ورفض الانكليز ان يزجوا بأنفسهم في هذا المعمعان . سيما وان الماء لا يزال يجري الى القدس كالمعتاد:

فوضى القيادات المحلية[١]

في ١١ آذارا سنة ١٩٤٨ رفع اللواء الركن اسماعيل صفوت باشا الى لجنة فلسطين تقريراً (رقمه ٧ خاص) شكا فيه من تصرفات المفتي الحاج امين ، قائلا انه ورجاله لا يطيعون أوامره بوصفه القائد العام لقوات فلسطين . وان عملهم هذا يخالف الفقرة الخامسة للمادة ٣ من المقررات السرية التي نصت على تخويل القائد العام السلطة المطلقة في توجيه الحركات العسكرية وادارتها .

وعلى الرغم من القرار الذي اصدره القائد العام والذي عين بموجبه عبد القادر الحسيني

(١) يستحسن ان نقرأ ، قبل هـذا الفصل او بعده ، ما كتبناه عن فوضى القيادة العامة في ١٦ شباط ١٩٤٨

قائداً لقطاع القدس ، وقد خوله حق تسجيل ٣٠٠ مجاهد دائمي من رجاله تدفع اللجنة العسكرية رواتبهم ، ووضعت حامية القدس المؤلفة من المجاهدين المتقدم ذكرهم ومن ١٢٨ متطوعاً نظامياً تحت امرته ، واستعدت اللجنة لتأمين احتياجاته ، الا انه لا يزال غير معترف بالقيادة العامة وها هو يدير قطاع القدس كما يشاء .

وكذلك فعل العقيد المتقاعد طارق الافريقي الذي سافر الى غزة دون ان يتصل باللجنة واعلن هناك انه منتدب لقيادة ذلك القطاع من قبل الحاج امين .

وابراهيم الصغير سافر الى الناصرة مع مئتي مسلح ، وراح يعمل في ذلك القطاع باسم المفتي ، وقد رفض الاتصال بقيادة جيش الانقاذ في الشمال .

وفوزي الجرار ونجيب المصطفى في قطاع جنين، فقد راحا يجمعان الناس ويصولان في الميدان دون ان يتصلا بالقاوقجي .

وكذلك قل عن اشخاص كثيرين ادعوا انهم انتدبوا من قبل المفتي للقيادة في هذا القطاع او ذاك ، دون ان تكون لهم ادنى صلة باللجنة العسكرية : كيونس نفاع وحسن شبلاق في حيفا .

هذا ما جاء في (تقرير لجنة التحقيق النيابية في قضية فلسطين) . ذلك التقرير الذي رفعته الى مجلس النواب بتاريخ ٤ أيلول ١٩٤٩ . ويقول رجال (الجهاد المقدس) الذين كانوا يأتمرون بأوامر الحاج امين انهم ما كانوا ليفعلوا ذلك لو ان اللجنة العسكرية ورجالها كانوا اوثق اتصالا بفلسطين واكثر اطلاعاً على حقائق الحالة فيها واقدر على العمل من اجل خلاصها(٢) .

---

(١) اقرأ ما قاله عبد القادر الحسيني ، قائد قوات الجهاد المقدس ، في هذا الصدد ، في الفصل الذي خصصناه لمعركة القسطل من ٣ الى ٩ نيسان ١٩٤٨ .

العرب ينسفون دار الوكالة اليهودية

وفي ١١ آذار ١٤٩٨ (الساعة التاسعة والدقيقة الخامسة والاربعين صباحاً) نسف العرب دار الوكالة اليهودية في شارع الملك جورج بالقدس . نسفوها بالمتفجرات. فدمر جناحها الشمالي تدميراً تاماً . ويضم هذا الجناح مكاتب بيت المـال اليهودي المعروف بكرن هايسود ، ومكتب المجلس الملي اليهودي المسمى (وعاد لئومي) وتصدعت باقي الاقسام . وشب حريق هائل . واتت النيران على اكثر الملفات والسجلات . واصيب عدد كبير من الدور والعمارات المجاورة بعطب كبير . وقتل ستة وثلاثون شخصاً وجرح كثيرون، وقال المستر غريفس، رئيس بلدية القدس في ذلك الحين ، ان القتلى خمسة عشر والجرحى اربعون . وان بين القتلى الدكتور لايب يافه والسيدة اليس لاسكر . ومن الذين اصيبوا بجراح في هذا الحادث الاضون بن زفي رئيس المجلس الملي اليهودي ، والاضون ساسون رئيس القسم الشرقي في الوكالة ، والمستر ادوين صموئيل(١) مدير دار الاذاعــة الفلسطينية ، ومسز سامبورسكي، والاضون ليوقوهين، والاضون هرش من كبار رجال الوكالة . وكان هؤلاء وغيرهم يومئذ مجتمعين هناك لتسوية الخلافات التي كانت قائمـة بين رجال الارغون والهاغانا وشترن .

والذي تولى نسفها هو السيد انطون داود(٢) . وهو شاب من بيت لحم في السابعة والثلاثين من عمره. وكان الحراس يعرفونه. لانه كان مستخدماً لدى القنصلية الاميركية ، يسوق سيارة القنصل العام مستر Macatee والسيارة التي استعملها يوم النسف كانت من نوع فورد ، مودل ١٩٤٧ ، تحمل رقم ٦٦١١ وضعت المتفجرات في صندوقها الخلفي . وكانت هذه مزيجاً من الجلنلجيت و (ت.ن.ت) زنتها مئتان وخمسون كيلو غراماً . وقد صنعت بشكل رزم تم وصلها بساعة موقوتة. وتحركت هذه من نقطة في حارة الواد،

(١) انه نجل السر هربرت صموئيل المندوب السامي الاول لفلسطين .

(٢) هذا هو الذي نقل اللغم واستعمله . واما اللغم نفسه فانـه من صنع فوزي القطب الذي تولى قيادة فرقة التدمير العربية بالقدس ، وقد ذكرناه في غـير هذا المكان . وكان المرحوم عبد القادر الحسيني على علم بما جرى . ولقد تم تهيئة اللغم في بحر مـدة لا تزيد عن ربع ساعة . وكان العمل ابن وقته .

واقعة عند مفترق الطرق بين باب الناظر وعقبـة التكيه . وكان يرفرف عليها العـلم الاميركي . وكان فيها عربيان يرتديان الكوفية والعقال . واشتبـه بهما اثنان من رجال البوليس البريطاني عندما كانا يجتازان باب العمود، فنزلا من السيارة واعتقلا البريطانيين، ووضعاهما في فندق داخل المدينة ، قريب من السور . وبعد ان تم نسف الوكالة اطلق سراحهما . ولقد قامت قيامة اليهود على اثر هذا الحادث فراحوا يستعدون للانتقام ، ووقف العرب لهم بالمرصاد . وارسلت للفريقين اسلحة ونجدات من جميـع الجهات . فزود عبد القادر كل حي من احياء المدينة بعشر بنادق جديدة ، هذا غـير البنادق التي كانت بيد المجاهدين من قبل . واقام على رأس المناضلين في كل حي قائداً جعله مسؤولا عما يجري في ذلك الحي . وخصص لكل واحد من هؤلاء المسؤولين مبلغاً من المال ينفقه في سبيل الدفاع . ودفعت هذه المبالغ من صندوق الهيئة العربية العليا .

احتدام القتال في القدس رغم تدخل البريطانيين

●

وفي ١٢ آذار ١٩٤٨ بلغ هياج الفريقين، العرب واليهود ، ذروته في القدس . فاتخذ البريجادير جونز ، الحـاكم العسكري الانكليزي المسؤول عن الامن في قطاع القدس ، التدابير الاحتياطية التي ظن انها تقلل من هياجهما . فوجه اليهما انذاراً ، قال فيه انه اعتزم استعمال منتهى الشدة والصرامة ، وانـه سيطلق النار على الفريقين من غير تمييز اذا لم يلتزما جانب السكينة . ولم يضعا حداً لاعمالها المنكرة . وقـد بعث اليَّ والى زملائي الاخرين ، من حكام ومديرين ، نسخاً كثيرة عنه طالباً منا اذاعة محتوياته على الاهلين . ولكن لم اعبأ بقوله . اذ كنت من القائلين بان القتال كان يومئذ شراً لا بد منه .

ولكن ، لا هذا الانذار ، ولا المخافر التي اقامها على الحدود ، حتى ولا المدافع التي راح يوجهها نحو العرب تارة ،واليهود تارة اخرى بقصد التخويف والتهديد، نعم، لا هذا ولا ذاك كان مجدياً . . فان القتال لم يقف . لا بل راح كلا الفريقين يضيق الخناق على الاخر . فهاجم العرب اليهود في حيهم بالبلدة القديمة . وضيقوا الخناق عليهم، فمنعوهم من الدخول اليه او الخروج منه . ومـا كانت المؤن لتصل اليهم الا بحراسة الجند . وهاجم اليهود حي الشيخ جراح . وصمد لهم حماة هذا الحي . وجاءتهم نجدات من سلواد

وترمسعيا وسنجل وجلجليا وعبوين والمزارع الشرقية ومن سائر الانحاء في قطاعي القدس ورام الله .

واشتبك الفريقان في قتال مرير عند التخوم ـ في حي الشيخ جراح المتقدم ذكره ، وفي حارة المطربة، وفي القطمون، وبيت صفافا ، وميكور حايم ، وعند شنلر ، وكريات شمويل . ولقد قتل في هذه الاشتباكات عدد غير قليل من كلا الجانبين .

وكان اهمها ذلك الاشتباك الذي حدث في مداخل ميكور حايم ، اذ شن العرب على هذه المستعمرة هجوماً القصد منه الانتقام من سكان تلك المستعمرة الذين قتلوا امرأة وطفلا من سكان بيت صفافا . قتلوهما من غير ذنب . ولم يكونا مع المقاتلين . الامر الذي اثار ثائرة المناضلين . فاقتحموا المستعمرة . ودكوا بعض منازلها . وقتلوا وجرحوا عدداً غير قليل من سكانها . وغنموا بعض الاسلحة . ولما جاء سكان مستعمرة تل بيوت لنجدة اخوانهم في ميكور حايم ، اشتبك العرب مع هؤلاء ايضاً في قتال . ولم ينته القتال الا عندما وصل الى الميدان فوج كبير من الجنود البريطانيين .

معركة ميكور حاييم

وفي ١٣ آذار ١٩٤٨ هاجم العرب مستعمرات ميكور حايم مرة اخرى : كما هاجموا رامات راحيل ، وتل بيوت الواقعة في جنوب القدس . وكان على رأسهم عبد القادر الحسيني . وتمكنوا من احتلال جانب كبير من ميكور حايم . ولكن الانكليز الذين كانوا مرابطين في معسكر العلمين ، على مقربة من تلك المستعمرة ، انذروهم بالانسحاب والا اطلقوا عليهم نيران مدافعهم. فانسحبوا. وما كان في مقدورهم ان يلاقوا الجندي معاً.

ولم ينقطع تبادل النيران ، رغم هذا ، بين الفريقين . فقد ظلا يتبادلانها عند رامات راحيل وتل بيوت وفي شارع الاميرة ، وحي الشيخ جراح . وكان اقسى اشتباك بينهما هو الذي وقع في حي القطمون ، عندما نسف اليهود منزل الدكتور فوتي فريج : وقتل العرب يهوديين . ولم ينته القتال الا عندما تدخل الانكليز هنا ايضاً . فقذفوا العرب بعدد من قنابلهم من مدافع الهاون ، وصدوهم الى الوراء . وحالوا دون تغلغلهم في الاحياء اليهودية . ولقد جرح من جراء ذلك أربعة من العرب . واستشهد عربي في البلدة القديمة .

الفوضى تشمل جميع الاعمال في المدينة

●

وفي ١٥ آذار ١٩٤٨ ساءت الامــور ، وسادت الفوضى بشكل لم يسبق له مثيل : وأصاب أعمال الحكومة ومصالحها العامة من برق وبريد وهاتف وتنظيف وانارة وأمن وتموين شلل مخيف . وكان المرء يلاحظ هــذا للشلل وتلك الفوضى فى القدس أكثر من أي بلد اخر ، رغم أنها عاصمة البلاد ، وفيها جيش لجب من الموظفــين ، ومن رجال الجيش والدرك وحراس الامن . فقد فقــد الامن فيها بالمرة ، وساد الاضطراب جميع أحيائها ، وعم الخوف ، واغلقت المخازن والحوانيت . وراح رجــال الدرك وحراس الامن يطوفون الشوارع ليلا ونهاراً . ونصبت الاسلاك الشائكــة في كل مكان . حتى كان يخيل للمرء ، اذا ما مر بشارع المدينة ، أنه في ميدان حرب وقتال .

فرقة التدمير العربية

●

في ١٨ آذار ١٩٤٨ حاول ستة من الفدائيين العرب ، من سكان بيت المقدس نسف الفندق اليهودي (عدن) القائم في اقصى حي بن يهودا من الغرب . ولكنهم فشلوا . اذ تصدى لهــم يومئذ رجال الجيش البريطاني ، فاحبطوا مسعاهم قبل ساعــة التنفيذ ببضع ثوان .

واراد عبد القادرالحسيني ، قائد فرق الجهاد المقدس ، تكريمهم لتضحيتهم ،ولانهم تمكنوا من ارجاع الالغام معهم . فالف منهم بعد بضعة ايام فرقة اسماها (فرقة التدمير العربية) .

ثم اتسع نطاق هذه الفرقة مع الايام ، وازداد عدد رجالها ، فاصبحوا خمسةوعشرين مناضلا هم فوزي القطب ، عبد القادر فرحات المعروف بابي محمد السدمير (١) ، محمد

---

(١) اشترك هذافي حادث اغتيال الملك عبد الله بتاريخ ٢٠ تموز ١٩٥١ وادانته المحكمة العسكرية بتاريخ ٢٨ آب ١٩٥١ وأعدم شنقاً في عمان بتاريخ ٤ ايلول ١٩٥١ واعدم معه ، للسبب نفسه ،الدكتور موسى عبد الله الحسيني ، وعبد محمد عكه ، واخوه زكريا محمود عكه . وقد ذكرنا ذلك في موضع آخر من هذا الكتاب .

علي الكرد ، عادل شرف ، يعقوب ابو حليمة ، ياسر شرف ، خليل دكيرك ، زيد غنيم جواد الجاعوني ، محمد الشرفا ، يوسف الحايك (هؤلاء من القدس) محمود دعيس نادي دعيس ؛ عبوده غيث ، محمود الهنيني (هؤلاء من الخليل) ، حلمي البرق (من نابلس) محمود العكاوي (من عكا) عطا عثمان ، ناجي مصطفي واخوه (من عمواس) اديب . . . (من الشام) كاظم صالح المغربي (مغربي) داود البيتوني (من بيتونيا) ، عبد الرحمن السيلاوي (من سيلة الظهر) عبد القادر التونسي (مغربي) عبد الله كمردوس (؟) يقودهم رجل من اخلص شباب بيت المقدس هو فوزي القطب . ولقد نجح هؤلاء في اعمالهم ، حتى ان المطلعين على مجرى الامور في هذه الديار يؤكدون ان الفضل في نسف معظم منازل اليهود ، حتى وفي سقوط الحي اليهودي بالبلدة القديمة ، راجع اليهم . والذي تولى قيادة فرقة التدمير هو فوزي القطب (١) .

---

(١) فوزي بن نامق القطب . ولد في القدس ١٩٢١ واتم دراسته الاولى في كلية تراسانطه . وبعد ان اجتاز الصف الثالث ثانوي انخرط في اعمال الحكومة وكان موظفاً في مطبعتها .

ولما نشبت الثورة عام ١٩٣٦ اشترك فيها مع اثنين من شباب القدس هما : صبحي ابو غربيه ، وداود العلمي . فقاموا معاً باعمال ارهابية في الاحياء اليهودية .

وراحت السلطة تتعقبه متهمة اياه بقتل عدد من الانكليز واليهود . مع انه كان يقول انه لا يريد ان يؤذي احد سوى اليهود . ولما اشتدت السلطة في مطاردته فر من القدس ، محتمياً بالشام ثم بالعراق

ولقد فر من العراق ، مع من فر منها من الاسر العراقية ، اثر الفشل الذي اصاب ثورة رشيد عالي الكيلاني (١٩٤١) وفي دير الزور القي القبض عليه . وزج في معتقل بحلب . وفر بعدئذ من المعتقل ، فجاء الى لبنان . ثم دخل تركيا مع الثائر الفلسطيني المعروف عارف عبد الرزاق . فاعتقلهم الاتراك وردوهم الى الحدود السورية . ولكنه عاد فوجد طريقه الى الاستانة . وهناك اتصل بالالمان . والتحق بعد قليل بالمفتي الذي كان يومئذ في ايطاليا . فارسله المفتي الى المانيا ، حيث درس فن الالغام والمتفجرات وراح يعمل مع عدد من الجواسيس العالميين . فاعتقله الالمان ، وزجوه في السجن ثم حكموا عليه بالاعدام . ولكنه تمكن وهو في السجن ، من الاتصال بالمفتي . وبفضل هذا ووزير الدولة الالمانية هملر اطلق سراحه . فعاد الى سوريا .

وفي سوريا اجتمع بعبد القادر الحسيني ، فراحا يعملان معاً على تدريب الشبان في فن المتفجرات والالغام . وكان لهما الفضل الاكبر في اعمال الارهاب والنسف والتدمير التي قامت في القدس بعد قرار التقسيم (٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧) و انا لذاكرون منها .

شارع هاسوليل والبالستاين بوست (١ - ٢ - ٤٨) وشارع بن يهودا (٢٢ - ٢ - ١٩٤٨) ومستعمرة ميكور حاييم (١٣ - ٣ - ٤٨) والمونتفيوري (٢٣ - ٣ - ٤٨ وقافلة كفار عصيون

امريكا تعدل عن رأيها في التقسيم

يظهر ان الحوادث التي وقعت في البلاد خلال الاشهر التى انصرمت بعد قرار التقسيم والضربات التي انزلها العرب باليهود (١) ، حدث بالولايات المتحدة الى تغيير اعتقادها ، فاعتزمت ان تنهج منهجاً آخر . اذ القى السناتور اوستن مندوبها في هيئة الامم بتاريخ ١٩ اذار ١٩٤٨ ، بياناً قال فيه ان حكومته سحبت تأييدها لمشروع التقسيم واصبحت تميل الى فرض مشروع الوصاية على فلسطين . وكذلك فعلت فرنسا والصين ونصح المستر كريتش جونز ، وزير المستعمرات البريطاني ومندوب بريطانيا في الهيئة المذكورة ، الدكتور وايزمن ان يقبل مشروع الوصاية قائلا ان تنفيذ التقسيم سيضطر الدول العربية الى اعلان الحرب على اسرائيل . وحذا حذوه معظم مندوبي الدول في مجلس الامن ، الا روسيا ، فقد ظلت على رأيها من حيث التقسيم ، وكذلك قيل عن ترومان نفسه فانه الاميركي الوحيد الذي راح يعارض سياسة وزارته الخارجية . ومع ذلك فقد فرح العرب لهذا الوضع واعتبروه نصراً . وعزوا هذا الانحراف في السياسة الدولية الى موقفها ورجحان كفتهم في ميادين القتال ، وضعف اليهود .

ومن العوامل التي ادت الى هذا التحول في السياسة الاميركية خشية الرأي العام الاميركي ورجال وزارتي الخارجية والدفاع وشركات الزيوت من تعرض مصالح اميركا الاقتصادية في الشرق للخطر ، اذا ما ثار العرب ، وتبعهم في ثورتهم العالم الاسلامي

(٢٧ — ٣ — ٤٨) وطريق القسطل (٥ — ٤ — ٤٨)وقافلة الهداسا (١٣ — ٤ — ١٩٤٨) ومستعمرة النبي يعقوب (١٧ — ٥ — ١٩٤٨) .

ولما تألفت فرقة التدمير العربية في ١٨ اذار ١٩٤٨ عهد اليه المفتي بقيادتها . وتناول من المفتي ستة الاف جنيه لشراء الثياب اللازمة لرجالها والالات والادوات اللازمة لاعمالها . وكان لديه في مخازن فرقة التدمير عشرة اطنان من المتفجرات .

وكان لاعمال فرقة التدمير وللالغام التي بثتها حول السور الفضل الاكبر في صد الهجوم الذي قام به اليهود على باب الخليل وباب النبي داود في اليومين السادس عشر والسابع عشر من شهر ايار . وفي نسف السكة الحديدية بين القدس ويافا في مواضع متعددة . . . وفي سقوط الحي اليهودي بالبلدة القديمة ، ذلك الحي الذى احتله الجيش العربي في ٢٧ أيار .

(١) قال Jon Keinche في الصفحة ٢٠٨ من كتابه S.F.P. ان عدد القتلى من اليهود بلغ منذ بدء القتال بين ٣٠٠ و ٤٠٠ في كل شهر .

المنتشر من الباكستان الى مراكش ، حتى ان وزير الدفاع الاميركي المستر جيمس فورستال قال لاعضاء الكونغرس انه يخشى ان يدمر العرب انابيب البترول ويخربوا منشئات الزيت ويثيروا القلاقل في الشرق كله . وبذل المستر فورستال كل ما في وسعه من جهد لاقناع رئيس الولايات المتحدة المستر ترومان ، وقادة الحزبين في اميركا ، الجمهوري والديموقراطي ، بضرورة ابعاد بلاده عن مشكلة فلسطين ، وابعاد اليهود عن مسرح السياسة الحزبية الداخلية في الولايات المتحدة، واهمية ذلك في الاحتفاظ بصداقة المسلمين والعالم العربي . اذ راح مجلس الدفاع الاميركي يحذر في تقريره من أن الاضطراب في فلسطين يعرض سلامة اميركا الى الخطر . وراح قلم الاستخبارات الاميركي يذكر اهمية الشرق الاوسط من الناحية الاستراتيجية ، واهمية زيوته .

ويقول المستر تريجفي لي ، الامين العام لهيئة الامم ، في مذكراته ان الامريكيين كانوا يخشون وقوع العرب في احضان موسكو اذا ما ارغموا على قرار التقسيم .

ويعترف تريجفي لي هذا من مذكراته انه راح يحرض اعضاء هيئة الامم ومجلس الامن ولا سيما ممثلي الدولتين الكبيرتين في الهيئة - بريطانيا والولايات المتحدة - على العرب ويصر على تنفيذ قرار التقسيم . الى ان كان له ما اراد ، وعادت اميركا الى قرارها السابق فاحتضنت ذلك القرار . لكن اليهود قاوموه مقاومة شديدة ، وتمكنوا بوساطة اصواتهم وتأييدهم في الانتخابات من استجلاب كلا الحزبين لجانبهم . فباءت جهوده بالفشل وبعد قليل ارغموه على الاستقالة ، فاستقال ، ثم انتحر .

وهب اليهود ، اثر خطاب السناتور اوستن ، هبة رجل واحد يقاومون فكرة العدول عن التقسيم : وقال الدكتور وايزمن لناصحيه (١) : - ان قوة الدول العربية خرافة لا صحة لها . وراح هذا يناشد العالم بوجه عام والولايات المتحدة بوجه خاص ألا تعدل عن القرار الذي اصدرته هيئة الامم في ٢٩ تشرين الثاني ، قائلا : - اذا كان تنفيذ هذا القرار يثير مصاعب جمه ، فان العدول عنه سيثير مصاعب اخطر شأناً وابعد اثراً . واذا رضخت هيئة الامم لتهديد العرب، فان كرامتها ستتضاءل وهيبتها ستسقط الى الحضيض وعند ذلك يطول امد الصراع في فلسطين .

---

(١) مذكرات الدكتور وايزمن والعدد ٤٠١١ من جريدة (الدفاع) المقدسية لصاحبها ابراهيم الشنطي بتاريخ ٤ ايار ١٩٤٩ .

حامية القدس تطلب المزيد من السلاح

●

في ٢١ آذار ١٩٤٨ سافر آمر حامية القدس الملازم الاول فاضل عبد الله الى دمشق يحمل كتاباً من احمد حلمي باشا طالباً السلاح والعتاد . فجهزته اللجنـــة باربعين بندقية افرنسية وثلاثة رشاشات افرنسية قديمه وبعددمن القنابل اليدوية والمسدسات وآلة لاسلكية

ويقول طه الهاشمي في مذكراته التي اقتبسنا منها هذا الخبر (اقرأ العدد ٢٢ من جريدة الحارس البغدادية بتاريخ ٢٣ نيسان ١٩٥٣) ان فاضل عبد الله آمر الحامية رقي يومئذ الى رتبة رئيس خشية ان يرسل المفتي الى القدس آمراً لحاميتها برتبة اعلى منه .

ولما وصلت الاسلحة الجديدة ازدادت حامية القدس حماساً . وضاعف حماسها النبأ القائل ان اميركا عدلت عن تأييدها لقرار التقسيم .

قوة العرب واليهود

●

في ٢٣ آذار سنة ١٩٤٨ رفع اسماعيل صفوة باشا . بوصفه القائد العام ، الى رئيس لجنة فلسطين تقريراً سرياً رفعه ٥٣/ح ، وقد اشار فيه الى تقاريره السابقة الـــتي رفعها يوم كان رئيساً للجنة العسكرية والى بياناته التي القاها في اجتماعات اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية بتاريخ ١٥-١-١٩٤٨ و ٢-٢-١٩٤٨ مؤكداً ان مجموع القوات اليهودية (هاغانا وارغون وشترن) لا يقل عن خمسين الف مقاتل ، وان للهاغانا قوة ضاريـــة Striking Force مجموع رجالها خمسة آلاف مقاتل وهي تدعي (البالماخ) بمثابة المغاوير او ما يسمونه بالقومندو ، هذا بالاضافة الى قوات الدفاع المحلية في المستعمرات ومجموعها عشرون الفاً ، نصفهم فتيات ، وليس للعرب في يومنا هذا سوى ٧٧٠٠ مسلح منهـــم ٥٢٠٠ متطوعون ، تدربوا على القتال في معسكر قطنا و ٢٥٠٠ مجاهد فلسطيني ، وليس لـــدى المتطوعـــين سوى ١٤ مدفـــع هاون و ٨ مدافـــع ميـــدان خفيفة بيـــنما لليهود مئة دبابة ومئة وخمسون مدرعة وواحد وعشرون طائرة .

وختم الباشا تقريره بقوله : « على الجيوش العربية ان تنزل الى الميدان وان تشترك في القتال بكل ما تملك من اسلحة ورجال ، وان تسرع هذه الجيوش في استكمال نواقصها ونواقصها كثيرة ، والا فلن تكون قادرة على العمل عند انتهاء الانتداب اذا بقيت على

ما هي عليه الآن ... وسيسبقنا الزمن كما سبقنا من قبل .... » هـذا ما قاله الباشا في تقريره . والغريب في الامر انه بينما كان القائد العربي في شهر اذار يشكو من قلة السلاح كان دافيد بن غوريون ، الزعيم الصهيوني الذي تولى بعد انتهاء الانتداب رياسة الوزراء يشكو ايضاً من قلة السلاح . فقد اعترف في حديث جرى لـه مع المستر جون كمشي الصحافي البريطاني المشهور (١) بضآلةقوة الهاغانا . واما قوة البالماخ التي تقدم ذكرهـا فكانت يومئذ عبارة عن اربع كتائب مجموع افرادها الفان ، منتشرون في جميع انحـاء فلسطين . وكان يقودها Yigal Alon وهو شاب في الثلاثـين من العمر ، ولم تكن قوة البالماخ مجهزة تجهيزاً كاملا ، وما كان لديهم سوى عدد قليل من البنادق ، ومدافع صغيرة من النوع المعروف بستن صنعوها مع قذائفهـا بأيديهم هنا في فلسطين . وهي لا تصلح للرمي الى مسافة ابعد من خمس وعشرين ياردة . وكذلك قل عن المدافع القوسية (المورتر) التي كان يملكها اليهود فانها من صنع محلي . معظمها ذو بوصتين ، وبعضها ذو ثلاث بوصات ، وذخائرها الى هذا قليلة وكان لديهم عدد قليل من المدافع الرشاشـة الثقيلة (انكليزية والمانية وافرنسية وتشيكية) ، وهذه موزعة في جميع انحاء فلسطين ، وكانت قوةطيران اليهودية عبارة عن اثنتي عشرة طائرة من الطائرات المعدة لنقل الركاب تسير بسرعة ٨٠ ميلا في الساعة . وكان الطيار الواحد يحمل معه مدفعاً رشاشاً من نوع ستن ، وبضع قنابل موضوعة في صفائح من التنك يلقيها من النافذة .

واعترف بن غوريون لجون كمشي يومئذ انه كان يعلم انه لم يبق بين يهود فلسطين وبين العدم سوى خيط رفيع .حتى ان زملاءه نصحوه بأن يتخلي عن المستعمرات اليهودية النائية ، وان يسحب سكانها الى المدن القريبة من تل ابيب وان يجمع قواه في مـكان واحد . وراح اليهود يومئذ يبحثون عن سبيل للتخلص من الورطة التي وقعوا فيها .

معركة شعفاط

●

وفيما كان اليهود في حيرة من أمرهم قام زهاء مئتين (١)من المناضلين نصفهم مـن شعفاط والنصف الآخر من شباب بيت المقدس وحزما وعناتا والمزرعة الشرقية ومزارع

---

(١) اقرأ الصفحة ٢١٣ من كتابه Seven Fallen Pillars

(٢) بالغ اليهود في تقدير عدد المهاجمين ، فقالوا انهم ينوفون عن الالف .

النوباني وترمسعينا ، بمهاجمة قافلة يهودية خرجت من القدس حاملة المؤن الى اليهود القاطنين في مستعمرتي (النبي يعقوب) و (عطاروت) الواقعتين على طريق القدس - رام الله ، هاجموها في ٢٤ آذار ١٩٤٨ . عند قرية شعفاط ، وكانت مؤلفة من مصفحتين فقتلوا اربعة عشر يهوديا من رجالها (١) ، وجرحوا عشرة . وحرقوا المصفحتين . وغنموا مقادير كبيرة من الاسلحة الخفيفة . وصادف ان مر من هناك ، والمعركة قائمة؛ الجنرال ماكميلان ، قائد القوات البريطانية في فلسطين . كما مر ، في الوقت نفسه ، الفريق غلوب باشا الانكليزي رئيس هيئة اركان حرب الجيش العربي (٢) ومساعده القائمقام احمد صدقي الجندي . فتدخل هؤلاء في الامر ، ووقف القتال ، ولولاهم لقضى المناضلون على حياة الستة الباقين من رجال القافلة ، وعلى العشرة المجروحين . فقد انقذوهم ونقلوهم الى القدس في سيارة من سيارات الجيش العربي . وجرح اثنان من العرب احدهما محمد عمر النوباني ، فقد اشترك هذا مع اخيه ابراهيم في هذه المعركة ، كما اشترك فيها الشيخ عبد الفتاح المزرعاوي ومحمد عبد الله الاسمر من ترمسعينا ، وسليم حسين محمد عوض الله من شعفاط . والثلاثة الاولون من قادة الثورة في عام ١٩٣٨ . والذي ادار هذه المعركة ورتبها وزود المناضلين بالسلاح هو عبد القادر الحسيني .

وانه ليجدر بنا ان نقول ان (معركة شعفاط) هذه كانت من اجل اخذ الثأر لحادث جرى قبل ذلك بثلاثة ايام (٤٨/٣/٢١) يوم مرت من شعفاط قافلة يهودية في طريقها الى مستعمرتي (بن يعقوب) و (عطاروت) . وراح رجال القافلة يطلقون النار على سكان شعفاط ذات اليمين وذات اليسار . فقتلوا عشرة بينهم فتاة من شعفاط .

وفيما كانت معركة شعفاط قائمة ، كان عدد آخر من المناضلين يتربصون على طريق يافا لقافلة سيارات يهودية كانت تحمل المؤن . وقفوا لها بالمرصاد بين القدس وباب الواد وكانت مؤلفة من ١٣ سيارة ، تمكنوا من تحطيمها كلها .

وقاموا بمثل هذا العمل في اليوم التالي (٢٥ آذار) فهاجموا قافلة اخرى ، كانت اكبر من اختها التي سبقتها ، وكانت مؤلفة من زهاء ٦٠ سيارة ولكن هذه القافلة تمكنت رغم ذلك من الوصول الى القدس قرب منتصف الليل بعد ان قضت في الطريق ، بين

---

(١) بين القتلى المهندس العسكري الذي انتدبته قيادة الهاجنا لوضع التصميات اللازمة لتحصين المستعمرة .

(٢) كانت مهمة الجيش العربي يومئذ ان يساعد الجيش الانكليزي المرابط بفلسطين في صون الامن

تل ابيب والقدس احدى وعشرين ساعة ، وفقدت هذه القافلة خمسة من ركابها وجرح تسعة. وساد الرعب بين يهود القدس اثر هذه الهجمات الشديدة . فارتفعت الاسعار ، ووصلت حدا لا يطاق ، وراح التجار يخفون بضائعهم ، وكاد الناس يحطمون ابواب المخازن ، كل يريد ان يعد للغد عدته . . . ويهيء زاده ، . اذ لم تكن لدى اليهود يومئذ مؤن تكفيهم لاكثر من اسبوع واحد . وقدرت المؤن التي ادخروها في اول آذار بانها تكفي لثلاثة اسابيع (١) .

وبدافع من اليأس ، اغار اليهود ، على حي المصرارة ، فالقوا عليه عددا من قنابلهم فقتلوا امرأة عربية ، وكان رجع الصدى ان دمر العرب ثلاثـــة من المنازل اليهودية في حي (محنة اسحق) المجاور للشيخ جراح .

معركة كفار عصيون الثانية (١)

●

وفي ٢٧ آذار ١٩٤٨ علم العرب بمرور قافلة يهودية ، تحت جنح الليـــل . الى كفار عصيون ، ناقلة المؤن الى هذه المستعمره التي كان يطوقها العرب والمستعمرات اليهودية الاخرى المجاورة لها. وكانت القافلةمؤلفة من مئتين وخمسين رجلا من رجال الهاغانا،جاء في اربع وخمسين سيارة يهودية يحرسها اربع من المصفحات ، فاعتزم العرب مهاجمتهـــا عندما تؤوب فبثوا الالغام ، واقاموا الحواجز على الطريق في سبعة عشر موضعا .وراحوا يرقبون رجوع القافلة . ووقف جماعة من بيت فجار عند (وادي البيار) يحولون دون وصول النجدات الى القافلة من المستعمرات المجاورة

وكان عدد المجاهدين في بادىء الامر قليلا ثم ازداد فاصبحوا مئتين (٣) ومـــا ان اطلت القافلة عليهم ، عند الموقع المعروف بـ (الدهيشه) القريبة من برك سليمان ، وكانت

---

(١) « Jerusalem Embattled » by Harry Leirn , P. 23

(٢) يسميها الناس (معركة الدهيشه) بالنسبة الى الموقع الذي وقعت فيه .

(٣) معظمهم من بيت لحم وبيت جالا ومن السواحره والتعامره والعبيديين وبعضهم جاؤا مــن القدس والخليل وما بينهما من قرى . وكان يديرهم نائب القائد العام للجهاد المقدس كامل عريقات واما القائد عبد القادر الحسيني فكان يومئذ في دمشق يبحث عن السلاح . معه اثنان من رجال هذه المنظمة هما – ابراهيم ابو ديه ، وعبد الله العمري . وزودت بلدية بيت لحم المناضلين الذين اشتركوا في هذه المعركة بالزاد والعتاد . وكذلك فعلت اللجنة القومية في القدس .

الشمس على وشك الشروق ، حتى هاجموها بنيران شديدة من اسلحتهم الخفيفة ، فسقط عدد من رجالها قتلى وجرح اخرون ، وانفجرت ، في الوقت نفسه ، بعض الالغام التي بثها المناضلون فنسفت المصفحة الامامية (١) ثم دمرت سيارتان ، ولجأ زهاء مئة من رجال القافلة الى بيت عربي قريب من الطريق ، وكان اهله قد هجروه قبل مرور القافلة فحاصرهم العرب ، كما وقع البقية الباقية من سيارات القافلة في الفخ ،

وما كاد الليل يجن حتى كانت القافلة كلها قد اشرفت على الهلاك ، لا زاد ، ولا ماء وراح الناس ينسلون من كل حدب وصوب ، فبلغ عددهم الفاً ، وقيل ان المناضلين الذين اشتركوا في النضال لم يتعدوا الخمسمئة ، وقد كانوا في بدء المعركة خمسين ، واما الباقون فقد جاؤا بقصد الاستطلاع والكسب

وفي ساعة مبكرة من صبيحة اليوم التالي (الاحد ٢٨ آذار ١٩٤٨ حلقت في سماء المعركة طائرة يهودية تحمل الذخائر والمؤن الى المحصورين . ثم تبعتها ثلاث طائرات والقت هذه الطائرات حمولتها . ولكنها اخطأت الهدف . فلم يصل اليهود منها الا النذر اليسير الذي لا يسمن ولا يغني من جوع . وسقط معظمها في يد العرب : فاكلوه وكان معظم زادهم قد نفد . وهوت احدى الطائرات الى الارض ، فتحطمت ، وقتل قائدها :

ويظهر ان تحليق الطائرات في الجو قوى معنويات اليهود المحصورين ، فراحوا يطلقون النار بكثرة ، وقابلهم العرب بنار مثلها فاسكتوهم ، واستنجد رجال القافلة بالوكالة اليهودية فاستغاثت هذه بالحكومة ، فخف عدد من الجند لنجدتهم ، وكانوا مزودين بالمدافع ، الا ان العرب قابلوهم بالرصاص ، وقيل انهم اعطبوا مصفحتين ، وجاء المناضلون ، الذين كانوا يرابطون عند مار الياس ، بقصد المساندة ومنع النجدات اليهودية ، فانضموا الى اخوانهم ، وانذر الجميع الجند الا يتقدموا ، لان الطريق ملغومة وقالوا انهم سيقاتلونهم ، اذا هم لم ينصاعوا للانذار ، فانصاعوا ولم يتقدموا .

شعر العرب عندئذ بنشوة النصر ، وراحوا يضيقون الخناق على اليهود المحصورين ، ورفض هؤلاء الاستسلام ، واستنجدوا بالحكومة مرة اخرى ، فبعث الى حاكم اللواء

---

(١) ان الفضل في نسف هذه المصفحة يعود الى الياس برزق من شباب تلك المدينة • اذ خاطر بنفسه عندما رأى القافلة تقتحم الحواجز فما كان منه الا ان انسل من مكمنه في دار المقرقر فجاء الى المكان الذي وصلت اليه المصفحة الاولى فدس تحتها قنبلتين من القنابل التي كانت معه (من طراز ملز) ثم صب عليهما قليلا من البنزين واشعله . فدمرت المصفحة وقتل من فيها من اليهود وقيل ان عددهم خمسة عشر ولما كانت هذه مليئة بالمتفجرات فقد اشتعلت المتفجرات التي فيها ودمرت ما حولها من مصفحات ورجال .

المستر بولاق J.H.A. Polloc رسالة حملها الي رسوله المستر براون ، طالباً مني ان اتصل بعبد القادر الحسيني الذي اتخذ مقره في بيرزيت وان ارجوه ايقاف القتال ، ولما لم اجد عبد القادر اتصلت بنائبه كامل عريقات (١) الذي كان في الميدان ، ويظهر ان مثل هذا التوسط جرى عن طرق اخرى ، منها عيسى البندك رئيس بلدية بيت لحم وبعد البحث اشترط عريقات، لاجل ايقاف القتال ، ان يسلم اليهود للعرب كل ما لديهم من اسلحة واعتدة ، واشترطت الهيئة العربية العليا ايضاً مثل هذا الشرط ، وكانت المفاوضات دائرة بينها وبين رجال الامن .

ولم ير اليهود بدا من التسليم ، فاخبروا العرب انهم يقبلون الشروط التي املوها ، اخبروهم ذلك بوساطة المستر سمرفيل مساعد حاكم لواء القدس ، وكان يومئذ يراقب تطور المعركة من بيت لحم .

فرفع العرب الحصار بعد ان دام ستاً وثلاثين ساعة ، وانتهى القتال في الساعة الخامسة من بعد ظهر اليوم التالي (٢٨ آذار) وتسلم العرب اسلحة اليهود ،بعضها أعطب عن قصد قبل التسليم ، والبعض الاخر كان في حالة صالحة للاستعمال ، وكانت غنائم العرب ثلاث مصفحات وثمانية باصات كبيرة وثلاثين سيارة للشحن ، وثلاثين بندقية من طراز ستن ، واربعين من طراز برن ، ومئة من البنادق الاعتيادية بين انكليزية والمانية ؛ وعدداً من القنابل والمسدسات، وطناً ونصف الطن من ملح البارودوالمتفجرات ومقادير كبيرة من الاعتدة والذخائر اقتسمها المناضلون (٢) من ابناء الخليل (٣)والقدس وبيت لحم وبيت جالا وعرب التعامره والعبيدين ومن ابناء بيت فجار وبيت أمر وحلحول . واما البقية الباقية من سيارات القافلة وعددها اربعة عشر فقد التهمتهاالنيران

وقتل من اليهود في هذه المعركة خلق كثير ، وجرح كثيرون ، وفي بيان يهودي ان

---

(١) كامل عبد الرحمن عريقات من ابي ديس . من مواليد ١٩٠٧ اتم تحصيله الابتدائي في الروضة والثانوي في الفرندز (١٩٢٣) انخرط في سلك البوليس الفلسطيني (١٩٢٦) وتدرج في الرتب الى ان صار ضابطاً (١٩٤١) ثم استقال وراح يشتغل في الحقل الوطني فانخرط في صفوف الحزب العربي ونادي الاتحاد القروي ومنظمة الفتوة ومنظمة الشباب الفلسطيني وكان مساعداً لقائدها محمود لبيب المصري وعندما نشب النضال الحالي في فلسطين انتدب ليساعد عبد القادر الحسيني في ادارة دفة الجهاد . وانتخب نائباًفي البرلمان الاردني عن قضاء القدس، في الانتخابات الاولى التي جرت عام ١٩٥٠ والثانية عام ١٩٥١

(٢) تمنى الكثيرون من ابناء البلاد ان لولم تقتسم هذه الغنائم بين الافراد ، فاحتفظت بها القيادة لتستعملها في المعارك القادمة .

(٣) حدثني احد قادة النضال من جبل الخليل ان نصيب اهل الخليل من هذه الغنائم كان عشر سيارات ودبابة وبيت فجار وبت أمر وحلحول ست سيارات .

قتلاهم كانوا خمسة عشر ، والجرحى خمسون ، وتسلمت الحكومة ١٥٩ يهوديا نقلتهم في سياراتها الى منازلهم ، وكان بين المنقولين ٢٤ جريحاً . وكانت الجمعية الطبية العربية قبل انتهاء المفاوضات ، قد نقلت في سياراتها ٣٥ جريحاً يهودياً ،سلمتهم الى المستشفيات اليهودية بالقدس ، واما النساء اليهوديات اللواتي كن في كفار عصيون ، وعددهن ست وثمانون ، فقد بقين في بيت لحم ، ولم يمسهن احد باذى ، ومكثن هناك مدة قصيرة من الزمن . ثم ارجعن الى منازلهن .

وقتل في هذه المعركة اثنا عشر عربياً وجرح ثلاثة .

هذا ما جرى لكفار عصيون في ٢٧ آذار ، وبه يكون العرب قد انتقموا لانفسهم من هذه المستعمرة التي كبدتهم اربعة عشر قتيلا ، واربعة وعشرين جريحاً ، يوم هاجموها بعدد كبير من مقاتليهم (١٤ يناير ١٩٤٨) فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم . واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين (١) ولئن تمكن العرب يومئذ من احتلال بعض المواضع اليهودية ،الا انهم عادوا فخرجوا منها. وجرى قتال بين الفريقين في ١٠ ايار دام ٣٦ ساعة . قتل فيه ١١ يهودياً وجرح ٢٧ ، ولكن العرب لم يتمكنوا من احتلال كفار عصيون والمستعمرات اليهودية الاخرى المجاورة لها الا في ١٤ ايار ١٩٤٨ كما سنقص عليك ذلك عند ذكر وقائع ذاك اليوم .

وفيما كان سكان جبل القدس يرقصون طرباً للانتصار الذي نالوه في الدهيشة ،اتاهم نبأ الانتصار الذي ناله اخوانهم في الخليل ، حيث قتل المجاهدون اثنين واربعين شخصاً من رجال الهاغانا على مقربة من يهيام Yehiam (٢) وحطموا خمسة من باصاتهم المصفحة ومعظم المقتولين من سكان نهاريا (٣) .

معارك المصراره

●

عندما وصلت يهود القدس انباء معركة كفار عصيون ، تلك المعركة التي وقعت في ٢٧ اذار ١٩٤٨ والتي هزم فيها رجال الهاغانا شرّ انهزام ، راحوا يفكرون في اضمن

(١) سورة البقرة : الاية ١٩٤ .

(٢) « Jerusalem Embattled» by Harry Levin , P. 28 .

(٣) بعد هذا الفصل اقرأ ما كتبناه عن (معركة كفار عصيون الثالثة) تلك المعركة التي نشبت في ١٠ ايار وانتهت في ١٤ ايار .

وسيلة للانتقام ، فقذفوا حي باب العمود المصرارة بقنابل الهاون ، لاعتقادهم بانه مزدحم بالسكان وانه خير مكان للانتقام .

كان عدد القنابل التي قذفوها يومئذ عشرين ، فتهدم جانب العمود من منزل الشيخ محمود الانصاري ، وقتل عربيان من سكان الحي كما قتل خمسة آخرون في باب العمود وجرح اربعون . ولم يقف العرب تجاه ذلك مكتوفي الايدي ، فقد قذفوا الحي اليهودى الذي جاء منه الضرب (مياشورم) بمئة قنبلة من قنابل المورتر ، ويظهر ان تأثير هـذا القذف كان كبيراً . اذا احترقت بعض المباني اليهودية ومنها مصنع للاحذية . وقتل من اليهود على ما روته صحفهم ، مئة وخمسة وثمانون ، وجرح كثـيرون ، وهجر حي مياشورم زهاء خمسة آلاف يهودي من سكانه . واندفع المناضلون المشاة يريدون اقتحام الحي نفسه الا ان الانكليز الذين كانوا مرابطين في مخفر البوليس بـين حي المصراره ومياشورم ، وفريق من رجال فرقة الطيران الذين كانوا على مقربة من الحي ، حالوا بينهم وبين ما يبتغون . فارجعوهم من حيث اتوا . وقد جرحوا عدداً من سكان الحي بـين مناضلين ومدنيين .

وكـان اليهود ، اثر حادث شارع بن يهودا (في ٢٢ شباط) ، قذفوا حي المصراره بثلاث قنابل من النوع المعروف بالسلبند ، واخرى من مدافع الهاون ، وقتل يومئذ من جراء ذلك رجل من اسرة اغابي ،وعدد من افراد اسرة عبود، هم الياس عبود وزوجته روز وطفلها ، وفؤاد الدقـاق ، ومحفوظ الحنو ، ومحمد الكراعين . واعطبت بعض المنازل العربية .

وعلى اثر هذين الحادثين اكفهر الجو في المصراره ، واصبحت الحياة فيها لا تطاق ، فتدخل الانكليز ، وفرضوا على الفريقين هدنة اشترطوا ان تدوم مـا داموا هم (اي الانكليز) في البلاد ، ووافق الفريقان ، وهدأت الحال بضعة ايام (من ٧ الي ٢٥ نيسان) ولكن ما كاد فجر اليوم السادس والعشرين من نيسان ينشق حـتي راح اليهود يخرقون الهدنة ، وكانت انباء انهيار المقاومة العربية في حيفا (٢٢ نيسان) وفي يافا (٢٦ نيسان) قد وصلتهم .

ففي ٢٦ نيسان ١٩٤٨ قصف اليهود الحي بوابل من قنابلهم (قنابل هاون) . ودام القصف من منتصف الليل حتى ظهر اليوم التالي ٢٧/ ٤ ، فقتل وجرح من جراء ذلك عدد غير قليل من النساء والشيوخ والاطفال . فاضطر معظم السكان للنزوح عن منازلهم ومن القتلى خليل البشتي .

وفي ١١ ايار ١٩٤٨ سلم الانكليز عمارة المستشفى الايطالي الى الصليب الاحمر الدولي بعد ان احاطوا الفريقين بما فعلوا . ورفعت اعلام الصليب الاحمر على تلك العمارة ، ولكن . ما كاد الانكليز يرحلون عن القدس في ١٤ ايار حتى جاء اليهود ، فاحتلوا العمارة المذكورة ، وانزلوا عن برجها العالي علم الصليب الاحمر (١) ، ووضعوا مكانه العلم الصهيوني ، وبهذا سيطروا على مداخل الحي وعلى الاحياء العربية الاخرى المجاورة له ، وهجره ، بعد ذلك ، سكانه (٢) . ولم يبق فيه سوى حامية صغيرة مؤلفة من مئة وثلاثين مناضلا ـ نصفهم من الجهاد المقدس ، والنصف الآخر من جيش الانقاذ ، يساعدهم ، في نقل الجرحى واسعافهم ، عشرة من شباب الحي غير المسلحين ، وما ان رأى رجال الحامية ان اليهود تمكنوا من صدهم ، بعد معركة دامت من الساعة العاشرة صباحاً حتى الخامسة مساء اذ كانوا قد تحصنوا في بروجه العاليه ، وقتل يومئذ اثنان من رجال الحامية ، واثنان من الاهلين ، وجرح من هؤلاء واولئك احد عشر نفراً .

وفي ١٥ أيار ١٩٤٨ استعمل اليهود مكبرات الصوت ، نصبوها على ابراج المستشفي الايطالي . وراحوا يخاطبون العرب طالبين منهم الانسحاب من الحي ، ومن الاحياء المجاورة له ، والذهاب الى البلدة القديمة داخل السور ، قائلين أنهم احتلوا القطمون والبقعة والطالبية والشيخ جراح ومعظم الاحياء الكائنة خارج السور .

فأصدر آمر حامية القدس القائد فاضل رشيد العراقي امره بالانسحاب الى داخل السور(٣) . فانسحب المناضلون . وكان يقودهم في هذا الحي بهجت ابو غربيه(٤) .

---

(١) لم نطلع على الاحتجاج الذي قدمه ممثلو هذه الهيئة الدولية ، ولسنا ندري اذا كان اي احتجاج كهذا قد قدم لاية منظمة دوليه .

(٢) ذلك لانه قريب من الاحياء اليهودية . وخشي السكان ان يحل بهم ماحل بقرية ديرياسين .

(٣) لسنا ندري ان كان هذا الامر قد صدر بعد الانذار اليهودي المتقدم ذكره وبناء على الانذار نفسه ، ام انه صدر قبل ذلك وبوحي من الموقف الحربي في المدنية . اذ انمثل هذا الامر اعطي – في وقت واحد – الى جميع الحاميات العربية في المدينة ، ولم يعط لحامية المصراره وحدها .

(٤) من اخلص الشبان واشجعهم . وله الفضل الاكبر في انقاذ الحي .

ولد بهجت ابو غربية في خان يونس ١٩١٦ . والده عليان عبد العزيز من الخليل ، وكان مديراً لناحية خان يونس . وامه فكرية حسن تركية الاصل

اتم بهجت دراسته الابتدائيه في الخليل . والثانوية في المدرسه الرشيديه بالقدس (١٩٣١) . امتهن تصليح الساعات مدة ، ثم عكف على الدراسة الليلية في مدرسة جمعية الشبان المسيحية ، الى ان

وكانت الساعة قد دقت الواحدة بعد الظهر . فتقدم المقاتلون المشاة من اليهود من ناحية مياشورم ، واحتلوا معظم الحي المعروف بسعد وسعيد ، كما احتلوا مدرسة الاسوج . ووسعوا منطقـة احتلالهم من ناحية النوتردام ، فأتوا الى دار الموقت قبالة السجن من الشرق واحتلوها . وهي من المواقع المسيطرة على المصرارة وباب العمود .

عندئذ رجع المناضلون ، ولما ينقض على انسحابهم الى داخل السور اكثر من ساعة ، فقاموا بهجوم معاكس كان القصد منه الحيلولة دون تقـدم اليهود ، وانقاذ فريق من رجال الحامية العربية(١) كانوا مرابطين في فندق رغدان عند مفترق طريق القديس بولس بشارع الملكة مليسندة ، فأخذهم اليهود على حين غرة ، وحاصروهم في الفندق. زحف العرب بادىء ذي بـدء من ناحيتين : ـ من باب العمود ، فسعد وسعيد ، ومن النوتردام . وجاءت بعدئذ فرقة اخرى من ناحية باب الساهرة لتسند الزاحفين . واشتبك الفريقان في قتـال مرير دام حتى الخامسة مساء . وانتهى بنصر للعرب . اذ طردوا اليهود من الحي كله ، ومن مدرسة الاسوج ، والنوتردام . وأنقـذوا في الوقت نفسه الحامية التي كانت محصورة في فندق رغدان .

ولمـا رأى اليهود ما رأوا ، وكانوا يتوقعون سقوط الحي بأيديهم ظنوا ان الجيش العربي دخل المدينـة . فدب الرعب في صفوفهم ، وراحوا يولون الادبار ؛ تاركين وراءهم عدداً من القتلى . ووقفوا في مداخل حيهم يترقبون الحوادث بقلوب واجفة . وكان الناس في بيت المقدس يتوقعون دخول الجيش في ذلك اليوم . ولكنه لم يدخل . ولم يكن باستطاعة المجاهدين من أبناء المدينة ان يواصلوا زحفهم ، لان العتاد الذي بيدهم كان قد نفد . . . فأعاد اليهود الكرة عند منتصف الليل (١٥ — ١٦ — ٥ — ٤٨) وقاموا

عين معلماً في الكلية الابراهيمية بالقدس ١٩٣٣ .

اشترك في ثورة فلسطين ١٩٣٦ — ١٩٣٨ وفي حرب فلسطين ١٩٤٧ — ١٩٤٩ . وابلى في كلتيهما بلاءاً حسناً . جرح سبع مرات في القتال . وسجن ست مرات . وهو من مؤسسي (حزب البعث العربي الاشتراكي . وبالاضافة الى مهنة التعليم يقوم اليوم (١٩٥٤) بعملين : احدهمـا رياسة نادي الشباب العربي القومي بالقدس ، والثاني سكرتيرية رابطة المناضل الجريح في فلسطين .

هذا هو الشاب الذي قاد النضال في حي المصرارة وسعد وسعيد .

ومن الذين جاهدوا في هذا الحي . المهندس نقولا حلبي الذي تولى تحصين مراكز الدفاع بالاسمنت المسلح ، والدكتور ابراهيم طليل ، والدكتور شاغوريـة ، والسادة محمد اسبيتاني ، وخليل الششتي ، وعبد العزيز الشخشير ، وغيرهم كثيرون .

(١) اكراد من رجال جيش الانقاذ ينتمون الى فاضل العراقي ، وعدد الذين كانوا في الفنـدق يومئذ عشرون

بهجوم كبير على الحي . واحتلوا الامكنة نفسها التي اخرجوا منها في النهار. كما احتلوا، فضلاً عن ذلك ، دار قطينة التي كانت في أواخر عهـــد الانتداب متحفاً .

وجاء العرب في صبيحة اليوم التالي (١٦ أيار) فقاموا بهجوم معاكس ، يريـدون استرداد ما خسروه الليلة الفائتة . وما كادت الساعة تدق الواحدة من بعد ظهر ذلك اليوم حتى كانوا قد دحروا اليهود الى الوراء ، واستردوا المواقع المتقدم ذكرها . وأصبحت المصرارة كلها بأيديهم — من النوتردام حتى مداخل الحي اليهودي (مياشورم) ولم يقتل من سكان الحي يومئذ سوى شخص واحد هو والد عيسى شاكر ، ومناضل لا أعرف اسمه وجرح ثلاثة .

فارتفعت ، أثر ذلك ، معنويات الشعب . وزادها ارتفاعاً أصوات المدافع تقصف حممها على الاحياء اليهودية من قطاع النبي صمويل . انها مدافع جيش الانقاذ : وراحت القنابل تفعل فعلها في الاحياء اليهودية . فدمرت عدداً كبيراً من المنازل والمنشآت ؛

وفي ساعة مبكرة من صباح اليوم التالي (١٧ أيار) أعاد اليهود الكرة . فاحتلوا الحي ولكنهم في هذه المرة قاموا بهجوم خاطف . فعملوا ما عملوا فيه : وبعد أن نسفوا بعض منازله رجعوا الى أمكنتهم . الامر الذي دل على أنه لم تكن لديهم يومئذ قوات كافية للهجوم . ولقد حولوا اهتمامهم الى جهات اخرى من المدينة .

ولم يعودوا لمهاجمة هـــذا الحي الا في مساء اليوم الثامن من شهر حزيران ١٩٤٨ يوم جاءوا على خطين. وجرى قتال بينهم وبين جنود الجيش العربي . فاحترب الفريقان من شارع الى شارع ، ومن منزل الى منزل . وفي صباح اليوم التالي (٩ حزيران) كانَ اليهود قد تمركزوا في الجانب القبلي من جنباته . من دار شبر عند مفترق الطرق (بـين المصرارة وسعد وسعيد) حتى المستشفى الايطالي ، ومنها الى مدرسة الراهبات الساليزيان حتى النوتردام . وأما الاجزاء الاخرى من الحي فقد بقيت بيد العرب .

والذين هجروا منازلهم في الجزء الذي احتله اليهود من الحي اخذوا معهم ما خف حمله وغلا ثمنه من متاع وحلي. وما لم يستطيعوا حمله اودعوه في مدرسة الراهبات الساليزيان أمانة ريثما يعودوا الى منازلهم . ظناً منهم انها مدرسة اجنبية (ايطالية) لا يجرؤ اليهود على نهبها : وقد استشارت ادارة المدرسة قبل أن تتقبل تلك الامانات قنصل ايطاليا ؛ وجس هذا نبض الوكالة اليهودية فاجابته انها لا تمانع. ولكن اليهود الذين من شأنهم نقض العهود اقتحموا هذه المدرسة كما اقتحموا غيرها من المعاهد . لا فرق في نظرهم بين المعاهد الثقافية والدينية أو العسكرية ، ونهبوا كل ما وجدوه فيها من أمتعة وأثاث :

سكان الزيب يسلبون رجال البوليس البريطانيين

●

في يوم من أواخر شهر آذار ١٩٤٨ هاجم سكان قرية (الزيب) من أعمال عكا سيارة من سيارات البوليس الفلسطيني ، وكان فيها ضابط انكليزي . وكان هذا في طريقه من الناصرة الى الزيب والناقورة حاملا معه رواتب البوليس في هذين المخفرين الواقعين على الحدود اللبنانية الفلسطينية . فاوقفوا السيارة بعد ان عطلوا عجلاتها . ثم سلبوا الضابط ما كان معه من مال . وقيل أنه كان يحمل اثني عشر الف جنيه . أخذوها منه .

ولقد ذاع بعدئذ ـ وما من سر يبقى مكتوماً في هذه البلاد ـ ان الضابط كان عـلى اتفاق سابق مع مناضلي الزيب كي يقوموا بهذا العمل ان يسلموه بعدئذ نصف المبلغ . ويظهر ان الحظ واكب مناضلي الزيب اكثر من مواكبته لمناضلي صفوريـة والناصرة الذين كانوا على علم بما سيجري في ذلك النهار .

حامية القدس من شهر آذار

●

وبلغ مجموع عدد المناضلين في مدينـة القدس ، في أواخر شهر آذار ١٩٤٨ ، ٥٨٦ مناضلا ، كانوا موزعين في قلب المدينة وفي أطرافها كما يلي :

العدد	
١٢٣	سرية فاضل عبدالله ترابط فيه الروضة
١٢٥	في القطمون
٤٠	في الشيخ جراح
٤٠	في وادي الجوز
٨٠	في البلدة القديمة
٥٠	في البقعة
١٥	في الشماعة
٣٠	في ماملا
٢٠	في عمارة الاوقاف
١٠	في دار الهيئة العربية العليا
١٨	في حي الثورة
٣٥	في المصرارة وباب الزاوية
٥٨٦	

وكان هذا العدد يصعد في بعض الاحايين الى سبعمئة وخمسين . الا أنهم لم يكونوا كلهم مسلحين وكانوا يتناوبون العمل لقلة ما في أيديهم من سلاح . هذا في المدينـة . وأما في القرى المجاورة للقدس فقد كان يومئذ ٨٠ مقاتـلا في بيت صفافا و ٨٠ في صورباهر و ١٤ في سلوان و ١٣٠ في شعفاط . وكان لدى عبد القادر الحسيني يومئذ ١٩ رشاشاً (ثمانية منها في القدس) . كما كان لديه ثمانية من مدافع الهاون وعدد من البرنات والهوشكس والبراوننغ(١) .

تفاقم الاحوال وتدخل مجلس الامن

●

وفي ١ نيسان ١٩٤٨ أذاع مكتب الأخبار التابع للحكومة ان عدد القتلى في فلسطين (من عرب ويهود) بلغ ٢٦٣٥ : ٩٣٥ منهم يهود والباقون عرب . وأما عدد الجرحى لدى الفريقين ، فقد بلغ ٣٥٥٢ وأما ضحايا الانكليز فكانت ٤٣٠ ربعهم من المقتولين. هذا في المدة التي انقضت بعد قرار التقسيم ، وعندمـا وصلت هذه الاخبار الى مجلس الامن أقر هذا الاقتراحين التاليين اللذين قدمهما مندوب الولايات المتحدة :

اولاً ـ ان مجلس الامن في سعيه للقيام بواجبه للمحافظة على الامن والسلام العالمي ، ينظر باهتمام الى الحالة القائمة بفلسطين . ويعتقد ان عقد هـدنة هناك في الحال مسألة في غاية الاهمية . لذلك فان مجلس الامن يدعو كلاً من الوكالة اليهودية والهيئة العربية العليا لارسال ممثلين في الحـال الى مجلس الامن لبحث شؤون الهدنة بين العرب واليهود في فلسطين :ويؤكد المجلس ان مسؤولية كبرى تقع على عاتق الفريق الذي يمانع في الوصول الى هذه الهدنة ، ويدعو مجلس الامن كذلك جميع الفرقاء المسلحين ـ سواء كانوا من العرب أو اليهود ـ الى التوقف عن القتال حالا .

ثانياً ـ بعد ان اطلع مجلس الامن على تواصي لجنة فلسطين الخاصة وعـلى مباحثات

---

(١) هذا ما قاله عبد القادر الى اللواء اسماعيل صفوة باشا عندما اجتمعا في (قداسيا) من اعمال دمشق . وكان ذلك بتاريخ ٣٠ آذار ١٩٤٨ . وقد اقتبسناه من مذكرات اللواء الركن طـه باشا الهاشمي . تلك المذكرات المنشورة في العدد ٢٢ من جريـدة (الحارس) العراقيـه بتاريخ ٢٣ نيسان ١٩٥٣ .

الاربعة الكبار بشأن الحالة في فلسطين فانه يطلب الى السكرتير العام لهيئة الامم المتحدة بموجب الميثاق ان يوجه الدعوة الى الدول الاعضاء لعقد جلسة خاصة للجمعية العمومية ليبحث فيها بتوسع اكثر مستقبل الحكم في فلسطين .

أما الاقتراح الاول فقد أقره مجلس الامن بالاجماع . وأما الاقتراح الثاني فقد وافق عليه بأغلبية تسعة أصوات وهي — الولايات المتحدة ، وبريطانيا ، وفرنسا ، والصين ، وقولومبيا ، وكندا ، والبلجيك ، وسوريا ، والارجنتين . وامتنعت روسيا واوكرانيا عن التصويت .

ودعا المسيو تريجفي لي ، السكرتير العام لهيئة الامم فور صدور هذين القرارين الجمعية العمومية للانعقاد في اليوم السادس عشر من شهر نيسان ١٩٤٨ .

وفي مساء اليوم الثالث من شهر نيسان أذاع السر الن كننغهام Sir Alan Canningham المندوب السامي لفلسطين بياناً ناشد فيه الفريقين ، العرب واليهود ، كي يذعنوا لقرار مجلس الامن ولكن لم يابه لبيانه احد . بل قال اليهود انهم على استعداد لايقاف القتال ، اذا اوقفه العرب . وقال العرب مثل هذا القول . ثم قال اليهود انهم لن يوقفوا القتال الا اذا قبل التقسيم . وقال العرب انهم لن يوقفوه الا اذا الغي التقسيم :

وقام فريق من اليهود في ٤ نيسان بمظاهرات صاخبة في شوارع القدس طالباً وقف القتال في الحال . ولقد اشترك في هذه المظاهرات عدد غير قليل من رجالهم ونسائهم . فجاءت قوات كبيرة من جيش الهاغانا ، وفرقت المتظاهرين . ثم مزقت اعلامهم وزجت زعماءهم في السجون . وضاعف المتطرفون من أعمال العنف . فقتلوا المس طمسون Miss Thompson المفتشة الانكليزية في دائرة الشؤون الاجتماعية ونسفوا قطار حيفا — القاهرة فقتل في هذا الحادث أربعون عربياً وجرح ستون . وقام بهذا العمل منظمة شترن الارهابية

قامت تلك المنظمة باعمالها على أمل ان تقوي معنويات شعبها . تلك المعنويات التي كادت في شهر آذار تنهار الى الحضيض . ذلك لان القسم اليهودي من القدس كان يومئذٍ منعزلاً عن القطاعات اليهودية الاخرى من البلاد . وكانت وسيلة الاتصال الوحيدة بين يهود القدس والخارج جهازاً لاسلكياً واحداً لدى منظمة الهاجنا ، وطائرة مدنية واحدة تتردد على المدينة مرة في كل اسبوع . وكانت معنويات اليهود متحطمة . والخوف

ن المستقبل القريب مسيطراً على النفوس . وكان الجوع والافتقار للمؤن يزيد الحالة سوءاً بين طبقات السكان . ولم يكن لدى اليهود في القدس يومئذٍ سوى الف مقاتل ينتمون الى منظمة الارغون ، ومثلهم أو اكثر بقليل ينتمون الى جيش الهاجنا . ورجال الارغون وان كانوا اكثر تدريباً من رجال الهاجنا ، إلا انهم لا يملكون من السلاح سوي ٣ مدافع برن و٣٩ بندقية و ٣٢بندقيةرشاشة و ٨٠ مسدساً ومقدار ضئيل من القنابل والمواد المتفجرة(١)... وأما رجال الهاجنا بالقدس فقد كانوا أكثر عدداً وعدة ولكنهم أقل تدريباً .

ولم يكن الوضع عند العرب ، من ناحية السلاح ، بافضل منه عند اليهود : اذ قال اللواء الركن طه باشا الهاشمي في مذكراته(٢) ان قد زاره في دمشق بتاريخ ٣ نيسان ١٩٤٨ كل من السيد فراج قنصل مصر في القدس والسيد مؤيد العظم قنصل سورية فيها، وأخبراه ان الموقف في القدس قد تحرج، وان الضرورة تقضي بانجادها بكل مايتيسر من مال وسلاح ومدافع : فاعترف لها بانه « لا سلاح لدى اللجنة ، ولاعتاد ، وان اكثر الدول العربية لم تف بوعودها، ولا سيا حكومة مصر. وان السلاح الذي قدمته لا يصلح»

ومضى الهاشمي في مذكراته يقول :

« ان قنصل مصر قد بهت لقولي هذا، ولام الدول العربية على عملها ، قائلاً : لماذا اذاً خدعت هذه الدول أهل فلسطين ؟ » هكذا كان الوضع في اوائل شهر نيسان .

اليهود ينهبون اسلحة الجيش البريطاني

●

في ٤ نيسان ١٩٤٨ تمكنت وحدة يهودية مقاتلة، يقودها رجل من عصابة الارغون يدعى جدعون ، ويكنى بـ (جيدي) ، من اقتحام المعسكر البريطاني ذي الرقم ٨٠ المجاور لمستعمرة (باردس حنا) اليهودية . وبعد ان قتلت حارس المعسكر وقائده نهبت مقادير كبيرة من الاسلحة التي كانت هناك ، من ذلك عدد من المدافع الرشاشة ، وبنادق

---

(١) هذا ما قاله (ي. رعنان) القائد العام لقوات الارغون في القدس .

(٢) اقرأ العدد ٢٢ من جريدة (الحارس) العراقيه بتاريخ ٢٣ نيسان ١٩٥٣

الغاز الخانقة ، والقنابل من نوع فيات ، ومـا الى ذلك من الاعتدة : وقال (مناحيم بيغن) قائد منظمة الارغون في مذكراته التي نشرها بعد حين ، وقد أشار فيها الى هذا الحادث ، انه كان للاسلحة التي اخذت من هذا المعسكر أثر يذكر في معركة يافا(١) :

وقام اليهود بمثل هذا العمل بعد ذلك باسبوعين(٢) .

وسرت في الاوساط العربية يومئذ شائعات تقول ان اليهود كانوا على اتفاق مـع الانكليز كي يحصلوا على الاسلحة بتلك الطريقة . وما اقتحامهم المعسكر ، وتوقيفهم القطار ، الا حيل اخترعت لغش العرب. ولكن هذه الحيل طاشت . وما كان في مقدور أحد ان يقنع العرب ان اليهود تمكنوا من اخذها بسواعدهم .

ذكر مناحيم بيغن حادث ٤ نيسان في الصفحة ٣٤٩ من كتابـه The revolt فقال : ان الذي أشرف على هذه العملية هو (يشوع) من قادة الارغون وان الذي تولى تنفيذها هو (جيدي) ... وانه كان مع المهاجمين سيارتان مصفحتان : أحداهما سرقها اليهود من الجيش والاخرى من البوليس ، وكلاهما بريطاني ، وقد رابطت الاولى عند الجناح الايمن للمعسكر ، والثانيـة عنـد الجناح الايسر ... وأن اليهود تمكنوا ، في الوقت نفسه ، من الاستيلاء على مصفحة ثالثة جاءت للنجدة ... ويقول بيغن انـه كانت في المعسكر قوة تعد بالمئات من لواء من المـدافع المضادة للدبابات .. وجاءت نجدة بريطانية من الخارج تصد المهاجمين بنيران مدافعهـا وأسلحتها الثقيلة ، الا ان اصاباتها كانت خاطئة !!! و كما قال تائهة!! Their shooting , howver , was erratic ومضى بيغن يقول ان البريطانيين خسروا ضابطاً كبيراً برتبة Colonel وسبعة جنود ، واما هم ، اليهود فلم يخسروا سوى قتيل واحد . وجرحى كثيرون :

---

(١) اقرأ ما كتبناه عن هذه المعركة في موضع آخر من هذا الكتاب .

(٢) اقرأ ما كتبناه عن مهاجمة اليهود للقطار العسكري في ١٧ نيسان ١٩٤٨ .

ملجأ الرجاء

●

وفي ٥ نيسان ١٩٤٨ نسف (ملجأ الرجاء(١) وكان الشيخ حسن سلامه قد اتخذه مقراً لقيادة القطاع الغربي من المنطقـــة الوسطى . واستشهد في هـــذا الحادث ستة اشخاص(٢) كانوا يقومون على حراسة الملجأ . وقد جرى نسفه ليلا .

وظن الناس ، بادىء ذي بدىء ، ان الذين نسفوه هم اليهود . ولكن ، شرعان ما هلموا انهم جنود بريطانيون ، وقد اعترف بذلك اثنان منهم. احدهما اوسترالي ، والثاني انكليزي . اعترفا ، عندما اسرهما المناضلون في معركة وادي الصرار ، انهما نسفا الملجأ بتحريض من اليهود. وقد اغروهما بالمال والنساء. وكانا ، قبل تلك المعركة ، يتظاهران بحبهما للعرب .

فسيقا الى محكمة المناضلين بأمر من القائد . وقتلا رمياً بالرصاص بعـــد ان ثبتت ادانتهما . ولم يخلص القائد من لوم اللائمين ، الذين قالوا ان كارثة الملجأ ما كانت لتقع لولا اهماله .

---

(١) عمارة شيدها زهدي ابو الجبين من اغنياء يافا في اواخر عهد الاحتلال ، واتخذها ملجأ للايتام الذين لاقي اباؤهم حتفهم في ميادين الجهاد – وهي واقعة على طريق يافا – الرمله وعلى بعد ثلاثة اميال من الاخيرة الى الغرب . وفي قول ان ابا الجبين هذا قام بهذا العمل الجليل عندما علم بنو قومه انه باع اراضيه لليهود .

(٢) اقرأ اسماءهم في الملحق التاسع .

من سقوط

القسطل ودير ياسين

الى : ما قبل انسحاب الانكليز من القدس بيوم واحد

معركة القسطل

في ٣ نيسان ١٩٤٨ احتل اليهود قرية القسطل (١) احتلها رجال البالماخ، وكانوا يستهدفون السيطرة على طريق تل ابيب ـ القدس ، ليتمكنوا من تموين القدس التي قلنا في السطور المتقدمة انها كانت مطوقة بالعرب من كل جانب ، وكان مئة الف من سكانها اليهود ـ كما قال شرتوك لمجلس الأمن ـ على وشك الموت جوعاً ، حتى انهم حاولوا عبثاً ان يقنعوا العرب بوساطة المندوب السامي كي يسمحوا لهم بمرور سبع سيارات محملة قوتاً لاطعام اطفالهم .

لم يكن في القرية ، عندما جاءها اليهود ، سوى عدد ضئيل من المناضلين لا يزيد عن الخمسين من ابنائها ، وما كان باستطاعة هؤلاء ان يصدوا اليهود الـذين جاؤوها بقوات كبيرة ، ولم تكن القرية محصنة تحصيناً كافياً ومع ذلك فقد دافعوا عـن قريتهم دفاع الابطال ، ولم ينسحبوا منها الا بعد ان نفذت ذخيرتهم ، ولا صحة للانباء التي اذيعت يومئذ بأن فيها جماعه من السوريين والعراقيين .

ان سقوط القسطل بيد اليهود أثار ثائرة العرب الذين جاءوا اليها يبغون استرجاعها ، مرتلين قوله تعالى (٢) « ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم ؛ بأن لهم الجنـة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون ... وكان عددهم يومئذ لا يجاوز الثلاثمئة .(٣) انشطروا الى شطرين :ـ شطر احتل (موتزا) (٤) ورابط في (قالونيا) والاكام المجاورة لها ، وكانت مهمته أن يمنع وصول النجدات الى اليهود المحصورين في القسطل ، وهـو مؤلف من رجـال اتوا من بني زيد ومن بني مرة ومن قرى اخرى من اعمال رام الله ،

---

(١) قرية عربية صغيرة واقعة على بعد خمسة اميال من القدس الى الغرب ، معناها في اللغة – على ما جاء في الهمذاني الغبار وهنا معناها الحصن . اصلها باللغة الافرنسيه Castle انها من القرى المرتفعة والمشرفة على عدد كبير من القرى والمستعمرات المنتشرة على طريق القدس – تل ابيب وكان الرومان يسمونها Castellum وكانت على عهد الصليبيين محصنة للغاية . ويرى المرء في يومنا هذا بقايا الحصن الصليبي فيها .

(٢) سورة التوبة ، الاية ١١١

(٣) لم يكن هذا العدد ثابتاً . بل كان يتزايد يوماً ، ويتناقص اخر لضعف القيادة وفقدان النظام

(٤) غنم المجاهدون العرب ، عند فتحهم موتزا ، مئة وخمسين قنبلة والة لاسلكية ومقادير وافرة من الذخائر والبطانيات ومن حقائب الادوية وادوات الميدان .

يقودهم صبحي ابو جبـارة ... وشطر القسطل من ناحيته القبلية الشرقية (عين كارم والمالحة) وهم من رجال الجهاد المقدس، جاءوا من بئر زيت بقيادة كامل عريقات، ومن القطمون بقيادة ابراهيم ابي دية، ومن بيت صفافا بقيادة عبد الله العمري، وقد انضم اليهم بعد ذلك متطوعون من مدينة القدس بقيادة حافظ بركات (١) وكان معهم المحامي انور نسيبة ومن عـين كارم يرأسهم خليل منون ومن المالحة وسائر قرى بـني حسن يرأسهم عبد الفتاح درويش.

وأما القائد نفسه، عبد القادر الحسيني، فقد كان يومئذ في الشام، ذهب اليها ليستنهض همم ولاة الامور فيها كي يزودوه ورجاله بالسلاح والعتاد والمال.

بدأ الهجوم الاول في ٤ نيسان ١٩٤٨ فطوقها المناضلون من نواحيها القبلية الشرقية والشمالية الشرقية، واحتلوا التلال الواقعة بينها وعين كارم، احتلوها بعد قتال عنيف خسروا فيه ثلاثة قتلى وخمسة جرحى وخسر اليهود خمسة وعشرين قتيلا.

وفي اليوم الثاني (٥ نيسان) نسف العرب الجسر الكبير القريب من قالونيا لئـلا يتمكن يهود القدس والمستعمرات القريبة المجاورة لها (كجبعات شاءول ومنتفيوري وبيت ها كيم) من نجدة اخوانهم، الا ان اليهود تمكنوا من تعميره قبل ان تغيب شمس ذلك النهار.

وفي ٦ نيسان هاجم العرب بقيادة كل من كامل عريقات وابراهيم ابي دية وحافظ بركات محاجر الياشار، فنسفوها (٢) كما نسفوا الاستحكامات الـتي اقامها اليهود

---

(١) حافظ عبد الشكور بركات، اصله من الخليل. ولد في الكرك سنة ١٩٢٠ ولما توفي ابوه وكان تاجراً هناك رجع حافظ الى موطنه الاصلي في الخليل ولما استشهد اخوه عبد الحفيظ في حركات الخليل ((١٩٣٦)) اقسم الا ان يثأر له، فاشترك في حركات النضال. وقاتـل اليهود، فاعتقل سنه ١٩٣٨ وبقي في سجن عكا ١٢ شهراً، ثم اطلق سراحه. ولما انتهت الثورة ١٩٣٩ غادر فلسطين الى العرق. ورجع في ١٩٤١

وعندما نشب القتال. اثر صدور قرار التقسيم، اشترك مع المناضلين وجرح مرتـين: الاولى في الحي اليهودي قبل سقوط ذلك الحي، الثانية عند باب الخليل قبل اعلان الهدنة الثانية.

ففي المرة الاولى أصيب في رسغ يده اليسرى، وفي المرة الثانية قلعت عينه اليسرى واصيب جانب من دماغه، وهو الان (١٩٥١) لايفطن الاسماء والارقام.

(٢) تقدر خسائر اليهود في هذه المحاجر بما لايقل عن نصف مليون جنيه. اذ كان بينها ما كنات ضخمة استحضرت من اوربا. فاعطب معظمها. وغنم العرب ما لم يعطب من اجزائها. وقدر ثمن ذلك بمئه الف جنيه، واشار بعض المناضلين بعـدم نسفها. الا ان فـكرة النسف تغلبت، عندما روئي انه من الصعب الاحتفاظ بها او نقلها.

من حولها ، وقتلوا من الاعداء عدداً ينوف على المئة وجرحوا آخرين ، ولكن ذخائرهم نفدت عند الظهيرة ولم يكن معهم سوى مدفعين من طراز برن ومدفع هاون من قياس ٣ بوصات وسبع عشرة قنبلة وثلاثة ألغام . ويظهر أن اليهود شعروا بذلك ، فقاموا بهجوم معاكس يهدفون من ورائه الى صد الهجوم عن القسطل والاحتفاظ بها مهما كلفهم ذلك من ثمن ، ولقد عززوا حاميتهم بالرجال أتوا في عدد من المصفحات وأرسلوا اليها المؤن والسلاح بالطائرات ، واستنجدوا ، في الوقت نفسه ، بأخوانهم المقيمين في مستعمرتين عطاروت والنبي يعقوب (١). فراح هؤلاء يشددون الخناق على سكان القرى المجاورة ، لئلا يركضوا لنجدة اخوانهم المناضلين في قطاع القسطل ، فتطورت المعركة تطوراً لم يكن في صالح العرب ، واستشهد خمسة من المناضلين وجرح كثيرون بينهم وكيل القائد كامل عريقات ، فانسحب من الميدان ، وشعر المناضلون بالخطر ، ولا سيما لان ذخائرهم كانت نفدت او كادت . . . فأرسلوا رسلهم الى القدس ورام الله يطلبون الغوث . فاغاثهم هؤلاء ، ولكنه غوث لا يبل الغلة ، اذ انهم هم أنفسهم نفدت ذخائرهم ، وكانوا في حاجة للغوث ، فرحت استنهض همم رجال الجيش العربي المرابطين في رام الله، فاما أن يخفوا لنجدة المناضلين في قطاع القسطل نفسه ، وهذا قريب منهم ، أو ان يهاجموا مستعمرتي عطاروت والنبي يعقوب ، فيخف الضغط عن العرب ، ولقد تحدثت في هذا الموضوع مع القائد احمد صدقي الجندي قائد اللواء الرابع ، والزعيم غلوب باشا رئيس أركان حرب الجيش العربي ، وكان هذا هو الكل بالكل في هذه الشؤون ، ولكن حديثنا لم يأت بالفائدة المطلوبة ، وقيل لنا انه لم يكن في مقدور الجيش العربي ان يقوم بأية حركة عدائية ضد اليهود قبل انتهاء الانتداب البريطاني في ١٥ ايار .

وكانت تدور في الجو شائعات تقول ان السياسة التي رسمها الانكليز ، والزعيم غلوب باشا منهم ، تقضي بألا يتقوى العرب على اليهود ، واليهود على العرب ، وان يقف كل من الفريقين عند الحد الذي رسم له في هذا القطاع وفي القطاعات الاخرى من فلسطين ؛ وسقطت في اليوم نفسه (٦ نيسان) دير محسن وخلدة بيد اليهود ، وتمكنوا من شق الطريق وايصال قافلة من المؤن الى القدس ، في اربعين سيارة من سيارات الشحن الكبيرة (٢) وراحت طائرة يهودية تهاجم المناضلين المرابطين حول القسطل .

---

(١) تقع هاتان المستعمرتان على الطريق التي تربط القدس برام الله .

(٢) تلك كانت اول قافلة تمر من هناك منذ ٢٥ آذار الفائت .

وفيما كان العرب في حيرة من امرهم، وكان القتال سجالاً بينهم وبين اعدائهم، كان القائد عبد القادر الحسيني في دمشق ، يستدر عطف ولاة الامور كي يمدوه – كما قلنا – بالسلاح والعتاد والمال ،

حدثني قاسم الريماوي (١) الذي رافق عبد القادر في رجلته هذه ، انه (اي عبد القادر مكث في الشام اثني عشر يوماً اتصل خلالها برجال الهيئة العربية العليا ورجال اللجنة العسكرية ، وحاول عبثاً ان يقنعهم بأن يمدوه ورجاله بالسلاح والعتاد ، ولا سيما بالمدافع الرشاشة ، الا انهم لم يلبوا طلبه (٢) وكذلك لم ينجح في اقناع رجال الدول العربية الذين كانوا يومئذ في دمشق (٣٠ آذار – ١٩٤٨) وقد اراد ان يوسطهم في الامر .

وفيما كان الاجتماع منعقداً في (القادسية) وقد حضره بالاضافة الى رجال اللجنة العسكرية المتقدم ذكرهم ، رياض الصلح ، والحاج امين الحسيني ، وعبد الرحمن عزام ، اتاهم نبأ سقوط القسطل بيد اليهود . فتألم عبد القادر ، وتألم الحاضرون ، ذلك لانها كانت اول بلد عربي يسقط في يد الاعداء ، وهو قائم على تل استرتيجي هام يسيطر على طرق المواصلات المؤدية الى القدس ، وبدلا من ان تعطيه اللجنة ما يريد ، وتطلب منه الاسراع في الرجوع ، قال له اسماعيل صفوة باشا : – « ها قد سقطت القسطل ، عليك ان تسترجعها يا عبد القادر ، واذا كنت عاجزاً عن استرجاعها فقل لنا ، لنعهد بهذه المهمة الى القاوقجي ... »

فغضب عبد القادر واجابه قائلا : – « القسطل يا باشا ، مأخوذة من كلمة Castle الافرنجية ،ومعناها الحصن وليس من السهل فتح الحصن بالبنادق الايطالية والذخائر

---

(١) من بيت ريما من اعمال رام الله . عمره ٣٠ سنة . تخرج من الكلية العربية سنة ١٩٣٦ درس الحقوق واشتغل في الصحافة وكان مديراً لمكتب (الحزب العربي) بالقدس . والتحق بفرقة الجهاد المقدس عندما تأسست هذه على اثر صدور قرار التقسيم ١٩٤٧ وكان لقائدها من المقربين .

(٢) اختلفت الآراء في تفسير موقف اللجنة هذا رغم انها هي التي اعترفت به كما اعترفت به الجامعة العربية قائدا للجهاد في فلسطين ، فمن قائل انه لم يكن لدى اللجنة يومئذ السلاح الكافي . ومن قائل انها ما كانت تثق بقدرته بل كانت تعتقد ان فوزي القاوقجي اقدر منه على تحمل هذا العبء ويجدر بنا ان نذكرها ان اللواء الركن طه الهاشمي انحى في مذكراته التي نشرت في العدد ٢٢ من جريدة (الحارس) العراقية بتاريخ ٢٣ نيسان ١٩٥٣ على عبد القادر باللائمة لانه لا يعترف بالقيادة العامة ، وقال انه انذره اذا لم يرتبط بتلك القيادة ، ولم يتصل بها ، ولم يقدم طلباته اليها فان اللجنة العسكرية ستعتبره خارجاً عليها . وقال الهاشمي في نفس الموضع من مذكراته ان عبد القادر اجابه ان القيادة لم تعترف به وانها لم تمده بشيء .

القليلة التي بين ايدينا ، اعطني السلاح الذي طلبته منك وانا استردها ، ولقد كانت خطتي الى الان ، ان احاصر القدس والمستعمرات اليهودية وباب الــواد ، وان امنع وصول النجدات والمؤن الى اليهود ، ونجحت هــذه الخطة ، حتى ان اليهود شرعوا يمونون رجالهم بالقدس وفي المستعمرات بالطائرات ، واما الان فقد تطورت الحال ، واصبح لدى اليهود مدافع وطائرات ورجال ، وليس باستطاعتي ان احتل القسطل الا بالمدافع ... اعطني ما طلبت وانا كفيل بالنصر ... »

فقال له الباشا : ــ « شو نو عبد القادر ؟ ما اكو مدافع ! ... »

وقال له الشراباتي وزير الدفاع : « اذا احتل اليهود القدس ، فسنأتي ونخرجهم منها ، او نقتلهم فيها . » ولم يعطوه من الاسلحة والذخائر الا القليل (١) . عندئذ تميز عبــد القادر من الغيظ ، ورمى بالخارطة في وجه الباشا والوزير ، وقال بصوت سمعه الحاضرون انتم خائنون . انتم مجرمون . سيسجل التاريخ انكم اضعتم فلسطين . سأحتل القسطل ، وسأموت انا وجميع اخواني المجاهدين . » ولم يكن غضبه على الهيئة العربية العليـا ورجالهم باقل من غضبه على اللجنة العسكرية وقادتها . حتى انه سبهم واتهمهم بان كانوا السبب فيما جرى .

وعندما خرج من مكان الاجتماع قال لرفيقه الريماوي : « هيا بنا نرجع الى فلسطين كي

---

(١) خمسا وسبعين بندقية من البنادق الانكليزية القديمة مع كل واحدة منها مئة طلقة وخمسا وعشرين بندقيـة المانية وخمس بنادق افرنسيه ، وسبع بنادق من طراز تومى ، وبندقيتين من البنادق سريعـة الطلقات واثني عشر رشاشا من طراز ستن ، وثلاث سيارات مليئة بالالغام ، واخرى بالمتفجرات ومبلغاً قدره ثلاثة الاف جنيه . وعلى قول ان هذه الاسلحه لم يتسلمها وهو في دمشق . ولكنهم وعدوه ان يرسلوها اليه ولم يبروا بوعدهم . كما انهم لم يبروا بوعدهم في ارسال مقدار من البنادق الجديدة والمدافع الثقيلة . حتى إن احد قادة النضال حافظ بركات ، حدثني انه لم يكن لدى عبد القادر الحسيني عندما دخل المعركة بعد رجوعه من دمشق ، سوى صندوقين من الذخيرة الانكليزية وصندوق من الذخيرة الالمانيه واخر من الذخيرة الافرنسية .

ويقول العميد طه الهاشمي في مذكراته التي نشرتها جريدة (الحارس) العراقية في عددها ٢٣ الصادر بتاريخ ٣٠ نيسان ١٩٥٣ انه لم يكن لدينا مدافع ولا رشاشات . واما العتاد فقد زودنا عبد القادر الحسيني بسبعين الف طلقة . ويقول ان السيدين رفيق التميمي واسحق درويش اللذين تحدثا اليه في هذا الموضوع اعترفا بان « العتاد المذكور وصل ونفد » واكد لي حافـظ بركات ان عبد القادر بالاضافة الى الاسلحة المتقدم ذكرها «استعدان» :من هنا وهناك ، صندوقين من الرصاص الانكليزي ، وصندوقاً المانياً واخر فرنسياً .

نموت فيها الميتة التي وضعناها نصب اعيننا عندما نزلنا الى ساحة الجهاد . هيا لنستشهد او ننتصر على الاعداء . ولنذكر قوله تعالى (١) بـ « فليقاتل في سبيل الله الذين يشترون الحياة الدنيا بالاخرة ، ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتية اجراً عظيما » وفي مساء اليوم السادس من شهر نيسان غادر دمشق في طريقه الى فلسطين وقد جاء معه خمسون رجلا من الرجال الذين تطوعوا في جيش الانقاذ ، وما ان وصل الى القدس في صبيحة اليوم التالى (٧ نيسان) واستراح قليلا حتى ولى وجهه شطر القسطل ، توجـه نحوها رغم نصيحة اصدقائه ومرافقيه . وقد اصطحب معه كلا من ابراهيم ابي دية (٢) وحافظ بركات وعبد الله العمري (٣) وعـلي الحمره من عين كارم ، وحارسه عوض محمود احمد (٤) ولحق بهم بعد قليل جودة العمد (٥) يحمل مقداراً من الذخائر .

ما كاد عبد القادر يقترب وصحبه من ميدان القتال حتى وزع قواته على الترتيب التالي: ابراهيم ابو دية مع فصيلين من سريته حامية القطمون في القلب اي في الناحية القبلية من القسطل ... حافظ بركات في الميمنة اي في الناحية الشرقية ... فريق من البدو من جماعة هارون بن جازي في الميسرة اي في الناحية الغربية ... وبقي هو وعبد الله العمري وعلي الموسوس وثلاثة اخرون من شباب بيت المقدس في موضع القيادة ؛ وكان عددهم كلهم لا يزيد على ثلاثمئة وكان هناك اربعة من الانكليز (٦) المتطوعين يديرون اربعة من مدافع الهاون من عيار بوصتين ، وكانت فرقة صغيرة من رجال الجهاد المقدس يقودها صبحي ابو جبارة واخرى من متطوعي القدس من قطاع رام الله يقودهـا الشيخ عبد الفتاح المزرعاوي ترابط في قالونيا .

بدأ الهجوم في الساعة الحادية عشرة من مساء ٧ نيسان ، فتمكن رجال الميسرة من

---

(١) سوره النساء : الاية ٧٤

(٢) من صوريف . آمر السرية الثالثة من سرايا الجهاد المقدس المرابطة في القطمون .

(٣) من بيت صفافا . آمر السرية الثامنة المرابطة في بيت صفافا .

(٤) من ترمسعيا . من آل حميدان (ابي هارية) من حامولة ابي عواد . كـان جنديًا في قوة الحدود ، وفر منها اثر صدور قرار التقسيم: واشترك في معركة (عين الزيتون) على مقربة من صفد ثم جاء الى قطاع القدس والتحق بقوات (الجهاد المقدس) بقيادة عبد القادر الحسيني . واشترك معه في معظم المعارك التي خاضها في سنهدريا ، وبيت سورين ، والقسطل .

(٥) من القدس ، عضو في اللجنة القومية .

(٦) لا تنس ان عدداً اخر من الجنود البريطانيين كانوا قد انضموا الى صفوف الماجنا .

اقتحام الاستحكامات الامامية تسندهم المدافع بنيرانها ، ووصلوا الى اطراف القرية كما وصل البدو الى اطرافها ايضاً من الناحية الغربية واتصل الفريقان وكادا يدخلان القرية لولا ان رجال الميمنه لم يستطيعوا التقدم من الناحية الشرقية ، وكانت ذخائر الفريقين المتقدمين قد نفدت اضف الى ذلك ان ابا دية أصيب بجرح كما اصيب ستة عشر رجلا من رجاله بجراح مختلفة : ولم تكن لدى المجاهدين يومئذ وسائل كافية لاسعاف الجرحى . لا ولا كان معهم اكثر من ثلاثة امشاط لكل بندقية وخمسة عشر مشطاً لكل برن .

فاخذوا يرجعون الى الوراء ، عندئذ غضب عبد القادر غضباً لا مزيد عليه ؛ وخشي ان تنتهي المعركة بالفشل . فتقدم لينقذ الموقف ، واندفع الى الامام ، وقيل في اندفاعه غير هذا . وهو انه بعد ان رسم للمشاة خطتهم وراحوا يزحفون صوب الاعداء ، انتدب عدداً من الفدائيين لنسف بعض المتاريس الامامية التي اقامها اليهود بعد احتلالهم القسطل . وزودهم بالمقادير الكافية من المتفجرات ، وضرب لهم موعداً لاتمام المهمة ، ولما انقضى الموعد ، ولم يرجعوا ، تقدم هو بنفسه الى الامام مستطلعاً طلع الخبر .

تقدم دون أن يخبر أحداً من صحبه بما ينوي . ولكن سرعان ما افتقده رفقاؤه ، فلحقوا به وتولوا بث الانغام واتمام المهمة التي لم ينجح الفدائيون في اتمامها . ولكن اليهود اكتشفوهم قبل أن يكملوا مهمتهم . فراحوا يطلقون عليهم النار بشدة . وجرح ثلاثة من رفاقه . فرجع اثنان منهم الى الوراء . وبقي الثالث معه رغم جرحه . وراح الاثنان يقابلان الاعداء وحدهما ، وما كان لديهما سوى مدفع صغير من طراز ستن ومسدس من النوع المعروف بالباراشوت من عيار ٩مم . وظلا يطلقان النار منها حتى نفدت ذخيرتهما أو كادت . . . فأرسل القائد صاحبه ليأتيه بالذخيرة . وأمتثل هذا الامر ، فذهب ، ولكنه لم يرجع بسبب اغماءة اصابته في الطريق أثر الجرح الذي قلنا انه أصابه . فما اعتم عبد القادر ان رأي نفسه وحيداً ومن غير ذخيرة أمام أول متراس من متاريس الاعداء . . وكان هؤلاء قد تقووا بالنجدات الكبيرة التي اتتهم من القدس ، ومن المستعمرات اليهودية القريبة منهم : فأحاطوا بعبد القادر وبقواته المرابطة من ورائه ، وكان الوقت قريبا من مطلع الفجر (٨ نيسان) . فما كاد الفجر ينبثق حتى ذاع الخبر . وصاح النذير ان عبد القادر وصحبه مطوقون بالاعداء وان معركة القسطل تكاد تنتهي بالفشل . واستنجد سكان القدس والمدن المجاورة لها . فلبى النداء(١) فريق من الجهاد المقدس

---

(١) خشيت يومئذ ان ينتبه اليهود للامر ، فيحتلوا القدس ، اذما علموا انها قد خلت من المناضلين فرجوت قائد اللواء الرابع القائم مقام احمد صدقي الجندي ان يرسل الى القدس بضعة افواج من جنده المرابطين برام الله ليقوموا بمظاهرة عسكرية في شوارعها ريثما تنجلي معركة القسطل . ففعل . وكان لفعله هذا اثر يذكر .

بقيادة قاسم الريماوي، وفريق من حراس الحرم بقيادة الحاج عبد المجيد المدني الحجازي، ومن شباب بيت المقدس بقيادة بهجت ابي غربية ومحمد عادل النجار. وجاء فريق من جيش الانقاذ بقيادة جمال رشيد العراقي، انه اخو فاضل، ومن الخليل بقيادة عبد الحليم الشلف، ومن قرى الوادية بقيادة رشيد عريقات. وقيل ان عدد المنجدين الذين خفوا الى الميدان من الجنوب والشمال ناف يومئذ على الخمسمئة. ورغم ان اليهود كانوا اكثر منهم عدداً وعدة(١) وانهم قاوموا المغيرين مقاومة شديدة بالنيران اطلقوها من مدافعهم الرشاشة ومن بنادقهم الكثيرة المتنوعة، فقد قام هؤلاء بحركة التفاف حول القسطل من الجنوب الى الشرق فالشمال. وهنا التقوا بالمناضلين الذين جاءوا لنجدتهم من الشمال. فانقض الفريقان على القسطل انقضاض الصاعقــة. فدخلوها مهللين مكبرين وكانت الساعة قد دقت الثانية. وسمع الصوت، المناضلون الذين كانوا يرابطون في الناحية القبلية، فتقدموا واقتحموا خطاً للدفاع اليهودي من هذه الناحية، ودخلوا القرية. وعندما التقى الفريقان فيها طهراها من الاعداء، ورفعا العلم العربي على أعلى بناية فيهــا. وكانت الساعة وقتئذ قد دقت الرابعة من بعد ظهر الخميس الموافق ٨ نيسان ١٩٤٨.

وما كان أحد من المناضلين يعلم في ذلك الحين ان القائد قد مات. وكان سرورهم بفتح القسطل عظيما. ولكن سرعان ما انقلب سرورهم الى ألم، عندما رأوه ميتاً. وجدوه ملقى على الارض عند أول بيت من بيوت القرية في طرفها الشرقي.

ولقد وجدوا كل ما كان معه من أوراق ووثائق ونقود وسلاح، مما دل علــى ان اليهود ما عرفوه حين قتلوه. كما وجدوا بالقرب منه عدداً من جثث اليهود، مما دل على انه قبل ان يلاقي حتفه تبادل واياهم النار. ويستدل من أثر الجروح التي في جسمه ان قنبلة اصابته بشظاياها في ثلاثة مواضع:

في عنقه واذنه وفي بطنه تحت الصرة.

ولما شاع الخبر، ازداد المناضلون حنقا على الاعداء. وكان هؤلاء قد ولوا الادبار، الا من مات منهم. فتبعوا الفارين، وقتلوا منهم خمسين، هذا بالاضافة الى الذين قتلوا في المعركة، وقد قدر عدهم بمئتين:

وجاءت بعد ساعة من سقوط القسطل حشود من يهود القدس وموتزا والمستعمرات

---

(١) كان لدى اليهود مدافع مورتر، واسلاك شائكة ومقادير كبيرة من المؤن والذخائر.

المجاورة بقصد النجدة ؛ يقدر عددهم باربعمئة . ولكن هذه الحشود ايضاً قد صدت ، رغم انها كانت تسندها طائرة وعدد من المصفحات ومدافع المورتر . وقتل من أفرادها كثير ، قدرهم بعضهم بمئة . وقال قائل رأى القتلى بعينه انهم سبعون . وبهذا بلغت خسائر اليهود في معركة القسطل ثلاثمئة وخمسين قتيلا ، ومثل هذا العدد او اكثر من الجرحى . ولقد غنم العرب في هذه المعركة ثلاثة رشاشات المانية ، وخمس بنادق انكليزية ، وخمسة مدافع مودتر من عيار بوصتين ، ومصفحة ، وغرفة مليئة بالمؤن والذخائر . واقتسم هذه الغنائم رجال جيش الانقاذ والجهاد المقدس وحراس الحرم . هذا بالاضافة الى الاسلحة والذخائر الاخرى التي غنمها المناضلون ولم يخبروا القيادة عنها ، الامر الذي جعل الفوضى تدب في صفوف المجاهدين اذ شغلوا بالسلب والنهب(١) واختلاط الحابل بالنابل . وقتل عدد غير قليل عرفنا منهم سليمان البدر ويعقوب محمود اسماعيل(٢).

وزاد في الطين بلة (انّ المناضلين) اقترفوا خطأ كبيرا بمغادرتهم المواقع التي احتلوها غادروها رغم نصح الناصحين . فقد غادرها فريق منهم لنفاذ ذخيرته ، وفريق لان التعب والقتال المتواصل كان قد اضناه ، وآخرون ذهبوا الى القدس ليحضروا جنازة فقيدهم الراحل . ووجه الخطأ انهم غادروها دون ان يعدوا للامر عدته . ويتركوا في خطوط القتال من يحميها . فقد حدثني من اثق بصدق حديثه من المناضلين انفسهم انه لم يبق في هذه الخطوط التي احتلت بالدماء سوى اربعين مقاتلا يقودهم بهجت ابو غربية ومحمد عادل النجار ، واما عبد الحليم الشلف فقد بقي في صوبا المجاورة للقسطل ، وما كان لديهم الا النذر اليسير من العتاد .

فما كاد الليل ينتصف (٨ - ٩ / ٤ - ١٩٤٨) حتى جاء اليهود في مصفحتين من مصفحاتهم الكبيرة وبعد ان جسوا النبض رجعوا الى موتزا . وقيل ان احدى هاتين المصفحتين كانت انكليزية ، وكان فيها ضابط انكليزي وجنود جاءوا ليساعدوا اليهود في نقل موتاهم . ولما وجدوا القرية خالية ، الا من بضعة افراد من المناضلين ، اخبرو

---

(١) اقترف المناضلون مثل هذا الخطأ في كثير من المعارك التي خاضوا غمارها وربحوها ، وكان انشغالهم في اقتسام الغنائم سبب انخزامهم فيما بعد .

(٢) ذكرهما عيسى موسى مختار المسلمين (الفواغرة) في بيت لحم .

اليهود ، فجمع هؤلاء قواتهم ، وكروا على القسطل مرة اخرى . جاءوها في هذه المرة، بعدد كبير من مصفحاتهم وكانت الشمس قد بزغت فاقاموا بعضها على الطريق الرئيسية المؤدية الى القسطل، والبعض الاخر على الطريق المؤدية الى باب الواد. وبعد ان احاطوا بالقسطل من كل جهة ، راحوا يقذفونها بنيران مدافعهم من موتزا ، ومن مستعمرة الخمس ومن سائر الجهات ، وكانت مدافعهم من النوع المعروف بالمورتر ، من عيار ثلاث بوصات ، ثم عقب ذلك هجوم شديد .

ولم تكن النجدة التي طلبها(١) المناضلون العرب قد وصلت ، انها وان كانت قد غادرت قاعدتها من الروضة، وكانت مؤلفة من خمسة وسبعين مقاتلا معظمهم من جيش الانقاذ ، خليط من السوريين والعراقيين . ولكنهم لم يفعلوا شيئاً لانقاذ الموقف . بل انهم قضوا ليلتهم في عين كارم . ولم تثمر المساعي التي بذلها المحامي انور نسيبه لاقناعهم في الاسراع لنجدة الحامية العربية التي ظلت مرابطة في قطاع القسطل.سوى انهم ارسلوا لتلك الحامية زهاء ٥٠٠ مشط من العتاد . وما كاد الصبح ينبلج (٩ نيسان) حتى كانت القسطل قد سقطت مرة اخرى في يد اليهود. وما كادوا يدخلونها حتى دمروا جميع منازلها حتى ومسجدها ... وفي الليلة نفسها ، التي سقطت فيها القسطل ، سقطت ديريس .

ذهل الناس لهذا الخبر . ولا سيما عندما علموا ان المصيبة مزدوجة بسقوط القسطل ، واستشهاد البطل ... اجل انهم ذهلوا وقد انشطروا في الحكم له وعليه الى شطرين فمن قائل ان المرحوم تسرع في الذهاب الى الميدان فور رجوعه من الشام ، وكان عليه ان يتريث الى ان يدرس حقيقة الموقف ، ويعد للمعركة عدتها ...ومن قائل انه ما كان يستطيع ان يفعل الا ما فعل ، ولا سيما عندما بلغت المعركةذروتها وتفاقمت الحال وراح الناس يتساءلون ب أين عبد القادر ؟ ايجوز في مثل هذه الحال ان يبقى القائد بعيداً عن الميدان ؟ وما فائدة وجوده في الشام ؟ وقد ارسلوا اليه الرسل طالبين رجوعه في الحال. فرجع . وراح من فوره يخوض المعركة . فخاضها ، وشرب كأسها حتى الثمالة . ومن قائل انه ذهب الى القسطل رغم نصح الناصحين . وانه كان يعلم العلم اليقين ان العدو اقدر منه عدة ورجالا . اجل ، انه ذهب لينتحر ، اذ انه لم يوفق في مهمته التي سافر للشام من اجلها ، وكان من امره ما . كان وهذا ما حدا به للتفكير في الانتحار . ولكنه اراد ان يلاقي ربه في ميدان الوغي ، وفيه لاقاه.

---

(١) طلب عبد القادر هذه النجدة قبل موته . كما طلبها من بقي في القسطل من المناضلين .

وهكذا مات عبد القادر الحسيني .. الرجل الذي كان يدير حركة النضال في القطاع الجنوبي من فلسطين (القدس وما جاورها) . مات ، ولما يجاوز الاربعين من عمره .. ولد عام ١٩٠٧ للميلاد .. وكان مولده في استانبول .. وكان ابوه موسى كاظم باشا الحسيني من كبار رجال الادارة في العهد التركي ... وكثيراً ما اشغل مناصب عاليه في اليمن والعراق ونجد وسائر انحاء المملكة العثمانية .

ولما عاد الاب الى مسقط رأسه القدس ، كان الابن قد نما وترعرع . ومـا عتم ان فتح عينيه على انباء المظاهرات يقيمها بنو وطنه في القدس وفي سائر انحاء المدن الفلسطينية معبرين عن سخطهم ضد الانتداب الانكليزي والوطن القومي اليهودي ، وكان يومئذ في الثانية عشرة من عمره (١٩١٩ - ١٩٢٠) وكان تلميذاً في روضة المعارف الوطنية بالقـدس ، فراح يمقت الاستعمار والمستعمرين . ورافق اباه الشيخ في جولاته . ذلك الشيخ الذي رغم الاحداث والسنين التي كادت تقصم ظهره كان يناوىء المستعمرين ، ويقود المتظاهرين ، ويلهب شعور الشعب بحماسه وخطبه النارية .. وما عتم البريطانيون ان اقالوه من رئاسة بلدية القدس (١٩٢٠) بسبب حماسه الوطني . فازداد الابن كرهاً للمستعمرين . وعبر عن كرهه هذا في خطاب القاه في حفل اقيم في القاهرة .. يوم تخرج من الجامعة الاميركية بالقاهرة(١) (١٩٣١) . وكان في عام ١٩٣٢ مأموراً للتسوية في حكومة فلسطين . ولكنه ما لبث ان استقال من منصبه عندما جد الجد وتازم الموقف في البلاد . وكان الى جانب ابيه في ١٣ تشرين اول ١٩٣٣ يوم قامت في القـدس مظاهرة صاخبة ضد الانتداب وضد الهجرة اليهودية التي راحت تتدفق على البلاد بشكل مخيف . وكان ابوه الشيخ وسائر زملائه اعضاء اللجنة التنفيذيـة يتقدمون الصفوف . وحاول الجند تفريق مظاهرتهم بالقوة . فقتل وجرح عـدد غير قليل من ابناء بيت المقدس . وكان عبد القادر من المجروحين . واشترك الاب والابن في مظاهرة اخرى قامت في يافا بعد ذلك باسبوعين (٢٧ تشرين اول) وللاسباب نفسها .. وقضى الاب نحبه في الشهر الاخير من تلك السنة . فاقسم الابن الا ان يثابر على مقاتلة الاستعمار .. الى ان ينجح .. او يقتل فيعذر .. وهكذا كان ... فقد اشترك عبد القادر في الثورة التي قامت في البلاد

---

(١) وفي قول انه اخرج من الجامعة المذكورة قبل ان يتم دراسته فيها . وطرد من مصر بأمر من رئيس وزرائها في ذلك الحين اسماعيل صدقي باشا : طرد لميوله الوطنية وتهجمه على البريطانيين وحلفائهم الاميركيين .

من عام ١٩٣٦ الى عام ١٩٣٨ . وفي تلك الثورة لمع نجمه . ولما اقتحم رجال البوليس البريطاني دار الحزب العربي الفلسطيني في ٢٥ أيار ١٩٣٦، وكان يومئـذ سكرتيراً لذلك الحزب ، تمكن من الافلات ولجأ الى القرى ، وراح يدعو الناس جهاراً الى الثورة .. الثورة التي قادها يومئذ البطل الشهيد سعيـد العاص . وفي ٤ تشرين اول ١٩٣٦ طوق الانكليز بجنودهم وطائراتهم مخيم الثوار في حوسان من اعمال بيت لحم . فاستشهد القائد سعيد العاص . واصيب عبد القادر بجراح بالغة. وكانت هذه هي المرة الثانية التي يجرح فيها . ونقل بحراسة الجنـد الى مستشفى الحكومة . ولبث في المستشفي شهرين . ثم فر منه . والتجأ الى العراق . ثم عاد الى دمشق ، ومن هناك رجع الى فلسطين (١٩٣٨) . ودخلها خلسة ليشترك في الثورة التي قامت ضد السلطة المنتدبة اثر القرار الذي اصدرته لجنة التحقيق المعروفة بـ « لجنـة بيل » ، وجرح في « بني نعيم » من اعمال الخليل يوم طوقت السلطة تلك القرية (١٤ تشرين اول ١٩٣٨) وقتل كثيرون من المجاهدين. ونقله رفاقه في صبحة اليوم التالي الى المستشفى الانكليزي في الخليل . وارغموا طبيب المستشفى على معالجته ، بعد ان قطعوا كل اتصال بين المستشفى والخارج . وعندما التأم جرحـه نقله الرفاق على ظهر بعير حتى الحدود السوريه . ومن سوريا سافر الى العراق (١٩٣٩) وهناك التحقت به اسرته . ودخل الكلية العسكرية ، فتخرج منها برتبة ضابط ، واشترك هو ورفاقه الفلسطينيون الذين كانوا يومئذ في العراق في الثورة التي اوقد نارهـا رشيد عالي الكيلاني ، (٢١ نيسان ١٩٤١) ، وراح يقاتل البريطانيين . ولما تغلب هؤلاء على العراقيين . غادر وعدد من صحبه العراق الى ايران . وفي كرمنشاه منع رفاقه من دخول ايران وسمح له وحده بدخولها . فابى الا ان يدخلها معهم ، او يرجع واياهم الى حيث ترميهم الاقدار . فعادوا مشياً على الاقدام . وقطعوا المسافة بين كرمنشاه وبغـداد - وطولها زهاء الف كيلو متر في خمسة وعشرين يوماً .

ولما وصلوا بغداد (١٩٤٤) اعتقلوا . وامروا بالاقامة الجبريـة في شمال العراق ، على ان يعيش كل اربعة منهم في بلد . فكان نصيب عبد القادر بلدة (زاخو) وبعد ان قضى فيها شهرين نقل الى سجن بغداد ، متهماً بحادث اغتيل فيه احد رجالات العراق . وظهرت براءته بعد ان قضى في السجن سنة وثمانية شهور . فخرج من السجن ، ليعتقل ثانية ويقضي في معتقل (العمارة) سنتين اخرين . وقيل له وهو في المعتقل انـه لا شأن لحكومة العراق في اعتقاله، وان هذه فعلت ما فعلت استجابة لرغبة ابدتها جهات اخرى (يقصدون الانكليز) :

ولما كانت جروحه السابقة قد تفتحت وهو في المعتقل ، راحت تلتهب ؛ فقد رأت حكومة العراق ان تسمح له بمغادرة البلاد . فغادرها قاصداً نجد والحجاز ، وهناك لاقي من غطف المليك السعودي ما انساه بعض هوممه .

واتاه وهو فى الحجاز النبأ بأن بريطانيا تعتزم االانسحاب من فلسطين فهبط من فوره مصر (١٩٤٧) وما ان صدر قرار التقسيم في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ حتى عـاد الى فلسطين ، وقبل عودته بحث عن السلاح : في ليبيا .. ومرسى مطروح .. وفي بيروت.. والشام .. وفي كل مكان ..

اختارته اللجنة العسكرية بدمشق قائداً لحركة النضال في الجبهة الوسطى (القدس وما حولها) . فراح يقاتل اليهود بما كان لديه من سلاح . وكان هذا ضئيلا . وبالرغم من ضآلته تمكن من القيام باعمال ترفــع الرأس . وراح مواطنوه يذكرونها له بالاء جاب والتقدير .

انــه هو الذي وضع الخطط لنسف شارع هــاسوليل ومطبعــة البالستاين بوست (١ ــ ٢ ــ ٢٨) وشارع بن يهودا (٢٢ ــ ٢ ــ ٤٨) وهو الذي دمر مع رفاقه رجال الجهاد المقدس طريق باب الواد ؛ ونسف انابيب الماء . تلك الانابيب التي كان المــاء يجري فيها الى الاحياء اليهودية . وهو الذي حارب اليهود في كل حي من احياء مدينــة القدس.وظل يقارع الخصم هنا وهناك الى ان لقي حتفه في القسطل ولقي ربــه راضيا مرضياً .. وكان ذلك في يوم الخميس الموافق ٨ نيسان ١٩٤٨ . وفي اليوم التالي لوفاته (الجمعه ٩ نيسان) دفن في القدس .. دفن الى جانب ابيه .. في ضريح كائن بين باب القطانين والباب الحديد(١) . هذا بعد ان صلي عليه في المسجد الاقصى . وقــد حضر جنازته زهاء عشرة الاف شخص .

فبكاه الناس . ولقبوه (بطل القسطل)

« ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما اتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم . الا خوف عليهم ولا هم يحزنون(٢) » .

---

(١) في هذه البقعه نفسها من بقاع الحرم القدسي دفن قبلهما الملك حسين بن علي والزعيم الهندي الامير محمد علي .

(٢) سورة آل عمران . الايتان ١٦٨ – ١٦٩ .

كان رحمه الله وطنياً لاغبارعلى وطنيته . وكان مخلصاً كل الاخلاص لامته وبلاده . طاهر اليد والقلب واللسان . بعيداً عن النعرات العائلية والحزبية . وكان فقيراً . انفق كل ما ملكت يداه من اجل السلاح الذي اشتراه وحارب به . ولما مات لم يكن في جيبه فلس واحد . لا ، بل انه مات مديناً . وبلغت ديونه ستة عشر الف جنيه . انفقها كلها في سبيل الحركة الوطنية .

وقد خلف بنتا اسمها هيفاء وهي كبرى اولاده . وثلاثة اولاد هم : موسى ، وفيصل وغازي . خصصت لهم الهيئة العربية العليا بعض المال . وانقدتهم الامانة العامة لجامعة الدول العربية خمسمئة جنيه . وعين لهم الملك عبدالعزيز آل سعود اربعين جنيها في الشهر . واقرت الحكومة المصرية تعليمهم الى اقصى درجات العلم والدراسة في مدارسها وعلى حسابها الخاص .

ويؤثر عن ارملته السيدة وجيهة بنت موسى بك الحسيني انها من انبل السيدات واخلصهن لوطنهن . فقد كانت في حال حياته ، وبعد موته ، تساعد المناضلين في السر والعلن . فتطهي طعامهم وترتق المفتوق من ملابسهم ، وتغسل ثيابهم ، وتحثهم على الجهاد وبذل النفس والنفيس في سبيل وطنهم .

دير ياسين (١)

●

اصاب سكان القدس والقرى المجاورة لها شيء من الذهول اثر سقوط القسطل ، واستشهاد البطل عبد القادر الحسيني ، وما كانت انباء الجهات الاخرى لتسر ، اذ كان اليهود قد تمكنوا من نسف (مركز الرجاء) الذي اتخذه حسن سلامه مقراً لقيادته في قطاع اللد ، واشتد الخلاف بينه وبين زملائه القواد العراقيين والسوريين .

فاستغل اليهود ذاك الذهول ، وراحوا يشنون على القرى العربية المجاورة لهم ، لاسيما الواقعة على طريق القدس ـ باب الواد ، غارات شعواء . وكانوا قد تقووا قليلا بالاسلحة التي نهبوها من المعسكر البريطاني في ٤ نيسان . وكان عددهم في القدس قد

---

(١) قرية عربية من قرى القدس ، وعلى بعد بضع مئات من الامتار منها الى الغرب . يقطنها ٧٧٥ نسمه كلهم عرب شوافع ، ينتمون الى ثلاث حمايل – شحادة ، حميده ، وعقل . يملكون ١٧٠٠ دونما من الارضي الزراعية . نصفها لزراعة الحبوب والنصف الاخر للاشجار المثمرة كالعنب والتين والزيتون بعضهم مزارعون والبعض الاخر تجار ومقاولون ، ولهم محاجر و كسارات ومطاحن وسيارات ، ولهم املاك في مدينة القدس ، وجلهم – ان لم نقل كلهم ـ اغنياء يعيشون عيشة تدل على السعة والثراء فيها مسجدان ، ومدرستان – واحدة للذكور واخرى للاناث ، وفيها ناد للرياضة .

ارتفع كما ارتفع عدد مقاتليهم فيها الى اربعة اضعاف ما كان عليه قبل شهر (١) ، وكان لا بد من تأمين وصول المياه الى الاحياء اليهودية ، وكانت انابيب الماء بين رأس العين والقدس مقطوعة وقطعت مياه عين فاره عن اليهود ولا سيما عن مؤسساتهم على جبل الزيتون (الجامعة العبرية والهداسا) في اول نيسان ، واما المؤن والحاجيات الضرورية فقد كان معظمها مفقوداً عند اليهود ، وما وجد في الاسواق منها كان يباع باسعار لا تطاق (٢) ، اضف الى ذلك ان العرب نسفوا الخط الحديدي في عدة مواضع ليحولوا دون وصول المؤن الى الاحياء اليهودية . ووقفوا للقطارات بالمرصاد يريدون نسفها كلما حاول اليهود استعمالها من اجل التموين ، ولهذا كان لا بد لليهود من القيام بعمل ما ، مهما كان فظيعاً ، ليعيدوا للنفوس طمأنينتها ويفتح لهم باب الامل والرجاء ، وليوقعوا الرعب في قلوب العرب ، فلم يجدوا اسهل من قرية دير يس التي ذكرناها في اول هذا الفصل ، فان هذه القرية العربية الصغيرة المجاورة لهم كانت مطمئنة ، وكانت على حد اليقين بان اليهود لن يعتدوا عليها . اذ كان بينها وبينهم وعد بالا يعتدي احد

---

(١) جاء في خطاب القاه بن غوريون ، بتاريخ ٢٠ كانون الثاني ١٩٤٩ ، ان عدد المقاتلين اليهود فيها كان في شهر اذار ١٩٤٨ ، اربعمئة فقط ، وان هذا العدد ارتفع بعد شهر الى الف وخمسماية .

(٢) ذكرت الصحف اليهودية ان اسعار المؤن والحاجيات الضرورية كانت يومئذ في الاسواق اليهودية اغلى منها في الاسواق العربيه بنسبة ٣٠٠/ و٤٠٠ – كما نرى ذلك في الارقام التالية وهي تبين لك اسعار البيع بالمفرق للكيلو غرام الواحد . –

النوع	مل	مل		مل	مل
البندورة	٠٤٠	١٥٠	البصل	٠٣٥	٠٩٠
الشوم	١٥٠	٦٠٠	القرع	٠٢٥	١٠٠
الملفوف	٠٣٠	٠٩٠	القرنيط	٠٥٠	١٤٠
الفجل	٠٣٠	١٢٠	الليمون الحامض	٠١٥	.٦٥
البرتقال	٠٢٠	٠٥٠			

واما الخبز والسكر والارز والعدس واللحوم والبيض والدجاج والخس والباذنجان والكوسا والفلفل الاخضر فانها في الاسواق اليهودية مفقودة بالمرة في حين انها متوفرة ورخيصة في الاسواق العربية ، ولقد بيعت في الاسواق اليهودية علبة السردين بخمسين قرشاً ، والسيجارة الواحدة بثلاثة قروش .

الفريقين على الآخر (١) انها القرية العربية الوحيدة التي لم تبادر اليهود بقتال ، وما كان في مقدورها وعدد سكانها لا يزيد كما قدمنا – على السبعمئة الا قليلا ان تتحرش بجيران لها ينوف عددهم على مئة وخمسين الفاً اذ كانت محاطة من الشرق بمونتفيوري الجديدة وبيت فيغان والاحياء اليهودية الاخرى من مدينة القدس ومن الشمال الى الشرق بمستعمرة جبعات شاؤل ومن الجنوب بمستعمرة يافتنوف ومن الجنوب الى الشرق بيت هاكيرم ومن الغرب باراضي موتزا وارزا .

ولكن اليهود الذين لم يعتادوا احترام المواثيق والعهود قرروا ازالة هذه القرية من الوجود « وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم ، وطعنوا في دينكم ، فقاتلوا أئمة الكفر ، انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون » (٢). واشترك في هذه الجناية الحمراء رجال من عصابة الارغون وشترن الارهابيتين يقودهم (يهوشاع غولد شميد) (٣) و (اتسل) وهذا هو المسبب الاكبر ، واما القائد العام لهذا القطاع ، فقد كان يومئذ (ى رعنان) . وهؤلاء الثلاثة من رجال الارغون .

بدأ الهجوم في الساعة الرابعة والربع من صباح يوم الجمعة الموافق ٩ نيسان ١٩٤٨ واشترك في هذا الهجوم طائرة قذفت القرية بسبع من قنابلها . ثم تقدم المشاة يحميهم زهاء خمس عشرة دبابة ، فهاجموا دير يس من ثلاث جهات . الشمال والشرق والغرب ومهدوا لهجومهم هذا بالقنابل قذفتها مدافعهم القوسية (المورتر) ورابطت غربي القرية قوة مهمتها ان تحول دون هرب السكان من هناك ، وما كان اليهود في حاجة لمثل هذا العدد الكبير هناك ، اذ لم يكن في القرية سوى ٨٥ مسلحاً ، يحملون حوالي ستين بندقية من البنادق الاعتيادية الخفيفة (٤) ورشاشين من نوع (برن) واربعة من طراز (ستن)

---

(١) عندما نشب القتال في القدس خاطب القائد اليهودي المسؤول عن (جعبات شاؤول) وجهاء القرية قائلا ما لنا ولغيرنا اعملوا معروفاً وتعالوا نتفق فلا تعتدوا علينا ولا نعتدى عليكم فوافقه الوجهاء ولم يعتدوا على احد وجرت المخابرة بين الفريقين عن طريق الهاتف .

(٢) سورة التوبة – الاية ١٢ (٣) لقي هذا مصرعه بعدئذ في معارك الشيخ جراح .

(٤) ست ايطالية وثلاث افرنسية وواحدة امريكية والباقي انكليزية ، بعضها وهو الانكليزي كانوا قد تسلموه من الحكومة للدفاع عن قريتهم ، والبعض الاخر ارسلته الهيئة العربية العليا من مصر والباقي اشتروه باموالهم وبثمن باهظ .

ولم يكن لديهم من الذخائر ما يكفيهم لاكثر من ساعة او بعض الساعة : وكان يقودهم شاب يدعي علي القاسم . وقد استغاثوا بالمالحة وعين كارم والقرى المجاورة ، الا انهم لم يغيثوهم (١) رغم ان فريقاً من جيش الانقاذ كان يرابط يومئذ في عين كارم . وكان عدد هذا الفريق ينوف على المئة ، كلهم من السوريين والعراقيين ، فلم يركض هؤلاء ايضاً لاغاثة دير يس ، لا ، ولا زودوا المناضلين الفلسطينيين بالذخيرة والعتاد . كما ان الجيش البريطاني ورجال البوليس الفلسطيني الذي وصلهم الخبر لم يركضوا لنجدتهم . لا ، ولا الصليب الاحمر .

ومع ذلك فقد دافعوا عن قريتهم دفاع المستميت . ولم يسلموها لاعدائهم الا بعدان كانت قد نفذت آخر طلقة لديهم . وقتلوا ما لا يقل عن مئة يهودي (٢) وكان ذلك حوالي الساعة الثانية والنصف بعد الظهر . ويحدثك سكان القرية عن بطولة ابنائهم في رد عادية اليهود احاديث تدعو الى الفخر والاعجاب . منها ما فعله المرحوم محمد الحاج عايش الذي ظل يقاتل اليهود حتى قتل . ولما قتل زغردت والدته حلوة زيدان فنزل الى الميدان والده الحاج عايش ، فقتل . ثم زغردت حلوة ونزلت هي بنفسها الى الميدان . وظلت تقاتل الى ان وافاها اجلها ... ومنها ما فعلته جميلة احمد صلاح ورفيقتها ذيبة عطية اللتان نزلتا الى الميدان . وكانتا تحرضان الشبان على القتال ، وتوزعان الذخيره على المناضلين .. ومنها ما فعله القائد الشاب علي القاسم الذي قتل عشرة من اليهود ، وفؤاد عبد الحميد سمور الذي اخترق صفوف اليهود ونجا بنفسه بعد ان قتل بقنبلتين كانتا معه تسعة من مقاتليهم ... ولم يستسلم العرب الا عندما نفذت ذخائرهم .

يدلك على ما ابداه ابناء دير يس من بطولة وشجاعة وصبر ما قاله (٣) مناحيم بيغن نفسه ، الذي كانت منظمة الارغون تأتمر باوامره عن كثرة ضحايا اليهود

---

(١) كثيرا ما اقترف العرب ، ويا للاسف ، هذا الخطأ فكانت القرية او الجبهة الواحدة تحارب العدو وحدها . فلا تاتي القرية المجاورة لنجدتها ، اوتقوم الجبهة الاخرى بعمل اخر لتخفف الضغط عنها . هذا ، ومن الانصاف ايضا ان نعترف ان هناك قرى كثيرة قامت بواجبها في هذا المضمار احسن قيام ، فركضت لنجدة اخوانها الاخرى رغم انها هي نفسها كانت بعيدة عن التخوم . ولله في خلقه شؤون .

(٢) حدثتنا الحاجة زينب احمد موسى . من نساء القرية ، وقد استخدمها اليهود يومئذ في نقل زهاء ثمانين جثة من جثث اليهود الذين قتلوا في ذلك اليوم

(٣) اقرأ الصفحة ١٦٣ من كتابة The Revolt

بسبب نار العرب التي كانت حامية وقاتلة ، ومما قاله بيفن ان المهاجمين اضطروا لان يحاربوا العرب من شارع الى شارع ومن دار الى دار .

عندئذ غادر القرية من غادرها من الشبان والرجال القادرين على المشي ، غادروها الى عين كارم ، وبقي فيها من بقي من النساء والشيوخ والاطفال غير القادرين على المشي . فدخلها اليهود ، وقتلوا الاشخاص الذين وجدوهم فيها ، وهدموا خمسة من منازل القرية

حدثني فريق من شيوخ دير يس ان اليهود قتلوا في ذلك اليوم مئة وعشرة اشخاص بينهم سبعة من الشبان المسلحين الذين دافعوا عن القرية وقتلوا في المعركة ، واما الباقون (١٠٣) فقد قتلوهم في منازلهم . وهم الذين لم يستطيعوا الهرب من القريـة واكثرهم شيوخ ونساء واطفال وبينهم من حرم نعمة النظر . وبين النساء خمس وعشرون حامل . رموهن كلهن بالرصاص . ومن فظائعهم انهم بعد ان قتلوا الحاج جابر مصطفى وهو شيخ في التسعين من عمره القوا بجثته من شرفة منزله الى الشارع . وكذلك فعلوا بالحاج اسماعيل عطية ، وهو شيخ في الخامسة والتسعين من عمره ، فقد قتلوه وامرأته آمنة البالغة الثمانين من عمرها ، وحفيدهما الطفل. وفتكوا بشاب كفيف البصر ، اسمه محمد علي خليل مصطفى ، كانت تقوده امرأته . ولم يأبهوا باستغاثتها عندما رجتهم ان لا يقتلوه وقتلوا صالحية بنت محمد عيسي عيد مع طفلها البالغ من العمر سنة ونصف السنة . ولئن نسينا فلن ننسى الفتاة حياة البلابسة المقدسية ، معلمة المدرسة ، فقد قتلوها عندما كانت تقوم باسعاف الجرحى . قتلوها ولم يأبهوا لشارة الصليب الاحمر التي كانت على ذراعها

ومـــن الفظائع التي اقترفها اليهود في دير يس انهم ابادوا معظم افراد اسرتي (علي زيدان) و(عطيه) . وكذلك قل عن اسرة (زهران) فانه لم ينج منها سوى ثلاثة شبان . . وقتلوا (الحاجة نجمة خليل)وهي عجوز تنـــاهز التسعين . . وقتلوا (يوسف احمد عليان) وهو رجل في العقد السادس من عمره .وبعد ان قتلوه ارغموا الاشرى على ان يدوسوا جثته . . وبعد ان قتلوا عائشة رضوان القوا بجثتها على الطريق العام . واسروا سبعة من المناضلين فطافوا بهم في شوارع القدس ثم ارجعوهم الى القرية حيث عذبوهم على مرأى من اهلهم وذويهم ، ثم اخذوهم الى حيث لا نعلم . ولا يعرف مصيرهم احد الى الان . . .وارغموا نساء القرية على السير مشياً على الاقدام مكشوفات الرؤوس حافيات الاقدام ، بعد ان سلبوهن كل ما يملكن من حلي ونقود .

وما كنا لنأبه لهذا القتل والتعذيب ـ اذ انهما من الضرورات الـتي لا مفر منها في الحرب ـ لولا ان ضحاياه كانت نساءً وشيوخاً واطفالاً ابرياء ، وكان هؤلاء مطمئنين

في بيوتهم ، ولم يشتركوا في قتال ، ولقد وضع اليهود الباقين على قيد الحياة ، من نساء وبنات واطفال ، في صف واحد معتزمين اباداتهم ، لولا ان جاء احد قادتهم الطاعنين في السن ، فاشار بوقف القتل . فوقف . وسيق هؤلاء الى الاحياء اليهودية في القدس . وبعد ان جرى التشهير بهم امام الناس كانهم جناة ، جيء بهم الى المستشفى الايطالي القريب من حي المصرارة . وهناك اطلق سراحهم .

هبط فريق منهم القدس وآخر قرى الطور وشعفاط وابي ديس وسلوان . ورحل اخرون الى اريحا والخليل والسلط وعمان . وهبط اكثرهم في قرى رام الله ، كرمون وعين يبرود والمزرعة الشرقية والبيرة وديرديوان . والذين بقوا في القدس منهم ، تطوع عدد من سيدات بيت المقدس لاغاثتهم ، فاخذن خمسين طفلاً منهم ووضعنهم في دار بباب الساهره اسمينها (دار الطفل) . ورحن يعطفن عليهم بكل ما يملكن من حدب وعطف . وازداد عدد الاطفال الذين آوتهم هذه الدار في مدة لاتزيد عن اثني عشر هلالاً ، الى ان ناف على المئتين : نصفهم يعيشون في الدار المذكورة ويتعلمون بها ، والنصف الاخر يتناول وجبات من الطعام فقط . وتدير شؤونهم الانسة هند الحسيني ، باموال تبرع بها عدد من الجمعيات العربية ، والمؤسسات الانسانية ، كاللجنة القومية ولجنة الخدمات الاجتماعية ولجنة الشؤون الاجتماعية ولجنة الشؤون الاجتماعية العامةومدير المشروع الانشائي وجمعية الشابات المسلمات والنجادة في بيروت ومؤسسات اغاثة الشرق الادنى وبلدية القدس .

ومن الذين بادروا لاغاثة اللاجئين من سكان ديريس جلالة الملك عبد الله . فقد تبرع جلالته بخمسمئة جنيه للارامل ، وكذلك قل عن احمد حلمي باشا مدير بنك الامة العربية فقد قدم الف جنيه واللجنة القومية في القدس ، واهل سلوان ، وعدد آخر من الناس .

وما كاد هؤلاء يلتقون بسكان بيت المقدس والقرى المجاورة ، حتى راحوا يحدثونهم عما جرى . فدب الرعب في قلوب الناس . وراحوا يرحلون عن منازلهم ، حاملين معهم انباءً مختلفةً عن الفظائع اليهودية اقشعرت لها الابدان . ولقد زاد الطين بلة بيانات الرجال المسؤولين ، والمقالات التي نشرت في الصحف والبيان الذى اذاعه الدكتور حسين فخري الخالدي امين سر الهيئة العربية العليا واصفاً هذه المجزرة البشرية والفظائع الهمجية باسلوب كان القصد منه تنبيه الشعب العربي ، في فلسطين وفي سائر الاقطار الى الخطب الذي الم بسكان هذه البلاد ، والذى سيلم عما قريب بابناء الاقطار الشقيقة المجاورة اذا

لم يخفوا لنجدة فلسطين . ولكن الريح هبت في اتجاه معاكس . وعمل الطابور الخامس عمله ، فراح ينشر بين افراد الطبقة الساذجة ارقاماً مبالغاً فيها عن قوة اليهود الحربيـة واسلحتهم ومقدرتهم على القتال ، مما كان له اسوأ الاثر في صفوف العرب .

ولقد اذاعت الوكالة اليهودية ، اثر انتشار اخبار هذه المذبحة ، بيانا استنكرت فيه ما جرى ، وعبرت عن امتعاضها واسفهاالشديد للطريقة الوحشية التي اتبعت في الاستيلاء على هذه القرية ، وابرقت الى الملك عبد الله بهذا المعنى . فاجابها رئيس وزرائه ببرقية جاء فيها ان « على الوكالة ان تتحمل وزر ما جرى ، بوصفها الممثلة للشعب اليهودي ، وهي التي تتكلم باسمه » .

عندمــا ذكر الكاتب اليهودي المعروف « هاري ليفين » هذا الحادث في كتابــه « القدس في المعركة » (١) وصفه بانه عمــل فظيع ضد قريــة لم تقترف اثماً ، فقــد كانت الى ذلك الحين مسالمة .

وبلــغ مقترفو هذه الجريمة النكراء الذروة في وحشيتهم عندما ساقوا الاسرى مــن رجال ونساء واطفال امامهم ،وراحوا يطوفون بهم شوارع المدينة رافعي الايدي حاسري الرؤوس حفاة الاقدام ، يخفرهم جنود مدججون بالبنادق والمدافع .

الى ان قال : ويظهر ان الهاغانا ايضاً (وليست عصابتا الارغون وشترن فقــط) شريكة في هــذا العمل ، وان كان قائدها دافيد وصف الحادث بانه مجزرة في غاية التهتك والفظاعة .

وختم الكاتب كلامه بقوله : ما من عمل قام به العرب في الشهور السابقة تشبه هذا العمل الجنوني الفظيع الذي اقترفه اليهود .

وقــال المستر غريفس (٢) رئيس بلديةــ القدس يومئذ ان مندوب الصليب الاحمر الدولي الدكتور دي رينيه M. de Reynier الذي زار القرية فور وقوع الحادث ورأى كل شيء بعينة ، انه (اي الدكتور دي رينيه) لم يذكر الارقام على حقيقتها ، وانمــا اكتفى بالقول « ان عدداً كبيراً من المدنيين غير المسلحين من كلا الجنسين ومن اعمار مختلفة قد ذبحوا ذبح الانعام) وهذا ما جاء في تقريره الذي ارسل نسخاً عنه للحكومــة وللهيئة العربية العليا وللوكالة اليهودية .

ويؤكد مناحيم بيغن ، قائد منظمة الارغون ، الــذي اشرف على حملة (دير يس)

« Jerusalem Embottled » by Harry Levin , P. 179 . (1)

« Experiment in Ananchy » by R. M. Graves P. 179 . (1)

ان (١) ما جرى في دير يس كان بموافقة قائد الهاغانا :

بلغ من هول هذه الجريمة وفظائعها ان وقف المستر (كريتش جونز) وزير المستعمرات البريطانية في مجلس العموم يندد بها قائلا : —

« ان جميع الحقائق والمعلومات التي توفرت لدينا تثبت هذه الجريمة القاسية النكراء وانني لا استطيع سوى التعبير عن الكراهية والاحتقار اللذين تشعر بهما حكومة صاحب الجلالة الملك تجاه هذه الاعمال الوحشية التي هزت العالم جميعه واثارت شعور الاسف العميق والكراهية لمثل هذه التصرفات الوحشية وجعلت امر الوصول الى تسوية نهائية للقضية الفلسطينية اكثر بعداً عن ذي قبل ، »

حتى (قيادة الهاغنا) فقد استنكرت هذا العمل وحاولت ان تتنصل من تبعته قائلة ان المنظمات الارهابية المتطرفة (شترن والارغون) هي التي انفردت بتدبير هذه المذبحة وهي منشقة عن الهاغنا .

وصدق الناس هذا الزعم الا العرب الذين عرفوا اليهود وخبروا حيلهم فما انطلت عليهم تلك الحيلة . وايقنوا ان اليهود كلهم بجميع منظماتهم — متآمرين . . . مشتركين في هذه الجناية الحمراء .

وشاء ربك ان يفتضح امرهم بعد حين ، فيقوم بعد اربع سنوات اربعة من الذين جرحوا اثناء القتال يطالبون بحقهم في المبالغ التي خصصت للمشوهين ؛ وكان هؤلاء الاربعة من جماعة الارغون ، فقيل لهم ان هذه المبالغ خصصت للمشوهين الذين اشتركوا في المعارك الرسمية تلك المعارك التي كان يديرها الجيش اليهودي المعروف وان معركة دير يس ليست من المعارك المذكورة ، ولجأ رجال الارغون الى القضاء فاثبتوا ان معركة دير يس ايضاً من المعارك الرسمية ، بدليل ان رجال الهاغنا اشتركوا فيها . واثبت السفاح (مردخان توفمان) قائد منظمة الارغون في القدس وواضع الخطة لمذبحة دير يس في معرض شهادته امام المحكمة (٢) انه اتفق والادون (دافيد شالتتيل) قائد قوات الهاغانا فيها على ان يشترك ١٢٠ محارباً من منظمتي الارغون وشترن للقيام بمعركة دير يس على ان تساندهم مدفعية الهاغنا ، وانه هو وذافيد شالتتيل هـذا كانا من مستعمرة جبعات شاؤول يشرفان على المعركة وهي قائمة في دير يس ، وان المعركة استمرت من الساعة الرابعة صباحاً حتى الخامسة مساء وقد اسفرت عن انتصار اليهود ، وان قوات الهاغنا تقدمت ، عند انتهاء المعركة ، فتسلمت القرية ورفعت العلم الصهيوني عليها .

---

(١) اقرأ الصفحة ١٦٣ من كتابه المترجم للغة الانجليزية بعنوان The Revolt

(٢) جريدة الحياة البيروتية العدد ١٩٢٩ بتاريخ ٢٢ آب سنة ١٩٥٢ . .

أين الزعماء ؟ أين السلاح ؟

ان سقوط القسطل ودير يس بيـد اليهود (٩ نيسان) وقالونيـا (١٢ نيسان) ونسف منازل العرب في هذه القرى قد احدث ذعرا في نفوس السكان: وراحت علائم الاستياء تبدو جلية على وجوههم . ولا سيما عندما اتتهم انباء الفشل الذي اصاب فوزي القاوقجي وصحبه رجال جيش التحرير في (مشمار هاعيمك): وما كانت اخبار الشمال، ولا سيما حيفا . وطبريا ، لتسر . اذ كانت انباء دير يس قد انتشرت في تلك الربوع ، فاحدثت شيئاً كثيراً من الذعر . عندئذ ايقنوا ان رجال الجامعة العربية قالوا اكثر ممـا فعلوا . ورغم اجتماعاتهم المتكررة في الشام وبلودان وفي انشاص والقاهرة وعمان ؛ورغم الخطب والبيانات الكثيرة التي اذاعوها هنا وهناك ، فانهم لم ياتوا بأي عمل يذكر . نعم، ان مجلس الجامعة العربية قرر زحف الجيوش العربية الى فلسطين . واصدر في ١٢ نيسان ١٩٤٨ قراراً جاء فيه : ـ « ان دخول الجيوش العربية فلسطين لانقاذها يجب ان ينظر اليه كتدبير موقت خال من كل صفة من صفات الاحتلال ، والتجزئة لفلسطين ، وانه بعد اتمام تحريرها تسلم الى اصحابها ليحكموها كما يريدون »: الا انه لم يقم بأي تدبير عملي لتنفيذ قراره. فلا جيوش نظامية . . ولا قيادة موحدة(١) . . ولا اسلحة. . ولا تنظيم . . ولا جنود مدربون خلا بضع مئات من المتطوعين تسللوا الى هذه الناحية او تلك من انحاء البلاد . . . وراح الناس يتساءلون : ـ أين السلاح ؟ أين المدافع الثقيلة ؟ والطائرات ؟ أين العتاد ؟ أين المال ؟ أين القواد ؟ يرسمون الخطط، ويديرون دفة القتال؟ لماذا لا يستغل هؤلاء القواد المجندين السابقين الذين تدربوا عـلى القتال في صفوف الجيش البريطاني والبوليس وقوة الحدود فيدعونهم للقتال وعددهم ينوف على عشرين الفاً، بينهم ما لا يقل

---

(١) قال جون كمشي في الصفحة ٢٣٠ من كتابه **Seven Fallen Pillars** ان مجلس الجامعة بعد ان قرر في اجتماعه الذي عقده في بيروت، ان تزحف الجيوش العربية على فلسطين ، رحلت اللجنة العسكرية التابعة لمجلس الجامعة الى عمان من اجل تنسيق الحركات العسكرية ووضع الخطط اللازمة لغزو فلسطين . وظلت هناك مجتمعة حتى ٣٠ نيسان . ولكنها فشلت في الوصول الى اتفـاق من حيث توحيد القيادة . اذ ان الملك عبد الله اراد ان يكون هو القائد الاعلى . وقد عارض في ذلك المصريون والسوريون (**Seven Fallen Pillars ,P. 230**)

عن مئتي ضابط مدرب ؟ : ولما لم يجد القوم بين ظهرانيهم من يجيبهم على اسئلتهم هذه انتدبوا وفداً ينوب عنهم في مباحثة ولاة الامور وايضاح حقيقة الحال وسافر الوفد في ٢٠ نيسان وكان المؤلف في عداد اعضائه، فطاف العواصم العربية وتحدث الى عدد كبير من اقطاب البلاد الشقيقة ؛ ولاول مرة ، في تاريخ الحرب الاخيرة هذه ، شم اعضاء الوفد رائحة الفرقه والخلاف بين اعضاء الجامعة . ورأوا ، ويا لهول ما رأوا ، ان الامور في جميع البلاد العربية فوضى لا سائس لها ولا زاجر . وان رجال الحكم في هذه البلاد تنقصهم الكفاءة والقدرة على التظيم ، يسيرون في اعمالهم على أساس الارتجال ؛ ذلك لان معظمهم من الاقطاعيين الذين لا يرغبون ان تتبدل الاوضاع والامور . وان انظمة الحكم السائد مفككة ، وهي اجهزة باليه تستهدف في مجموعها مصالح الافراد ، لا مصالح الشعوب والجماعات . ومن هنا جاء تباين الاهداف والغايات. ومنه ايضاً جاء تباين الخطط . وفي هذا ما فيه من شر للعرب .

هذه وما اليها من الاسباب الكثيرة جعلت رجال الوفد يؤوبون غير حاملين سوى الحسرة والاسف ، موقنين ان بينهم وبين النصر الذي يبتغون خرط القتاد . وانتدبت (اللجنة القومية(١)) في الوقت نفسه (اي في ٢٠ نيسان) امين سرها انور نسيبه ليسافر الى القاهرة طائراً ، حاملاً الى الهيئة العربية العليا رسالتها ، وقد جاء فيها : —

« ان حالة الدفاع في المدينة لا تبعث على الرضى . فالرجال قليلون . والعتاد ناقص. والمال غير متوفر(٢) . ولقد استولى اليهود على معظم المراكز الاستراتيجية الهامة في المدينة وفي ضواحيها . واحدثت مذبحة ديريس وحوادث سريس والقسطل ذعراً في البلاد . وليس ثمة قادة قديرون على ادارة دفة القتال . ولقد شلت حركة المواصلات بين المدينة والقرى التي تمولها ؛ وامتلأت شوارعها بالمنكوبين والنازحين. وتوقف النشاط التجاري ، وألمت بالشعب ضائقة مالية لا عهد له بمثلها من قبل. وفر الاغنياء من ميدان الشرف والتضحية بعد ان نعموا حتى اللحظة الاخيرة بهناء البلاد وشربوا كأسها مترعة حتى الثمالة . وها هم ينأون حين جد الجد . . . » .

وختمت اللجنة رسالتها بقولها — « . . فاما جهاد تبذل فيه الاعتدة على انواعها والمال والرجال على الفور ، وقتال حتى النصر الاخير . . . او الموت في سبيله . . »

مكثت اللجنة يومين تنتظر الفرج . ولكن ، دون جدوى ، وكنت تسمع الناس

---

(١) انظر الى ما كتبناه عن هذه اللجنة في ٢٦ كانون الثاني ١٩٤٨

(٢) لم يكن بيد رجال الهيئة العربية العليا الموجودين في القدس مبالغ تكفي لشراء مايحتاجون اليه من سلاح وعتاد . وسمع الناس الدكتور حسين فخري الخالدي الامين العام للهيئة العربية العليا ، وهو يقول اثر سقوط القسطل وديريس: ماذا اعمل لكم ؟ انني والله لااملك سوى مسدسي هذا. »!!

ولهذا استقرضوا ، الفين وخمسمئة جنيه ، من الاموال التي رصدها (جماعة الاخوان المسلمين) لبناء دار للجماعة في القدس . استقرضوا هذا المبلغ ليشتروا به السلاح .

يتحدثون عن الوضع بمرارة ويقولون ـ اين الزعماء يقودوننا ويهدوننا سواء السبيل ؟ اجل . اين هي الهيئة العربية العليا ؟ ولماذا تقيم في مصر ، وفلسطين . . . بلادها . . . في حاجة اليها ؟

تلك هي النغمة التي تسمعها ، اينما حللت وحيثما سرت ، في تلك الايام : لا في القدس وجدها وانما في جميع انحاء فلسطين . فريق من الناس ينقد الزعماء لانهم يعيشون بعيدين عن فلسطين ، فالبلاد في حاجة اليهم اليوم اكثر من اي يوم مضى . وفريق يقول انه لا خير يرجي منهم حتى لو رجعوا الان الى بلادهم ، فان معظمهم من الانانية وسوء التدبير على جانب عظيم ، فقد قضوا ، ثلاثين عاماً او يزيد ، في تطاحن عائلي وتنابذ حزبي ممقوت ، رأوا الخطر اليهودي باعينهم ، وذكروه بالسنتهم ، ولكنهم لم يعملوا اي عمل مجد من اجل صده ، فلا سلحوا الشعب ، ولا دربوه على القتال ، ولا نظموا الامور ولا وحدوا الصفوف ، بل اعتمدوا على الارتجال ، والغيب ووحي الساعة والظروف ، انهم غير ناضجين ، تنقصهم الثقافة والتجربة ، وقد لا ينقصهم الاخلاص ولقد وضع الشعب فيهم ثقته وسلمهم زمامه ، الا انهم لم يعرفوا كيف يستغلون هذه الثقة ويبرهنوا على كفاءة تتناسب مع مطالب العصر الحاضر والعلم الحديث .

وازداد الوضع قتاماً في القدس وفيما جاورها من الضياع بعد استشهاد عبد القادر الحسيني ، اذ بقي المناضلون بضعة ايام في هذا القطاع كالغنم من غير راع ، وارادت اللجنة العسكرية بدمشق ان تنتدب (ذو الكفل عبد اللطيف) ليخلف المغفور له عبد القادر في قيادة فرق (الجهاد المقدس) وهو شاب في السابعة والثلاثين من العمر . عمل كثيراً في حقل الوطنية في بلدة القدس ، الا ان فريقاً من آل الحسيني الذين كانوا ذوي باع في الهيئة العربية العليا ابوا الا ان يكون الخلف حسينياً . فكان لهم ما ارادوا . وانتدبت هذه خالد شريف الحسيني للقيادة ، ولم تكن موفقة في انتدابها هذا .

وحاول بعض المخلصين اقناع الحاج امين كي يعود هو الى فلسطين ، ويقود حركة الجهاد عن كثب ، الا انهم لم يفلحوا :

هذا عن الجانب العربي . واما اليهود فلم يكونوا في شهر نيسان ، رغم حادث دير يس ، وسقوط القسطل ، والاستياء الذي الم بالشعب العربي من جراء ابتعاد زعمائه عنه اهنأ بالا ، فقد جاء في مذكرات (١) (ي . رعنان) القائد العام لقوات الارغون في قطاع القدس . ـ « ان القسم اليهودي من القدس كان ، في شهر نيسان ١٩٤٨ معزولا

---

(١) نشرت مجلة (الهدف) المقدسية فصلا مترجما عن هذه المذكرات في عددها ١٦ الصادر بتاريخ • حزيران ١٩٥٠ .

عن الاجزاء اليهودية الاخرى بفلسطين وكانت وسيلـة الاتصال الوحيد ليهود القدس بالخارج بضع اجهزة لاسلكي، وطائرة واحدة تتردد على المدينة مرة كل يومين ،واحيانا مرة في الاسبوع ، وكان الوضع العسكري سيئاً للغاية ، معنويات السكان منحطة محطمة والخوف من المستقبل القريب مسيطرعلى النفوس ، وقرب موعد (الغزو العربي) يغزو كـل قلب يهودي ، اضف الى ذلك الجوع والفقر الشديد والحرمان والحاجـة للمؤن بين السكان » .

وقال يهودي آخر من يهود القدس في كتابه (القدس في معركـة (١)) وان الجوع ساد الاوساط اليهودية يومئذ بشكل مخيف .. وان المخازن خلت من الاطعمة . فما كنت ترى فيها الا الفواكه المجففة والمعلبات تباع باسعار عالية . .الخـبز يظهر يوماً ، ويختفي اياماً . . . والحليب غير متيسر الا بقدر معلوم . فنجان واحد في اليوم وبشهادة الطبيب واستعاض بعضهم عن لحم الارانب بلحم القطط . . وفقد البترول ، وفقد الوقود منذ شهر شباط . . وانعدم التبغ . . .

والاهم من هذا كله ان العرب نسفوا في ١٠ نيسان انابيب الماء بين رأس العـين والقدس ، فراحوا يواجهون خطراً جديداً ، هو العطش . . .

ولم يكن وضع اليهود في يافا بافضل منه في القدس في اوائل شهر نيسان فقد كانوا على اهبة الرحيل ، الامر الذي ذكرناه في الفصل الذي خصصناه لمعارك يافا .

ولهذا حاول كثيرون من اليهود الهرب من القدس ، والالتجاء الى تل ابيب ،وكنت تراهم بالمئات والالوف واقفين امام شركة الباصات (ايجد) ينتظرون . . ولكن السفر محفوف بالمخاطر ، والمناضلون العرب واقفون بالمرصاد ، والويل لمن يجرؤ على السفر . ولهذا كثيراً ما كان الاسبوع يمر بل الاسابيع ، دون ان يغادر المدينة يهودي واحد . . »

معارك الشمال

●

وفيما كان سكان بيت المقدس في حيرة من امرهم ،وكانت اللجنة القومية تستعرض الوضع السائد في المدينة ، اتاهم نبأ سقوط (طبريا) في ١٩ نيسان ثم جاءهم نبأ سقوط (حيفا) في ٢٤ نيسان بيد الاعداء: وانهيار حامية يافا في ٢٨ نيسان فانقضت عليهم هذه الانباء انقضاض الصاعقة . وكان لها اثر يذكر على سير المعارك في القدس وسنذكر ذلك بالتفصيل في السطور التالية :

« Jerusalem Embattled » by Harry Levin , p. 30 (1)

الوضع في مدينة القدس بعد سقوط القسطل

رغم ان الوضع العسكري في مدينة القدس اصبح ، بعد سقوط القسطل قاتماً : حتى ان العميد الركن طه باشا الهاشمي قال لزملاءه رجال اللجنة العسكرية ، وفي طليعتهم المقدم محمود الهندي : «ان بقاء اليهود في القسطل يؤثر تأثيراً سيئاً على المدينـــة ويجعل اليهود مسيطرين على الطريق بعد ان احتلوا قرية خلدة» وقال(١) : «لقد اصبحت اعتقد بضرورة تعيين قائد عسكري لمنطقة القدس واللد والرملة على ان يزود ببطارية من المدافع وفوجين (فوج اليرموك وفوج اجنادين) من الجنود» . الا انه – ويا للاسف – لم يفعل شيئاً يذكر في هذا السبيل . لا ولا حاول ان يسترد القسطل .

ولقد سادت الفوضى في مدينة القدس بـــعد استشهاد عبد القادر وأبطـأ الرجـــال المسؤلون في ارسال ضابط كبير يتولى قيادة المدينة بسبب الخلاف الذي كان قائماً بين اللجنة العسكرية والهيئة العربية العليا . وهذا الخلاف زاد الطين بلـة . وجعل المنـــاطق الاستراتيجية الهامة معرضة لخطر السقوط بيد اليهود . ولم يكن بالمدينـــة يومئذ سوى ٣٠٠ مقاتل ستون منهم في القطمون يقودهم ابراهيم ابو دية وثلاثون في البقعة الفوقانية يقودهم شفيق عويس . واربعون في الشيخ جراح . وخمسون في المصرارة يقودهم بهجت ابو غربية ، ومئة وعشرون في انحاء مختلفة ويقودهم حافظ بركات . وكان هذا مزوداً بستة مدافع رشاشة ومدفعين من طراز هاون الا ان هؤلاء القادة ما كانوا يتعاونون مع قادة جيش الانقاذ ومنهم الرئيس فاضل عبد الله الذي اتخذ مقره مدرسة الروضة والقائد المحلي الوحيد الذي كان يتعاون معه هو صلاح الحاج مير . وكان هنالك في ميكور حايم فصيل تابع لسرية الرئيس المتقدم ذكره فاضل عبد الله .

ورغم هذا الوضع القاتم في المدينة ومعرفة اللجنة العسكرية بـه فانها لم تتخذ عمـــلا يذكر لدرء الخطر .

حامية القدس بعد وفاة عبد القادر

بعد ان قضى عبد القادر الحسيني نحبه في موقعـــة القسطل عهد امير اللواء الركن اسماعيل صفوت باشا ، بوصفه القائد العام لقوات فلسطين ، بقيادة المنطقة الوسطى الى

---

(١) اقرأ مذكراته المنشورة في العدد ٢٣ من جريدة الحارس العراقية بتاريخ ٣٠ نيسان ١٩٥٣

العقيد محمود الهندي ، وكان ذلك في ٢٦ نيسان ١٩٤٧ (١) .

والى ان يصل هذا ويتسلم المنطقة (٢) عهد بقيادتها الى قائد الجبهة الشمالية فوزي القاوقجي على ان يدخل تحت قيادته كلا من مناطق القدس ويافا واللد . وأمر القاوقجي في الوقت نفسه ، ان يخصص فوج كاملا لتقوية كل من حاميتي يافا والقدس ، وباتخاذ التدابير اللازمة لفك الحصار المضروب على يافا ، والاحتفاظ بها وبالقدس مهما كلف الامر .

وفي ٣٠ نيسان ١٩٤٨ انتدب الرئيس الاول عبد الحميد الراوي (عراقي) آمر فوج اليرموك الثالث قائداً لحامية القدس . ووضعت سرية الرئيس فاضل رشيد (عراقي) الموجودة في منطقة القدس تحت امرته . وجعلت مهمته (٣) (أي مهمة آمر الفوج) بالاضافة الى الدفاع عن الاحياء العربية واحتلال المراكز الهامة التي يحتلها الجيش البريطاني ان يقطع طريق تل ابيب ـ القدس ، وذلك بنسف العبارات الكائنة حول اللطرون وباب الواد والقسطل وسد الطريق بالصخور .

ولقد زود هذا ببعض العتاد وبخمسين بندقية تشيكوسلوفاكية ورشاشة من طراز هوشكس و ٣٠٠٠ طلقة و ٨٠ قنبلة هاون و ١٠٠ رمانة بنادق . وقال العميد الركن طه باشا الهاشمي في مذكراته (٤) ان القيادة العامة ارسلت الى حامية القدس مدفعين سوريين تسلمها الشيخ حسن سلامة قائد القطاع الاوسط الغربي ، ولكن الرئيس فاضل عبد الله الذي اجتمع به بعد ذلك ببضعة ايام قال له «ان المدفعين المذكورين لم يصلا . »

مياه رأس العين

●

عندما سقطت (دير يس) و (القسطل) راح المناضلون يفكرون في اضمن وسيلة للانتقام من اليهود : فقرروا نسف الانابيب التي توصل مياه (رأس العين) الى الاحياء اليهودية الكائنة غربي مدينة القدس . وقد دمروها عند باب الواد : وكان ذلك في ١٠

---

(١) اقرأ الامر الذى اصدره بتاريخ ٢٦ نيسان ١٩٤٨ رقم ١٢٥ – ح .

(٢) حدثني العقيد محمود الهندي انه رفض ان يتسلم القيادة الا اذا اعطوه ماطلب من سلاح وعتاد ولما لم يلبوا طلبه ، استقال .

(٣) اقرأ الامر الذى اصدره القاوقجي في ٣٠ نيسان ١٩٤٨ رقم ٦٠٩

(٤) اقرأ العدد ٢٧ من جريدة (الحارس) العراقية بتاريخ ٢٨ ايار ١٩٥٣

نيسان ١٩٤٨ والذي تولى هذه المهمة يومئذ مئة مناضل نصفهم من رجال الجهاد المقدس والنصف الآخر من متطوعي البادية .

قطع الماء يومئذ بالمرة . وتضررت الاحياء اليهودية وكذلك قل عن دور الحكومة ومخيمات الجيش ، وقصر المندوب ، والاماكن الاخرى فقاست القدس بعدئذ الامرين من جراء العطش الشديد . حتى ان السلطات اليهودية وضعت يدها على آبار المدينة وصهاريجها التي تتجمع فيها الامطار . وراحت توزع مياهها على السكان بالميزان .

جيش الانقاذ

●

في ١١ نيسان ١٩٤٨ ذهبت مع وفد من سكان منطقة القدس الى قرية (جبع) من اعمال جنين فقابلنا قائد جيش الانقاذ ، فوزي القاوقجي ، ورجوناه ان يرسل بعض الافواج من كتائبه المرابطة في شمال فلسطين الى منطقة القدس ، حيث بدأ الرعب يذب دبيبه ، وأصبحت الامور بعد استشهاد عبد القادر ، فوضى لا سائس لها ولا زاجر ، ولفتنا نظره بصورة خاصة الى الآكام القائمة الى الشمال والشمال الغربي من القدس ، ولا سيما تلك الاكمة التاريخية المعروفة بالنبي صموئيل (١) والتي لم يكن فيها يومئذ سوى اربعين مناضلا ، فاذا احتلها اليهود سقطت القدس ، وسقطت رام الله ، وسيطروا على الطريق الغربية المؤدية الى باب الواد والشمالية المؤدية الى نابلس .

فتردد القاوقجي ، بادىء ذي بدء لان المنطقة التي ذكرها الوفد لا تدخل في دائرة اختصاصه . ولم يكن الامر الذي اصدره القائد العام قد وصل اليه ليتسلم قيادة قطاع القدس (٢) ولكنه عاد ، فقبل وأرسل من فوره ثلاثة فصائل من جيشه (هي فصيل حطين وفصيل الشراكسة وفصيل لبنان) أرسلها بقيادة الرئيس مأمون البيطار ، وما كاد صبح اليوم التالي (١٢) نيسان ينبلج ، حتى كانت هذه الفصائل قد احتلت النبي صموئيل وبدو والآكام المجاورة ، وراحت تسيطر على القطاع الشمالي من القدس ، والطرق المؤدية اليها من الشمال والغرب ، والاهم من هذا ان القوة الجديدة اتصلت ، فور احتلالها للآكام المتقدم ذكرها ، بفاضل العراقي قائد حامية القدس ، وراحت تقصف الاحياء اليهودية

(١) قامت معارك شديدة حول هذه الاكمة بين الاتراك والانكليز في الحرب الكونية الاولى ، واحتلها كلا الجيشين مرارا ، ولما احتلها الانكليز للمرة الاخيرة ، ووطدوا اقدامهم فيها (١٩١٧) سقطت القدس في ايديهم .

(٢) صدر هذا الامر في ٢٦ نيسان ١٩٤٨ .

الغربية بمدافعها وبهذا حيل دون الخطر الذي كان يهددها ، وعلى ذكر المدافع اقول انه لدى قيادة جيش الانقاذ في ذلك الحين ثمانية مدافع قديمة مختلفة الانواع ومحدودة العتاد .

معارك الشيخ جراح

●

عندما خبت نار القتال في القطمون ، او كادت ، راحت هذه تشتعل في حي الشيخ جراح (١) ذلك لان هذين الحيين من احياء المدينة ، لها اهمية استراتيجية لا تجدها في الاحياء الاخرى ، فالاول (حي القطمون) مرتفع ومسيطر على احياء القدس الغربية والجنوبية ، والثاني (حي الشيخ جراح) واقع على طريق نابلس في شمال المدينة .

ذكرنا في الاسطر المتقدمة معارك القطمون ، وها نحن فيما يلي نذكر ما جرى في الشيخ جراح فنقول . –

لقد صب اليهود جل اهتمامهم على هذا الحي لسببين : اولها انه قائم على نشز من الارض يفصل بين الاحياء اليهودية (مياشورم ، وسنهدريا ، وبيت اسرائيل) وبين الطرف الشمالي من جبل الزيتون حيث تقوم مباني الهداسا والجامعة العبرية ، وكان لا بد لهم من تأمين الاتصال لهذه المباني ،وهذا لا يتيسرلهم الا بالاستيلاء على الحي كله .ومتى استولوا عليه سيطروا على طريق القدس – نابلس ، وقطعوا كل اتصال كان بين الجزء العربي من المدينة والجزء الشمالي من فلسطين .

هذا بالاضافة الى ان معظم سكان هذا الحي من الطبقة الراقية ، وجلهم ان لم نقل كلهم من الاغنياء ، ولهم مكانتهم في المجتمع ، متى قضي عليهم ، أو تشردوا حرمت المدينة من مورد كان من المستطاع ان يغذيها بالعقل والمال ، وهذا ما حدا باليهود لان يفكروا لا في ازعاجهم فحسب بل والاستيلاء على حيهم .

ادرك سكان الحي النية التي يبيتها لهم اليهود ، فراحوا يفكرون في اضمن الوسائل لاتقاء الخطر ، ولم يكن – في الحي كله – يومئذ – سوى بضع مسدسات ، فقرروا باديء ذي بدء ان يشتروا بضع قطع من السلاح ، ثم رأوا ان يستأجروا عدداً من

---

(١) سمي هذا الحي بهذا الاسم نسبة الى الامير حسام الدين حسين بن شرف الدين عيسى الجراحي احد امراء الملك صلاح الدين الذي توفي ودفن في زاويته الكائنة في هذا الحي (١٢٠١ م)

القرويين ليساعدوهم في الحراسة والقتال ، انهم وان لم ينجحوا في جمع المال اللازم كله (١) الا انهم قاموا باعمال موفقة سنذكرها لك في السطور التالية : ـ

ألقيت في الحي ، غداة اليوم الذي صدر فيه قرار التقسيم ، اول قنبلة عـلى باص يهودي اعتاد ان يمر من هناك ، فجرح يهوديان . وكان ذلك في ٣٠ تشرين الثاني ١٩٤٧ وكان المهاجمون خمسة من المناضلين من بيت المقدس ، بعضهم من طـلاب المدارس ، وكان عملهم هذا افراديا ، لا يستند الى قرار من اية منظمة من المنظمات القوميـة ، ولم ينقطع المناضلون بعد ذلك من مهاجمة وسائط النقل اليهودية التي تمر من هـذا الحي في طريقها الى الجامعة العبرية والهداسا ؛ ودام الحال على هذا المنوال طيلة شهر كانون الاول وكان اشد هذه الهجمات في ١٤ منه ، اذ هاجم اثنان من المناضلين الباص نفسه ، فتسلق احدهما درجه ، وقذف ركابه بقنبلة بينما كان الثاني يحمي ظهر اخيه بمدفع صغير مـن النوع المعروف بستن ، فقتل في هذا الحادث يهوديان من أساتذة الجامعة العبرية ، وجرح تسعة جراح ستة منهم خطرة .

وهوجم الباص نفسه في ٣٠ كانون الاول فاصيب ١٦ من ركابـه بجراح ، جراح اربعة منهم بالغة .

وفي اول السنة الميلادية ١٩٤٨ كانت اعمال الارهاب قد اكتست شيئاً من التنظيم ، فقاد المجاهدين ، وكان عددهم يومئذ عشرين ، محمود جميل الحسيني ، وقام هذا مع فريق من اترابـه بنسف اول مـنزل يهودي قريب من الحي ، نسفوه بالمتفجرات من نوع (ت.ن.ت) وكان ذلك بتاريخ ٢ كانون الثاني .

وحاول اليهود في اليوم التالي حرق بعض المنازل العربية ، الا ان العرب اطفأوها في الحال ، وجرح عدد من اليهود والجنود ، وقتل يهوديان ، كما قتل مدير مخازن الجيش على جبل الزيتون ، وفي ٧ كانون الثاني توفي قائد الحامية محمود جميل الحسيني .

---

(١) فرضوا على كل ذكر من سكان الحي اربعة جنيهات . فدفـع بعضهم ما طلب منه ، ومعظم الدافعين من الفقراء ، وغادر البعض الاخر الحي قبل ان يدفع ماعليه ومعظمهم من الاغنياء .

وان ما جرى في هذا الحي جرى مثله في حي القطمون والنبي داود ، وفي معظم الاحياء الاخرى . اذ هب للنجدة فريق ، وقعد آخرون . وفي مثل ذلك ورد قولـه تعالى : « واذا أنزلت سورة ان امنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استاذنك اولوا الطول منهم ، وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين . رضوا بان يكونوا مع الخوالف ، وطبع على قلوبهم ، فهم لا يفقهون . » سورة التوبة الايتان ٨٦و٨٧ وقال « لايستوي القاعدون من المؤمنين غيراولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم ، فضـل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم ، على القاعدين درجة . . » سورة النساء الاية ٩٥

وفي ١٠ منه قامت معركة في الحي اسفرت عن ثلاثة قتلى وسبعة جرحى من اليهود واستغمل العرب ، في هـذه المعركة ولاول مرة ، الرشاشات المعروفة بالبرن ، وطلب اليهود من الجيش البريطاني اقصاء المناضلين العرب عن الحي ، ليتمكنوا من الاتصال بمستشفاهم هداسا والجامعة العبرية على جبل الزيتون .

وفي ١٣ كانون الثاني اشتبك الفريقـان في قتال دام ساعتين وحدثت انفجارات عديدة ، قيل انها نافت عن العشرين وتضرر من جرائها عدد كبير من منازل العرب ، ودمرت دار حسن زكي نسيبة تدميراً تاماً (١) .

وفي ١٥ كانون الثاني تمكن اليهود من معرفـة الوقت الذي يتبادل الحراس العرب فيه الحراسة ، فقذفوهم بالقنابل ، قصفتها مدافع الهاون ، واقتحموا الحي ، وبعد ان نسفوا ثلاثه من منازله (٢) نسفاً جزئياً ، وقتلوا اعربياً ، رجعوا الى احيائهم . ولم يقف العرب مكتوفي الايدي تجاه هذه الاعمال ، فرحوا يهاجمون اليهود . وينسفون منازلهـم ولقد دمروا منزلا مجاوراً لحيهم كان اليهود قد اتخذوه حصناً . وقتلوا يهوديين .

ولم يتدخل الجند في اعمال هؤلاء واولئك طيلة ذلك الشهر ، الا عندما دمر العرب (في ١٩ / ١) الانابيب التي تنقل الماء الى الاحياء اليهودية والتي تمر من الحي . فطلبوا من العرب ايقاف النار ، الى ان تصلح تلك الانابيب ، فرفضوا ، وانقطع اليهود عن اعمالهم في الهداسا والجامعة العبرية . وراح الطلاب والموظفون المستخدمون في صفوف هـاتين المؤسستين يعملون في صفوف الهاغانا .

وفي ١٦ كانون الثاني هاجم العرب سيارتين من سيارات البوليس عند مفترق الطرق فانقلبت احداهما ، وقتل احد رجال البوليس الذين كانوا فيها ، وجرح اربعة يهود بينهم ضابط واحد ، وجرح يهوديان من المدنيين كانا مسافرين في باص يؤم مستشفى الهداسا .

وفي ٢٨ كانون الثاني نسف العرب بيتين كبيرين من بيوت اليهود في (نحلات اسحق) كانا قد اتخذوهما حصناً ، وكثيراً ما اصطادوا العرب منهما .

وما كاد شهر كانون الثاني يولي الادبار ، حتى كان الحي قد اخلي من معظم سكانه الذين بدأوا بالرحيل في اول الشهر ، واقامت الحكومة في مداخله ثلة من الجند ، عندئذ رأى المناضلون العرب انه خير لهم ان يكتفوا باعمال القنص ، فراحوا يقتنصون كـل يهودي يرونه ، سواء في منطقتهم او في المناطق المجاورة لهم ، ولطالمـا تعقبهم اليهود ،

---

(١) دار موسى النمري ، ودار كامل مراد ، ودار عمر الرصاص .

(٢) العرب هم الذين نسفوا هذه الدار ، لئلا يتخذها اليهود حصناً لهم . انها من اقدم المباني الـكائنة خارج السور . بنيت في القرن السابع عشر للميلاد .

وطوقهم الانكليز بجندهم ومصفحاتهم ومع ذلك فقد ظلت كفة العرب الى ذلك الحين هي الراجحة .

كذلك كان الوضع في الشيخ جراح في شهر شباط (١) ولقد نسف العرب في الاسبوع الاخير منه الجسر القريب من مقبرة الانكليز (٢) وتبادلوا النار مع الحامية اليهودية في الهداسا والجامعة العبرية ؛ واشعلوا النار في ستة من منازل اليهود في (شخونات شمعون)

وجرت في ١٧ شباط معركــة بين العرب واليهود ، وكــان الفريقان في سياراتهما فتبادلا النيران والقنابل المحرقة ، فقتل سائق سوري ، وجرح ثان ، ونجا السائق الثالث باعجوبة ، واحرقت سيارة يهودية ، وقتل ثمانية من ركابها ، وجاء الانكليز فانقذوا الباقين من الركاب واشترك في هــذا القتال فريقان من العرب ــ فريق من منظمة الشباب ، واخر من جماعة الاخوان المسلمين .

واما شهر اذار فقد انقضى دون ان يحدث فيه شيء يذكر ، سوى تبادل النار بين قناصتي الفريقين . ونسف بعض المنازل هنا وهناك .

وفي اليوم الاول من شهر نيسان ١٩٤٨ تبادل الفريقان النار بشدة ، ونسف العرب منزلا يهودياً في (بيت اسرائيل) القريبة من الحي ، فانهار على من فيه ، وتصدع عدد من المنازل المجاورة له .

ثم عادوا في اليوم الثالث، لينسفوا منزلا آخر من منازل الحي اليهودي نفسه ، وكان اليهود متحصنين فيه، وما كاد الاسبوع الاول من نيسان ينتهي حتى كان جميع ذلك الجزء اليهودي من الحي ،وكان المقدسيون يسمونه(ام هارون) ،قد اكلته النيران ،فقد نسف العرب ثمانية عشر منزلا من منازله في ٨ نيسان .

وفي يوم الثلاثاء الموافق ١٣ نيسان نشبت في الحي معركة من اكبر المعارك التي قامت في بيت المقدس ، اذ هاجم فريق من المناضلين العرب ، من رجال الجهاد المقدس ، قافلة يهودية اثناء اجتيازها ذلك الحي ، وكان فيها عدد من الاطباء والممرضين والممرضات ، ومن رجال الهاغانا المسلحين في طريقهم الى الجامعة العبرية ومستشفى الهداسا ، وكان اليهود قد استعملوا مباني الجامعة والمستشفى حصوناً تمركزوا فيها وراحوا منها يقتنصون المسافرين والمقيمين من سكان الاحياء المجاورة ، وكثيراً ما أطلقوا النار من تلك المباني على حي الشيخ جراح ووادي الجوز وباب الساهرة ، حتى أن عبدالقادر الحسيني كان

---

(١) ذكرت جريدة (بالستين بوست) اليهودية المقدسية ان خسائر اليهود من اعمال القناصة في حي الشيخ جراح بلغت ، (في شهر شباط ١٩٤٨) ، تسعة وستين قتيلا .

(٢) دفن فيها الانكليز قتلاهم اثناء الحرب الكونية الاولى (١٩١٤ – ١٩١٨) .

اشار الى اعمال اليهود هذه في مؤتمر صحفي عقده قبل ذلك الحادث بشهر ، وانذرهم قائلا : ـ « انهم اذا لم يكفوا عن استعمال الجامعة والمستشفى اوكاراً للقنص فانه سوف ينسفها ، » ولكن لماذا اختار المناضلون هذا اليوم للانتقام ، ولم يفعلوا ذلك قبل اليوم ، فمن قائل انهم ارادوا رفع معنويات الشعب التي اصابها شيء من الخور اثر حوادث القسطل وديريس واستشهاد عبد القادر ، ومن قائل ان قائد المناضلين في ذلك الحي تلقى في الليلة التي سبقت وقوع الحادث خبراً موثوقاً (١) يقول ان القافلة اليهودية التي اعتادت اجتياز تلك الطريق ستكون في هذه المرة اكبر من كل قافلة سبقت ، وان ركابها لن يكونوا اطباء وأساتذة وممرضين وممرضات فقط كما اعتادوا من قبل وانما سيكون بينهم محاربون من رجال الهاغانا ، وان الغاية من هذه الحملة مهاجمة المطلع ، وقرية الطور ، ووادي الجوز ، وتطويق القدس من الناحية الشرقية ، وكانت القافلة مؤلفة من تسع سيارات كبيرة اثنتان منها مصفحتان تحملان جنوداً من رجال الهاغانا وفي بعضها مواد لانشاء الخنادق والحصون .

ومما جعلهم يصدقون هذه الاخبار ان اليهود كانوا قبل ذلك بيوم او بعض يوم ، نسفوا بعض الجسور الواقعة بين اريحا والقدس ، ولهذا وقف المناضلون للقافلة بالمرصاد وقد صمموا ان يحاولوا دون وصولها الى اهدافها ، مهما كلفهم ذلك من ثمن ، وكان عددهم عند بدء الحادث اربعة وعشرين كلهم مشاة مسلحون بالبنادق والرشاشات من طراز برن وستن وما كادت القافلة تجتاز مفرق الطرق (المؤدية الى القدس ونابلس وجبل الزيتون) وكانت الساعة قد دقت التاسعة والدقيقة الخامسة والاربعين حتى انفجرت الالغام التي كان المناضلون قد بثوها هناك فنسفت احدى السيارات ، وكانت مصفحة ، ثم تبعتها سيارة ثانية ، فاحترقتا ، وقتل كل من فيها ، وكانوا ثمانية وثلاثين وقتل شاب عربي من حملة الالغام وتمكنت خمس من السيارات اليهودية من الافلات فعادت من حيث اتت .

وما كاد الخبر يذيع حتى راحت الوكالة اليهودية تستنجد بالجيش طالبة منه ان يتدخل ، فجاءت في بادىء الامر سيارة جيب فيها ضابط بريطاني وجندي جاءآ يستطلعان الخبر ، وكانت الساعة حينئذ قد دقت الحادية عشرة وربعاً ثم جاءت قوة كبيرة من الجند مزودة بمدافع المورتر . فرابطت هذه في الساحة الكائنة عند مفترق الطرق على بعد مئتي متر من الجسر الى الشمال ، وراحت تطلق النار على المناضلين، وجاءت مصفحة بريطانية من ناحية معسكر البوليس على جبل سكوبس ، فرابطت عند مفترق

(١) تلقاه من ضابط الحامية البريطانية في ذلك الحي ، وهو اوسترالي .

الطرق في اعالي الحي ، وراحت من هناك نطلق النار على المناضلين ! واطلق الجند النار عليهم ايضاً من ناحية كرم المفتي : وقصارى القول لم يصب العرب اذى من اليهود مثلما اصابهم من الجند البريطانيين .

ومع ذلك ، ورغم النجدات البريطانية التي وفدت الى مكان الحادث من كل صوب ورغم القذائف التي كانت تقذف على العرب من ناحية الجامعة العبريه ومستشفى الهداسا فان النصر كان حليف العرب الذين ابدوا بسالة تستحق التقدير . وقد ازدادوا استبسالا عندما انجدهم اخوانهم المرابطون في حي المصرارة ووادي الجوز وباب الساهرة ، الحي القديم ولما اقبل هؤلاء على مكان المعركة راحوا يهللون ويكبرون ، وشنوها غارة شعواء على اليهود وعلى منجديهم . وبهذا اصبح عدد المجاهدين الذين جاءوا لخوض المعركة مئتين ولما رأى اليهود انه لا قبل لهم بهذا الجمع المتكاثر من الشباب الثائر عرضوا (الاستسلام) . وقبل المناضلون العرض ، مشترطين تسلم الاسلحة كلها ، واسر الرجال ، ولاسيما القادرين منهم على القتال . وتعهدوا الا يصيبوا النساء بسوء . وجرت المفاوضة ساعتئذ مع كبير المناضلين عادل عبداللطيف .

وفيما كان الفريقان يتفاوضان بواسطة ضابط من ضباط الجيش البريطاني ورجل من المناضلين انتدبه قائد الحملة لهذه الغاية ، اطلق اليهود النار على هذا المندوب فقتلوه ، عندئذ ثارت ثائرة العرب . وانقضوا على رجال القافلة من جديد ، واعملوا فيهم النار وكانوا يطلقونها من مسافات قريبة لا تبعد اكثر من بضعة امتار عن الرصيف . فقتلوا منهم خلقاً كثيراً . وعندما انتهت المعركة كانت الساعة قد دقت السادسة .

قال لي صديق شهد المعركة انه قتل من اليهود يومئذ خمسة وسبعون . هؤلاء غير الاربعين الذين هلكوا حرقاً مع السيارتين المصفحتين اللتين نسفتا . وهذا مطابق للعدد الذي نشرته الصحف اليهودية في صبيحة اليوم التالي . اذ قالت ان خسارة اليهود لا تقل عن مئة واثنين وعشرين والجرحى عشرون .

وكان بين القتلى الدكتور ياسكي Dr. HYassky مدير مستشفى الهداسا ، بن دافيد دولجانسكي من اساتذة كلية الطب ، والبروفوسور بونا فنتورا مدير فرع (علم النفس) في الجامعة العبرية ، الدكتور غونتر وولفسون Guenther Wolfsohn الدكتور بنيامين كلار ميزورسكي ، الدكتور ابراهام فرايمان ، واثنان آخران من اساتذة الجامعة . ودفن اليهود قتلاهم في حي سنهدريا ، لتعذر الوصول الى مقبرتهم على جبل الزيتون . وما كان الاساتذة والاطباء ليتعرضوا للأذى لولا انهم كانوا يرافقون المقاتلين ، وكانوا راكبين مصفحات اعدت للقتال .

بعد انتهاء المعركة كتب الدكتور ماغنس رئيس الجامعة العبرية الى الجنرال ما كميلان General Macmillan القائد العام للقوات البريطانية المرابطة بفلسطين كتاباً انحى فيه باللائمة على الحكومة والجيش معاً لانهما لم يسرعا لنجدة القافلة في الحال قائلا : ان الجنود لم يصلوا الى المكان الا بعد سبع ساعات من بدء القتال . فاجابه الجنرال (١) ان اليهود كانوا عند مروره با الحي اثناء المعركة يطلقون النار من مدفع ، وانهم لم يتوقفوا عن اطلاقها لحظة واحدة ومما قاله الجنرال ان ما فعله العرب يومئذ (الثلاثاء) ليس الا انتقاماً لما فعله اليهود بهم في دير يسن قبل ذلك بثلاثة ايام (الجمعه) ونصح الجنرال الدكتور ماغنس ان يكون هو وامثاله من الزعماء اكثر اتزاناً ، والا يحاولوا اثارة الاشخاص غير المسؤولين (٢) من اتباعهم .

ولولا تدخل الجيش البريطاني لقضى المناضلون على الثمانية الباقين من ركاب القافلة ولهذا يكون المجاهدون من شباب بيت المقدس قد انتقموا لاخوانهم ابناء دير يسن ، ولما ينقض على تلك المجزرة اكثر من بضعة ايام .

وقتل من الجنود البريطانيين الذين جاءوا للنجدة اثنان وجرح ستة . واستشهد من العرب اثنا عشر مقاتلا ، قتلهم الانكليز ، بينهم الصحفي شكرى قطينة وجرح قائد الحملة محمد عادل النجار ، فتولى القيادة هناك السيد عادل عبد اللطيف كما قتل اثنان من المناضلين عندما انفجر اللغم الذي كانوا يحملونه وقد وانفجر هذا اثر اصابته برصاصة اطلقها الجند .

وانتهت المعركة في تمام الساعة الرابعة والنصف وذلك عندما تكاثر الجند، وانسلوا الى الميدان، مستعملين مقادير كبيرة من قنابل الدخان المسيلة للدموع ومدافع المورتر والبنادق الرشاشة كانت حامية الحي يومئذ مؤلفة من خمسين مقاتلا ، كلهم من رجال الجهاد المقدس بعد قليل راح هؤلاء يحرسون الجزء القبلي من الحي يقودهم محمد عادل النجار ثم عادل عبد اللطيف، واخذ رجال جيش الانقاذ في حراسة الجزء الشمالي منه وعددهم خمسة وثلاثون ، يقودهم الملازم الاول موسى عبد الهادي من فوج اليرموك الثالث.

وفي ساعة مبكرة من ٢٤ نيسان جاء اليهود بقوات كبيرة ، من رجالهم المعروفين

---

(١) الصفحة ١٨٠ من كتاب Jerusalem is called liberty لمؤلفه Wolter Lever وهو من اساتذة الجامعة

(٢) يعني منظمات الارغون وشترن .

بفرقة الصاعقة (بالماخ) فاحتلوا الحي . فريق منهم جاء من ناحية مياشورم وسنهدريا، وفريق من الجامعة العبرية والهداسا . فقاومهم المناضلون مقاومة عنيفة وظل القتال مستمراً بين الفريقين حتى الظهيرة ،عندئذ جاء الانكليز فوقفوا بين الفريقين ، وطردوا اليهود(١) بعد ان قذفوهم بسبع قنابل من مدافعهم الخفيفة التي نصبوها في عقبة الصوانة بين وادي الجوز وجبل الزيتون وقتلوا منهم ٣٦ وجرحوا ٤٠ والكتيبة الانكليزية التي احتلته ورابطت فيه كانت بقيادة اللفتنانت كولونيل تيلسون، وكانت هذه مزودة بالمصفحات الثقيلة من طراز كرمويل وبالمدافع الثقيلة من عيار خمس وعشرون رطلا ولكن هذه الاسلحة لم تستعمل في الشيخ جراح بل احتفظوا بها في رام الله حين اللزوم. وما كاد الانكليز يتمركزون في الحي حتى اعلنوا (هدنة اجبارية) يسري حكمها على الفريقين . وكان ذلك في ٢٩ نيسان . ولئن فعلوا ذلك ، فانما فعلوه بقصد حراسة الطريق التي تربط القدس برام الله وانحاء فلسطين الشمالية تلك الطريق التي كان لا بد من سلامتها لتمكين الجيش البريطاني من الانسحاب عند انتهاء الانتداب . ولكن الحي لم يسلم من اذى الانكليز انفسهم فقد نهبوا اثمن ما وجدوه فيه وفي اليوم الذي احتل فيه الانكليز حي الشيخ جراح شمالي القدس اخلوا معسكر العلمين الكائن في جنوبها (٢٤ نيسان) .

وعندما انسحب الجيش البريطاني من الشيخ جراح في ١٤ ايار قامت معركة بين العرب ورجال الارغون من اليهود من اجل احتلاله . فتغلب اليهود بقيادة etzel على العرب بقواتهم الكبيرة التي قذفوها الى الميدان ، واحتلوا مع العصر معظم منازل الحي ومنها مدرسة البوليس .

حدثني مسيو جان قروازيه ، مندوب الصليب الاحمر الدولي ، الذي مر في ذلك الحي في صبيحة ذلك اليوم (١٤ ايار) تحت وابل من رصاص الفريقين ، انه رأى اليهود مرابطين غربي الطريق في مدرسة البوليس على جبل سكوبس ، وكانت هذه يومئذ بايديهم ، والعرب محتلين المنازل القائمة شرقي الطريق المذكورة .

---

(١) هدم اليهود وهم ينسحبون من الحي بعض منازله . منها دار الدكتور رشيد النشاشيبي ودار الدكتور عبد الله المغربي ، ودار اسحق الكاظمي ، ودار موسى المهتدي ، وزرعوا الالغام في مواضع كثيرة ولما احتل الجيش العربي الحي وفجر الالغام المزروعة تهدم من جرائها منازل اخرى .

ومن المنازل التي تهدمت يومئذ دار حسني شعوان ، ودار شكيب النشاشيبي ، ودار الشيخ سعود العوري ودار الشيخ محمد الصالح

وفي الساعة الرابعة والدقيقة الخمسين من بعد ظهر اليوم الرابع عشر من ايار تقدمت القوات اليهودية على ذراعين ـ ذراع سار في اتجــاه (الحارة العليا) وكان يقوده (جبورا) ، وذراع سار في اتجاه (الحارة التحتا وكان يقوده (منبشه) . واما القائد المسؤول عن هذا الجزء من جبهة القدس فانه (غال) واسمه (يهوتساع غولد سمث) . وهو السفاح الذي قاد الارغون في معركة ديريس . ثم استبدل هذا بـ (دان) وكان دان خاضعاً في أوامره الى القائد العام لقوات الارغون في قطاع القدس (ي.رعنان). واما القيادة العامة فقد كانت بيد الهاغانا .

وتقدم الذراعان في ١٧ أيار ، فاحتلا بقية منازل الحي . وبثا الالغــام في الطرق والمنعطفات. وظلا يتقدمان الى ان التقيا عند مفترق الطرق التي تربط القدس بجبل الزيتون. ثم حاول اليهود ان يتقدموا صوب وادي الجوز . ولكن المناضلين العرب صمدوا لهم ، فردوهم على اعقابهم . وطلب دان تزويده بالمتفجرات . وكان قد استنفد ما لديه من هذه المواد في نسف المنازل العربية . ولما لم تلب قيادة الهاغانا طلبه ، استقال (١٩ أيار). فاستبدلوه بالمحامي (الياهو مريدور) الملقب بباروخ . وزود هذا بنجدات جديــدة مؤلفة من اربع وحدات تحمل احداها مدفع برن ، والاخرى مدفعاً مضاداً للدبابات ؛ والثالثة مؤلفة من رجال الهاغانا ، والرابعــة فتيات تابعات لمنظمة الارغون للمساعدة وراء الخطوط الامامية .

ولكن ما كادت طلائع الجيش العربي (في ١٩ أيار)(١) تطل عــلى جبل المشارف المعروف بـ (سكوبس) من ناحية الهضبة الافرنسية المعروفة بـ (كرم لويز) حتى راحت فرائص اليهود ترتعد خوفاً . وما كاد الجيش العربي يطلق ثلاث قنابل من مدافعــه (المورتر) حتى تحطمت معنويات اليهود ، وراحوا يولون الادبار . وقتــل من القواد (غال) . ورفرفت راية العرب على الحي . وانقطع مستشفى الهداسا والجامعة العبريــة عن الاحياء اليهودية .

---

(١) جاء في مذكرات (ي . رعنان)القائدالعام لقوات الارغون ان الفرقه اليهودية انسحبت من قطاع الشيخ جراح في صبيحة اليوم العشرين من شهر ايار .

قافلة يهودية كبيرة تجتاز باب الواد

●

وفيما كانت معركة الشيخ جراح قائمة على قدم وساق ، في ١٣ نيسان ، وكان المجاهدون العرب باذلين قصارى جهدهم في ربح تلك المعركة التي كانوا يهدفون من ورائها الى الاخذ بالثأر والانتقام لضحاياهم في ديريس ، تمكن اليهود من تهريب قافلة يهودية مؤلفة من مئة وخمس وسبعين سيارة من السيارات الكبيرة المشحونة بالمؤن . جاءت هذه الى القدس في ١٣ نيسان ، ولم يقف في سبيلها حائل .

وتمكن اليهود في اليوم نفسه من صد هجوم قام به المجاهدون في قطاع كفار عصيون .

ومـا كانوا ليستطيعوا ذلك لولا ان راح المقاتلون العرب ينسلون الي ميدان الشيخ جراح من كل حدب وصوب .

معسكر تل لتفنسكي (١)

●

في ١٤ نيسان ١٩٤٨ غادر الجيش البريطاني هذا المعسكر ، وكان قبل ذلك يقول انه لن يغادره قبل انتهاء الانتداب في ١٥ أيار . فقـد ارسلت القيادة البريطانية في الليلة السابقة ١٣ ــ ١٤ نيسان رسولا من عندها يخـبر المناضلين انها (أي القيادة) ستغادر المعسكر في صبيحة اليوم التالي . وان على العرب ان يستعدوا لتسلمه قبل ان يحتله اليهود. ففرح المناضلون . واعتبروا الخبر حسنة من حسنات البريطانيين ومكرمة قاموا بهـا قبل مغادرتهم البلاد ، للتكفير عمـا فرط منهم من سيئات . وراحوا يتنادون لاحتـلاله : واخبروا مقر القيادة في يافا . فجاء القائد اليوغسلافي المعروف شوقي بك ، شقيق مفتي المسلمين في يوغسلافيا . فهيأ الخطط اللازمة للاستيلاء على المعسكر فور اخلائه من الجند وقبل ان يفطن للامر اليهود .

---

(١) سمي كذلك بناء على وجود مستعمرة يهودية الى جانبـه تحمل هذا الاسم واليهودي الذي انشأها (لتفنسكي) من يهود روسيا .

اما المعسكر نفسه فالذى اسسه هو احكومة الولايات المتحدة وكان ذلك في اثناء الحرب الكونية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٣) . وقد اتخذتـه مركزا لتموين جيشها في الشرق الاوسط . وتسلمه الانكليز من الاميركيين بعد انتهاء الحرب . واقع بين قريتي العباسية من الغرب وسلمه من الشرق ، فوق مرتفع يشرف على مسافات بعيدة من المناطق المجاورة ، تربطه بها شبكة من الطرق المعبدة .

وما كاد الجنود البريطانون يغادرون المعسكر حتى دخله المناضلون من ابناء سلمة والقرى المجاورة لها. فرفعوا على برج من ابراجه العلم العربي. وفيما كانوا يهللون ويكبرون مغتبطين بهذه الغنيمة التي غنموها دون حرب او قتال وقد انتشروا في ارجائه(١) وكانت الساعة قد دقت السادسة من صبيحة اليوم الخامس عشر من شهر نيسان واذا بجهنم تفغر فاها لتبتلعهم، والمدافع الرشاشة والقوسية (المورتر) تمطرهم وابلا من نيرانها ومن قنابل السلبند (٢)، من النوافذ والجدران ومن سطوح العمارات والابراج. وكانت هذه مدافع اليهود الذين دخلوا المعسكر قبل ان يدخله العرب وتحصنوا في ارجائه قبل ان يغادره البريطانيون. وقام هؤلاء بأخبار اليهود عن موعد رحيلهم قبل ان يخبروا العرب وكانت خدعة جديدة منهم اضافوها الى خدعاتهم التي لا تعد ولا تحصى طيلة وجودهم في هذه البلاد.

وكانت النتيجة ان استولى اليهود على المعسكر، وقتلوا من العرب خمسين شهيداً(٣)

واما الجرحى فكثيرون. وعبثاً حاول المناضلون ان يستنجدوا بالقاوقجي وباللجنة العسكرية في دمشق. فقد ذهبت صرخاتهم جميعاً مع الريح.

وباحتلال اليهود لهذا المعسكر القائم على تل استراتيجي والمسيطر على رامات غان وبني براق وملبس وتل ابيب، تم لهم تطويق قرية سلمة والسيطرة على مداخلها. كما انهم سيطروا على الطرق المؤدية الى سلمة وساكية والخيرية والعباسية وبيت دجن. فانهارت معنويات سكان هذه القرى.

---

(١) انه معسكر كبير تنوف مساحته على عشرة الاف دونم.

(٢) وفي قول انه اشترك في المعركة ١٧ مصفحة يهودية ودبابتان.

(٣) وفي قول ان عدد الشهداء لم يجاوز الستة، عرفنا منهم: احمد حبيش اليماني، ومحمود حسين محمد علي من السافرية.

مجلس الامن يناشد الجميع ان يتوقفوا عن القتال

●

في ١٧ نيسان ١٩٤٨ أصدر مجلس الامن ، عندما علم بتفاقم الحال في فلسطين ، قراراً ناشد فيه الجميع ، ولا سيما اللجنة العربية العليا والوكالة اليهودية ، كي يوقفوا حركاتهم ، سواء في ذلك العسكرية منها وشبه العسكرية ، وان يبتعدوا عن اعمال العنف والارهاب والتدمير . كما طلب منهم ألاّ يدخلوا الى فلسطين المحاربين ، وألاّ يقوموا بأعمال من شأنها ان تعرض سلامة الاماكن المقدسة للخطر .

وطلب المجلس في قراره هذا ، الى الدولة المنتدبة ، ان تبذل جهدها ـ طيلة بقائها في البلاد ـ لاقناع الفريقين كي يقبلا التدابير المتقدم ذكرها ، وان تستخدم قواتها من اجل تنفيذ هذه التدابير ، وان تطلع مجلس الامن والجمعية العمومية على ما يجد من احداث في البلاد .

ولكن قرار المجلس هذا كان عبارة عن صرخة في واد .

اليهود يستولون مرة اخرى على اسلحة بريطانية

●

في ١٧ نيسان ١٩٤٨ قاد جدعون اليهودي الملقب بـ (جيدي) ، وحدة يهودية تنتمي الى منظمة الارغون الارهابية ، وهاجم قطاراً عسكرياً كان آتياً من حيفا ، حاملاً مقادير كبيرة من الذخيرة . فاوقف القطار عند الكيلو ٤١ بين مستعمرتي (الخضيرة) و (بنيامينا) : واستولى على مقادير كبيرة من قنابل المورتر ، وقنابل الهاون من عيار ثلاث بوصات .

واستغرب الناس عندما سمعوا هذا الخبر : كيف تمكن اليهود من القيام بهذا العمل وكانت في القطار حامية انكليزية مؤلفة من اربعين جندياً ، مزودين بثمانية مدافع هاون من عيار بوصتين وعشرة مدافع رشاشة من طراز برن وبعددآخر من البنادق الاعتيادية . ولم يرتب احد قط في ان في الامر سرا . ومما زاد في ارتيابهم ان الجنود البريطانيين لم

يكتفوا بالقعود عن المقاومة ، والتسليم فحسب ، بل ساعدوا الغزاة في عمليـة الشحن والتحميل . وقد استمرت هذه العملية اربع ساعات(١) .

ذكر مناحيم بيغن حادث القطار هذا في الصفحة ٣٥٠ من كتابه The Revolt فقال: ان القطار كان يحمل اسلحة واعتدة بريطانية الى قوات القاوقجي في المثلث ... وانه كان في جوار المكان الذي اوقف القطار فيه عدد من المعسكرات البريطانيـة ... وان جيدي أنذر الحراس البريطانيين الذين كانوا في القطار بالنسف اذا لم يغادروه حالا .. وانهم غادروه فوراً ، ضباطاً وجنوداً ، وكانوا يرتعشون خوفاً !! .. وراحوا بعدئـذ يساعدون اليهود في عملهم ، فنقلوا الاسلحة والاعتدة التي كانت في القطار الى السيارات التي اعدها اليهود للشحن ... وانهم (أي البريطانيين) كانوا يعملون مع جنود الارغون جنباً الى جنب ، وباخلاص تام ... وان هذه العملية (اي عملية نهب الاسلحة وشحنها بمساعدة البريطانيين) دامت اربع ساعات كاملة ، وفي كل ساعة خمس دقـائق استراحة ، كان جيدي يقدم لمساعديه البرتقـان بقصد الترويح عن النفس .. وان ما استولى عليه اليهود من اسلحة واعتـدة في ذلك اليوم كان حوالي عشرين طناً ... وان هـذه الاسلحة اخفيت في مستودعات النبيذ في (زخرون يعقوب) وفي الدور المجاورة لها .. وان البريطانيين عبثاً حاولوا العثور عليها عندما قاموا بتفتيش تلك المستودعات في اليوم التالي ... »

ومهما كان الامر فان هذه الاسلحة التي نهبهـا اليهود من القطار العسكري في ١٧ نيسان والاسلحة التي نهبوها من المعسكر البريطاني ذي الرقم ٨٠ في ٤ نيسان ، وما ارسل اليهم من اميركا وتشيكوسلوفاكيا بعدئذٍ من اسلحة ، جعلت الوضع العسكري يميـل الى مصلحتهم .

اتصدق هذا القول ام ذاك ؟

●

في ٢٣ نيسان ١٩٤٨ انتدبت اللجنة القومية وفداً عنها ليحدث الملك عبد الله في الوضع وسافر الوفد في اليوم التالي (٢٤ نيسان) الى عمان . وكان مؤلفاً من المحامي تحسين كمال،

---

(١) اقرأ ما كتبناه عن حادث مماثل لهذا الحادث في ٤ نيسان ١٩٤٨ .

والدكتور فوته فريج ، وحنا عطا الله ، والحاج عيد عابدين ، والحاج فوزي الخياط ، وصالح عبده ، والشيخ اسعد الامام ، وتوفيق وفا الدجاني . وكان رسولهم الى مصر انور نسيبه ، وقد رجع من القاهره. فانضم اليهم. ولما مثلوا امام الملك وقبل ان يوضحوا له الغاية التي جاءوا من اجلها ، قال لهم القول التالي :

واذا قبلت العراق وقبلت الدول العربية الاخرى خوض معركة فلسطين ، خضناها ، وانا بحول الله لقادرون على طرد اليهود في مـــدة لاتزيد على عشرة ايام . وامـــا اذا اعتذرت هذه الدول بحجـــة الالتزامات التي تربطهـــا بهيئة الامم ، فانني مستعد لخوض المعركة وحدي ، مستعينا بالله عز وجل ... فاما نصر واما استشهاد . وانه لخير للعرب اجمعين ان يغلبوا على امرهم من لدن هيئة الامم وفي ساحة القتال من ان يقهرهم اليهود ، ويصبحوا عبيداً لهم ... قال الملك هذا القول وعيناه تذرفان الدمع . فلم يشك احد من رجال الوفد في صدق ما قاله . ولشدما ذهلوا عندما اتاهم بعد قليل نبأ يقول(١) : ان الملك اجتمع في ١٢ نيسان باثنين من زعماء اليهود في غور المجامع واتفق معهما على قبول قرار التقسيم . ثم عاد فاجتمع في منزل محمد الضباطي مدير الخاصة الملكية بعمان بالسيدة غولدا مايرسون ، واتفقا على ان يقف الجيشان ، الاردني والعراقي ، عند الحدود التي رسمها قرار التقسيم . وكان الملك قبل ذلك بيوم او يومين امر بانجاد القدس ومناضليها فجاء اليها ستون مناضلا من جماعة الاخوان المسلمين في عمان ، وحطوا رحالهم عـــلى (جبل الرب) المطل على عين كارم . فازداد الوفد ، وازداد الناس معه ، حـــيرة في امرهم . وأمسوا لا يدرون مـــاذا يصنعون . أيقاتلون ، أم يقعدون مكتوفي الايدي الى ان يقضي الله امراً كان مفعولا ؟ .

فوج اليرموك الثالث يجتاز الحدود

●

في ٢٤ نيسان ١٩٤٨ اجتاز الحدود فوج اليرموك الثالث ، يقوده الرئيس الاول عبد الحميد الراوي (عراقي) ورجاله خليط من العراقيـــين والسوريين والفلسطينيين والاردنيين . وقد عهد اليه بالدفاع عن قطاع رام الله والقدس .

---

(١) هذا ما ايده عبد الله التل ، قائد الكتيبة السادسة في اوائل عهد القتال ، في بيان له نشرته مجلة (اخبار اليوم) المصرية في عددها ٢٨٠ الصادر بتاريخ ١٨ آذار ١٩٥٠

معركة مشمار هاعميك

●

في ٢٥ نيسان سنة ١٩٤٨ هاجمت مغارز من قوات (جيش الانقاذ) ، يقودها فوزي القاوقجي ، مستعمرة (مشمار هاعميك) . وهي مستعمرة كبيرة قائمة على الطريق التي تربط المستعمرات اليهودية الواقعة في مرج بن عامر بحيفا . ولما كانت هذه المستعمرة مشرفة على المرج المذكور فقد حصنها اليهود تحصيناً تامــاً ، واسموها بهذا الاسم ، ومعنــاه (خصن المرج)

لا نعرف بالضبط لماذا هاجمها القاوقجي ، وان كنا نميل الى الاعتقاد بانه فعل ذلك ليخفف عن المجاهدين العرب في القطاع الشمالي ضغط اليهود . اذ راح اليهود بعد سقوط حيفا يصولون في ذلك القطاع كما يشاءون . وقد هاجموا مدينة عكا في ذلك النهار (٢٥ نيسان) . فاعتزم القاوقجي ان يحـد من نشاطهم . فهاجمهم . ولكنه ، ويا للأسف ، ختار لهجومه نقطة من اقوى نقاط الدفاع من ذلك القطاع ، الا وهي (مشمار هاعميك). وما كان يعرف انها قوية الى هذه الدرجة ، بل كان يظن انها ضعيفة لوقوعها في وسط اربع من القرى العربية وهي الغبية التحتا – الغبيــة الفوقا – ابو شوشه – ابو زريق . وكثيراً ما تحرش سكان القرى قبل ذلك بالمستعمرة ، ولكنهم لم يفوزوا منها بطائل .

رأى اليهــود سكان مشمار .. الخطر الذي يتهددهم لوجودهم بين هــذه القرى العربية ، ففكروا في التخلص منها . ولما كانت (الغبية التحتا) اقرب اليهم من القرى الاخرى – اذ انها ما كانت لتبعد عنهم اكثر من خمسين متراً – فقد نسفوها. كان ذلك قبل ان يقوم القــاوقجي بالهجوم الذي نحن في صدده . ولم يصب سكان الغبية التحتا باذى . لانهم كانوا قبل نسفها بقليل قد نزحوا عنها ، ونزلوا (الغبية الفوقا) التي تبعد عن المستعمرة زهاء كيلو متر ونصف . وكان يقطن هــذه ٧٠٠ نسمة من العرب . فتضاعف عددهم . وحــذا هؤلاء حذو سكان القرى الاخرى فراحوا يحــاربون اعداءهم اليهود .

قصف القاوقجي المستعمرة بمدافعه . ودام القصف ساعــة ونصف وراحت مباني المستعمرة تتهاوى . وظن القوم انها ساقطة لا محالة . ولكن . سرعان ما جاءهم الخبر يقول ان القاوقجي نزل عند طلب الانكليز الذين تدخلوا في الامر. وطلبوا منه ان يعطي

اليهود هدنة ليتمكنوا خلالها من اخراج نسائهم واطفالهم والشيوخ والعجز من رجالهم . فوافق على اعطائهم هدنة مدتها اربع وعشرون ساعة . ولما انقضت هذه عاد فجددها اربعاً وعشرين ساعة اخرى . وكانت النجدات في غضون هذه المدة (٤٨ ساعة) قد وصلت من حيفا ومن المستعمرات اليهودية المنتشرة في المرج . كما اتاهم عـــدد كبير من الرشاشات ومدافع الهاون . فقاموا بهجوم معاكس على القاوقجي وجيشه ، فدحروه . ولا يعلم احد (خلا القاوقجي) الى الآن كم كانت خسائره في هذه المعركة . لان البلاغات الحربية التي كان يذيعها كانت كاذبة ومضللة ، حتى لقد كنا نظن ، ونحن نسمع تلك البلاغات تذاع على لسان الاثير ، ان المستعمرة اصبحت قاعا صفصفاً وان سكانهـــا كلهم وقعوا في شرك الاسر .

ويحدثك الخبيرون فيقولون ان القاوقجي اقترف في هذه المعركة اخطاءاً عديـــدة ، منها انه هاجم المستعمرة قبل ان يعد للامر عدته وقبل ان تتكون لدية المعلومات الكافية عن سكانها وحصونها وما الى ذلك .

ومنها انه هادنهم ، وما كان له ان يهادنهم ، اذ انه بعمله هذا مكنهم من استحضار النجدات التي انقذتهم . ومنها انه عند ما كان يقصف المستعمرة بمدافعه اكتفى بحصارها من الغرب والجنوب تاركاً ناحيتها الشمالية والشرقية مفتوحتين . وقد تمكن اليهود من استحضار المدد اللازمة من هاتين الناحيتين .

ومنها انـــه لجأ الى الكذب والمبالغـــة في بياناته ، الامر الذي جعل ولاة الامور في الجهات الاخرى يرتاحون الى الوضع القائم . ولولا ذلك لزودوه بالمدد اللازم .

معارك دامية هنا وهناك

ولم يخـــل الاسبوع الذي انتهى في ٢٥ نيسان ١٩٤٨ من حوادث جسام وقعت في القدس ايضاً وفي ضواحيها . فقد اخلى البريطانيون معسكر العلمين في البقعة الفوقا وراح كلا الفريقين يعمل ما في استطاعته لتقوية معنويات شعبه . فنشبت معركة حامية الوطيس عـــلى الحدود بـــين مياشورم والشيخ جراح . واحتل اليهود عدداً من المباني التي تخص العرب في الحي المذكور (٢٤ نيسان) . ولكنهم ما لبثوا ان أخرجوا منهـــا . وهاجموا

دار الاذاعة الفلسطينية في شارع الملكة مليسنده ، ومستشفى الحكومة والسجن المركزي . فالقوا عليها عدداً من القنابل .

وهاجم العرب بنك باركس ، فاستولوا على مبلغ ثمانية عشر ألف جنيه من موظفي مصلحة البرق والبريد عند ما كان هؤلاء يغادرون عمارة البنك . وقتلوا رئيس لجنة الاسكان المستر دنهام الانكليزي وهو من انصار اليهود . قتلوه على مقربة من النادي الرياضي بالبقعة . وصدوا هجوماً قام به اليهود على حي القطمون ، بعد ان قتلوا عدداً غير قليل من المهاجمين . وكان ضغطهم على الحي اليهودي بالبلدة القديمة شديداً الى درجة انه كاد يسقط بايديهم .

وقامت معركة عند باب الواد كان اليهود فيها هم البادئين . وكان قصدهم تغطية الهجوم الذي قاموا به في قطاع النبي صموئيل ، حيث احتلوا قريتي بدو وبيت سوريك . ونسفوا عدداً من منازل هاتين القريتين . فتصدى لهم فوج اجنادين يقوده الرئيس ميشال العيسى من رجال جيش الانقاذ ويوآزره عدد من المناضلين جاءوا من قطاع رام الله. فتضافر الجميع واخرجوا اليهود من بدو وبيت سوريك . وغنموا اثنين وثلاثين بندقية من طراز ستن وستا من طراز برن وثلاث مصفحات ومدفعي هوشكس وثمان واربعين بندقية اعتيادية . وقتل في معركة بدو (٢٣ نيسان) زهاء مئة وعشرين يهودي(١) . وجرح كثيرون ، بينهم Yigal B رئيس اركان حرب الهاغانا . واستشهد من العرب عشرة ، وجرح سبعة . ونسف العرب الجسور القائمة بين بئر الحلو وسريس . نسفوها بقصد قطع المواصلات اليهودية ، وبينما كانت المعارك محتدمة بباب الواد على الشكل المتقدم ذكره تلقى المقدم عبد الحميد الراوي قائد فوج اليرموك الثالث امراً من الشام ، من طه باشا الهاشمي المفتش العام لجيش الانقاذ ، يأمره فيه بالانسحاب من يالو وعمواس وبيت محسير ودير ايوب ومن سائر المواضع التي كان يحتلها في قطاع باب الواد، والسفر حالاً الى القدس لاجل تقوية حاميتها التي كانت ملتحمة مع اليهود في نضال مرير بالقطمون . فانصاع المقدم وسافر مع جنوده الى القدس . فرحت استنجد الجيش العربي ليسد الثغرة التي حدثت بباب الواد بانسحاب فوج اليرموك ، وتحدثت الى قائد اللواء الرابع القائممقام احمد صدقي بك الجندي . الا ان هذا لم يستطع تلبية النداء . اذ ان الامر الذي بيده من قائده لاش بك ، ومن رئيس اركان الجيش غلوب باشا ،

---

(١) هذا ما حدثني به قائد الفوج نفسه ، وقد اراني هويات المقتولين . واما اليهود فقالوا انه لم يقتل منهم في هذه المعركة اكثر من خمسة وعشرين .

تقضي – كما سبق وقلنا – بالا يقوم بأي عمل عدائي قبل انتهاء الانتداب في ١٥ أيار . فاستنفر القوم عندئذ سكان القرى المجاورة لباب الواد، فلبى هؤلاء النداء، وخفوا سراعا الى الميدان وصدوا عنه اليهود . وخربوا الطريق تخريباً تامــاً حتى اصبح من المستحيل على اليهود ان يطرقوها من اجل ايصال المؤن الى اخوانهم المحصورين في القدس .

اضف الى ذلك ان السكك الحديدية كانت قد تعطلت عن العمل منذ اوائل الشهر ، وانقطعت المواصلات البريدية والبرقية والهاتفية وأغلق مطار اللد في ٢٥ نيسان فانقطعت المواصلات الجوية ايضاً .

وساءت احوال اليهود الى درجة ان تعطلت جميع المصالح ، واغلقت المحاكم ابوابها . ورفض القضاة الذهاب الى دار العــدل كما رفض المحامون . وكذلك قل عن الاطباء والمؤسسات الصحية ، وسائر الموظفين . حتى ورجــال الامن . وارتفعت الاسعار الى درجة لا تطاق . فبيعت اوقيــة اللحم عندهم (٢٥٠ درهما) بجنيه ، وصفيحة البترول باثني عشر جنيهاً . فقطع اليهود اشجار الحدائق والبساتين ، واستعملوهــا للانارة والوقود .

وما كاد الشهر ينتهي حتى كان الجزء اليهودي من المدينة محصوراً من جهاته الاربع، يحيط به العرب احاطــة السوار بالمعصم . ولكن اليهود لم ييأسوا . بل راحوا يتنادون الى مضاعفة الجهود من اجل النصر . ففرضوا ضرائب جديدة . منها ضريبة (الدفاع عن انفسنا) وهي عشرة في المئــة من دخل كل يهودي ويهوديــة في الشهر ، وضريبة (الشراء) وهي اربعة ملات عن كل شيء يشتريه المرء بثمن يزيد على مئتي مل . ودعت الهاغانا للانخراط في صفوفها جميــع الرجال والنساء من السادسة عشرة الى الخــامسة والخمسين . حتى الصبيــة والمراهقون فقــد استخدموا في بناء الخنادق والحصون ؛ وانشأوا مطاراً صغيراً تطير منه وتعود اليه طائرة صغيرة كانت هي الوسيلة الوحيدة التي تربطهم ببني قومهم المنتشرين في السهل الساحلي . انشأوه (اي المطار) عــلى الارض التي كانت تقوم عليها قرية (ديريس) العربية التي احتلوها في ٩ نيسان . وقــد هدموا جميع منازلها ، فاصبحت قاعاً صفصفاً . ونشر القوم كراريس كتب عليهــا آيات من اسفار العهد القديم ، بينها ما جاء في سفر اشعيا : على اسوارك يا اورشليم . وفيها حث وتحريض على القتال حتى النصر .

والاهم من هذا كله انهم وحدوا صفوفهم . فاتفقوا على ان يعمل (اتسل) قائــد الارغون كقائد وحدة تابعة للهاغانا . واحتفظت هذه بالقيادة العامة عملا بالقرار الذي اصدره المجلس الصهيوني العالمي .

طبريا

٥

سقطت طبريا بيد اليهود في ١٩ نيسان ١٩٤٨ ، فقد قاموا بمهاجمتها رغم الهدنة التي كانت قائمة بينهم وبين العرب من سكانها . وكان الفريقان قد اقتتلا وظل القتال ناشباً بينهما من اليوم الحادي عشر من شهر آذار حتى اليوم الرابع عشر، ثم تهادنـــا ، ودامت الهدنة شهراً ، ولما ايقن اليهود ان العرب قد استكانوا هنا ، وشُغلوا في مواضع اخرى واصبح من السهل التغلب عليهم ، رأوا ان يباغتوهم ، حتى لو اعتبرت مباغتتهم هذه نقضاً للعهد ، وما هو الا يوم او بعض يوم حتى تم لهم مـــا ارادوا ، فاحتلوا المدينة ، واليك تفصيل الخبر :

يحدثك المطلعون على بواطن الامور من ابناء طبريا ومن الموظفـــين الذين كانوا في مختلف دواوينها ومصالحها الحكومية ، انه لم يكن في طبريا عند صدور قرار التقسيم اي نوع من انواع السلاح بيد العرب ، ذلك لان الحكومة كانت قد حظرت حمـــل السلاح واستعماله بجميع الوانه حظراً تاماً : ولكن عندما نشب القتال بين الفريقين ، وجد الجد راح المخلصون من ابنائها يبحثون عن السلاح ،وكان الحصول عليه عسيراً .

فقد ارسلت اليهم اللجنة العسكرية في دمشق ، في ٤ كانون الاول ١٩٤٧ ، خمساً وعشرين بندقية ، واتبعتها في ١٣ من الشهر نفسه بست وثـــلاثين بندقيه من البـــنادق الفرنسية واما عتاد هذه البنادق فقد زودتهم به وزارة الدفاع السورية ، وكان قليلا .

وفي الاسبوع الاول من شهر نيسان ١٩٤٨ كان هناك زهاء خمسين مناضلا مسلحين بالبنادق الاعتيادية ، ولكنهم لا يملكون من الاسلحة الاخرى شيئاً ، فلا مدافع رشاشة من النوع المعروف بالبرن والستن ، ولا اعتدة كافية للبنادق الاعتيادية الـــتي بايديهم ، ولا هم يخزنون .

ولما تألفت اللجنة القومية في اليوم العاشر من الشهر المذكور ، راحت هـــذه تسعى لانشاء جهاز للدفاع ، ففرضت بعض الضرائب على الاهلين ، لتشتري به السلاح والعتاد وخابرت اللجنة العسكرية بدمشق فانتدب كامل الطبري قائداً للمناضلين الذين بلغوا المئة في ذلك اليوم . ان أنشاء الجهاز على هذا الشكل من اجل الدفاع عن المدينة وانجاء متأخراً الا انه رفع من معنويات الأهلين . فراحوا يعملون على انقاذ ما يمكن انقاذه من مدينة اكثر سكانها من اليهود ، وفيها منهم عدد كبير من المحاربين .

وجاء من الشام بعد قليل قائد يدعى (صبحي شاهين) وهو من الفدائيين. انه طبري الاصل ، وكان يتبعه عدد من المجاهدين ، وكان هؤلاء مسلحين بعدد من المدافع الرشاشة من طراز ستن وتومي ، كما كان لديهم مدفع واحد من طراز هاون . ولكن جميع هذه الاسلحة كان ينقصها العتاد .

قال طه باشا الهاشمي في مذكراته التي نشرت في العدد ٢٧ من جريدة (الحارس) العراقية بتاريخ ٢٨/٥/٥٣ ان اللجنة العسكرية ارسلت الى طبريا ، قبل سقوطها ،الفي طلقة فرنسية من عيار ٨م والفين من عيار ٧،٥ م وخمسة الاف طلقة انكليزية والفين المانية ومئة قنبلة يدوية .

وعندما تأزم الموقف استنجدت حامية طبريا العربية بالمناضلين المرابطين في الناصرة فانجدهم هؤلاء بفئة مختارة يقودها آمر السرية محمد العورتاني ، وكان هذا من ضباط الجيش العربي الاردني واخرى يقودها دياب الفاهوم ، وانتدب رئيس المناضلين في الناصرة المعروف بابي ابراهيم رجلا اسمه ابو الرب لمساعدة صبحي شاهين في ادارة دفة القتال ، فهبط هذا مدينة طبريا في ١٥ نيسان يصحبه قوة من المناضلين مؤلفة من خمسة واربعين رجلا .

وتكاتف الجميع ، فوقفوا سداً منيعاً في وجه المهاجمين الطامعين من اليهود ، وقد قُدر عددهم يومئذ بالف، بعضهم من يهودطبريا،والبعض الآخر من سكانالمستعمرات المجاورة ، وكانوا مسلحين بالاسلحة الاوتوماتيكية ، وكانت لديهم مقادير وفيرة من الذخيرة والعتاد .

وعلى الرغم مما تقدم فان المناضلين العرب لم ييأسوا ولم يهنوا ، ولقد ابدوا في جميع الوقائع التي وقعت بينهم وبين اعدائهم اليهود بلاءً حسناً ، وكان زمام المبادرة حتى بداية النصف الاخير من شهر نيسان بايديهم ، ولم تكن تلك الوقائع لتتعدى حدود المناوشات ، وما كانت خسائر كل واحد من الفريقين لتتعدى العشرين قتيلا .

واما بعد ذلك فقد تطور الوضع ، وانقلب اليهود من مدافعين الى مهاجمين .وكانت قد اتتهم نجدات من رجال الهاجنا ، ومن رجال المستعمرات المجاورة . وتفوقوا على العرب باسلحتهم ايضاً ، اذ كانوا مسلحين بالمدافع الرشاشة من طراز برن وستن وبمقادير كبيرة من القنابل والالغام .

فقاموا باول هجوم واشترك في هذا الهجوم زهاء اربعمئة مقاتل يقابلهم في خط الدفاع مئتان من العرب . وكان ذلك في ليلة ١٥ - ١٦ نيسان ١٩٤٨ فنسف اليهود

منزلين عربيين وقتلوا عربياً ،

والغريب في الامر ان هذه المعركة جرت على مرأى من الجنود ورجال البوليس البريطانيين الذين كانوا يرابطون في القشلاق المعروف بعمارة (تيجارت) ، وكانوا على علم بقرب وقوعها . حتى انهم رحّلوا رعاياهم المدنيين . وامروا الدكتور (تورانس) الطبيب المسؤول عن المستشفى الانكليزي باغلاق المستشفى ، والسفر مع الرعايا الآخرين الى حيفا ليبحروا منها الى انكلترا ، وقد تم ذلك قبل الهجوم الاول بايام قلائل .

بلى وربكم . ان الانكليز لم يحركوا ساكناً : لا قبل حدوث تلك المعركة ولا في اثناء وقوعها ، ولكنهم في صبيحة اليوم التالي (١٦ نيسان) تدخلوا ؛ فمنعوا التجول ، وامروا بقيام هدنة بين الفريقين مدتها ثلاثة ايام (١٦ و ١٧ و ١٨ نيسان) .

وأمر رجال الجيش في اليوم الاول للهدنة رجال الهاغنا ألا يتحرشوا بالعرب وان يغادروا مراكزهم القريبة من المواقع العربية ، الا ان هذا الامر ما لبث ان ألغي بأمر من حاكم اللواء المستر ايفانس .

وقبل ان تنفض الهدنة وفي يومها الثالث ، قام اليهود بهجوم مركز على العرب ، وكانوا المرة هذه اكثر عدداً من المرة التي سبقتها ، فتغلبوا عليهم : وقتلوا منهم اربعة ، واحتلوا في الوقت نفسه الفندق الكبير المعروف بـ (غروسمان) ، كما احتلوا بنك باركلس ، ومعظم العمارات الضخمة ، وجزءاً كبيراً من الاحياء العربية .

وانا لا نرى بدأ من الوقوف هنا قليلا لنستمع الى ما جرى بين القائد الانكليزي الذي كان يرابط مع قطعاته في طبريا وبين ضابط النجدة التي ذكرناها في الاسطر المتقدمة السيد محمد العورتاني : فقد نادى القائد هذا الضابط اليه وسأله عما بيد العرب من وسائل للقتال ، وعما اذا كانوا يستطيعون الصمود والدفاع عن المدينة امام قوات اليهود الكثيرة عدة وعدداً ، وسأل القائد ايضاً الضابط العربي عما اذا كان يرى من الانسب ان تنسحب الحامية العربية من طبريا ، وان يتدخل الجيش البريطاني فيسهل ترحيل السكان العرب منها ايضاً

فاجابه العورتاني بصراحة وسذاجة انه ليس لديه من الزخيرة لا ، ولا من المجاهدين ما يكفي للقتال اكثر من ساعة ونصف الساعة ، وقد ذكر له بالضبط عدد المجاهدين والمقادير التي يملكها من السلاح والعتاد ، وافترق الاثنان وفي قلب كل منهما ما فيه .

وعندما انقضت الهدنه واستؤنف القتال في ١٩ نيسان هذا القتال) لم يدم اكثر من ساعة ونصف الساعة كما قال العورتاني ،اذ راح المحاربون من رجال الهاجنا ينسلون نحو الحي العربي من ناحية (حزت بايت) ، ممهدين لهجومهم بالقنابل المعروفة

بالسلبند، واستولوا عليه :

وكانت انباء المجزرة التي وقعت في قرية (ناصر الدين) قدوصلت المدينة، تلك المجزرة التي قام بها اليهود على غرار ما فعلوه في (دير يس) ، فاحرقوا منازل القرية ، وقتلوا عدداً غير قليل من سكانها (عشرة) بين رجال ونساء وأطفال ، وكـــان ذلك في اليوم العاشر من شهر نيسان .

عندئذ دب الرعب في قلوب الطبريين ، فراحوا يرحلون وساعـد رجال الجيش البريطاني الراحلين في رحيلهم ، وفي قول انهم هم (اي البريطانيون) الذين أمروا العرب بالرحيل فرحلوا ، وبهذا تمكن اليهود من احتلال المدينة وكان ذلك كما قدمنا في اليوم التاسع عشر من شهر نيسان ١٩٤٨ ، اما آمر الحامية فقد رحل الى المغار ولوبية وحطين.

والغريب في الامر انه لم يحضر الى طبريا ، والمعركة قائمة فيها والمأساة التي وصفناها في الاسطر المتقدمة تمثل بين جدرانها ، قائد من القـــادة الكبار المسؤلين ، لا ، فوزي القاوقجي ، ولا اديب الشيشكلي ، ولا طه الهاشمي ، ولا الحاج امين ، لا ، ولا ارسل واحد من هؤلاء رسوله ليستطلع طلع الخبر .

كان في طبريا ، قبل الحوادث الاخيرة (١٩٤٥) ، ١١,٣٠٠ نسمه : نصفهم الا قليلا (٥,٣٠٠) عرب والنصف الآخر او يزيد (٦,٠٠٠) يهود ، ومن العرب ٤,٥٤٠ مسلمون والباقون ٧٦٠ مسيحيون ، ولم يبق فيها بعد سقوطها سوى امرأة عجوز وشيخ مسن معتوه ، واما الآخرون فقد رحلوا ، ولقد ام معظمهم مدينـــة الناصرة ، وولى الآخرون وجوههم شطر الاردن ، فاجتازوه الى الضفة الشرقية وبعضهم قصد لبنان ؛

ولما نزح العرب عن طبريا انقطعت سمخ عن باقي الانحاء العربية بفلسطين ، ولم يبق للعرب النازلين فيها (اي في سمخ) سوى طريق الحمة ، تلك الطريق التي تربطهم بسوريا وشرق الاردن ، وهي بعيدة لم يستطع الجيش السوري ان يحتفظ بها فسقطت هي ايضاً بيد اليهود . وقد ذكرنا ذلك في موضع آخر من هذا الكتاب .

وهكذا سقطت مدينة (طبريا) بيد اليهود : تلك المدينة الـــتي فتحها صلاح الدين في ١٣ ربيع الاخر ٥٨٣ ﻫ (١١٤٧م) اي قبل انتصاره في حطين بيوم واحد، وهو الذي دمر سورها بعد ذلك بثلاث سنين . واغار الصليبيون عليها مراراً . وكثيراً ما تبادلتها ايديهم وايدي المسلمين . وافتتحها الملك الظاهر ركن الدين بيبرس . وعندمـــا جرت الهدنة بين الملك المنصور قلاون وملك الصليبيين انجوس في عكا (٦٨٢ ﻫ — ١٢٨٣ م) واقتسم الفريقان البلاد وكانت طبريا من نصيب المسلمين ،

ذكرها اليعقوبي في تاريخه فقال : أنها مدينة الأردن . ماءها عـذب . واهلها من الاشعريين . وفيها ينابيع مياه حارة .

ورأى المقدسي فيها جامعاً كبيراً حسناً . وسماه ناصري خسرو بمسجد الياسمين . كثيرة الاسماك حفيفة الماء ، كان حولها سور حصين .

وقال البكري انها سميت (طبريا) لان طيباريوس ملك الروم هو الذي بناها .

وفي ظاهرها مشهد فيه قبر سكينة بنت الحسن (الهروي ٥٦٩ هـ - ١١٧٣ م) وقبر ابن هريرة (ناصري خسروا ٤٣٨ هـ - ١٠٤٧ م) .

وقال ياقوت انها فتحت صلحاً على يد شرحبيل بن حسنة (١٣ هـ - ٦٣٤ م) .

وفي قول ان اهلها نقضوا العهد فسير اليها ابو عبيدة بن الجراح ، عمرو بن العاص، في اربعة آلاف مقاتل . ففتحها من غير قتال .

اليهـا يُنسب سليمان بن احمد بن يوسف الطبراني احد الأئمة المعروفين . توفي سنة ٢٦٠ هـ - ٨٧٣ م . ومن تصانيفه (المعجم الكبير في اسمـاء الصحابة) . والى جانبها (بحيرة طبريا) طولها اثنا عشر ميلاً وعرضها ستة اميال .

ورأى فيها ابن بطوطة (٧٥٦ هـ ١٣٥٥م) مسجداً كان يعرف بمسجد الانبياء .

معارك حيفا (١)

●

عندما اذاعت بريطانيا انها ستنسحب من فلسطين ، دعت الجمعية الاسلامية بحيفا الناس الى مؤتمر حضره عدد كبير سراة القوم ومن ممثلي النوادي والجمعيات ، فقرر هؤلاء بالاجماع :

١ - ان تعلن (الهيئة العربية العليا) نفسها حكومة عربية ، تقوم مقام الانتداب في ادارة فلسطين .

---

(١) اقتبست ابناء هذه المعارك من فئة من المجاهدين الذين اشتركوا فيها .. ومن الصحف المحلية وشركات الانباء العالمية .. ومن كتاب للشيخ محمد نمر الخطيب بعنوان (من اثر النكبة) . . ومن مذكرات شخصية دونها فريق من رجالات حيفا ، نذكر منهم : الدكتور رشدي التميمي ، ونحسن شبلاق واحمد عبد العال . ومن مخطوط للمجامى صلاح العباسى بعنوان (مصرع حيفا) : ومن مذكرات المرحوم رشيد الحاج ابراهيم رئيس اللاجنة القومية اطلعني عليها قبل وفاته :

٢ أن تؤلف من كل مدينة من مدن فلسطين حكومة محلية تكون تابعة للحكومة المركزية .

٣ ـ أن تقوم هذه الحكومة بحماية الامن الداخلي وصيانة حقوق الناس وارواحهم ،

٤ ـ ان تجبي الضرائب ، وأن تعلن التعبئة العامة في البلاد ، وان تجند الاشخاص الذين تتراوح اعمارهم بين ١٨ و ٦٠ ، وان يسلح هؤلاء ويدربوا على القتال ،

٥ ـ ان يدفع من لا يستطيع حمل السلاح بسبب من الاسباب الى صندوق الحكومة خمسين جنيهاً عن ستة شهور .

٦ ـ ان يرحل النساء والاطفال والشيوخ عن المدن والقرى القريبة من المستعمرات اليهودية .

٧ ـ ان تحصن المواقع القريبة من اليهود :

أعلنت الجمعية الاسلامية نفسها حكومة محلية تابعة للهيئة العربيةالعليا ، ولكن هذه الهيئة لم تستجب لهذه الطلبات ، قائلة لهذه انذلك سابق لاوانه اذا ان الـدول العربية أخذت على نفسها مسؤولية الدفاع عن فلسطين .

ولم يكن في حيفا ، عندما صدر قرار التقسيم في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ ، سوىعدد يكاد لا يذكر من السلاح بيد العرب ، شأنها في ذلك شأن المدن الفلسطينية الاخرى . لان الحكومة كانت ـ كما سبق وذكرت من مواضع اخرى من هذا الكتاب قد حرمت على السكان حمل السلاح .

وكان في حيفا . في أواخر عهد الانتداب (١٩٤٥) ١٣٨،٠٠٠ نسمة من السكان منهم ٧٥٠٠٠ يهود و ٦٢،٥١٠ عرب و ٢٩٠ ينتمون الى جنسيات مختلفة اخرى ، ومن العرب ٣٥،٩٤٠ مسلمون و ٢٦،٥٧٠ مسيحيون .

كانت الاحياء العربية من الناحية الاستراتيجية في خطر ، اذا ما قيست بالاحياء اليهودية ، ذلك لانها واقعة في منبطح من الارض يسهل السيطرة عليها من الاحياء اليهودية المنتشرة على سفوح الكرمل ومن المرتفعات .

أضف الى ذلك ان حيفا محاطة من جهاتها الاربع بعدد من المستعمرات اليهوديـة منها وأهمها : ميشك ياجور (وعدد سكانها ١،٢٢٠) نيشر (١٤٠٠) ، عتليت (٥١٠) ، كريات آمال (٥٣٠) ، رامات يوحنان (٤٢٠) ، كفار حسيديم (٩٨٠) ، باردس حنا (٢،٣٠٠)بنيامينا(١٢٥٠) ، الخضيرة (٧،٨١٠) ، زخرون يعقوب (١،٧٤٠) .

وكان باستطاعة هذه المستعمرات أن تعرقل طرق المواصلات بين حيفا والمدن العربية

المجاورة لها ، وفي الحقيقة كان من الصعب تزويد المجاهدين من العرب المرابطين في المدينة بالزاد والذخيرة ، وبالنجدات ، حتى ان فريقاً من الخبراء كانوا يميلون الى الاخذ بالرأي القائل « انه خير للعرب ان ينسحبوا من المدينة ، وأن يطوقوها من عكا ومن وراء الكرمل والقرى المجاورة ، ولكن هذا الرأي أهمل خشية أن يحدث اثراً سيئاً في نفوس المجاهدين .

وخدع العرب في بادىء الامر ، فظنوا ـ وبعض الظن اثم ـ ان اليهود أيضاً خائفون وانهم غير مسلحين ، ولولا ذلك ما طلبوا جعل حيفا مدينة مفتوحة ، اذ تقدم الاضون شبتاي ليفي رئيس بلدية حيفا ، من العرب طالباً ان لا يجري قتال في المدينة ، ورغم انه وجد بين العرب من كان على استعداد للاخذ بهذا الرأي ، الا ان الزعماء رفضوه ، ووقف الى جانب الرفض عدد كبير من السكان .

وسرعان ما ادرك العرب انهم في ظنهم مخطؤون ، وانه كان لليهود في حيفا زهاء خمسة آلاف مقاتل ، جلهم من الهاغانا وبعضهم من الارغون ، وكان يقود الارغون في حيفا اميل Amiel ، وكان هذا يأتمر بأوامر قائد الهاغانا المسؤول عن الجبهة ، وكان لدى اليهود عدد غير قليل من المدافع القوسية (المورتر) والمصفحات من صنع روسي والبنادق الاميركية الحديثة ، وكانت القوات اليهودية تضم عدداً من الخبراء من اصل روسي (١) .

ومهما قيل في هذا الصدد ، فانه مما لا شك فيه ان قرار التقسيم ما كاد يصدر حتى يصدر حتى نشب القتال ، وكان لا مفر منه ، وتألفت في حيفا لجنة باسم (اللجنة القومية للاشراف عليه ، وكان يرأسها السيد رشيد الحاج ابراهيم (٢) .

---

(١) هذا التقطه جهاز لا سلكي كان في حيازة جماعة من العرب اسموا انفسهم (جماعة اليقظة . وقد اشار اليها والى الخبر الذى التقطته الهاشمي في مذكراته في العدد ٢٧ من (الحارس) بتاريخ ٢٨ — ٥ — ٥٣

(٢) ولد بحيفا عام ١٨٨٩م . وكان عضواً في المؤتمر السوري بدمشق عام ١٩٢٠ انه مؤسس الجمعيه الاسلاميه بحيفا وقد مثلها في معظم المؤتمرات الفلسطينية التي عقدت لمناوئة الانتداب البريطاني والوطن القومي اليهودى : ونفته الحكومة المنتدبة مع من نفتهم من رجالات فلسطين الى سيشل (١٩٣٧) ولما اطلق سراحه استأنف جهادة في سبيل فلسطين : وتزعم شؤون القتال في حيفا (١٩٤٨) : وانتدب بعد وقف القتال مفتشاً عاماً لبنك الامة العربية في المملكة الاردنيه : وكان من رجال حزب (الاستقلال البارزين : واوفاه اجله في عمان عن عمر يناهز الرابعة والستين : وكان ذلك في يوم السبت الموافق ٢٨ آذار ١٩٥٣ :

بدأت اللجنة القوميه عملها في الاسبوع الاول من شهر كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٧ ، فكان اول عمل قامت به ان ذاعت على ابناء حيفا بياناً أوصتهم فيه ألا يعتدي بعضهم على بعض ، وان ينسوا خصوماتهم ويدفنوا احقادهم الماضية ، والا يتجمهروا في الميادين العامة والاماكن المكشوفة وألا يستغلوا الوضع الحالي فيتلاعبون بالاسعار ، وألا ينزحوا عن منازلهم سيما تلك التي تقع على مقربة من الحدود .

وتألفت في كل حي من الاحياء العربية لجنة محلية لمراقبة الوضع ، وجعلت هذه اللجان خاضعة للجنة القومية .

تعاقدت اللجنة مع اثنين من رجال الجيش العربي هما : الرئيس محمد حمد ، والملازم الاول محمد الحنيطي ، فتعهدا بأدارة دفة القتال ، شريطة ان يزودا بـ ٣٠٠ بندقية انكليزية و ٤٠٠ بندقية من طراز تومي واثني عشر مدفعاً رشاشاً من طراز برن وعدد من القنابل اليدوية وسيارتين او ثلاث سيارات ، وثياب عسكرية ، فقبلت اللجنة هذه الشروط ، وتعهدت ان تدفع لكل واحد منهما راتباً شهرتباً قدره مئتان وخمسون جنيهاً .

ومضت اللجنة في اعمالها التي ترمي الى درء الخطر عن حيفا ، فقررت ، في اجتماع عقدته بتاريخ ٢٧ كانون الاول ١٩٤٧ وقد حضره قائد الحامية محمد الحنيطي ـ تقسيم حيفا الى عشر مناطق عسكرية هي :

١ ـ منطقة الحليصة ٢ ـ ارض اليهود ٣ ـ درج اليمن ٤ ـ البلدة القديمة ٥ ـ وادي النسناس ٦ ـ حي عباس ٧ ـ حي الزيتون ٨ ـ محطة الكرمل ٩ ـ الكولونية الالمانية وشارع يافا ١٠ ـ وادي الجمال والشاطيء الازرق .

وتولى قيادة كل منطقة من المناطق المتقدم ذكرها قائد ، عرفنا منهم : ابا محمود سرور قائد المنطقة الشرقية ، وياسين الطنيب قائد منطقة الحداسة ، وابا علي دلول ، وسرور برهم ، وأما قائد الحامية كلها فانه محمد الحمد الحنيطي ، يساعده يونس نفاع ، وامين عز الدين .

وكان في المدينة ـ بالاضافة الى المناضلين التابعين للجنة القومية ، مناضلون آخرون بعضهم يأتمرون بأوامر الهيئة العربية العليا ورئيسها الحاج امين الحسيني ، ويقودهم معتمده في تلك المنطقة محمد توفيق ابراهيم الملقب بابي ابراهيم الصغير . والبعض الاخر مستقلون ، لا ينتمون لا الى اولئك ولا الى هؤلاء .

وكانت رواتب فريق من المناضلين تدفعها الهيئة للعربية العليا وترسلها من القاهرة (٢٠٠٠ جنيه في الشهر) والفريق الآخر من اللجنة العسكرية في دمشق (١٥٠٠ جنيه)

هذا بالاضافة الى الاعانات التي تبرع بها اثرياء المدينة والمبالغ التي فرضت على السكان بنسبة المؤن التي يتناولونها .

ولم يكن بين هذه الفرق ـ ويا للاسف ـ اي توافق او انسجام. حتى ان ابا ابراهيم الصغير ارسل في الاسبوع الاول من شهر كانون الاول ١٩٤٧ ، الى رشيد الحاج ابراهيم كتاباً جاء فيه « ان الهيئة العربية العليا قررت ان تتولى انجاد حيفا ، وانتدبت عبد الحق الغراوي العراقي لقيادة حامية المدينة ؛ وأن مكتب الهيئة في بيروت سيمد هذا الضابط بالسلاح والعتاد . » ولما وصل هذا الضابط حوالى منتصف كانون الثاني الى حيفا اخبره رشيد الحاج ابراهيم انـه لاشغل له في حيفا ، وان أمر حمايتها قد اودع الى الضابطين المتقدم ذكرهما .

فتألم القوم لانباء هذا الخلاف . وودوا ان الله لو يلهم زعمـاء البلاد ، فيتحدون ويسيرون الى القتال صفاً واحداً . وفي اعتقادي ان العرب ما كانوا ليغلبوا على أمرهم في حيفا لولا هذا الاختلاف في شؤون القيادة ، ولولا الفرق الذي ذكرته لك في السطور المتقدمة بين مواقعهم ومواقع اعدائهم اليهود من الناحية الاستراتيجية . وهناك عامـل آخر ، اهم من هذا وذاك ، هو السلاح . فانـه لم يكن بيد الحاميات المتقدم ذكرها ، لا ، ولا بيد ايـة فئة من السكان العرب ـ كما سبق وقلنا ـ سوى عـدد لا يذكر من البنادق . وكانت هذه كلها فرنسية قديمة ، لا تصلح للقتال . وكذلك قل عن العتاد الذي بيد الناس . فانه يكاد يكون لا شيء .

ولهذا راح رئيس اللجنة القومية بحيفا يطالب اللجنة العسكرية ورجالات الحـكم السوري بدمشق بالسلاح ، ورفع طلبه الى اللجنـة المذكورة في ٣١ كانون الثاني ١٩٥٨ وهذه رفعته الى الفريق الركن حسين فوزي في بغداد بوصفه المشرف على شؤون المتطوعين العراقيين قائلا : « ان فلسطين لا ينقصها الرجال ، وانما ينقصها السلاح . »

وارى من الفائدة ان اقف هنا قليلاً ، لنستمع الى ما يقوله العميد الركن طه باشا الهاشمي عن السلاح وعن المقادير التي أورسلت منه الى حيفا . قال (١) :

آ ـ في ٤ كانون الاول ١٩٤٧ ارسلت اللجنة العسكرية الى حيفا ، كدفعـة اولى ؛ اثنتين وسبعين بندقية (٢) ارسلتها باسم معتمد المفتي ابى ابراهيم الصغير . وارسلت معها بعض العتاد .

---

(١) اقتبست اقواله هذه من مذكراته التي نشرها في الاعداد ١٢ ـ ٢٣ من جريدة « الحارس » العراقية من تاريخ ١٢ شباط ١٩٥٣ الى ٣٠ نيسان ١٩٥٣

(٢) قال الهاشمي ان اللجنة العسكرية ارسلت مثل هذا العدد يومئذ الى كل من يافا والقدس

ب وفي ١٣ كانون الاول ١٩٤٧ ارسلت اللجنة الى حيفا ٢٢٠ بندقية من البنادق الفرنسية (١٢٦٠) التي تسلمتها من العراق . واما عتاد هذه البنادق فقد قامت بتزويده وزارة الدفاع السورية . وقال الهاشمي ان خمسين بندقية من هـذه البنادق وزعت يومئذ على قرى الطيرة وبلد الشيخ وياجور .

ج ـ وفي ٢ كانون الثاني ١٩٤٧ عقد في دمشق اجتماع حضره العميد الركن طه الهاشمي والمقدم محمود الهندي وكـل من السادة عزة دروزه ومعين الماضي وطاهر التميمي : وكان هذا قد وصل حديثاً من حيفا. فاخبر الحاضرين ان الوضع فيها سيء للغاية ، وان بعض البنادق المرسلة الى حيفا عاطل ، والعتاد الفرنسي غير صالح ، وان رشيد الحاج ابراهيم رئيس اللجنة القومية رفض استلام البنادق (٢٥٠) المرسلة اليه ، وانه لم يستلم منهـا سوى ٨٩ بندقية .

عندئـذ قررت اللجنة ارسال ٣٠٠ بندقية الى حيفا (١) ، كما قررت تزويد حيفا بـ ١٥،٠٠٠ طلقة فرنسية و ١٠٠٠ قنبلة يدوية . وكلف ابو ابراهيم الصغير بنقل هـذه الاعتدة وتسليمها الى رشيد الحاج ابراهيم ، فتعهد بذلك ، كما تعهد بايصال ٢٠،٠٠٠ طلقة المانية الى حيفا . وقال رشيد الحاج ابراهيم انه لم يتسلم من هذه البنادق ، من ابي ابراهيم الصغير ، سوى ٥٠ بندقية .

د ـ وفي ٤ شباط ١٩٤٨ تلقت اللجنة العسكرية من آمر حامية حيفا كتاباً قـال فيه انه تلقى من مكتب الهيئة العربية العليا في بيروت ٤٥ بندقية وان ٢٠ فقط من هذه البنادق صالحة للاستعمال . ولهذا اعاد رئيس اللجنة البنادق غير الصالحة الى المكتب المذكور . وقال طه باشا في مذكراته ان عدد البنادق التي ارسلت الى حيفا حتى ٤ شباط ١٩٤٨ ناف على السمائة . ولكن المسؤولين عن القتال والدفاع عن حيفا لم يتسلموا من هـذه البنادق اكثر من ٩٠ بندقية . وشاع يومئذ ان البنادق بيعت الى الفلسطينيين (؟!..)

هـ ـ وفي ١٥ شباط ١٩٤٨ تلقت اللجنة العسكرية من آمر حامية حيفا كتاباً جاء فيه ان الموقف جد خطير . وطلب هذا تزويده بالسلاح والعتاد . فقررت اللجنة تزويده بمئة بندقية فرنسية و ٢٠،٠٠٠ طلقة ؟ و ٤٠٠ قنبلة يدوية ، وطن ونصف طن من المتفجرات وآلة لاسلكية .

وكانت اللجنة قد ارسلت اليه قبل هذا ٥٥ بندقية المانية و ٨٢٥٠ طلقة (?) و ٨٠٠ قنبلة

---

(١) مئتان منها وزعت على قرى الطيرة ، وبلد الشيخ ، وعين غزال ، واجزم .

يدوية و ٦ مسدسات و ٦٠٠ طلقة مسدس .

و ـ وفي ٢٤ شباط ١٩٤٨ وردمن آمرحاميات قضاءحيفا الملازم الاول مصطفى رشيد تقرير جاء فيه « ان في قرى قضاء حيفا ٥٦٧ بندقية متنوعــة (١٠١ منها المانية) و ٢٧ رشاشاً من طراز ستن و ٣ رشاشات من طراز برن و ٣ رشاشات فرنسية و ٣ رشاشات المانية و ٦٠ بندقية تومي .

ز ـ وفي اليوم نفسه (٢٤ شباط) إعطي العرفاء الذين انتدبوا لتدريب المناضلين على القتال في قضاء حيفا خمس عشرة بندقية .

ح ـ وفي ٢٢ آذار ١٩٤٨ عهدت اللجنة العسكرية الى الرئيس امين عز الدين من مسرحي قوة الحدود الفلسطينية بمهمة الدفاع عن حيفا ، واقامه آمراً لحاميتها بدلا من الملازم الاول محمد الحنيطي الذي استشهد في ١٧ آذار .

ط ـ وفي ٢٧ آذار قررت اللجنة العسكرية بدمشق تقوية حيفا بما يلي : ـ ٣٠٠ قنبلة ملز ٥ بنادق فرنسية لاطلاق الرمانات ٦٠ رمانــة وآلتان للتفجير ١٠ مسدسات وبيلي ٣٠٠ طلقة خارقة ١٠٠٠ طلقة مسدس ٢٠٠٠ عتاد بندقية تومي ٣٠ بندقية انكليزيــة طويلة ٥٠٠٠ طلقة فرنسية من عيار ٥ /٧ ، ٢١,٠٠٠ طاقة انكليزية ٢٠,٠٠٠ طلقــة المانية طنين من المتفجرات مع كافة اوازمها . وقد سلمت هذه المعدات الى آمر حامية حيفا الجديد الرئيس امين عز الدين . وسافر المومى اليه الى حيفا مع فصيل من المتطوعين ووصلوها عن طريق القنيطرة فبانياس فمرجعيون فشفا عمرو .

ي وفي ٩ نيسان ١٩٤٨ ارسلت اللجنة العسكرية الى حيفا رجلاخبيراً في المتفجرات بعد ان زودته بالعتاد وباربعة مدافع من طراز هاون مع قنابلها وعددها مئتان ، ورشاشة من طراز هوشكس ، وخمس بنادق من طراز ستن ، والــف طلقة ، واثنتين من آلات التفجير ، وطنين من المتفجرات . . .

انتهى ما قاله الهاشمي عن حيفا وعن الاسلحة التي أرسلت اليها ، وفيه ، كما ترى ، الشيء الكثير من الغموض والابهام . ولم يذكر الهاشمي شيئاً عن الوضــع الحربي . ولا عن سير القتال في المدينة خلال تلك الفترة العصيبة .

ومن الانصاف ان نعترف انه ، على الرغم من قلة الاسلحــة والاعتدة ، واختلاف القادة ، والفرق الذي وصفناه بين مواقع الفريقين من للناحية الاستراتيجية ، فقد بذل المجاهدون من ابناء حيفا والقرى المحاورة لها كل مــا في وسعهم مــن جهد للتغلب على اعدائهم . وكادوا ينجحون ، وقاتلوا اليهود خمسة اشهر كاملة (٢ كانون الاول ١٩٤٧ ـ ٢٢ نيسان ١٩٤٨) فقتلوا من اليهود خلقاً كثيراً ، ونسفوا معامل التكرير ، فحرموهم

من النفط والبنزين . ودام القتال مرة بينهم وبين اليهود ستاً وسبعين ساعة دون انقطاع من اليوم الواحد والعشرين من شهر نيسان حتى اليوم الرابع والعشرين .

وراح القواد يجندون المناضلين ، ويدربونهم على القتال . وما كان عددهم في حيفا ليتجاوز في اي وقت من اوقات النضال ، وحتى ساعة سقوطها بيد اليهود، الاربعمئة(١) ولقد ابدى هؤلاء من ضروب البطولة ما يستحق الاعجاب ، حتى ان عدداً منهم ـ لا يجاوز عدد اصابع اليد ـ ضحوا بانفسهم عندما حاصرهم اليهود في احدى العمارات ، فقاوموهم باديء ذي بدء، ولكنهم عندمانفذت ذخائرهم - آثروا الموت على الإستسلام. فما كان منهم الا ان حطموا بنادقهم واشعلوا النار في لغم كانوا يحتفظون به لحين الحاجة وما هي الا لحظة حتى كانت العمارة قد هوت على من فيها فلاقوا ربهم بنفس راضية .. بي وباعدائي يا رب !...

كانت اهم ساحات القتال في حيفا : ساحة الحمرة ، وسوق الابيض ،والمركز القديم ودرج سقيرق المؤدي الى شارع الكنائس ، وفي الهدار هاكرمل ، وسوق الخضار ، وفي الطرق المؤدية الى المرفأ . وكثيراً ما نشب القتال بين الفريقين في المنازل والازقة . وكانوا احياناً يشتبكون بالسلاح الابيض ، وبالايدي والعصي من بيت الى بيت وكانت الحكومة تتظاهر كانها تريد ان تردع الفريقين،فتفرض نظام منع التجول بين الساعة الرابعة مساء والثامنة صباحاً . ولكنها في الواقع وحقيقة الحال كانت هي نفسها في اغلب الاحيايين تقوم باعمال من شأنها ان تزيد النار ضراما .

اذ كان الجنود البريطانيون يطلقون النار تارة على العرب ، فيتوهم هؤلاء ويظنون انها من اليهود ، وطوراً على اليهود ، فيتوهمون ويظنون انها من العرب ، واليك على سبيل المثال ، الحادث التالي الذى ذكره الشيخ محمد نمر الخطيب في الصفحة ٢٠٦ من كتابه (من اثر النكبة) نقلا عن (مصرع حيفا) للمحامي صلاح العباسي ، قال :ـ

«في ١٤ كانون الثاني ١٩٤٨ احضرت مصفحة بريطانية فتى يهودياً في الخامسة عشرة من عمره ، وانزلته امام دار القيادة طالبة من العرب قتله ، وبكى الطفل عندما رأى نفسه في خطر ، فاخرج من جيبه كتاب جبر باللغة الانكليزية ، وقال للعرب انه تلميذ ،وانـه بينما كان وقفاً امام بيته في حي الهدار قاصداً مدرسته ، مرت مصفحة بريطانية فاختطفته واحضرته الى هذا المكان .

وما كاد الفتى يتم كلامه حتى جاءنا خبر ان اثنين من العرب اختطفتهـا مصفحـة

---

(١) « من اثر النكبة » الشيخ محمد نمر الخطيب : ص ٢٩٦

بريطانية واتجهت بها نحو الاحياء اليهودية . ولم يمض خمس دقائق حتى ورد خبر آخر عن اختطاف ثلاثة آخرين من العرب ، عندنا يهودي وعندهم خمسة .

ولكن هذه اللعبة الخسيسة ما فتئت ان اكتشفت ، فاعادت السلطات اليهودية العرب الى اهلهم ، واعادت اللجنة القومية الفتى اليهودي الى اهله . وراح الحيفاويون يتحدثون عن بريطانيا العظمى (؟) واعمالها ... »

نسف المناضلون ، في ١٤ كانون الثاني ١٩٤٨ ، سيارة يهودية كانت تحمل الغاماً ، نسفوها بينما كانت تجتاز شارع هاشومير ولقد تهدمت من شدة الانفجار العمارة المجاورة لها وتصدع عدد كبير من المنازل العربية واليهودية ، ويقول المحامي صلاح العباسي الـذي اشار الى هذا الحادث في مخطوطة (مصرع حيفا) انه تضرر من جراء هذا الانفجـار خمسة عشرة دار يهودية واربعة منازل عربية .

وجاء الجيش البريطاني بعد الظهر يتقدم فطوق منطقة (وادي النسناس) وحطم النوافذ والابواب وسرق ما وقعت عليه يد جنوده وضباطه من نقود ومصاغ . وأزال الحواجز التي وضعها الحرس الوطني في الشوارع . وقتل الحراس جندياً وهو يزيل احد هـذه الحواجز فاعتقل الجنود من اعتقلوا وصادروا من اسلحة الحراس والمناضلين ما صادروا ووضعوا المتفجرات امام منزل شبلي الجدع وفجروها ؛ فتصدع المنزل ، وتصدع معه عدد من المنازل المجاورة .

وفي ١٦ كانون الثاني ١٩٤٨ نسف جماعة من اليهود كانوا يرتـدون ثياب الجند ، عمارة بشير المغربي . فسقطت هذه على من فيها من نساء واطفال . وكانت هذه العمارة واقعة على شارع صلاح الدين من الناحية الشرقية للمدينة . وهي مؤلفة من ثلاث طبقات

وفيما كان العرب يفكرون في احسن الطرق لدرء الشر عنهم وفي الانتقام من اعدائهم رأوا ، ويا لهول مارأو ، ان السريتين الاردنيتين ـ الثانية والرابعة ـ من سرايا الجيش العربي اللتين كانتا ترابطان في حي « النبي شعنان » ويدعى الحلقة ، وفي منطقة(بيت كاليم قد سحبتا من المدينة فتولاهم الوجوم . وايقنوا ان هاتين السريتين ما كانتا لتنسحبا لولا انهما كانتا تأتمران باوامر القائـد البريطاني . وماكان البريطانيون يريدون الخير لحيفا وسكانها العرب . ولقد تم انسحاب القطعان الاردنية من حيفا حوالي آخر شهر كانون الثاني ١٩٤٨ . وبانسحابها تعرض الحي الشرقي ولاسيما الحي المعروف بالحليصة للخطر . وفي ٢٩ كانون الثاني ١٩٤٨ دحرج اليهود من اعالي « هدار هاكرمل » على حي ، العباسية ، برميلاً طافحاً بالمتفجرات . فانفجر انفجاراً مريعاً . وهدم عدداً كبيراً من

المنازل العربية وقضي على حياة عدد كبير من العرب . وما كاد صبح اليوم التالي ينبلج حتى كان سكان ذلك الحي ، والاحياء المجاورة له قد هجروا منازلهم (١)

وانتقم العرب لانفسهم بان هاجموا في اوائل شهر شباط معامل التكرير التابعة لشركة بترول العراق تلك المعامل الواقعة بين حيفا وعكا . واعملوا في عمالها ، وجلهم اذا لم نقل كلهم من اليهود ، ضرباً وتقتيلاً : بالعصي والخناجر والمدي والمسدسات . وكانت خسائر اليهود في هذا الحادث فادحة .

وفي ١٣ شباط احرق اليهود اربع سيارات عربية . ولما راح القائد (يونس النفاع) يطاردهم ، القى البريطانيون عليه القبض وسجنوه . ولكنهم عادوا ، فاطلقوا سراحه عند المساء .

وفي اليوم التالي طوقوا جامع الاستقلال . طوقوه من البر والبحر ، وراحوا يبحثون عن الاسلحة ، ولكنهم فكوا الحصار . واوقفوا التفتيش عند المساء .

وفي ٢٠ شباط استشهد في شارع الناصرة ثلاثة من المجاهدين هم : عبد الكريم عويس وفهد محمود ابو حويد ، والحاج سليمان ابراهيم الحاوي . وجرح في اليوم نفسه ٣٧ شخصاً جراح نصفهم بالغة ، وقد حدث ذلك اثر اطلاق اليهود النار على العرب من مدافع الهاون نصبوها في حي (هدارها كرمل) وراحوا يقصفون المنازل العربية في شارع العراق وشارع ستانتون ومحطة السكة الحديدية . وقتل في اليوم نفسه ، وبعد الظهر ثلاثة من اليهود وجرح عشرة على طريق النبي يوشع ــ المنارة .

وفي ٢٨ شباط قتل (احمد الحاج) من جراء انفجار حصل في كراج (ابي شام) بالحي الشرقي وفهم بعدئذ ان اليهود كانوا قد وضعوا في مؤخرة سيارته قنبلة ، هي التي انفجرت وقتلته . انه من خريجي الجامعة الامير كية ببيروت . تولى ادارة مدارس الجمعية الاسلامية بحيفا . وكان عند بدء النضال ، من موظفي البلدية .

وفي ٥ آذار ١٩٤٨ قتل المجاهد التركي الملازم الاول (محمد فخر الدين اورخان) . بينما كان هو وعدد من رفاقه الفدائيين يعدون برميلا طافحاً بالمتفجرات . وكانوا ينوون تفجيره في بيت كاليم غربي حيفا . قتل برصاص الجنود البريطانيين . انه ابن مفتي الاناضول .

وفي يوم الاربعاء الموافق ١٧ آذار ١٩٤٨ حدثت على مقربة من مستعمرة (موتسكين)

---

(١) نقل الشيخ محمد نمر الخطيب هذا الخبر عن مذكرات الدكتور رشدي التميمي ودونه في الصفحة ٢٠٥ من كتابه « من اثر النكبة » :

اليهودية ، بين عكا وحيفا ، معركة كبيرة . وتفصيل الخبر ان قافلة عربية مؤلفة من بضع سيارات : اثنتان منها فيهما مقدار لا باس بـه من السلاح واثنا عشر طناً من المتفجرات . وكانت القافلة آتية من بيروت ، يقودها آمر الحامية محمد الحمد الحنيطي. وعندما وصلت القافلة موضعاً قريباً من المستعمرة اليهودية المتقدم ذكرها ، كان اليهود واقفين لها بالمرصاد (١) . فما هي الا برهة حتى اشتبك الفريقان . وكان مع اليهود دبابة وقفت في عرض الطريق لتحول دون تقدم العرب . وكان اول من خر صريعاً من العرب ضابط اردني كان في السيارة الاولى ؛ وكان يقود مدفعاً من طراز برن . استشهد قبل ان يتمكن من استعمال مدفعه . عندئذ غادر المناضلون سياراتهم ، وانبطحوا على الارض ، وراحوا يقاومون اليهود بنيران بنادقهم . وتمكنت سيارتان عربيتان من الافلات ، فعادتا الى عكـا ! . وبذلك أنقذ ما كان في إحداهما من سلاح ومتفجرات . واما الثانية التي كانت تحمل سلاحاً ، فقد نسفها احد المناضلين الذين كانوا فيها ، وهو (سرور برهم) . وبنسفها قتل هو وعدد آخر من اليهود : بي وباعدائي يا رب !..

ورغم ان المناضلين الذين ظلوا في ميدان المعركة يقاتلون اليهود ابدوا بطولة تستحق الاعجاب ، الا انهم في نهاية الامر غلبوا على امرهم. ذلك لان اليهود كانوا اكثر منهم عدداً وعدة . وكانوا متحصنين في مواضع اعدوها لهـذه الغاية . اضف الى ذلك ان الانكليز جاءوا يؤيدونهم بالجنود والدبابات (٢) .

ولقد استشهد في هذه المعركة المجاهدون الآتية اسماؤهم.

١ ـ محمد الحمد الحنيطي قائد حامية حيفا ٢ ـ سرور برهم ٣ـ فخري عبدالواحد البرد ٤ ـ عمر الخطيب ٥ . احمد خضر موسى ٦ ـ احمـد وجيه رحال ٧ ـ يوسف الطويـل ٨ ـ علي كسار ٩ ـ حسن سلامة ١٠ ـ عطا الله سلامة ١١ ـ محمـد ناظم طرطوس ١٢ ـ مد مصطفى خليل ١٣ ـ علي سجاع ١٤ ـ ارمني مجهول الهويـة (سائق سيارة) .

---

(١) يقول الشيخ محمد نمر الخطيب في الصفحة ٢٥٠ من كتابه (من اثر النكبة) ان القائد محمد الحمد اتصل عندوصوله الى الناقورة بمقر القيادة العربية بحيفا وتحدث الى اخوانه المجاهدين عن طريق الهاتف فاخبرهم بوصوله ولا بد انه بشرهم بانه يحمل سلاحاً . وكان في مركز الناقورة ضابط انكليزي متزوج من يهودية ولليهود عيونهم في ذلك المركز وفي كل مكان . ولا بد ان يكون هؤلاء قد نقلوا الخبر الى مقر قيادة الهاغانا بحيفا .

(٢) من اثر النكبة) للشيخ محمد نمر الخطيب ص ٢٥٣

ساء الوضع في حيفا اثر وقوع الحادث المتقدم ذكره ، فسادت الفوضى ، وكثرت اعمال النهب والسلب . واشترك في هذه الاعمال الجند البريطانيون وعدد غير قليل - ويا للاسف - من العرب ، وارتفعت اسعار المآكل ، واجور النقل الى درجة لا تطاق وغادر المدينة معظم ابنائها . ولا سيما الاغنياء . ولم يستطع القائد الجديد امين عز الدين الذي تسلم حامية المدينة بعد استشهاد محمد الحنيطي ان يسيطر على الموقف وان يقوم المعوج .

اشتدت وطأة القتال في الايام الاخيرة التي سبقت انسحاب الانكليز من المدينة . ودام هذا مدة ثلاثة ايام كاملة ، من صباح اليوم التاسع عشر الى ما بعد ظهر اليوم الواحد والعشرين من شهر نيسان . اذ رمى اليهود عدداً كبيراً (١) من مقاتليهم في الميدان . وراح هؤلاء يقتحمون المنازل ، ويفتكون بالسكان . لا فرق في نظرهم بين ذكر وانثى . شيخ وطفل ، صحيح وجريح . ولم يحرك البريطانيون الذين كانوا لايزالون مرابطين في المدينة ساكناً تجاه هذه المنكرات .

ليس هذا فحسب . فانهم (اي البريطانيين) راحوا يصدون المناضلين الذين جاءوا من القرى المجاورة لنجدة اخوانهم في حيفا .

فقد قام اليهود ، في الساعة الواحدة بعد منتصف الليل (٢١ نيسان ١٩٤٨) بهجوم قوي على المدينة ، مهدوا له بضربها من المرتفعات بمدافع الميدان وقاذفات الالغام والمدافع الصاروخية فاستنجد عرب حيفا بالمناضلين من سكان القرى المجاورة . فهب هؤلاء لنجدتهم . وجاء زهاء ٣٠٠ مناضل من سكان الطيرة وحدها ، ولكن الجنود البريطانيين الذين كانوا في مداخل المدينة صدوهم . واستمر الهجوم ، وكان عنيفاً ، ثلاث ساعات ، فدب الرعب في قلوب النساء والاطفال . وطلب العرب من قيادة الجيش البريطاني نقل الجرحى والقتلى . الا انها رفضت ذلك ، وتهدم جزء من مقر القيادة العربية ، فانتقلت هذه الى مركز بوليس المدينة .

ورغم ان هذا الهجوم كان مقرراً من قبل ، اذ كان اليهود قد اعتزموا احتلال حيفا بالنظر لاهميتها الاستراتيجية ، لوقوعها في نقطة تتصل عندها معظم قطاعات القتال العربية ، فان المندوب السامي السر الن غوردن كاننغهام (٢) قال في برقيته التي رفعها الى حكومته « ان هجوم اليهود على حيفا جاء نتيجة مباشرة للهجمات المتتالية التي قام بها العرب في حيفا خلال الايام الاربعة التي سبقته » .

---

(١) قدره بعضهم بخمسة آلاف . وقال آخرون انهم كانوا عشرة آلاف .

(٢) « New Star in the Middle East » by K. W. Bilby P. 27

وفيما كان المجاهدون يعملون على رأب الصدع أتاهم نبأ يقول ان القوات البريطانية التي كانت ترابط في المدينة قد انسحبت منها (٢٣ نيسان ١٩٤٨) بعد أن تخلت عن جميع مراكزها في داخل المدينة ، وانها راحت تقبع ضمن الاسلاك الشائكة في منطقة المرفأ فاستغرب القوم هذا العمل ، اذ ان البريطانيين كانوا قد اكدوا للناس في بياناتهم الرسمية وغير الرسمية انهم لن يتخلوا عن حيفا قبل انتهاء الانتداب ، وانهم سيحفظون الامن فيها الى ان يخرج منها آخر جندي من جنودهم .

في ديسمبر ١٩٤٧ قال أحد المسؤولين البريطانيين للحاج أمين (١) « ان الانجليز لن يسمحوا لليهود باحتلال حيفا ابداً ، ذلك لانهم يريدون ان يجعلوا منها مرفأ حراً . »

ولم تكن القيادة العربية قد اعدت لهذا الامر عدته ليس هذا فحسب ، فانهم (اي الانكليز) صادروا ، قبل انسحابهم بيوم واحد (٢٢ نيسان) اسلحة من عثروا عليه من المناضلين ، وحالوا دون وصول النجدات اليهم ، ولم يكن في المدينة يومئذ سوى ٤٥٠ مقاتلا عربياً ، بيدهم بنادق اعتيادية ، ولكن عتادهم كان قليلا . واما اليهود فقد كانوا على علم بعزم الانكليز على الانسحاب ، وقال قائل انهم تلقوا ذلك الخبر قبل الانسحاب بأربعة ايام ، وقال قائل ايضاً ان نبأ اعتزام الانكليز الانسحاب من المدينة كان قدانتشر في اواخر شهر آذار ، حتى ان رئاسة البوليس بحيفا اتصلت في ٢٨ آذار ، بضباط البوليس في المراكز فاخبرتهم بذلك ، ويقول هذا القائل ان تلك الرئاسة قالت بصراحة انها ستترك في كل مركز الاسلحة الخفيفة التي فيه ، واما الدبابات وسائر الأسلحة الثقيلة فانها ستؤخذ لانها ملك بريطانيا ، وليست ملكاً لحكومة فلسطين ، وقيل ايضاً ان ضباط المراكز العربية اتصلوا برئيس اللجنة القومية ، وهذا اتصل بالهيئة العربية بدمشق وعبثاً حاول الجميع ان يقنعوا رجال اللجنة العسكرية بدمشق كي تتولى الامر وتسلح المراكز العربية في المدينة حتى ان رئيس الهيئة العربية اجتمع برئيس الجمهورية السيد شكري القوتلي واتفقا أن تزاد حاميات حيفا ويافا والقدس الف رجل في كل حامية ، ولما ابلغا اتفاقهما هذا لرئيس اللجنة العسكرية اللواء اسماعيل صفوت باشا قال : (انني لا املك من السلاح ما يكفي لهذه الغاية . ولا سيما اذا تقدمت بيسان والمدن الاخرى بمثل هذا الطلب .) ولم يكن موقف الجنرال طه باشا الهاشمي بأحسن من موقف زميله ، اذ اكتفى بقوله . (هذا شيء نعرفه ! ...)

---

(١) العدد ٥٨١٧ من جريدة (المصري) بتاريخ ٥-٢-١٩٥٤ .

ولعل الاثنين معذوران ، اذ لم يكن في مستودعـــات اللجنة أسلحة تكفي لكسب الحرب ...

ومهما كان الامر فقد كان الانسحاب البريطانيين من المدينة قبل انتهاء الانتداب أسوأ الاثر ولما سأل آمر الحامية القائد البريطاني البريجادير ستوكوتيل لماذا انسحبتم قال لـــه هذا : ــ I am sorry . I Cannot do any thin اي آسف لااستطيع عمل اي شيء

انسحب الانكليز في ٢٣ نيسان . بعـــد أن شطروا المدينة شطرين . ووقفوا على ابواب المدينة يمنعون وصول النجدات العربية ، ويؤكد المطلعون على الامور يومئذ انهم (أي الانكليز) لم يقوموا بمثل هذا العمل تجاه النجدات اليهودية ، اذ راحت هذه تنسل الى قلب المدينة من مشمار هاعميك ومن المستعمرات الاخرى ،وكان يقود القطعات اليهودية يومئذ موشه كرملي من رجال الهاغانا

بعد أن انسحب البريطانيون من المدينة الى منطقة المرفأ (١) شن اليهود هجوماً خاطفاً على العرب ، فشطروهم الى شطرين ، واستولوا عـــلى مراكزهم ، فاتصل المجاهدون بقنصلي سوريا ومصر وبقادة الجيش العربي الذي كان يرابط على مقربة مـــن حيفا ، لا نعلم ما الذي فعله القناصل والقادة واذا كنا سمعنا ان اللجنة العسكرية بعـــد ان قررت تزويد حيفا بفصيل اليرموك وبمقدار من العتاد ، عادت فعدلت ، وأرسلت ذلك الفصيل والعتاد الى القدس ، واما الجيش فان السرية الاردنية التي كانت على مقربة من حيفا لم تتقدم للنجدة ، وقال قائدها انه ينتظر الامر من عمان، فايقن القوم انه لا امل يرجى ، اذ ان زمام الامور كان يؤمئذ في عمان بيد الصاحب ابي حنيك (كلوب باشا) واكد لي صديق اثق بصدق حديثه ان قائد السرية الاردنية، وهو اردني مخلص لوطنه، اراد ان ينجد اخوانه المناضلين الا ان القائد البريطاني انذره باطلاق النار عليه وعـــلى سريته اذا ما حاول ان يفعل ذلك .

وهكذا تمكن اليهود من احتلال حيفا على مرأى من سبعمئة جندي من جنود الجيش العربي ، وما كان شيء من هذا ليقع ، لو كانت قيادة الجيش العربي بيد عربية .

---

(١) بقي الجيش الانكليزي في هذه المنطقة حتى بعد دخول الجيوش العربية وانتهاء الانتداب . ليس هذا فحسب . بل انهم وسعوا منطقتهم هذه وراحوا يخيمون في بقعة اكبر من الارض تمتد من شرقي حيفا الى شمالي الخضرة حتى ان اربعاً من الطائرات المصرية اسقطت في معسكرهم هذا مـــن لدن المدافع البريطانية عندما حاولت تلك الطائرات ضرب حيفا وكان ذلك في شهر حزيران ١٩٤٨ وسرق اليهود من هذا المعسكر دبابتين بريطانيتين .

فقدت حامية حيفا كل اتصال مع اللجنة العسكرية بدمشق في اليوم الثالث والعشرين من شهر نيسان ، وكان اليهود من على سفح الكرمل مسيطرين على المدينة، عندئذ ايقن المناضلون انهم لا محالة مغلوبون ، ولهذا طلبوا الهدنة ، ووافق اليهود على الهدنة الا انهم اشترطوا لها شروطاً قاسية لم يقبلها العرب .

واليك ما اتصل بنا من انباء المفاوضات التي جرت بين الفريقين : -

في ٢٠ نيسان ١٩٤٨ كان المستر فايتنر برنخ مساعد حاكم اللواء الانكليزي قد اجتمع بقائمقام حيفا رفيق بيضون ، وحضر الاجتماع فريد سعد مدير البنك العربي ، فقال مساعد الحاكم لها : « اذا كنتم تريدون تفادي قتل العرب في حيفا هذه الليلة ، عليكم بالاتصال حالا باليهود ، والاتفاق معهم . »

فقال له فريد : (ان الحكومة مسؤولة عن حفظ الامن حتى تاريخ انتهاءالانتداب.)

فاجاب : (تلك هي نصيحتي ...)

واتصل فريد بعدئذ بحاكم اللواء المستر لو (١) وبقائد الجيش البريطـاني الميجر جنرال ستوكول maj. Gen. Stockwell . وبعد اخذ ورد طويلين تقرر عقد اجتماع في قيادة مقر الجيش . وعقد الاجتماع في الساعة العاشرة والنصف من صباح اليوم التالي (٢١ نيسان) ، وقد حضره كل من قائد الجيش الموما اليه والبريجادير جونسون وحاكم اللواء والقنصل البريطاني . وفريد سعد وفيكتور خياط رئيس الجمعية المسيحيةوالمحامون جورج معمر وانيس نصر والياس كوسا . فطلب العرب تدخـل الجيش البريطاني ، فاجاب الجنرال انه ليس عـلى استعداد للتضحية بجنوده والاصطدام باي من الفريقين المتحاربين . ثم قال : انه لن يسمح للقوات العربية المسلحة ان تدخـل المدينة لمساعدة السكان العرب وانه على استعداد فقط للتوسط بينهم وبين اليهود بقصد الصلح شريطة ان يقبلوا الهدنة .

ولما طلب العرب ان يعرفوا ما هي شروط الهدنة. استمهلهم القائد البريطاني ،وخرج من القاعة ، وبعد عشر دقائق عاد يحمل ورقة كتبت فيها شروط قيادة الهاغانا لعقـد الصلح ، وهي عشرة : -

١ - تسليم جميع المهمات العسكرية العربية من سيارات حربيـة واسلحة وادوات ومعدات القتال الى الجيش البريطاني ، على ان يتم ذلك تحت اشراف الهاغانا ،وان تسلم

---

(١) تذكر ان المستر لو هذا متزوج من يهودية هي ابنةاحدالزعماء الصهيونيين،وانه كان طيلةوجوده في حكومة فلسطين من المستعمرين الممالئين للحركة الصهيونية .

هذه المهمات الى قيادة الهاغانا في ١٥ أيار .

٢ - يجب ان يتم تسليم ذلك كله في بحر ثلاث ساعات بالمراكز التالية : جسر شل ملتقى شارع ستانتون بالبرج ، ساحة الخمرة ، ملتقى شارع يافا بالمركز الجديد .

٣ - تسليم جميع الذكور من الغرباء لترحيلهم في بحر اربع وعشرين ساعة ، على ان يرحلوا تحت اشراف الهاغانا .

٤ - تسليم جميع النازيين الاوربيين الموجودين في صفوف العرب .

٥ - ازالة جميع الحواجز المقامة في الشوارع المؤدية الى الاحياء العربية .

٦ - اعلان نظام منع التجول داخل المدينة لمدة اربع وعشرين ساعة ، تفتش خلالها المنازل العربية بقصد البحث عن السلاح .

٧ - بعد انتهاء منع التجول تعود الحياة الى مجاريها ، ويصبح العربي مواطناً له ما لكل مواطن يهودي .

ولقد اقترح في ذلك الاجتماع ان يعقد اجتماع آخر في دار البلدية يحضره ممثلو الفريقين العرب واليهود . فذهب فريد سعد ، واخبر وجوه المدينة بما حصل ، وعقد هؤلاء الوجوه اجتماعاً في منزل فيكتور خياط حضره كل من فريد سعد ، فيكتور خياط ، الشيخ عبد الرحمن مراد ، يونس نفاع ، صالح ابو شام ، عبد الفتاح السباعي ، نظمي عنبتاوي ، انيس نصر ، جورج معمر ، الياس كوسا ، رجا الريس ، صالح عون الله ، محمد اليحي ، الدكتور ميشال چبارة ، چاد سويدان ، سعيد سويدان ، فؤاد خياط .

وبعد ان استمع هؤلاء الى ما ذكره فريد ورفاقه الاربعة الاخرون عن اجتماعهم برجال الحكم من الانكليز قرروا انتداب وفد لحضور الاجتماع المقترح عقده في دار البلدية . وألف الوفد من : فريد سعد ، فيكتور خياط ، انيس نصر ، الشيخ عبد الرحمن مراد ، الياس كوسا ، احمد ابو زيد ، چورج معمر .

وفي الساعة الثالثة والنصف (٢٢ نيسان) انتقل الوفد بحراسة خمس من الدبابات البريطانية الى دار البلدية ، واجتمع بالوفد اليهودي . وكان هذا مؤلفاً من رئيس بلدية حيفا ،شبتاي ليفي ، المحامي يعقوب سلمون ، المحامي ليفشتنر ؛ ومن اثنين آخرين هما : ابو خوثة (؟) وخلفو ن(؟) .

وحضر الاجتماع عن الجانب البريطاني الميجر جنرال ستوكول ، البريغادير جونسون الميجر تلبارلا ، حاكم اللواء المسترلو ، القنصل البريطاني المستر ماريوت .

ووزعت على اعضاء الوفد العربي شروط الهاغانا للهدنة (وهي التي ذكرناها في

السطور المتقدمة) وكانت هذه مطبوعة على الآلة الكاتبة ، ورفضت قيادة الهاغاناتعديل اي شرط من تلك الشروط . عنـــدئذ طلب الوفد العربي ان يمهل حتى يقرر ما يجب ، فامهل حتى الساعة السادسة والنصف من مساء ذلك اليوم . وقبل ان يغادر اعضاء الوفد دار البلدية قال لهم الجنرال البريطاني انه لن يكون مسؤولا عن ذبح العرب اذا لم توقع تلك الشروط حتى الساعة السادسة والنصف مساء .

وعاد اعضاء الوفد الى منزل فيكتور خياط حيث كان المجتمعون ينتظرون . وبعد مناقشة طويلة قرروا رفضها . وابلغوا قرارهم هذا الى الوفدين البريطاني واليهودي (١) .

فسقطت حيفا يوم الخميس الموافق ٢٢ نيسان ١٩٤٨ ، وغادرها سكانها عن طريق البحر . فريق منهم هبط عكا ، وفريق تجاوزها الى صيدا وصور ، وبعضهم وصل الى بيروت . ولم يبق في المدينة سوى اربعة الاف عربي ، ولم يقم الجيش البريطاني باي عمل لابقاء الراحلين وتأمينهم على ارواحهم .

ولقد قتل من مناضلي حيفا ، في معاركها الاخيرة . زهاء مئة وخمسين رجـــلا ، وجرح ٣٥٠ بعضهم من المناضلين والبعض الاخر من السكان المدنيين . وفي قول آخر ان عدد الشهداء بلغ ٣٠٠ منهم مئة من المدنيين . واما قتلى اليهود فكانوا ٣٦٣ .

وقد اقترف اليهود ، بعد احتلالهم حيفا ، من الآثام ما تقشعر له الابدان . فقتلوا من قتلوا . ونهبوا كل ما وجدوه في منازل العرب من مال ومتاع . وراحوا يلقون بجثث القتلى امام الاشخاص الذين اختاروا البقاء في منازلهم ، ليخاف هؤلاء ويتركوا منازلهم ولقد قلب اليهود مساجد المسلمين الى اسطبلات وضعوا فيها الدواب ، وهدموا معظم المنازل العربية ، ولا سيما تلك التي تقع بين ساحة الحمرة ومحطة السكة الحديدية . حتى حجارة القبور ، فقد اقتلعوها من المقابر . ومعظمها من الرخـــام . واستعملوها في بناء منازلهم ومتاجرهم . وراح الناس - بعد ذلك - يتحدثون عن نكبة حيفا ، ويقولون : ان في الامر لسراً سوف تكشفه الايام . وقال قائل منهم ان الانكليز قبضوا من اليهود لقاء عملهم هذا نصف مليون جنيه ، ووصف اليهود عمل الانكليز ، وانسحابهم مـــن المـــدينة قبل انتهاء الانتداب بثلاثة اسابيع بقولهم : « انه عمل رائع ، وانصاف يجدر ان يقابل بالشك والحذر ؟ »

ان سقوط حيفا بيد اليهود خسارة لا تعوض . ولن يستطيع العرب ان يجدوا لهـــا

---

(١) اقتبسنا انباء الاجتماعات الاخيرة والمفاوضات التي جرت بـين العرب واليهود من مخطوط باسم مصرع حيفا للمحامي صلاح العباسي .

عوضاً . ذلك لانها مدينة تجارية ، وثغر من اهم الثغور الواقعة على شواطيء البحر الابيض المتوسط . فيها مرفأ كبير ، انشأه البريطانيون في عهد الانتداب (١٩٣٣) وفيها ينصب البترول الذي ينبع في آبار العراق ويتدفق في انابيب تم انشاؤها عام ١٩٣٥ وهناك مصاف حديثة العهد للبترول ، تصفي ما لا يقل عن ستة ملايين من الاطنان من البترول . ومنها يصدر هذا الى اوربا والولايات المتحدة والدول الواقعة في حوض البحر الابيض المتوسط

شفا عمرو ، هوشة والكساير

بعد ان صدر قرار التقسيم راح يعسكر في شفا عمرو فصيل من المجاهدين قوامه اربعون رجلا ، يقودهم ضابط عراقي اسمه (عبد الحق الغزاوي) .

وما كاد يمر على مجيء هذا الفصيل اسبوعان حتى هاجمه اليهود ، وكان الوقت ليلا؛ فصدهم المجاهدون . وقتلوا منهم ثلاثة وجرحوا آخرين . وجرح من المجاهدين اثنان بجراح بالغة . ومع ذلك فقد أيقن المجاهدون بعد هذه المعركة انهم قلة ، وان اعداءهم اليهود اكثر منهم عدداً وعدة . ولهذا فقد استنجدوا باخوانهم المجاهدين المجاورين لهم فأنجدهم المناضلون المرابطون في قطاع الناصرة . ورغم هذه النجدة لم يكن الوضع في شفا عمرو يرضي المخلصين لكثرة الاحزاب التي كانت هناك : دروز ، ونصارى ، ومسلمون . وهذا ما حمل القائد العراقي على الانتقال الى قطاع الناصرة فراح يعسكر في كفر كنا ويحارب مع المناضلين الذين كان يقودهم دياب الفاهوم وابن عمه عبد اللطيف .

وانضم اليهم ، في أوائل شهر كانون الثاني ١٩٤٨ ، فصيل من الدروز يقودهم شكيب عبد الوهاب ، احد القواد الذين قادوا الثورة الدرزية في عهد الانتداب الفرنسي بسوريا ؛ فراح الجميع يعملون معاً يداً واحدة . وتمكنوا من صد هجوم قام به اليهود على قريتي (الهوشة) و (الكساير)(١) .

ليس هذا فحسب . بل اقتفى المناضلون من عرب ودروز اثر اليهود وكادوا يقتحمون مستعمرة لهم تقع على مقربة من مزرعة قرمان (ابطن) . اسم هذه المستعمرة (رامات يوحنان) وهي من المستعمرات القائمة بين حيفا وعكا ويسميها اليهود مستعمرات (زبولون) .

---

(١) انهما قريتان مغربيتان تقعان الى الجنوب من شفا عمرو . وكان مناضلو هذا القطاع قد اتخذوهما قاعدة لاعمالهم ، بعد ان اخرجوا منهما النساء والشيوخ والاطفال .

وعددها خمس . وظلت هذه في مأمن من طوارق الحدثان حتى اليوم الثاني عشر من شهر نيسان ١٩٤٨ .

وفي الساعة السابعة من صباح اليوم الثالث عشر ، هاجمها العرب والدروز معا.وراح الرصاص يلعلع في ارجائها بشكل اوقع الفزع والفوضى في صفوف سكانها . واختفي اليهود في مخابئهم بداخل المستعمرة . ولم يكن بامكانهم ان ينتقلوا من مكان الى مكان او يصلوا الى المطعم ليتناولوا طعامهم . وقد حشدوا اطفالهم في ثلاث عمارات حصنوها لهذه الغاية .

وما كاد فجر اليوم التالي بزغ (١٤ نيسـان) حتى كان المناضلون من شفا عمرو وهوشة والكساير ورفاقهم الذين انجدوهم من الناصرة والقرى المجاورة قد اتموا تطويق مستعمرات (زبولون) طوقوها من الجنوب والشرق والجنوب الشرقي . وأصبحوا في بعض المواضع على بعد ٨٠٠ متراً منها وراحت فئةاخرى من المناضلين ترابط بجوارقرية (عيبتين) على مقربة من ذلك المكان .

وفيما كانت فرائص اليهود ترتعد جزعاً ، وكانوا يتوقعون ان يقوم العرب والدروز بهجوم على (رامات يوحنان) والمستعمرات المجـاورة لها . رأوا ، ويا لشدة فرحهم ان هؤلاء (اي العرب والـدروز) قـد انسحبوا من مواضعهم هنـاك . ولا يعلم احد لماذا انسحبوا ، تاركين في هوشه والكساير حامية صغيرة من الدروز .

فكرّ اليهود عليهم ليلا ، واجلوهم عن القريتين . وفي ذلك يقول اليهود (١) :

« عهدنا باحتلال (هوشة) الى السرية (ب) وقامت ثلاث وحدات مقاتلة بمهاجمة (الكساير) وكان يساند هذه الوحدات عدد من مدافع الهـاون والرشاشات . وعندما دخلنا القريتين وجدناهما خاويتين . وقد تم ذلك في ساعة مبكرة (الرابعة والنصف) من صباح اليوم الخامس عشر من نيسان . وما كنا لننجح في احتلالها بهذه السهولة لولا ان المناضلين كانوا قد انسحبوا منها وكانت الانباء قد اتتنا بأن عدد المدافعين عنهما ما كان يزيد عن مئة مقاتل معظمهم من الدروز . ولقد قتل يومئذ عربي واحد . وفيما كان قائد الحملة التي احتلت القريتين ، ومساعده وهما من رجال (البالماخ) يتفقدان الحالة أصيبا بصلية رشاش فقتلا في الحال » .

ومن هناك راح اليهود يتقدمون صوب شفا عمرو فاستنجد سكانها بالمنـاضلين من

---

(١) اقتبسنا هذا القول من مقال لاحد المحاربين اليهود نشرته الصحف اليهودية وترجمه عن اللغة العبرية درويش الشامي في مخطوط اسماه (في خط النار) .

ابناء الناصرة وكفر كنـــا وصفورية والقرى الاخرى المجاورة . فأنجدهم هؤلاء فوراً . وكان مع فصيل صفورية رشاش فرنسي من طراز (أ ف) وبلغ مجموع المناضلين من عرب ودروز الذين تجمعوا يومئذ في شـفا عمرو وفيما حولها من آكام خمسمئة وكانت اسلحتهم عبارة عن بنادق افرنسية . وكان معهم ثلاثة رشاشات وتمكن هؤلاء من صد اليهود . وارجعوهم الى هوشة والكساير .

وهنا في هوشة والكساير راح الفريقان مرة اخرى يتناطحان . فاحتل العرب هضبتي (الخشب) و (البستان) . ومن هاتين الهضبتين راحوا يكرون على اليهود محاولين استرجاع القريتين ، تسندهم نيران المدافع الرشاشة .

وقد جاءوا من النـاحية الشرقية واما الدروز فراحوا يزحفون صوب القريتين من من الناحية الشمالية ودام القتال من الساعة السادسة صباحاً حتى الخامسة مساء .

وقتل في هذه المعركة جميع قادة الواحدات اليهودية المحاربة . ولما خيم الظلام انسحب اليهود من هوشة ، بعد ان نسفوا معظم منازلها . انسحبوا الى الكساير . تاركين ورائهم جثث القتلى من رجالهم . وما درى المناضلون كيف يهتبلون هذه الفرصة اذ انسحبوا هم أيضاً من هناك . ولو ثبتوا قليلاً . . . . . وبكلمة اخرى لو كان هنـاك قائد قدير يجمع الشمل ويعرف كيف يستغل المناضلين لتمكن العرب من اجلاء اليهود عن القريتين ولكن كان كل فريق يعمل لوحده . وما كان هناك أي رابط يربطهم .

ولهذا فشلوا .

ولقد خسر الدروز في هذه المعركة ثلاثين شهيداً . وفي قول خمسون واما العرب فقد استشهد منهم خمسة وجرح ثلاثة(١) .

وانسحب مع الدروز قائدهم شكيب عبد الوهاب . ولم يعد بعدئذ الى البلاد .

ويحدثك المطلعون على بواطن الامور في ذلك القطاع ان شكيب عبد الوهاب هذا ما كان لينسحب من ذلك القطاع (شفا عمرو وضواحيها) لولا الاختلاف الطائفي الذي كان سائداً فيها . ويقولون ان طائفة كبيرة من سكان شفا عمرو ما كانت في ذلك الحين ترغب في القتال .

---

(١) هذا ما قاله لي عبد اللطيف الفاهوم ، احد قادة المنـاضلين في ذلك القطاع . واما اليهود فيزعمون ان الدروز وحدهم خسروا في تلك المعركة ١٥٦ قتيلا ومئتي جريح .

معارك يافا

لم يكن في يافا ، عندما صدر قرار التقسيم ، اكثر من بضع بنادق (١) وبضعة مسدسات ولم يكن فيها مقاتلون مدربون على القتال بمعناه الصحيح . وانما كان فيها فرقة رياضية دعوها (النجادة) . وكانت هذه مؤلفة من خمسمئة شاب ، تنقصهم الخبرة والدربة على القتال . وكان يقود النجادة المحامي محمد نمر الهواري .

وفي قول ان عدد البنادق التي كانت في يافا يومئذ لا يتعدى السبعة ، وكانت هذه بيد جماعة من المناضلين يقودهم الشيخ حسن حسونة من تجار الخضار في يافا . وهو لدّي الاصل . وكان اول عمل قام به هؤلاء المناضلون انهم اشتبكوا مع اليهود في قتال بين (تل الريش) ومستعمرة (حولون) اليهودية الواقعة الى الجنوب الشرقي من يافا . ورغم قلة سلاحهم كان النصر حليفهم . فقتلوا عدداً كبيراً من اليهود ، كما قتلوا قائدهم (كاتس) ودفنوه في تل الريش .

تلك كانت اول معركة قامت بين العرب واليهود في قطاع يافا وتل ابيب . وكان ذلك بعد صدور قرار التقسيم بأسبوع واحد .

كان هذا الحادث بمثابة انذار لولاة الامور . اذ ارسلت الهيئة العربية العليا على أثره خمسين بندقية . ارسلتها من مصر وارسلت اللجنة العسكرية من دمشق في (٤ كانون اول) اثنين وسبعين بندقية ، اخذت يافا منها ما يقرب من نصفها ، واعطي النصف الآخر الى القرى المجاورة لها كالعباسية وملمة .

واشترى الاهلون ، في الوقت نفسه ، عدداً من البنادق والرشاشات ، اشتروها باسعار باهظة وراحوا يتأهبون ، وود المخلصون ان لو استعد القوم لمثل هذا اليوم من قبل ، عملا بقوله تعالى : ـ «واعدوا لهم ما استطعتم من قوة» . هذا مع العلم بان الحكومة المنتدبة حظرت على الناس حمل السلاح . وكانت توقع بهم أشد العقاب كلما رأت بأيديهم سلاحاً مهما كان نوعه ، وكان العقاب يصل في بعض الاحيان حد الاعدام .

وتألفت ، عند بدء القتال ، لجنة قومية قوامها : ـ

١ ـ محمد عبد الرحيم (من تجار البرتقال)

---

(١) أكد لي احد الاصدقاء ، وهو ثبت ، انه لم يكن في يافا يومئذ سوى اربع عشرة بندقية .

٢ ـ امين عقل (من المحامين) .
٣ ـ احمد ابو لبن (من المجلس البلدي والحزب العربي) .
٤ ـ ظافر راغب الدجاني (من جماعة الاخوان المسلمين) .
٥ ـ مصطفى الطاهر (من الجبهة العربية) .
٦ ـ رفيق الاصفر (من العمال) .
٧ ـ فائق طلماس (من المسيحيين اللاتين) .
٨ ـ ميشيل عازر (من المسيحيين الارثوذكس) .
٩ ـ محمد الهندي (من النادي العربي) .
١٠ ـ الدكتور عوني حنون
١١ ـ الدكتور ميشيل تادرس } من الاطباء
١٢ ـ الدكتور صبحي حمادة
١٣ ـ صلاح الناظر (مدير شركة الرياض ومن الجبهة العربية) .
١٤ ـ محمد خير البهلول (من نادي الشبيبة الاسلامية) .

وارسلت اللجنة العسكرية الى يافا في ١٣ كانون الاول ١٩٤٧ ، مئة بندقية من البنادق الافرنسية (١٢٦٠) التي تسلمتها من العراق(١) . وراحت اللجنة القومية تفكر في أحسن الطرق لاستعمال هذه البنادق . ولم يكن لها رئيساً ، وانما كان لها امين للسر هو امين عقل ووكيل لامين السر هو مصطفى الطاهر ، ومحاسب هو محمد الهندي وامين للصندوق هو احمد ابو لبن

وقد انضم اليها بعد قليل رجال من القرى المجاورة ، هم :

١ ـ الشخ شاكر ابو كشك (من عرب ابي كشك) .
٢ ـ زكي عبد الرحيم (من العباسية) .
٣ ـ موسى ابو حاشيه (من سلمه) .
٤ ـ حسين ياسين (من بيت دجن) .
٥ ـ دياب الموسى (من كفر عانة) .

والذي أشرف على تأليفها بهذا الشكل هو الشيخ حسن ابو السعود ورفيق التميمي

---

(١) قال العميد الركن طه باشا الهاشمي في مذكراته التي نشرتها جريدة (الحارس) البغدادية في اعدادها ١٢ ـ ٢٣ الصادرة بتاريخ ١٢ شباط ١٩٥٣ الى ٣٠ نيسان سنة ١٩٥٣ ان هذه البنادق كانت من غير عتاد ، وان وزارة الدفاع السورية هي التي زودتها بالعتاد من مستودعاتها .

من رجال الحاج امين : وكان هنـــاك كثيرون غير راضين عن الطريقـــة التي اتبعت في تكوينها . وكانوا يودون ان لوتم ذلك بالانتخاب، هذا مع العلم انه لو جرى انتخاب لفاز الاكثرون من اعضائها بثقة الجمهور .

تلك كانت اول بادرة من بوادر الاختلاف الجديد (بعد ان كانت بذور الاختلاف القديم التي بذرها المستعمرون في يافا وفي مدن فلسطين عندما خلقوا من السـكان العرب مجلسيين ومعارضين) : وأما البادرة الثانية فقد بدرت عندما قررت الهيئة العربية العليا الاضراب العام . ذلك الاضراب الذي دام ثلاثة أيام (٢ـ٤ كانون الاول) فقدظهرت في الميدان فئة غير قليلة من اليافيين تقول بالتريث ريثما يتمكن اصحـاب البيارات من تصريف برتقالهم(١) . وطلبت تأجيل الاضراب حتى اليوم الخامس عشر من شهر آذار ولـكن طلبها قوبل بالرفض . وكانت اللجنة القومية نفسها من القائلين بهذا الرأي .

وكانت هناك فئة ثالثة تقول : انه من الخير ليافا وسكانها ان يقبلوا ما عرضه اليهود عليهم من اجل اتخاذ يافا وتل ابيب مدينتين مفتوحتين(٢) .

ذلك لان يافا كانت محاطة من جميع جهـاتها باليهود ، وكان هؤلاء ـ في اواخر عهد الانتـــداب ـ قد سيطروا على السهل الممتد من حيفا الى تل ابيب والمعروف بـ (سهل شارون) حيث انتشرت مستعمراتهم بكثرة ، وما كاد القتـــال يبدأ حتى كان اليهود قد احتلوا الشيخ مونس ، الجماسين الشرقية ، الجماسين الغربية ، جريشة ، فجة ، المزيرعة ، الحرم ، الجليل ، ام خالد ، الطنطورة ، مضارب عرب الحوارث . فأجلوا اهلها عنها ، وبذلك أمنوا طرق مواصلاتهم .

ولكن هذا القول ايضاً رفض . والذي رفضه هو الدكتور حسين فخري الخالدي ممثل الهيئة العربيـــة في القدس فأعلن الأضراب العام . وتألفت اللجنة القومية على النمط الذي ذكرناه .

---

(١) ارتبط عدد كبير من اصحاب البيارات ، قبل بدء القتال ، بعقود مع اوروبا ومع سوريا ومصر ولبنان ، لبيع ستة ملايين صندوق من البرتقال . ولم يستطع هؤلاء تصدير جزء كبير من ثمارهم بسبب اقفال الطرق والفوضى التي سادت في البلاد بعد قرار التقسيم . وعلى ذكر البرتقال اقول ان الخبراء قدروا ما نتج منه في تلك السنة (١٩٤٧ ــ ١٩٤٨) وفي جميع انحاء فلسطين باثني عشر مليون صندوقاً ٥٤ في المئة منه للعرب والباقي ٤٦ في المئة منه لليهود . ثم تصدير ثلاثة ارباعه قبل بدء القتا وتعطل الربع بسبب الاضراب .

(٢) حدثني كثيرون من ابناء يافا فقالوا ان الذي تولى عرض هذا الاقتراح على العرب هو الاضون اسرائيل روكاخ رئيس بلدية تل ابيب ، وان هذا عرضه مرتين : الاولى على (احمد ابو لبن) والثانية على (يوسف هيكل) ولكن اللجنة القومية رفضت العرضين .

وراح كثيرون يجاهرون بنقمتهم لتأليفها على ذلك الوجه وفيما كان الناس في حيرة من امرهم ، أيؤيدون اللجنة كما هي ، ام يعارضونها ، ويعملون على ايجاد كتلة اقوى وافضل ، ونسي معظمهم او كادوا ينسون ، خلال هذه المحاولات البيزنطية ، واجباتهم ، قام اليهود بعمل اجرامي فظيع فنسفوا السرايا (دار الحكومة) القديمة . نسفوها بلغم كبير جاءوا به في سيارة من سيارات الشحن ووضعوه في الزقاق الضيق الكائن بينها وبين البنك العثماني من الشمال . فقتل من جراء ذلك زهاء عشرة من احسن شباب يافا ورجالاتها(١) ، وجرح كثيرون . وقد حدث ذلك في اليوم الرابع من شهر كانون الثاني (يناير) ١٩٤٨ . وكان اليهود قبل ذلك بشهر تقريباً ٤٧/١٢/٢ قد هاجموا حي ابي كبير بثلاث من سيارات الجيش البريطاني تحمل ثلاثين ارهابياً بيد كل واحد منهم تومي ، فقتلوا ثلاثة وجرحوا تسعة . ثم ارتدوا على اعقابهم .

فانتبه القوم عندئذ لواجبهم ، وطرحوا احقادهم ، وراحوا يؤيدون اللجنة في اعمالها ونشطت هذه الى العمل. فألفت من أعضائها ومن اشخاص آخرين لجانا عديدة للقيام بمختلف الشؤون الادارية منها والمالية او العسكريه .

وأما اللجان التي ألفت فهي :

آ - (اللجنة الاقتصادية) يديرها الحاج ظافر الدجاني رئيس الفرقة التجارية ؛ مهمتها الاشراف على الاسواق ومنع التلاعب بالاسعار وتأمين الخبز لافراد الشعب .

ب - (لجنة تموين المجاهدين) يديرها محمد خير البهلول : مهمتها تموين المجاهدين المرابطين في الخطوط الامامية .

ج - (لجنة الدفاع) يديرها صلاح الناظر ، ويساعده الشيخ حسن حسونة . مهمتها تحصين خطوط الدفاع ، وبناء الاستحكامات وتزويد المجاهدين بالسلاح والعتاد .

د - (لجنة صنع المصفحات) يديرها اسعد حلبي . مهمتها صنع المصفحات ؛ وقد صنعت ستاً منها .

هـ - (لجنة السلاح والالغام) يديرها مصطفى الطاهر . مهمتها صنع الالغام . ومن الذين عملوا في هذا الميدان : سامي الاصفر واخوه ولما قتلا بسبب انفجار بعض الالغام

---

(١) عرفنا منهم غالب بن راغب الدجاني ، وسعيد شنير ، وزكي الدرهلي . ثلاثتهم من خريجي الجامعة الاميركية ببيروت ومن موظفي دائرة الشؤون الاجتماعية بيافا .

تولى عملها المهندس الكيماوي سليم الدمياطي . ولما جرح هذا بسبب انفجار اصابه في وجهه ، تولاه فيصل الطاهر . ولما استشهد هذا بسبب انفجار قنبلة اثناء تجربتها ، تولاه يحيى الكيالي وكان يساعده مهندس الماني ، وسميح سليم .

وتمكنت اللجنة من انشاء مصنع لتعبئة الالغام ؛ ومعمل لتعبئة الخرطوش الفارغ وكان يدير هذا المعمل احمد بدارو (بدانوره) من موظفي قلم المطبوعات في يافا ومعمل لتعمير السلاح كان يشرف عليه خالد الطاهر من اساتذة المدارس الحكومية ؛ ومعمل لصنع القنابل اليدوية يشرف علية زكريا الحشاش : ومن الذين آزروا اللجنة في شراء الاسلحة محمد سعيد ابو زياد .

و ـ (لجنة صحية) يشرف عليها اثنان من الاطباء ، هما الدكتور عوني حنون والدكتور ميشيل تادرس . وكانت هذه تشرف على مستشفيات المدينة ومعالجة المرضى والجرحى . يساعدها الدكتور حسن فرعون سكرتير الجمعية الطبية . وقد انشأت (مستشفي الهلال والصليب) . واستعانت بمستشفى الدجاني وطبيبه الدكتور محمد زهدي الدجاني ، وبالمستشفى البلدي والافرنسي والانكليزي .

ز ـ (اللجنة القروية) يشرف عليها زكي عبد الرحيم . ومهمتها تأمين الاتصال بين المدينة والقرى .

ح ـ (لجنة الرخص) يديرها محمد الهندي . ومهمتها الاشراف على الداخل والخارج من البضائع والمواد الغذائية . و (مكتب للسفر) يشرف عليه فخري النشاصي ، وتمتد صلاحيته حتى الميناء ومطار اللد . وهو الذي يصدر تصاريح السفر .

ط ـ (اللجنة المالية) يديرها احمد ابو لبن . ومهمتها الجباية وتأمين الموارد المالية التي لا بد منها من اجل تنظيم اعمال الدفاع .

اما المال ، وهو العصب الحساس ، فقد حصلت عليه اللجنة ، في بادىء الامر ، من الفرع اليافي لـ (بيت المال) . فاخذت منه ، بادى ذى بدء ، الفي جنيه . ثم اردفته بمبلغ آخر : وبلغ مجموع ماتسلمته من البيت المذكور خلال شهرين من بدء النضال ستة عشر الف جنيه : وكان ذلك بترخيص من الهيئة العربية العليا . ورأت اللجنة المحلية بعدئذ ان تحتفظ بما في البيت المذكور من مال لتنفقه على شؤون النضال في يافا : فوافقت الهيئة

العربية على ذلك شريطة ان ينفق جزء منه على الشؤون نفسها في انحاء فلسطين الاخرى(١)

ولما اتسع نطاق النضال راحت اللجنة القوميـــة تجمع الاعانات من السكان باسم (بيت المال) . وتنفقه في سبيل النضال. وفرضت على الناس ضرائب محلية . ـ كضريبة البنزين ، وضريبة الجمرك ، وضريبـــة السفر ، وجمعت عن تلك الطرق مبالغ وفيرة : فراحت تطعم الجائعين وتسلح المناضلين ، وتعني بالجرحى ؛ وتغيث عائلات الشهداء .

ولما كان ايرادها من هذه الجهات ايضا لايفي بالنفقات ، فقـــد اضطرت لاستدانة عشرة الآف جنيه من البنك العربي (٢). كما استدانت مبالغ اخرى من شركة السكب ومن بعض الشركات الاخرى ومن ارباب الثراء .

بلغ ما انفقته اللجنة القومية في سبيل الدفاع عن المدينة، من اليوم الذى أعلن فيه التقسيم حتى اليوم الاخير من الانتداب (١٥ ايار) ١٣٥,٠٠٠ جنية وضعت اللجنة العسكرية من هذا المبلغ ١٣,٥٠٠ جنيهاً . وأخذ من بيت المال حوالي ٢٥,٠٠٠ جنيه والبـــاقي وقدره ٩٦,٥٠٠ جنيه جمع من سكان المدينة في شكل ضرائب ورسوم فرضتها اللجنة على السكان وهكذا تمكنت من دفع رواتب المناضلين المحليين والجنود المتطوعين الذين ارسلتهم اللجنة العسكرية من دمشق ، وتزويدهم بالمأكل والملبس ، ومـــن شراء السلاح والعتاد اللازم للدفاع .

وواحت اللجنة تجند الشباب ، وكانوا كثيرين . وتبتاع الاسلحة ، وكانت هــذه

---

(١) علينا أن نذكر هنا ان يافا كانت يومئذ من اغنى مدن فلسطين، ان لم تكن أغناها طرا ، بسبب بياراتها وتجارة الحمضيات فيها ووقوعها على شاطيء البحر المتوسط .

(٢) تسلم هذا المبلغ من البنك عشرة اشخاص معروفون من أعضاء اللجنة تسلموه باسمائهم ولقد سددوا جانباً منه (٦٠٠٠) جنيه قبل الرحيل، سددوه من واردات اللجنة . وصرف البنك نظره عن الباقي لقاء تجميد ٣٤٠٠ جنيه كانت في البنك لغرفة تجارة يافا .

حدثني احد اعضاء اللجنة القومية (مصطفى الطاهر) ان اللجنة اضطرت لاستدانة هـذا المبلغ (١٠,٠٠٠) جنيه من البنك العربي لتدفع ثمن عتاد البنادق الذي تسلمته من مستودع الجيش العربي الذى كان معسكراً في (واد الصرار) والكمية التي تسلمتها كانت عبارة عن خمسمئة صندوق ، والضابط المسؤول عن بيع هذا العتاد وهو حكمت مهيار وان المفتي (الحاج امين) ذكر هذه الحقيقة الى عبد القادر الباشا الجندي معاون رئيس اركان الجيش العربي عندما راح هذا في احد الاجتماعات العسكرية يفاخر باعمال الجيش الذي وزع على المناضلين مقادير كبيرة من الذخائر !. . وثبت بالتحقيق ان تلك الصفقة من السلاح دفع سكان يافا ثمنها ! . .

قليلة للغاية وكان الحصول عليها من اصعب الأمور كذلك كان الحال ليس في يافا وحدها وانما في فلسطين كلها .

وكانت لجنة الدفاع المحلية تابعة الى الشيخ حسن سلامة ، القائد الذى انتدبه الحاج امين لادارة دفة القتال في يافا واللد والرمله واعترفت به اللجنة العسكرية قائداً لهذا القطاع وقد سمي يومئذ (القطاع الغربي من المنطقة الوسطى) .

وما كاد يمر على تشكيل اللجنة القومية شهر واحد حتى كانت حامية يافا قد بلغت ٥٤٠ مقاتلا . ــ ٣٧٥ منهم كانوا يرابطون في مراكز ثابتة وعلى الحدود و١٦٥ اعتبروا (قوات متحركة) . وكان بيد الفريقين ٢٨٤ قطعة من السلاح من مختلف الانواع . اكثره ايطالي ، ارسل اليهم من مصر وبعضه افرنسي ، اتوا به من دمشق . انه وان كان احسن من الايطالي ، الا انه لايفي بالمرام ، لا من حيث الكيف ، ولا من حيث الكم .

ومعظم هذه الاسلحة اشترتها اللجنة باثمان باهظة . فقد كلفتها البندقية الواحدة مبلغا يتراوح بين الثمانين والمئة من الجنيهات ، والقنبلة بين النصف جنيه والجنيه الوحدة ، والطلقة الواحدة من الرصاص الانكليزي والالماني اربعة قروش أو ستة .

وكان بيافا أربعمئة قنبلة مخزونة في احدى المصابن بالبلدة القديمة ، انها من غير كبسون ، وهي من بقايا الجيش التركي في الحرب الكونية الاولى (١٩١٤ - ١٩١٧) . وجدوها على مقربة من قرية (سلفيت) من اعمال جبل نابلس . فعمرها المناضلون وراحوا يستعملونها عند اللزوم (١)

---

(١) كانت هذه القنابل بحيازة (فرقة الالغام) يديرها شاب من اخلص المناضلين من ابناء يافا اسمه (سامي الاصفر) وقد استشهد هذا اثناء تركيب احد الالغام المؤقتة ، واستشهد معه ، في الوقت نفسه شقيقه شفيق الاصفر ، وهما ولدا طه الاصفر ، وجرح عند انفجار اللغم (٢٦ كانون الثاني ١٩٤٨) مناضل تطوع للقتال في صفوف المناضلين يدعى (حسن) وهو اذربايجاني الاصل .

وكان رجال الحامية موزعين في اطراف المدينة كما يلي :

عدد المراكز	اسم المركز او الحي	المحاربون عددهم	اسماء رؤسائهم	نوع الاساحة وعددها بنادق	رشاشات ستن	اوتومي	المجموع	ملحوظات
١	الجبالية	٢٥	عبد الباري الهسي	١١	١	٢	١٤	
٢٢	كرم صوان	٢٥	ابراهيم حوسو	٧	ـ	١	٨	كان في كرم صوان فتاة مسلمة عربية اسمها (نريمان خورشيد) وكانت هذه الفتاة تحارب مع المحاربين .
٣	القرية العربية	١٠	ابراهيم السعدوني	٤	ـ	١	٥	
٤	سكنة درويش	٢٥	حمدي عبد الباري	١٥	ـ	١	١٦	
٥	تل الريش	٢٥	خميس ابو النيل واخوه حمدى	١٠	١	٢	١٣	
٦	طاسو وحمو	١٥	شوقي ابولبن	٥	ـ	...	٥	
٧	كرم التوت	٢٠	الشيخ محمد نصر	٥	ـ	٣	٨	
٨	ابو كبير	١٠٠	الحاج عبد الله الناقة	٢٠	١	٥	٦	
٩	المسلخ والشيخ مراد	٢٥	محمود صالح الدريني	٨	ـ	١	٩	
١٠	البصه	٢٥	كاظم الحسيني	١٢	ـ	٢	١٤	كان يساعد الحسيني اثنان هما :ـ طاهر بامية وعبد الكريم عبدالبارى
١١	المنشية الشرقية والمحطه	٣٠	احمد عبد الحليم والحاج حسن الريشدي	١٠	ـ	٢	١٢	
١٢	المنشيه الشمالية	٣٠	عيسى الخليلي	١٠	ـ	٢	١٢	بعد قليل تولى قيادتها قائد اذربايجاني اسمه ابراهيم بك
١٣	الميناء	٢٠	رشاد كايد	١٠	ـ	٢	١٢	
		٣٧٥		١٢٧	٣	٢٤	١٥٤	

تلك هي المراكز الثابتة ، وقد ربطت بالقيادة بشبكة من اسلاك الهاتف والذي ركب هذه الشبكة هو محمود الديراوي الموظف الفني في مصلحة البريد ، فعل ذلك بارشاد الدكتور حسن شكري الخالدي ، وكان يشرف على تنظيم القوات المسلحة وتدريبها صلاح الناظر وحسن حسونة ومحمد نمر عوده ، ثم انتدب صلاح الناظر مفتشاً للجبهة بامر من قائد القطاع حسن سلامة .

واما القوى المتحركة فقد كانت كما يلي : ـ

عدد المراكز	اسم المنظمة	المحاربون عددهم	اسماء رؤسائهم	نوع الاسلحة وعددها بنادق	رشاشات	ستن اوتومي		ملحوظات
١	منظمة الشباب	٦٠	عبدالرحمن السكسك	١٥	١	٧	٢٣	تكونت هذه المنظمة بعد اندماج (النجادة) و (الفتوة)
٢	الاخوان المسلمون	٣٠	حسن عبد الفتاح والحاج احمد دوله	٣٠	١	٢	٣٣	كان الاخوان المسلمون واعضاء منظمة الشباب يهبون للنجدة كلما دعت الحاجة
٣	فرقة العجمي	١٥	محمد الطيب الدجاني	١٥	ـ	١	١٦	مهمتهم حراسة الحي وشاطيء العجمي
٤	خرس اللجنة	٣٠	حليم ابو خضرا	٢٥	ـ	٢	٢٧	مهمتهم حراسة مقر اللجنة وتنفيذ تعليماتها وحراسة مداخل المدينه ومخارجها
٥	الحرس البلدي	٣٠(١)	عبدالرحمن القدومي	٣٠	١	ـ	٣١	مهمتهم حراسة المدينة
		١٦٥		١١٥	٣	١٢	١٣٠	

وكثيراً ما اشتبك هؤلاء المجاهدون مع اعدائهم اليهود في معارك دموية قامت على الحدود ودامت شهرين ونصف الشهر (٤/١٢/٤٧ - ١٥/٢/٤٨)، ورغم رداءة اسلحتهم وقلة ذخائرهم كانوا ينتصرون .

واعترف مناحيم بيغن ، زعيم الارغون ، ان تل ابيب قاست خلال هذه الفترة من الزمن من يافا ومن المنشية الشرسة وطأة الضرب الشديد ، وقد سقط من سكانها (اي من سكان تل ابيب) حوالي الف قتيل وجريح ؛ وبعد ان شبه مناحيم المنشية بسرطان ملتصق بتل ابيب قال : ـ « ان القناصين العرب كانوا يرسلون الموت الى كل مكان .

---

(١) كان لدى البلدية في اواخر عهد الانتداب مئة وخمسون شابا ، سمحت الحكومة بتسليحهم . كما سمحت بتسليح مثل هذا العدد من اليهود في تل ابيب بقصد الدفاع . ولكن رجال الحرس البلدي تبعثروا عند بدء النضال . فالتحق كل واحد منهم بمنظمة من المنظمات التي اختارها لنفسه . وبقي ثلاثون منهم يعملون تحت اشراف المجلس البلدي لحراسة المنازل والحوانيت .

وقد وصل رصاصهم الفتاك حتى العمارة التي تعمل فيها بلدية تل ابيب .

وانه ليجدر بنا ان نذكر هنا ان عدد المقاتلين في تل ابيب ما كان في يوم من الايام ليقل عن خمسة الآف مقاتل . وكان يعيش فيها ؛ عندمـــا نشب القتال (١٩٤٧) مئتا الف يهودي (١) .

وعلينا ان نذكر ايضاً ان تل ابيب نفسها كانت محاطة بعدد من المستعمرات اليهودية الواسعة : ـ كبتاح تيكفا (ملبس) ومكفا اسرائيل (نتير) واغروبنك . وهناك حول يافا ايضاً مستعمرات نذكر منها بيت فيجان (بيت بام) وهاتيكفا (حولون) وريشون لوتسيون (عيون قارة) . ومعنى ذلك ان يافا العربية كانت محاطة بالاعداء من كل جهة . واكثر المراكز اليهودية خطراً على يافا مكفا اسرائيل (نيتر) وعمارة حزبون الواقعتان على طريق يافا ـ القدس ، فقد حصنها اليهود تحصيناً تاماً : وراحوا منهما يقطعون كل اتصال بين يافا والقرى العربية الشرقية . وبينها وبين القدس ومطار اللد .

ومع هذا فان حماة يافا لم ييأسوا ، ولم يهنوا بل راحوا يقاتلون الاعداء بكل ماأوتوا من قوة وعزم واخلاص وكانوا كما قلنا ، ينتصرون .

وتقدم شاب من اهالي يافا اسمه (عيسى الكردي) باقتراح لنسف تل ابيب عن طريق مجاريها التي تصب في البحر عند حي المنشية ، وهي عريضـــة ومرتفعة يستطيع المرء ان يسير في داخلها والى حد بعيد وهو رافع الرأس وطلب تزويده بمقادير معينة من الجلنجيت واسلاك الكهرباء ، كما طلب تزويده بمهندس خبير في هذه الشؤون ، ولكن القائمين على

---

(١) كان في يافا ، قبل عام ١٨٨٦ م ، عدد ضئيل جـدا من اليهود . وكان هؤلاء يعيشون في الاحياء العربية متفرقين . ولكنهم ما عتموا ان رأوا من مصلحتهم ان يتكتلوا ، فراحوا يعيشون في مبان متلاصقة . ولم يمض زمن طويل (١٩٠٠ م) حتى رأيناهم يعيشون في حيين يهوديين متجاورين هما ـ (نيفي صادق) و (نيفي شالوم وفي ١٩٠٩ م قامت ستون عائلة يهودية فابتاعت قطعة من الارض مساحتها ١٣٠ دونما . ابتاعتها بمبلغ من المال استقرضته من صندوق (بيت المـال) اليهودى . وهي واقعة غربي الطريق الى نابلس وعلى بعد نصف ميل من الحد الاقصى لمدينة يافا . وانشأ هؤلاء على الارض اثنين وستين منزلا ، اطلقوا عليها اسم (تل ابيب) اي تل الربيع . ولم يبلغ عدد المنازل التي انشئت في السنوات الخمس التي سبقت اعلان الحرب (١٩١٠ ـ ١٩١٤) اكثر من مئـة وخمسين منزلا ، لان الاتراك لم يشجعوا الاستعمار اليهودى . ووقفت اعمال البناء في غضون الحرب (١٩١٤ ـ ١٩١٨) . ولكن ما كادت الحرب تضع اوزارها والعلم البريطاني يرفرف على البلاد حتى راحت تل ابيب تطلب الانفصال عن يافا . ففصلت (١٩٢٢) . وراحت بعدئذ تنمو وتتسع . فارتفـع عدد مبانيها من ٢٠٠٠ (عام ١٩٢٢) الى ٢٣٫٠٠٠ (١٩٤٧) وعدد سكانها من ١٨٫٠٠٠ (عام ١٩٢٢) الى ٢٠٠٫٠٠٠ (١٩٤٧)

رأس الامور لم يلبوا طلبه ، وفي قول انهم رأوا استحالة تنفيذه . ويبدوا ان اليهود اطلعوا على هذه الفكرة بوساطة عيونهم المنبثة بين العرب وانهم انتبهوا الى ذلك من تلقا انفسهم اذا لم يمض على قيام الفكرة اكثر من عشرة ايام حتى جاءوا . فسدوا تلك المجاري سدوها بالحديد والاسمنت المسلح ، وقدتم ذلك في اواخر شهر كانون الثاني ومع ذلك فقد لبث اليهود في قلقهم طيلة شهر شباط .

ومما زاد في قلقهم ان المناضلين من ابناء يافا اتقنوا صنع القنابل والالغام . فأسسوا كما سبق وقلنا مصنعين :- احدهما لصنع القنابل اليدوية، وآخر لراجمات الالغام ، والقنابل صنعوها من اوعية ومواد كانت قبلا تستعمل لاطفاء الحريق . وقد وضعوا في كل وعاء مقداراً يتراوح بين عشرة وعشرين كيلوغراماً من المواد المتفجرة وكانت قوة الهدم فيها عظيمة جداً .

جاء في مجلة (الهدف) (١) المقدسية لمنشئها برهان الدجاني « ان شاباً يدعي (علي جبر) المعروف بالكتان (٢) صنع الغاما صاروخية ، وانه هو واخويه محمود وزكريا كثيراً ما استعملوا هذه الالغام في نسف السيارات والمصفحات اليهودية ، وانه جعل من انبوبة البوتاغاز آلة للفتك بعد ان نشرها في شكل مدفع واتخذ الوعاء المستعمل لاطفاء الحريق قنبلة له فوضعه في الانبوبة وراح يقصف بها الاحياء اليهودية ، فنشر فيها الخوف والذعر .

واقتبس اليهود ، عن العرب ، فكرة صنع الالغام بهذا الشكل ، فاستعملوها ، بعد ان ادخلوا عليها بعض التحسين ، وكان طول الواحدة من راجمات الالغام اليهودية ٧٥ س.م: وقطرها ٢٠ س.م. واما اللغم العربي فكان طوله ٦٠ س.م.

واري ان نقف هنا قليلا لنستمع الى ما قاله مناحيم بيغن زعيم الارغون عن راجمات الالغام العربية وعن وقعها في الاوساط اليهودية قال : - « ان الالغام التي استعملها العرب دمرت احياء يهودية كاملة، وان احياء اخرى اخليت يومئذ من سكانها .فهامت الاف العائلات على وجوهها في قلب المدينة ، وعاش الآف آخرون في الملاجيء والاقبية شهوراً طويلة .

وقال غيره من الكتاب : « ان الرعب استولى على اليهود الى درجة انهم راحوا يفكرون في الرحيل ، حتى انهم استحضروا اربعين باخرة من بواخر السفر الكبرى وراحت هذه ترابط في ثغر تل ابيب استعداداً لنقل السكان فيما اذا احتل العرب تل ابيب

---

(١) العدد ١٦ التاريخ ١٩ ايار ١٩٥٠

(٢) اليهود هم الذين اطلقوا عليه هذا اللقب (   ) . ومعناه بالعبرية (الصغير)

وكان عدد كبير من اغنياء تل ابيب يقضون لياليهم في تلك الايام على مقربة من الشاطئ وفي البواحر .

ولقد ساء الوضع في تل ابيب الى درجة انهم اطنبوا على الانجليز ، فتدخل هؤلاء وارغموا العرب على ان يتوقفوا عن استعمال راجمات الالغام ، ليس هذا فحسب ، بل صادروا المدفع الذي استعمله العرب الرجم . وهو من صنع محلي .

ولم يكن العرب في الحقيقة بقادرين على المثابرة في صنع الالغاء ، لعدم توفر الكحل الاسود وما الى ذلك من المواد الصاروخية ، وكانوا قد عجزوا عن اقناع اللجنة العسكرية بدمشق كي تمدهم بالمال اللازم لشراء هذه المواد ، او تمدهم بالسلاح والقنابل والالغام وقد حملوا اليها لغماً من الالغام اليهودية التي سقطت في يافا ولم تنفجر ، ولكن دون جدوى

كذلك كان الوضع في اواسط شهر كانون الثاني ١٩٤٨ ، وهو على علاته في صالح العرب ، ولكن ما كاد ذلك الشهر ينتهي حتى راحت تتجاوب في الفضاء اصداء الاختلافات من جديد . فرأينا رئيس البلدية الدكتور يوسف هيكل الذي كان على خلاف مع اللجنة القومية يختلف ايضاً مع القائد الجديد الذي انتدبته اللجنة العسكرية بدمشق آمراً لحامية يافا ، وهو الرئيس عبد الوهاب الشيخ علي (١) ، فقد جاء هذا من دمشق على رأس قوة مؤلفة من ثمانين متطوعاً . وكان ذلك في ١٤ شباط ١٩٤٨ وقد جهزته اللجنة العسكرية (٢) بخمسين بندقية تشيكوسلوفاكية ومئة (٣) بندقية المانية وخمس عشرة الف وخمسمئة طلقة انكليزية وخمس عشرة الف طلقة من عيار ٨مم و ١٦٧٥ طلقة المانية وطن ونصف طن من المتفجرات ارسلت هذه الاسلحة الى يافا في ٢٦ كانون الثاني ١٩٤٨ .

ويقول طه باشا الهاشمي في مذكراته (٤) ان الرئيس عبد الوهاب الشيخ علي عندما مر بجسر اللنبي في طريقه الى يافا طلب اليه ان يزور الملك عبد الله ، ولما عاد الى عمان

---

(١) انه عبد الوهاب بن الشيخ علي بن الشيخ عبد اللطيف شيخ عشيرة العزة من لواء الديالة من اعمال العراق . اخرج من الجيش العراقي بسبب اشتراكه بحركة رشيد عالي الكيلاني . وأدين . وكان من العاملين في قيادة الثورة سنة ١٩٤١ .

(٢) اقرأ الكتاب الذي ارسله القائد العام الى آمر حامية يافا بتاريخ ٢٣ شباط ١٩٤٨ .

(٣) رقم ٢٢٥ - قال عادل نجم الدين انه عندما تسلم حامية المدينة لم يجد من هذه البنادق ، سوى ٣٠ بندقية . واما المطلعون على حقائق الامور فيقولون انه (اي عادل) ما كان يخرج الى الاستحكامات ليرى ما فيها من أسلحة ، وكان يقضي معظم وقته بالا طائل تحته .

(٤) اقرأ العدد ١٦ من جريدة « الحارس » البغدادية بتاريخ ١٢ آذار سنة ١٩٥٣

وزاره قال له الملك : – « ان المقاومة تافهة وانــه لا سبيل الى العرب لمقاتلتهم اليهود ومن ورائهم انكلترا واميركا . » ومضى الملك في حديثه فقال : – (ان اهل يافا يميلون اليه ، وانه مصمم على الحاق القسم العربي من فلسطين بشرق الاردن .)

ويقول للذين اطلعوا على انباء هذه الزيارة انها هبطت عزيمة الرئيس عبد الوهاب ، فلم يمكث في يافا سوى بضعة أيام ، وقد غادرها في ١٥ شباط ، ويقول طه باشا انــه ما كان لينسحب لولا الفوضى والتدخل في شؤون القيادة والمشاحنات الــتي كانت قائمة بين اتباع المفتي ورئيس البلدية يوسف هيكل .

فقد اختلف مع الشيخ حسن سلامه وحاول ان يقنع الزعماء المحليين ان المناضلين غير مدربين تدريبا كافيا وان تدريبهم يجــب ان يتم في معسكر (قطنة) بالشام . الا انه لم ينجح . كما انه لم ينجح في اقناع (اللجنة العسكرية بدمشق) ان تزيد حامية يافا ، وان تزودها بالاسلحة الاتوماتيكية والمدافع الثقيلة ، وقــد رفع اليها طلبه باللاسلكي مؤكداً انه لا يمكن التغلب على اليهود بغير ذلك ،

ولما لم يجب الى طلبه انسحب من يافا ولما ينقض على وصوله اكثر من اسبوع وقيل انه سافر الى الشام ليتابع طلبه ، ولما لم يلبوه رفع استقالته ، فاسف القوم لما جرى ، اذ كان هذا من احسن الضباط العراقيين الذين هبطوا البلاد وكان من المقدرة والاخلاص على جانب عظيم ، وفي الليلة التي غادر فيها المدينة قام اليهود بهجوم عــلى (ابي كبير) فقتلوا في تلك الليلة ستة عشر عربياً ، واتهم بعض العائلات بالتجسس لحساب اليهود ؛ فسجنهم حسن سلامه متهماً اياهم بانهم هم الذين اخبروا العدو بسفر عبد الوهاب .

هذا ما ورد في مذكرات طه الهاشمي ، وما كان يرويه بعض الاشخاص ممن كــان يطيب لهم الدخول في مهاترات عائليــة ، وقد اكد لي كثيرون ممن ينتمون الى اللجنة القومية ان كلام الهاشمي عن الفوضى والتدخل في شؤون القيادة وعن المشاحنات بــين اتباع المفتي ورئيس البلدية ، مبالغ فيه كثيراً ، وان الهاشمي ورجال اللجنة العسكرية كانوا يبالغون في وصف الاختلافات المحلية خصيصاً ليغطوا فشلهم ، وان عبد الوهاب الشيخ علي استقال من منصبه احتجاجاً عــلى اللجنة العسكرية لتقصيرها في تسليح المناضلين ، وان اتهام بعض ابناء العائلات بالتجسس لحساب لليهود (والمقصود هنا همــا الدكتور حمدي التاجي واخوه حكمت) اتهام لا مبرر له ، فان الاول (الدكتور حمدي) مــن أخلص الشباب الذين اشتركوا في الحركة الوطنية منذ عام ١٩٣٦ وكــان طبيب الثورة وكذلك قل عن اخيه (حكمت) الــذي كان رئيساً للمحكمة العسكرية في قيادة الثائر الفلسطيني المعروف عارف عبد الرزاق ، حتى ان الشيخ حسن سلامه قائد القطاع الاوسط

الغربي الذي اعتقلهما (١٩٤٨) بتهمة التجسس ، عاد فاطلق سراحهما عندما أيقن انهما بريئان واعتذر لهما عما بدر منه تجاههما .

ولقد استبدل الرئيس عبد الوهاب بالمقدم عادل نجم الدين . فقد عين هذا في اليوم السادس عشر من شهر شباط ١٩٤٨ . وجاء الى يافا في ٢٢-٢-٤٨ فتسلم قيادتها .

وجاء مع عادل نجم الدين عدد من الضباط العرب نذكر منهم الملازم الاول شناوة عود والمرشح اسماعيل قاطع (١) والملازم مهدي صالح (٢) ،والملازم محي الدين والملازم ابراهيم الاعظمي ، والرئيس عبد الجبار الشمري ، وجاء معه ايضاً عدد من المتطوعين العراقيين ٣ اتراك وأربعة عشر المانياً .

وأمر عادل ان يخضع لاوامر الشيخ حسن سلامة من حيث القتال ، وللقيادة العامة من حيث الادارة .

وفي الامر الذي اصدره القائد العام ألفت حامية يافا يومئذ من خمسمئة مقاتل: مئة من المتطوعين النظاميين واربعمئة من المجاهدين الدائميين . يضاف اليهم المسلحون المحليون الذين يتطوعون للقتال من تلقاء انفسهم .

اما الالمان فراحوا يعملون في تركيب الالغام وزرعها مشتركين في ذلك مع فرقة التدمير الباقية . يقودها الحوت ، انهم وان كانوا شرسين في طبائعهم ، الا انهم جريئون انهم هم الذين نسفوا مقر قيادة الهاغانا في بيت يام ، وهم الذين نسفوا مكامن الاعداء في حزبون (٣) ، واما الاتراك فكانت مهمتهم التعاون مع المناضلين العرب في بناء الاستحكامات وتحصين المواضع ذات الاهمية الاستراتيجية . ومن الذين ابلوا بلاءً حسناً في تركيب الالغام وزرعها ضابط تركي من مسلمي روسيا اسمه ابراهيم ،وكان هذا يعمل في المنشية مع احمد عبد الحليم اليافي . ولكن ، كان ينقص الجميع العتاد بالوانه .

---

(١) قرأت في تقرير رفعه طه باشا الهاشمي الى السكرتير العام لجمعية انقاذ فلسطين ببغداد بتاريخ ٥-١-١٩٤٩ رقم ١١٧-١٤ « ان محكمة قوة اليرموك حكمت على هذين الضابطين العراقيين من ضباط جيش الانقاذ بالسجن ثلاث سنين لانصرا فهما الى سلب المدنيين الفلسطينيين وزجهم في السجون وتعذيبهم وبيع الاساحة بدلا من الدفاع عن المناطق الموكلين في الدفاع عنها ».

(٢) قال طه باشا الهاشمي في تقريره المؤرخ ٦-٧-٤٨ رقم ٥١٠٧ ١٤ « ان مهدي صالح هذا تصرف باسلحة جيش الانقاذ تصرفاً غير مشروع ، وانه باع في اسواق بيروت تلك الاسلحة مع الاسلحة التي غنمها المجاهدون من العدو ، وانه لهذا السبب سجن شهراً ، ثم طرد من الخدمة »

(٣) نسف المناضلون من ابناء يافا والقرى المجاورة لها ما تبقى من هذه العمارة بتاريخ ٢٠ آذار ١٩٤٨ والذي اشرف على نسفها هو الشيخ حسن سلامه قائد ذلك القطاع .

قال العميد الركن طه باشا الهاشمي في مذكراته (١) ان رئيس الوزارة السورية جميل مردم ابرق اليه في ١٧ شباط ١٩٤٨ من مصر يقول ان خمسين الف طلقة المانية وخمسين الف انكليزية وستين الف ايطالية ارسلت الى الموظف المصري في رفح باسم يافا، وانه (اي الهاشمي) امر المقدم عادل نجم الدين بالسفر حالا ليكون على رأس مهمته في يافا ويتسلم العتاد المذكور قبل ان تتناهبه الايدي.

ولكننا لم نعثر على ما يؤيد او ينفي وصول هذا العتاد الى ايدي المجاهدين، وانه لمن العسير ان نصدر حكمنا - في هذا الصدد. لانا لم نستطع الاتصال بالقادة المسؤولين عن العتاد في تلك الفترة من الزمن.

فقد حدثني مصطفى الطاهر، من اعضاء اللجنة القومية ان اللجنة طلب اليها يومئذ ان ترسل الى رفح مندوباً عنها ليتسلم اسلحة واعتدة، وانها انتدبت رئيس حرسها حليم ابو خضرا، فسافر هذا الى رفح والعريش، ولكنه لم يجد هناك لا سلاحاً ولا ذخيرة. وبعد ان خابر الهيئة العربية العليا سافر الى القاهرة. ولكنه لم يعد من هناك لا هو، ولا السلاح الذي ذهب من اجله، ولم يغادر نجم الدين يافا صوب الجنوب ابداً

وان جاء في المذكرات نفسها ان اللجنة العسكرية تلقت من الشيخ حسن سلامه في ١٨ شباط كتاباً يقول فيه ان حامية يافا كانت يومئذ عبارة عن خمسمئة مقاتل، وان المصلحة تقضي بتقوية الحامية في قطاعه، وطلب استخدام ٣,٦٠٠ متطوع للقتال في ذلك القطاع (١,٥٠٠ في يافا و ٥٠٠ في سلمه و ٥٠٠ في بيتا والباقي ١,١٠٠ في اللد والرملة ويازور وصرفند وقلقيلية).

ويقول الهاشمي انه اجاب الشيخ حسن بقوله ان مهمة ذلك القطاع هي الدفاع فقط والمشاغلة الى ان يتم حشد قوات الانقاذ فيها!...

وانا لم نعثر ايضاً على ما يؤيد او ينفي وصول اسلحة اخرى ذكرها العميد طه باشا الهاشمي في موضع آخر من مذكراته (٢) وقال انه تقرر ارسالها الى يافا بتاريخ ٢٢شباط ١٩٤٨ وقدرها ١٠٠٠ بندقية افرنسية و ٣٠,٠٠٠ طلقة من طلقات المدافع الرشاشة الافرنسية و ٣,٠٠٠ طلقة المانية و ٤٠٠ قنبلة يدوية ورشاشان من طراز ستن مع ٧٥٠ طلقة، وطن ونصف طن من المتفجرات.

وان كنا قرأنا في اضبارة المخابرات التي تركها الشيخ حسن سلامة بعد وفاته ان السلاح

(١) اقرأ العدد ١٧ من جريدة (الحارس) البغدادية الصادرة بتاريخ ١٩ آذار ١٩٥٣.

(٢) اقرأ العدد ١٦ من جريدة الحارس البغدادية بتاريخ ١٢ آذار سنه ١٩٥٣.

الذي كان في يافا بتاريخ ٦ آذار ١٩٤٨ كان عبارة عن ٧٢٥ بندقية و٣٠ رشاشا (تومي او ستن) و١٥ رشاشا خفيفا واربعة مدافع هاون .

وفي موضع آخر من تلك الاضبارة اضطلعنا على تقرير جـاء فيه ان عدد الاسلحة والمناضلين في يافا كان في اليوم الثاني من شهر آذار كما يلي : —

الجبالية : فيها ٨٧ رجل ٥٠ بندقية = ١٠ فرنسية ٥ ايطالية ٥ المانية ٣٠ انكليزية رشاش ستن ٩ جنود يوغوسلافيون ببنادقهم .

ابو كبير : فيها ١٣٠ رجل ٥٠ بندقية ٤ رشاشات (٣ برن ١ F.H. فرنسي) وفيها ١١ مصري بأسلحتهم .

كوم التوت : فيها ٣٢ رجل ١٢ بندقية (٤ منها غير صالحة) ٤ رشاشات ستن . وفيها ١١ مصري ببنادقهم .

المسلخ : فيها ٣٥ رجل ٢١ بندقية (١٦ انكليزية ٣ فرنسية ٢ المانية) ورشاش برن .

تل الويش الشمالية : (١) منطقة ابو الديوك . فيها ٥٢ رجل ٢١ بندقية (٧ فرنسية ١٣ المانية ١ انكليزية) .

منطقة طاسو : فيها ٣٢ رجل ٢١ بندقية .

تل الويش الجنوبيه الغربية ، فيها ١٢٩ رجل ٦٠ بندقية (الصالح منها ١٩ بندقية) . وفيها برن ١ وهوشكس ١ .

ويبدو ان عادل نجم الدين رأى أن هذا المقدار مـن السلاح والمناضلين لا يكفي للدفاع عن يافا ، ولهذا سافر في اليوم التالي (٩ آذار سنة ١٩٤٨) الى دمشق . وطلب من القيادة العامة ان تزوده بخمسة مدافع من مدافع الميدان وخمسين رشاشاً من طراز برن ، ومئة رشاش خفيف من طراز تومي وستن ، وخمسة مدافع من المدافع المضادة للدبابات ومليون طلقة من مختلف الانواع ومقادير كافية من القنابل والبنادق والمتفجرات . كما طلب رفع حامية يافا الى الف وخمسمئة مجاهد دائمي خلا المتطوعين النظاميين .

ومما قاله المقدم عادل المجنة يومئذ (٩ اذار سنة ١٩٤٨) ان العتاد الايطالي المرسل من مصر عن طريق رفح فاسد ، ولهذا لم يكن باستطاعته استعمال البنادق الايطالية التي كانت لديه ، وان ما يصلح للاستعمال من هذه البنادق الايطالية عشرين فقط ، وان لديه (غير هذا) ٨٠ بندقية افرنسية . وان القوة التي تحت امرته تتألف من فصيل عراقي وفصيل يوغوسلافي ، وفصيل من سرية الملازم الاول العراقي عبد الجبار وانه يعمل الآن على تجنيد المتطوعين من أبناء يافا .)

---

(١) هذا ما قاله الهاشمي في مذكراته المنشورة في العدد ١٧ من جريـدة (الحارس) العراقية بتاريخ ١٩–٣–١٩٥٣ .

فزودته اللجنة بخمسة وسبعين مقاتلا من المتطوعين الحمويين الذين تدربوا على القتال في معسكر (قطنا) يقودهم الملازم حمود الخطيب من الضباط السوريين المتقاعدين. وزودتهم بالسلاح الفرنسي (؟) وتسلم عادل من اللجنة في الوقت نفسه خمسين بندقية انكليزية و ٤ رشاشات فرنسية.

عاد عادل الى يافا في ١١ اذار ١٩٤٨ يرافقه المتطوعون الحمويون. وزودتهم اللجنة القومية بكل ما كانوا في حاجة اليه من فراش وغطاء وا كل وسيارات واسلحة.

وما كاد هؤلاء يصلون الى يافا حتى تركوها ولما يمكثوا فيها اكثر من ثلاثة ايام (١٤ آذار ١٩٤٨) تركوها بعد ان نهبوا من الاهلين ما شاء النهب ان يكون، تاركين تل الريش وجبهته مفتوحة للاعداء ويقول الهاشمي الذي نقلنا عنه هذا النبأ (١) ان الملازم الاول عبد الجبار العراقي (٢) هو الذي حرض الحمويين على الفرار من يافا. وانه اعتصم بوادي الصرار وان المقدم عادل نجم الدين تمكن بعد ئذ من اقناعهم فعادوا الى يافا بعد ان اعتذروا للشيخ حسن سلامه عن عملهم انهم وان عادوا الى يافا الا ان الحماس الذي كان يتأجج في صدورهم كان قد انطفأ: وفقد الضباط الذين يقودونهم من عراقيين وسوريين سيطرتهم عليهم. وعلى المتطوعين الاخرين. وكان هؤلاء كما سبق وقلنا خليطا من الامم ينتمون الى مختلف الطبقات. ولم تكن لديهم الخبرة الكافية في فن القتال وما كانوا مسلحين تسليحاً يدعو الى الاطمئنان.

في ١٥-٣-٤٨ استعمل اليهود ولاول مرة راجمات الالغام فقصفوا بها يافا، وهي

---

(١) اقرأ مذكراته المنشورة في جريدة الحارس العراقية المتقدم ذكرها.

(٢) انه عبد الجبار الشمرى وكان شرسا للغاية صادر اسلحة المناضلين كما صادر مؤن الاهلين • ولم يفعل شيئا لاحتلال معسكر وادي الصرار الذي اخلاه البريطانيون

جاء في تقرير رفعه مفتش المتطوعين العام طه باشا الهاشمي الى السكرتير العام لجمعية انقاذ فلسطين بتاريخ ٥-١-١٩٤٩ الرقم ١١٧-١٤ «ان محكمة قوة اليرموك حكمت على هذا الضابط (الملازم الاول عبد الجبار عبد الوهاب القيسي) بالسجن خمس سنوات لمصادرته اسلحة المناضلين، وتركه القرى المجاورة له من غير سلاح، الامر الذي نتج عنه رحيل الاهلين عنها «وجاء في قرار المحكمة» ان المذكور شجع الحمويين على مغادرة يافا في احرج الظروف: ولم يثبت مع المجاهدين المرابطين في ساحة الشرف والجهاد.

عبارة عن الغام محشوة بالديناميت والجلنجيت طولها ٧٥ س م وقطرها ٢٥ س م شديدة الانفجار ولها صوت مزعج فاخترع اليافيون مثلها ولكنهم عجزوا عن تدبير المواد الاولية التي لابد منها .

وفي ٢٠-٣-٤٨ قاموا بهجوم كبير على تل ابي كبير ، فدمروا بعض المنازل والاستحكامات العربية ولكن العرب صدوهم بعد ان قتلوا منهم ٣٦ يهودياً بينهم ثلاثة من قواد الارغون ؟ .

وفي ٢٢-٣-٤٨ عادوا فقصفوا يافا براجمات الالغام وكادوا يقتحمون المدينة لولا ان صمد لهم المناضلون . وردوهم على اعقابهم .

وفي ٢٣-٣-٤٨ اعاد اليهود الكرة على ابي كبير فقصفوها براجمات الالغام ، وهدموا من منازلها ونسفوا مدرستها وقتلوا زهاء عشرة من حماتها وجرحوا عشرة آخرين ولكنهم صدوا . فابرق آمر الحامية في ٢٤ آذار الى اللجنة العسكرية في دمشق طالباً منها تزويده بالبنادق والمدافع والرشاشات والرجال ليتمكن من صد الهجمات المتكررة التي راح اليهود يشنونها على يافا دون انقطاع .

من شهداء العرب في شهر اذار : (١) الضابط كاظم الحسن الذي استشهد في معارك البصة (٢) والضابط فؤاد العظمة (من الجيش السوري) الذي استشهد في حزبون ، ويبدو ان تلك المعركة فتحت عيون اليافيين اكثر من ذي قبل . فالفوا من بينهم وفداً مهمته ان يقابل ولاة الامور وان يشرح لهم حقيقة الحال فغادر الوفد يافا في ٢٢ اذار ١٩٤٨ وكان مؤلفا من السادة :—

صلاح الناظر (١) ، محمد سليم ابو لبن ، عبد الله الناقة ، وكان هذا هو المسؤول عن معركة ابي كبير . غادروها ميممين دمشق حاملين معهم لغماً لم ينفجر من الالغام في الليلة السابقة ولما اجتمعوا بالعميد طه باشا الهاشمي في اليوم التالي واروه ذلك اللغم ، طلبوا منه ان يزودهم بسلاح مثله ، او اقل منه ليتمكنوا من صد عادية اليهود .

وفيما كان اعضاء الوفد يحاول اقناع العميد كي يعمل شيئا من اجل انقاذ يافا ؛ التحق بهم عدد آخر من رجال يافا . نذكر منهم السادة :—

رفيق التميمي ، امين عقل ، احمد ابو لبن ، الحاج ظافر الدنجاني ، محمد نمر عودة ، مصطفى الطاهر ، واجتمع هؤلاء جميعاً بالعميد طه باشا الهاشمي . وكان ذلك في ٢٨ آذار فاوضحوا له الوضع الحاضر في يافا ، وهو وضع قاتم وطلبوا منه العون . فما كان من

---

(١) اقتبست هذا الحديث عنه وقد نشرته جريدة العودة في عددها ٣٠ الصادر بتاريخ ٢ تموز سنة ١٩٥٣

العميد الا ان رفع سماعة الهاتف ، وتظاهر كأنــه يتحدث الى المسؤول عــن مستودع الذخيرة فقال ؟ بصوت سمعه الحاضرون : «هالو! هالو! هيئوا اسلحة اوتوماتيكية خفيفة ومدافع ثقيله ؟ واعتدة متنوعة ، وارسلوها الى يافا حالاً !...

وعندما شرح الوفد للعميد خطورة الموقف في يافا ولاسيما من ناحية البحر ، لانعدام وسائل الدفاع عند الشاطىء ، قال لهم هذا : « لقد اوصينا لكم على بوارج حربية !...»

عندئذ ادرك الوفد مبلغ السخف الذي الم باللجنة العسكرية ، تلك اللجنة التي تدير معارك فلسطين من وراء مكاتبها في دمشق .

ويبدو ان اللجنة كانت تأثرت بعد استماعها لبيان الوفد فقررت ارسال سريــة القادسية الثالثة .

وقــد تم تجهيز تلك السرية في دمشق خصيصاً لانجاد يافــا .وفي ٢٦ آذار سافرت السرية . وكان يرافقها سرية من المتطوعين اليوغوسلافيين يتراوح عددهم بين الخمسين والستين وهم مسلمون من سكان البوسنة ، يقودهم الميجرشوقي شقيق مفتي المسلمين في يوغوسلافيا وكانوا من الاخلاص على جانب عظيم . وقد تولوا الدفاع عن المنــاطق الخطرة في البصة والمنشية وسكنة درويش .

وبلغت حامية يافا بمجيء هؤلاء المتطوعين وبالذين تطوعوا للقتال من ابنائها الفاً وخمسمئة مقاتل . وكان هؤلاء في اواخر شهر اذار موزعين في اطراف المدينة كما يلي :

عدد المناطق	اسم المنطقة او الحي	عدد المناضلين	نوع الأسلحة وعددها: بنادق	رشاشات	ستن أوتوبي	المجموع	ملحوظات
١	الجبليــة	١٨٠	٨٠	٢	٥	٨٧	كلهم من سكان يافا
٢	كرم صوان	١٣٠	٥٠	١	٢	٥٣	بينهم ٣٠ درزيا لم يمكثوا الا قليلا
٣	القرية العربية	٦٠	٢٠	١	٣	٢٤	كلهم من سكان يافا
٤	سكنة درويش	١٣٠	٦١	١	٣	٦٥	بينهم ١٠ حجازيون ويمنيون (١)
٥	تل الريش	١٦٠	٧٠	٢	٣	٧٥	بينهم ٢٥ حجازيون ويمنيون
٦	طاسو وحمو	٣٠	١٠	١	—	١١	بينهم ١٠ حجازيون
٧	كرم التوت	٦٠	٢٥	—	٣	٢٨	بينهم ثلاثة مصريون ينتمون الى جمعية مصر الفتاة
٨	المسلخ	١٠٠	٤٠	١	٢	٤٣	بينهم ٥ مغاربة
٩	ابو كبير	١٨٠	٧٥	٢	٨	٨٥	كلهم من سكان يافا
١٠	البصة	١٥٠	٤٥	٣	٨	٥٦	بينهم ٣٠ حجازيون يمنيون
١١	المنشية الشرقية والمحطة	١٥٠	٦٠	٣	١٠	٧٣	بينهم ٥٠ درزيا
١٢	المنشية الشمالية	١٥٠	٢٥	١	٧	٣٣	كلهم من سكان يــافا
١٣	الميناء	٣٠	١٣	—	٢	١٥	كلهم جنود مسرحون
		١٥٠٠٠	٥٧٤	١٨	٥٦	٦٤٨	

هذا ما قاله لي كثيرون ممن اشتركوا في القتال او كانوا عــلى اتصال بحركة النضال

(١) ان الحجازيين والمغاربة واليمانيين الذين انخرطوا في صفوف المجاهدين من ابناء يافا كانوا فيها قبل بدء القتال . وكان اليافيون يستخدمونهم لحراسة بياراتهم .

في يافا . وهو يخالف ما ذكره آمر الحامية عادل نجم الدين الى اللجنة العسكرية في تقريره الذى رفعه اليها بتاريخ ٢٨ آذار ١٩٤٨ . اذ قال ان حامية يافا كانت يومئذ عبارة عن ٤١٠ مقاتلاً منهم ٩٠ نظاميون (٣٠ عراقيون و٥٠ يوغوسلافيون و١٠ مصريون) و٣٢٠ يافيون . وكان عدد البنادق في ايديهم على قول عادل نجم الدين كما يلي :

١٥٠ بندقية انكليزية ٥٠ بندقية المانية ٥٠ بندقية افرنسية وقليل من البنادق الايطالية من غير عتاد .

ويقول العميد الركن طه الهاشمي الذي نقلنا عنه هذا الخبران اللجنة العسكرية قررت اثر ورود هذا التقرير انجاد يافا بثلاثين بندقية افرنسية وعشرين الف طلقة افرنسية وعشرين ألف طلقة المانية وثلاثة مدافع هاون ، وبعدد من القنابل اليدوية والالغام .

ولكنه لم يقل لنا فيما اذا كانت هذه الاسلحة قد ارسلت الى يافا او لم ترسل ، وفيما اذا كانت وصلت الى ايدى المجاهدين او لم تصل ؟

ولقد اطلعت على تقرير رفعه قائد المنطقة الى القيادة العامة بتاريخ ٢٩ آذار ١٩٤٨ جاء فيه أن ما انفق في سبيل الدفاع عن يافا منذ بدء النضال حتى ذلك التاريخ بلغ ١٨٥و٦٧ جنيها فلسطينيا (١) . صرف منه :

جنيه فلسطيني	
٢٤١٩٤	ثمنا للذخائر والقنابل والالغام
٤٨٦٥	ثمنا لاطعام المجاهدين
١٠٤٢٤	رواتب للمجاهدين
٥٠١٧	نفقات القلاع والتحصينات
٣٧٣٥	ملابس للمجاهدين
٣١٦٥	اجور التطبيب والمعالجة والمستشفيات
٢٨٠٠	ثمن مصفحات
٢٠١١	اجور نقل وبنزين وسفريات
٩٧٤	دفن الشهداء واعانات
١٨٥و٦٧	

(١) استغرب عضو نافذ من اعضاء اللجنة القومية في يافا صدور مثل هذا التقرير عن نفقات الدفاع من القائد نفسه ، مع انه لم يكن هو المسؤول عن الصرف ، وانما اللجنة القومية التي كانت تلبي جميع طلباته ، وكان لها محاسب وامين للصندوق ولجنة مالية .

ومضى التقرير يقول ان اللجنة العسكرية لم تدفع من هـذا المبلغ سوى ٣٥٠ جنيها والباقي جمع من الاهلين .

وقامت بين المجاهدين واليهود في ٣١ اذار معركة غنم فيها المجاهدون عددا من السيارت والمصفحات هذا بالرغم من الموقف الشائن الذي وقفه الحمويون . فقـد قرأت في تقرير رفعه آمر حامية يافا الى فوزي القاوقجي ان موقف الحمويين في تلك المعركة لم يكن مما يدعو الى الرضا . ليس هذا فحسب . فقد ترك الحمويون المكان والمعركة قائمة . آخذين معهم سيارة جيب ومصفحتين ومقداراً من الذخائر كان المناضلون في اشد الحاجة اليه. وقد اموا وادي الصرار . ولقد زاد في الطين بلة ان اختلف عادل نجم الدين مع رجالات يافا (المجلس البلدي واللجنة القومية) بسبب الطريقة التي اتبعها في ادارة شؤون المدينة وفي تدوير دفة القتال . فعهد بالاعمال الهامة كلها الى رجاله . واستبدل الرؤساء المحليين المرابطين في مراكز الدفاع والذين لم يقصروا في واجباتهم في يوم من الايام ، بعراقيين وحمويين ويمنيين لا يعرفون عن المدينة ومداخلها وسكانها الا القليل . وراح الفريقان يتراشقان التهم .

فراح المتطوعون العراقيون والسوريون يتهمون ابناء البلاد بخور العزيمة وفتور الهمة قائلين انهم السبب في تغلغل اليهود في الارض المقدسة ، فلولاهم ، ولولا الاراضي التي باعوها لليهود لما تمكن هؤلاء من توطيد اقدامهم. والانكى من هذا انهم اي المتطوعين (العراقيين والسوريين) راحوا يصادرون من ابناء البلد اسلحتهم . وراح ابناء البلد من الناحية الاخرى ، يتهمون العراقيين والسوريين بالجهل والغطرسة واتخاذ الحرب الفلسطينية وسيلة لقاء لبانتهم ، فملاءوا جيوبهم بالرواتب والارباح الـتي اتتهم عن طريق النهب والسلب . وها هم يقضون معظم اوقاتهم في الحانات وبيوت الدعارة ، بدلا مـن ان يقضوها في ميادين القتال .

وكان بين رجال جيش الانقاذ عدد من اليهود الناطقين بالضاد ، وكان هؤلاء ينتمون الى مصلحة التجسس اليهودية . ولم ينكشف امرهم الا بعد حين . اذ كانو يتقنون اللغة العربية ، لغة البلاد ، اتقاناً تاماً ، ومن الجواسيس الذين كانوا يعملون على حساب اليهود شاب تركي يدعي (عباس آلباس) فقد كان هذا كاتباً في المحكمة المركزية . ولم يكتشف امره الا بعد حين ولقد القى رجال حامية يافا القبض عليه وعلى عدد آخر من الجواسيس الآخرين فاعدموهم بعد أن اعترفوا انهم جواسيس ،وطردوا عدداً كبيراً من اليهوديات وجدن في بيوت الدعارة وكن جاسوسات . وبالاضافة الى الجواسيس الاجانب مـن

من يهود فلسطينيين ويهود عراقيين وحلبيين وجد ويا للاسف عدد قليل من العرب كانوا يشتغلون لمصلحة الاعداء، ومن الجواسيس العرب الذين فضح امرهم بعدحين (ابراهيم الاعظمي) الذي القى عليه رجال الشرطة بالقدس القبض وزجـوه في السجن ومنهم ايضاً (لطفي يعقوب)كان هذا يشتغل مديراً لمطبعة (الصراط المستقيم) العربيةوكان ينقل الى جريدة (حقيقة الامر) اليهودية اخبار العرب . وقد اكتشف أمره بعد ثلاثة شهور ، وسيق الى المحكمة العسكرية ، فأدانته ، وحكمت عليه بالاعدام، ومنهم ابراهيم الفاروقي الذي كان متزوجاً من يهودية ، ولقد حوكم هذا ولما لم تثبت عليه التهمة ، اكتفي بطرده من البلاد .

حدثني صديق من ابناء يافا الذين كانوا على اتصال باللجنة القومية ان انكليزياً اتاه يوماً يخبره أن لديه معلومات هامـــة عن اليهود ، وعـــن مواضعهم القائمة تجاه (ابي كبير) وانه يريد أن يدلي بهذه المعلومات الى الرجل المسؤول عن القتال في ذلك القطاع ولا يستطيع أن يدلي بها الى غيره لانهـا من الاهمية بمكان ، فسهل له الصديق مهمته ، وأرشده الى ضالته . وما لبث صاحبنا أن تمكن من الاجتماع الى عددمن المناضلين والاطلاع على خططهم ومواضعهم ولم ينقضي على ذلك أربعة وعشرون ساعةحتى كان اليهود يقذفون تلك المواضع بوابل من قنابل المورتر وقاذفات الالغام . فدكوها دكاً ، وجعلوا عاليها سافلها وقتلوا عدداً غير قليل من المناضلين كانوا يرابطون فيها وفيما حولها وهكذا كان الصديق . . . ذلك الرجل الساذج المعروف بطيب قلبه السبب ـ السبب مـن حيث لا يدري ـ في انهيار تلك الناحية من نواحي القتال في يافا . وثبت بعدئذ ان ذلك الانكليزي الصديق كان ككثيرين غيره من ابناء جلدته ، يعمل لحساب اليهود ، وانه كان قبل ذلك الحادث وفي السنوات الاخيرة من عهد الانتداب ، من اخطر رجال الاستخبارات في البلاد .

هذا قليل من كثير عن الجواسيس وعما قاموا به من تخريب في الناحية الغربية .وبلغ سوء الادارة بعادل نجم الدين الى درجة ان المتطوعين كانوا يتمردون عليه ويهاجمون مقر قيادته فارضين عليها طلباتهم التي لا تطاق .

والغريب ان هذه المآسي كانت تجري في يافا ، دون ان يكون للقيادة العامة في دمشق أي خبر بها . لا ولا جاء الى يافا احد من رجال تلك القيادة أو من رجال جيش الانقاذ القابعين في الشمال ليروا ما الذي جرى ، الامر الذي جعل اليأس يدب في افئدة اليافيين ، فنفرت قلوبهم وراحواهم أيضاً ينسحبون ، والذين استطاعوا أن يكظموا غيظهم ويقبعوا

في ميادين القتال وكانوا الى الآن يعملون من غير اجر ، راحوا يطالبون بالاجر اسوة بأمثالهم المتطوعين المنتمين الى جيش الانقاذ وكان الجندي الواحد يكلف جنيهاً في كل يوم بين اكل وشرب وراتب وملبس وذخيرة .

والغريب في الامر ان أحداث يافا كانت تجري في مجراها هذا ، على مرأى ومسمع من عادل نجم الدين ، ولم يكلف نفسه مؤونة البحث أو يستشير رجالات البلد في احسن الطرق واحكمها لتهدئة الحال وتلافي الخطر ، وعلينا أن نعترف ان رجالات يافا ايضاً ابدوا في هذا السبيل عجزاً يستحق التدوين : فقد اكتفوا بالشكوى وما كانت لتجدي شكاويهم التي رفعوها الى طه الهاشمي والى العقيد محمود الهندي والى سائر اعضاء اللجنة العسكرية بدمشق .

ولقد اطلع اليهود على هذا الوضع وعلى الخلاف الذي قام بين رجال يافا وعادل نجم الدين ، وكانوا قبل ذاك مطلعين على الخلاف الذي نشب بين المنظمات القومية من ناحية والبلدية واللجنة القومية من الناحية الاخرى ، وكذلك قل عن الخلاف بين موسى العلمي والحزب العربي الذي يرأسه جمال الحسيني .

وكثيراً ما عالجت الصحف المحلية ذلك الخلاف على صفحاتها ، هذا فضلا عن الاخبار التي لا بد وأن تكون قد وصلتهم عن نفاذ الذخيرة ورداءة الاسلحة العربية ، فاغتنموا الفرصة ، وراحوا يشدون الخناق على المدينة ويقذفونها بمدافعهم ، وكانت هذه مزودة بعدد وفير من القنابل التي نهبوها من المعسكر البريطاني ذي الرقم ٨٠ بتاريخ ٤ نيسان ١٩٤٨ وعندما أوقفوا القطار عند الكيلو ٤١ بين الخضيرة وبنيامينا بتاريخ ١٧ نيسان ١٩٤٨ وقد نهبوا في هذين الحادثين مقادير وفيرة من قنابل المورتر والهاون ومن المدافع الرشاشة وبنادق الغاز الخانقة وسائر انواع الاسلحة (١) وكان اليهود في هذا المضمار (اي مضمار الحصول على الاسلحة باية وسيلة كانت) اكثر مهارة واوسع حيلة من العرب .

فقد حدثني صديق اثق بصدق روايته وكان يعمل في مكاتب الجيش البريطاني بصرفند ان اليهود شروا من الجيش دبابة من طراز (شيرمان) زنتها ثلاثون طناً ، شروها بأربعة آلاف جنيه . . . وقال انه عرض على مناضلي يافا شراء دبابة مثلها ، مع ثلاث سيارات محملة عتادا بألف جنيه . ولكن اللجنة القومية التي بحثت هذا العرض في اجتماع

---

(١) اقرأ ما كتبناه عن هذين الحادثين في موضع اخر من هذا الكتاب ، عند ذكرنا للحوادث التي جرت في ٤ و١٧ نيسان ١٩٤٨ .

دام ساعتين قررت رفضه . واكتفت بعدد من البنادق الاعتيادية ابتاعتها من الجنود الذين عرضوا الدبابة .

وحدثني صديق آخر ، وهو ثبت ، ان ارمنياً معروفاً جاء الى اللجنة القومية ، فقال لها ان لديه في قبرص ثلاثين دبابة خفيفة ، وانه على استعداد لبيعها من اللجنة لقاء مبلغ قدره خمسة عشر الف دينار ، مشترطاً ان لا يقبض فلساً من ثمنها قبل وصولها ؟ فانتدبت اللجنة احد اعضائها مصطفى الطاهر لاستشارة اللجنة العسكرية وسافر هذا الى دمشق وتولى ابلاغ اللجنة العسكرية بواسطة واحد اعضائها عزة دروزة ولكن اللجنة ماطلت اولاً ، ثم اعطت جوابها بالسلب .

وحدثني صديق آخر . وهو ثبت ، ان رجلا انكليزياً كبيراً عرض على اللجنة القومية بيافا ان يبيعها اسلحة كانت في المعسكر البريطاني بصرفند ، وكان هو من المسؤولين عن صيانة ذلك المعسكر . وكانت الاسلحة التي عرضها عبارة عن ٣٥٠ بندقية و ٤٠ رشاشاً من طراز برن و ٢٠ مدفعاً من مدافع الميدان ومقداراً لا بأس به من القنابل اليدوية والقذائف المدفعية . وطلب لقاء ذلك مبلغاً قدره ثلاثون الف جنيه . وارسل الرجل ، عربوناً أو عده سيارتين مليئتين بقنابل المورتر من عيار خمس بوصات . ولما لم يكن لدى اللجنة القومية ما يكفي لدفع الثمن المطلوب انتدبت الشيخ حسن سلامة لمطالبة الهيئة العربية العليا اولاً والامانة العامة لجامعة الدول العربية ثانياً . وسافر هذا الى مصر ، فراجع المفتي . ثم راجع رجال الجامعة ، فقرر هؤلاء منحه ومنح زميله عبد القادر الحسيني قائد القطاع الشرقي لتلك المنطقة وكانوا يسمونها المنطقة الوسطى معاً خمسة آلاف جنيه فقط . وضن اغنياء المدينة على حسن سلامة بما طلب ، وهكذا فشل المشروع ولم يحصل العرب على الاسلحة التي كانوا في اشد الحاجة اليها ، وان كانوا قد تمكنوا من شراء مقدار لا بأس به من الاعتدة والذخائر ، وماكانت هذه لتعوز المجاهدين في يافا . لا ، ولا كانت تعوزهم الاسلحة الخفيفة . ولكن، كانت تعوزهم المدافع والاسلحة الثقيلة .

وهكذا بينما كان العرب حائرين لا يدرون ماذا يفعلون ؟ ايشترون من الجند سلاحاً ام لا يشترون ؟ وكان الخلاف على أشده بين ابناء المدينة ورجال الجيش الذي جاء لانقاذهم كان اليهود يعملون على تقوية صفوفهم ، وكانت هذه قد تقوت بالاسلحة التي حصلوا عليها والتي ذكرناها في الاسطر المتقدمة فقاموا في ٢٣ نيسان ١٩٤٨ بأكبر هجوم على تل الريش وتوغلوا في داخل الحي زهاء مئة متراً .

ولكن العرب رغم ما في ايديهم من اسلحة قليلة وما دب في صفوفهم من فرقة ما لبثوا أن جاءوا فأخرجوهم منه ، بعد ان كبدوهم ٧٥ قتيلا . وقتل من العرب اثنان

وعشرون ثم اعاد اليهود الكرة في ٢٤ نيسان فهجموا على المنشية وتمكنوا من احتلال محطة السكة الحديدية ومركز البوليس ، واستمات العرب في الدفاع عن هذه المواضع ايضاً واخرجوهم منها ولو كان لدى العرب اسلحة ثقيلة كافية لتعقبوهم حتى تل ابيب . ولكن لم تكن لديهم الاسلحة الكافية . لا ، ولا الاعتدة ، وراحت البرقيات تنهال على اللجنة العسكرية بدمشق ، وكانت هذه قد ارسلت اليهم بتاريخ ٢٣ نيسان خمسين بندقية تشيكوسلوفاكية ، وفي ٢٥ نيسان تسلم الدكتور يوسف هيكل من اللجنة نفسها مئة بندقية وخمسا وعشرين الف طلقة ورشاشة برن هذا مع خمسة آلاف طلقة لها ولست ادري ان كانت هذه المئة بندقية هي التي قال لي صالح صائب باشا رئيس اركان الجيش العراقي سلمها الى الدكتور هيكل قبل سقوط يافا (١) وقبل ان يتمكن العرب من توزيع هذه الطلقات والافادة منها كر اليهود على يافا مرة اخرى في وقت متأخر من مساء اليوم الخامس والعشرين من شهر نيسان . وكانت حملتهم في تلك الليلة وفي النهار الذي تلاها اقوى من اختها التي سبقتها . اذ جاءوا في مئة سيارة حشدت لهذه الغاية في معسكر (دوف غرونر) برامات غان ، جاءوا مزودين بآلات القتال ، يبغون الاجهاز على يافا ، وقدر عددهم يومئذ بثمانمائة مقاتل . واختيرت مدرسة الاليانس مقراً للقيادة . واشترك في هذا الهجوم رجال منظمتي الارغون والهاغانا . الاولون بقيادة جيدي (جدعون) وهو قائد الحملة ومناحيم بيغن رئيس المنظمة وهو القائد العام . وكان يراقب الحملة عن كثب . واما رجال الهاغانا فقد كانوا بقيادة (غاليلي) و(يفيئال يادين) ومن القواد الذين اشتركوا في الحملة (يهوشع) و (ايلي) و « كابتسان » و (رحاميم) (وصدوك) واشترك فيها ايضاً عدد غير قليل من النساء .

وكان الهجوم موجها يومئذ صوب المنشية . وكان اليهود مزودين بمدافع الهاون والمدافع القوسية (المورتر) (٢) والمدافع الرشاشة من طراز برن ومقادير كبيرة من القنابل التي غنموها

---

(١) اكد لي السيد مصطفى الطاهر من اعضاء اللجنة القومية ان اللجنة لا تعلم شيئاً عن هذه الاسلحة التي قيل انها أرسلت للدكتور هيكل . لا ، ولا كانت القيادة تعلم شيئاً عن ذلك .

(٢) يقول مناحيم بيغن في مذكراته انه لم يكن لديهم يومئذ سوى مدفعين من المدافع القوسية (المورتر) من عيار ثلاث بوصات ، وان هذين المدفعين اللذين استولوا عليهما عندما سطوا على احد المعسكرات البريطانية لم يستعملا مدة طويلة لعدم وجود ذخائر لهما . ولما سطوا على القطار العسكري الذي ذكرناه في غير هذا الموضع واستولوا على ما فيه من ذخائر وكان ذلك بتاريخ ١٧ نيسان ١٩٤٨ وجدوا بينها مقدارا كبيرا من قنابل المورتر من ذلك العيار (ثلاث بوصات) ، لا ، بل انهم لم يجدوا في القطار غير هذا النوع من الذخائر . فاستعملوها في معركة يافا .

من المعسكرات البريطانية . وكان لديهم ايضاً مدفع مضاد للدبابات مـــن طراز (فيات) فراحوا يصبون النار على المدينة من غير حساب .

وراحت طلائع اليهود تتقدم ، وتقترب من الاستحكامات العربية الامامية . وراح حماة يافا يقاتلون الاعداء بنيران حامية وبأفئدة عامرة بالايمان . فتمكنوا من صدهم (١) وهكذا فشل الهجوم الاول الذي شنه اليهود على يافا في ٢٦ نيسان وكذلك قل عـــن هجومهم الثاني في ٢٧ منه هذا على الرغم من أن اليهود كانوا قد قطعوا (حوالي العشرين من نيسان) طريق يافا ـ القدس وقطعوا كل اتصال بينها وبين القرى العربية المجاورة ولم ينقطع تبادل النيران بين يافا وتل أبيب في ٢٧ و ٢٨ نيسان .

ونريد هنا أن نقف قليلا لنستمع الى مـــا قاله مناحيم بيغن زعيم منظمة الارغون في وصف هذه الفترة من معركة يافا قال :

في الوقت الذي اندفعت فيه وحداتنا لاحتلال الاستحكامات الامامية للعدو لعلع صوت مدفع رشاش ثقيل من طراز « شفنداو » وهو أقوى ناراً واشد مـــن « البرن » وأخذ يحصد المهاجمين . يا الهي .

لقد تعلمنا من استحكامات المنشية ما تعلمته جميع الجيوش في الحرب العالمية الثانية في قتال الشوارع ، وهو انك لا تجد استحكاماً حصيناً أفضل من أطلال البيوت الخربـــة المهدمة حول خطوط الجبهة وفي قلبها : لقد كان العرب يتخذون من اطلال هذه البيوت وخرائبها خطوط دفاع عن يافا ، وقد نصبوا عليها مدافعهم الرشاشة ، وظهر لنـــا ان خطوط الدفاع في جبهة المنشية كانت عميقة جداً مزدوجة ومثلثة وخماسية في كل خط منها ويظهر انها اقيمت على أيدي خبراء بحيث اذا استطعت الوصول الى الصف الاول منها فان الاجنحة والاستحكامات التي تليها تصب عليك النار والكبريت . وتعـــذر عليك

---

(١) كانت حامية يافا يومئذ مؤلفة من ٧٥٥ مقاتـــلا : ٤٠ عراقيون ٦٥ يوغسلافيون ١٥٠ سرية الملازم العراقي شناوة عدد ٥٠٠ يافيون . هذا ما قرأنه في مذكرات العميد الركن طـه الهاشمي في العدد ٢٧ من جريدة (الحارس) العراقية بتاريخ ٢٨-٥-٥٣ . واما اعضاء اللجنة القومية فيؤكدون ان حامية يافا كانت يومئذ عبارة عن (١٥٠٠) مناضلا ، هذا غير الذين كانوا يهبون للنجدة كلما دعت الحاجة لذلك . وقد حدثني الكثيرون من ابناء يافا ان اليهود خسروا في هجومهم الاخير هذا على المنشية ثمانين قتيلا . وان حامية المنشية كان يقودها يومئذ اثنان : احدهما من يافا وهو احمد عبد الحليم ، والثاني من مسلمي روسيا وهو تركي الاصل ، يدعى ابراهيم ، وان هذين الاثنين اشتهرا في تركيب الالغام وزرعها .

الاستعداد للقفزة الثانية .

لقد تخضبت الارض والحجارة والاطلال بالدماء ، وفي غرفة المراقبة تهشم رأس (صدوك) برصاصة اخترقته ، واخذت فرقة اسعاف الميدان تنقل القتلى والجرحى ، لقد سقطوا بالعشرات وكانت الدماء تقطر من جراحاتهم ومن قلوبنا أيضاً .

لقد فشل الهجوم الاول ، وارتدت عنه فلول وحداتنا ، لم نستطع اختراق تحصينات العدو وتدمير عنق الزجاجة ذي الشكل الهلالي ، وارتددنا على اعقابنا وانسحبنا عن الارض التي خضبناها بدمائنا .

عقدنا اجتماعاً استعرضنا فيه نتائج المعركة ، لقد فشلنا لاننا لم نقدر ميزات العدو وقوة ناره كما يجب ، وعقدنا اجتماعاً آخر وقع الاختيار فيه على خطة جديدة .

وراح «جيدي» يعيد تنظيم الصفوف من جديد ، ولكن العدو كان يقظاً واشتغلت عنده رشاشات (شفنداو) الثقيلة فكست المنطقة كلها بنار جهنم ، وكانت هجمات العرب المعاكسة عنيفة بحيث تداعت وحداتنا المقاتلة تحت وطأتها واضطرت الى الانسحاب ، وملأ الفراغ بقوات جديدة من الاحتياطي وكررنا على العدو ، ولكنه هزمنا في الجولة الثانية كما هزمنا في الجولة الاولى .

الى أن قال : —

لقد هاجمنا يافا بأفضل قوانا ، وأحسنها تدريباً ومراناً في القتال ، هاجمنا خمس مرات في يومين وليلتين ، وفي المرات الخمس رددنا على اعقابنا ، وحملنا من ميادين المعركة أبطالا أعزاء علينا ، حملناهم مضرجين بدمائهم ، وبلغ من صلابة حماتها ان فكرنا بالعدول عن اقتحامها ، واصدرنا الاوامر الى وحداتنا الامامية بالانسحاب ، ولكنها ، لاول مرة في تاريخ منظمة الارغون ، خالفت الاوامر ، فبقيت تحارب .

راح اليهود ، بعد هذا الانهزام ، يفكرون في احدى الوسائل للتغلب على يافا . هذه المدينة العنيدة التي كلفتهم الشيء الكثير ، فلم يجدوا افضل من المدافع وقنابل المورتر التي غنموها من الانكليز ، وكانت هذه لديهم من الكثرة بحيث ضمنت لهم النصر ، فراحوا يقذفونها بغير حساب ، وكسر اليهود ابواب المخازن في تل ابيب ، ونهبوا كل ما فيها ليستعملوه في القتال . وحشدوا جميع ما كان في المدينة ومن آلات وادوات ، ومن كان فيها من فتيان للخدمة والتعبئة والنقل ... وللقتال ... وخشي العرب عاقبة الامر ، فألفوا وفداً من بينهم وزار الوفد عمان في ٢٤ نيسان ١٩٤٨ ، وكان هذا ، يمثل سكانها على

اختلاف طبقاتهم واحزابهم ، وقابل اعضاء الوفد الملك عبد الله (١) فشرحوا لـه خطورة الموقف ، فقال لهم انه لا يستطيع ان ينجد يافا ، او يفعل شيئاً مـا في فلسطين قبل الخامس عشر من شهر ايار ١٩٤٨ وهو اليوم المحدد لانسحاب الانكليز من البـلاد واضاف الى ذلك قوله ان هناك اسباباً سياسية هي التي تربط الاردن بحليفتها بريطانيا . وهكذا عاد الوفد بخفي حنين يحمل معه مدفعاً واحداً من طراز هاوزر من عيار ٢٥ رطلاً فقط (٢) وانتشرت في الجو اثر عودة الوفد، شائعات لا حد لها ولا حصر .

---

(١) اكد لي صديق اثق بصدق روايته ان هذا الوفد سافر الى عمان بناء على الحاح انصار الملك الذين اكدوا لرجالات يافا مراراً وتكرارا انهم سمعوا الملك وهو يقول انه على استعداد لنصرة يافا الا اذا جاء وفد من سكانها يطلب منه ذلك . وفي قول ان هذه الزيارة وقعت في ١٩ نيسان .

(٢) والغريب في الامر ان فريقا من ضباط الجيش العربي الذين كانوا يرابطون على مقربة من يافا وقفوا من حوادث القتال موقفاً غير موقف مليكهم . فبينما كان هذا يثبط باقواله همم القائمين على شؤون القتال ويصارحهم انه لا فائدة ترجى من مقاومتهم ، حتى انه ود ان لو يتخلص بطريقة من الطرق من قائدهم حسن سلامة ، رأينا فريقاً كبيراً من اتباعه رجال الجيش العربي ، يقدمون للمناضلين كل مساعدة كانت في مقدورهم .

ولئن نسينا فلن ننسى الضابط (راضي عبد الله) ، من رجال اللواء الرابع الـذي كان يرابط في رام الله ، عندما التحق بحامية يافا اولا كمدرب ، ثم كضابط ارتباط بين الحامية وقيادة الجيش العربي فقد جاء هذا في اوائل شهر اذار . وظل يعمل في صفوف المناضلين بيافا حتى قبل انهيارها ببضعة ايام وكان معه عندما جاء اليها حوالي خمسين صندوقا من العتاد في كل صندوق مئتان وخمسون مشطا اي ١٢٥٠ طلقة اتي اليها في اواخر عهد القتال ، بمئة وخمسين بندقية من بنادق الجيش العربي من اصل تشيكي وخمسة عشر مدفعا من المدافع المضادة للدبابات من طراز (فيكرز) وبما يقرب من ثلاثين صندوق ملىء بعتاد هذه المدافع . ولكنه لم يوزع منها سوى خمسين بندقية وخمسة مدافع . والباقي اعاده الى مستودع الجيش ، اذ لم يجد في يافا من يستعمله ، وكانت المقاومة العربية بيافا في دور الاحتضار .

حدثني احد اعضاء اللجنة القومية ، مصطفي الطاهر ، ان الضابط راضي العبد الله اتى معه بشرذمـة من جنود الجيش العربي يرتدون الملابس المدنية، وان الاوامر التي أعطيت له كانت تقضي عليه بان يأتمر باوامر الدكتور يوسف هيكل رئيس البلدية ، وانه (اي راضي العبد الله) عرض على اللجنه القومية ان يأتي الى يافا بالعدد الذي تراه من مسرحي الجيش العربي شريطة ان تزودهم اللجنة برواتبهم (على اساس ١٥ جنيه للمتطوع الواحد في كل شهر) ، وان اللجنة عرضت هذا الاقتراح على الهيئة العربية العليا بواسطة قائد القطاع الاوسط الشيخ حسن سلامة ، فرفضته الهيئة ، قائلة : انها اذا ما قبلت هـذا الاقتراح تكون قد ربطت يافا بدولـة واحدة من دول الجامعة (هي الاردن) مع انها تريد ان تظل مرتبطة مع اللجنة العسكرية التي تمثل الدول العربية كلها ، والاردن منها .

ويقول محدثي ان همة الضابط راضي العبد الله فترت بعد هذا الحادث ، فاكتفى بتدريب المتطوعين

وراح رجال الطابور الخامس يقومون بالمهمة التي انيطت بهم فراحوا ينشرون في الجو سحائب قاتمة من الاخبار عن قوة اليهود ، وعن عزمهم على ابادة العرب كلهم . وكانت انباء جيفا وسقوطها بيد اليهود قد انتشرت في يافا ، فصدق الناس ما قيل وكانوا قد يئسوا بسبب الخلاف الذي دب في صفوف الزعماء وتصرفات جيش الانقاذ ، ودب الرعب في قلوبهم وراحوا يرحلون .

بدأ اليهود قصف يافا في ليل ٢٥ نيسان ١٩٤٨ قصفوها بمدافعهم القوسية «المورتر» والهاون . واستمر القصف ثلاث ليال (٢٦ و ٢٧ و ٢٨ نيسان) بمعدل ٨٥ قذيفة في الساعة . فخلت شوارع يافا من الناس . وتعطل دولاب العمل ، وراح الاهلون يرحلون.

وراح اليهود يزحفون من جميع الجهات (٢٨ نيسان) فاطلوا على البحر وعزلوا حي المنشية عن باقي الاحياء ووصلوا الى مفترق الطريق بين شارع بسطرس وتل ابيب وباتت حامية حسن بك معزولة تواجه اشد الاخطار .

وحدث في هذه اللحظة أن تظاهرت فئة من المجاهدين بالرغبة في الاستسلام ، ورفعت ايديها الى اعلى ولكن عندما اقتربت فئة من الاعداء منها اشهر احد افرادها مسدسه واطلق النار على قائد الفئة اليهودية فقتله ، فطار صواب اليهود ، وقتلوا القاتل وفيما كانوا يحاولون قتل الآخرين من رفاقه جاءت فئة اخرى من المجاهدين فانقذتهم وفيما كان رجال الارغون يحاربون في قطاع المنشية ، راح رجال الهاغانا يحاربون في قطاعي ابي كبير وتل الريش بقصد تخفيف الضغط عن الارغون ، وقد بدأوا القتال هناك ليلة ٢٧ نيسان ، ولكن حماة تل الريش الاقوياء صمدوا لهم الليل بطوله وقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، ولولا ان استنجد رجال الهاغانا بالارغون لما بقي منهم في ذلك القطاع حي يرزق ، وظلت تل الريش بعد ذلك - باعتراف مناحيم بيغن قائد الارغون - صامدة بضعة أيام ، ولقد أبلى سكان التل في هذه المعركة بلاء حسناً الا ان الموقف كان قد تضعضع في حي المنشية تضعضعاً تاماً ، فاتصل عادل نجم الدين باللجنة العسكرية في دمشق طالباً النجدة ، وسافرت في الوقت نفسه ، وفود كثيرة للغاية نفسها . وبات الناس يرتقبون وفود النجدة من الشام ، او نزول المصريين في ثغر يافا ، ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث ، وكل ما فعلته اللجنة العسكرية ان رئيسها طه باشا الهاشمي ابرق يقول :

من شباب (النادي العربي) الى ان غادر يافا في ٥ ايار ١٩٤٨ وقد رافقه يومئذ الدكتور هيكل وكان معها سيارات ملأى بالسلاح والعتاد الذي كان تحت اشراف البلدية . ولا يعرف احد شيئا عن مصير هذا السلاح الذي وصل الى عمان ، وحفظ في اكياس بمعسكر العدلي من معسكرات الجيش العربي . وفي قول ان الدكتور هيكل باعه بمبلغ كبير من المال الى شخص يدعى (جميل الصالح) في عمان .

(النجدة في الطريق ، اثبتوا في مراكزكم ، ولقد اتبعناكم بالقاوقجي وامرنا بانجادكم .)

وتسلم القاوقجي مهمة الدفاع عن يافا ، ولكنه لم يأت اليها ، لا ولا اقترب منها ، بل بقي حيث كان في شمال فلسطين ، وجاء عندما احتدمت معارك يافا ، الى عمان وكل ما فعله انه استبدل آمر حامية يافا المقدم عادل نجم الدين العراقي بالرئيس ميشيل العيسى اليافي ، استبدله والمعركة قائمة على اشدها ، وكان الرئيس العيسى آمراً لفوج اجنادين وقد ذكرناه في غير هذا الموضع من الكتاب ، امره القاوقجي ان يذهب مع فوجه (اجنادين) الى يافا ، ويتولى الدفاع عنها ، وامر ، في الوقت نفسه ، المقدم مهدي صالح العاني ان يرافقه ويعينه على القيام بمهمته ، وقد جهزه بفصيل من المدفعية واربع مصفحات .

وارى ان اترك هنا المجال الى المقدم مهدي نفسه ، ليحدثنا عما فعله في هذا السبيل قال (١) : ـ

بعد ان انتهيت من معركة مشمار هاعميك ـ تلك المعركة التي قدتها بنفسي ـ طلبني القاوقجي الى مقر قيادته ، وابلغني ان المؤتمر المنعقد في عمان ، والذي حضره هو ايضاً قرر ارسال فوج اجنادين بقيادة الرئيس ميشيل العيسى لنجدة يافا ، فقد جاء في الانباء انها مطوقة من اليهود ، وانها على وشك السقوط ، واما القوة التي تقوم بمساعدة هذا الفوج وادخاله فانها عبارة عن سرية من المشاة ومفرزة من الجيش السوري ومدفعين وثلاث مصفحات ، ولقد تقرر انتخابك لقيادة هذه الحملة . فعليك ادخال النجدة الى يافا مهما كلفك الامر ، على ان تعود بعد انجاز هذه المهمة ، الى نابلس .

واصدر القاوقجي امره الى القوات المتقدم ذكرها كي تتجمع في رام الله ، وتضع نفسها تحت قيادتي استخدمها كيف اشاء ، فامتثلت الامر ، وتجمعت في رام الله ، ومن هناك سرنا ليلا ، فما كادت شمس اليوم التالي تبزغ حتى كنا قد حططنا رحلنا في مدينة الرملة .

واتصلت فور وصولي الى الرملة ، بآمر حامية يافا المقدم عادل نجم الدين ، وكان خط الهاتف بين المدينتين لحسن الحظ لا يزال صالحاً للعمل ، فافهمني عادل ان الموقف

---

(١) اقتبسنا قوله هذا من مقال له نشرته صحف العراق . وقد زودني بنسخه عنه صديق لي وله بتاريخ ١٢ كانون الاول ١٩٥٢

على درجة قصوى من الخطورة ، وانه يكاد يكون من المستحيل الدخول الى يافا او الخروج منها بسبب سيطرة اليهود على الطريق عند مستعمرة نيتر المعروفة بـ (مكافاة اسرائيل) .

فبشرته بقرب الفرج ، ورحت اتقدم مع القوة التي اقودها صوب (يازور) : وعندما وصلنا هذه القرية امرت قائد المدفعية ان يبقى مع مدافعه وان يتأهب لقصف المستعمرة وابراجها والاهداف التي تعيق تقدمنا عندما تصله اول اشارة مني ، واما انا فقد امتطيت المصفحة ، وتقدمت ، وسار الفوج من خلفي ، وما كدنا نصل الى نقطة تقع على مقربة من المستعمرة حتى أطلق اليهود علينا وابلاً من رصاصهم ، فقذفونا بادىء ذي بدء بالنيران من مدافعهم الرشاشة ، ثم من مدافع الهاون ، عندئذ اعطيت الاشارة المتفق عليها الى قائد مدفعيتنا ، فراح يقصف المستعمرة ، وما هي الا بضع دقائق حتى انهار برجها على من فيه ، وتقدمنا بعد ذلك بالمصفحتين : فوقفنا فوق البرج والخنادق : وفر اليهود من هناك تاركين قتلاهم ، عندئذ تقدم فوج اجادين ، ودخل يافا ،واما انا فقد مكثت في مكاني الى ان اتتني رسالة من الرئيس ميشيل العيس تقول انه دخل المدينة واتخذ جميع ما يقتضي للدفاع عنها فحمدت الله على هذا التوفيق الذي لم يكلفني سوى شهيدين وستة جرحى .

فرجعت الى قرية يازور ، حيث تركت المدافع ، وهناك امرت آمر المدفعية ان يقصف تل ابيب ، فقصفها قصفاً شديداً ، وكان عدد القذائف التي استعملناها يومئذ (٢٨ نيسان) ستاً واربعين ، ورحنا نشاهد الحرائق والسنة اللهب تندلع في اماكن كثيرة ، الامر الذي حدا باليهود لان يدخلوا على الانكليز طالبين تدخلهم ، فتدخل هؤلاء ، ووافق آمر الحامية ونودي بالهدنة بين الفريقين (١) .

وصدعت انا للامر ، فعدت مع جنودي الى نابلس ، ولكنا ، قبل ان نتخلص من عناء السفر ، امرنا من لدن القاوقجي بالرجوع الى رام الله ، فرجعنا . وقد اضيف الى القوة التي كانت ترافقني ثلاث سرايا جديدة ، وكانت مهمتنا ، في هذه المرة ، ان

---

(١) كانت هذه حيلة يهودية ، ارادوا بها كسب الوقت . ولو ثابر مهدي على قصف تل ابيب ونشر قواته بين يازور وسلمة لقطع خط الرجعة على اليهود الذين كانوا قد احتلوا الخيرية وساكية وكفرعانة . ولو فعل ذلك لانقذ يازور وبيت دجن والسافرية من الخطر . ولما حدثت فاجعة يافا على الشكل الذي سنصفه لك في السطور التاليه .

تحول دون اجتياز اليهود الطريق (باب الواد) وكان اليهود قد استولوا على معظم المرتفعات المطلة على تلك الطريق ، وراحوا يرفعون الحواجز التي كان رجال الجهاد المقدس قد وضعوها بقيادة المرحوم عبد القادر الحسيني ، وكان لا بد من انقاذ الموقف الذي تحرج في قطاع باب الواد . (١)

هذا ما قاله المقدم مهدي عن مجيء فوج اجنادين الى يافا ووصول قائدها الجديد وقصف تل ابيب ، ولقد خف ضغط اليهود على يافا ، ولا سيما حي المنشية الذي كان هدفهم الوحيد في ذلك الحين ولكن ما لبثت اصوات المدافع العربية ان اختفت (٢) وانسحب المهدي فجأة من الميدان وانهارت قوة الدفاع .

وقام اليهود ، في ٢٨ نيسان ، بهجومين كاسحين على يافا : واحد في القطاع الجنوبي من يافا عند (تل الريش) والآخر من عند (المنشية الفوقا) . قاموا بهما في وقت واحد وكانوا مزودين بعدد كبير من المدرعات ، وقامت في القطاعين بينهم وبين العرب معارك طاحنة ، اما في (تل الريش) فقد تمكن العرب من صدهم ، فارتدوا الى الوراء تاركين زهاء ٢٥٠ قتيلا ، وغنم المجاهدون ما لا يقل عن ست مدرعات ، واما في المنشية فقد كان اليهود هم الغالبين ، واحتلوا الحي ، وذبحوا اهله لا فرق في ذلك بين رجال محاربين ، او مدنيين ونساء واطفال ، ومثلوا بالجميع اشنع تمثيل .

جرى ذلك كله في وقت كان القائد الجديد يتسلم فيه حامية المدينة ، وتفصيل الخبر ان قائد الحامية المقدم عادل نجم الدين العراقي استبدل كما سبق وقلنا والمعركة قائمة على على اشدها بالرئيس ميشيل العيسى اليافي آمر فوج اجنادين ، فقد اقيل (٣) الاول من لدن قائد جيش الانقاذ فوزي القاوقجي ، وتولى الثاني بامر من القائد نفسه مهمة الدفاع فجاء هذا في (٢٨ نيسان) مع فوجه المؤلف من ٢٤٧ نفراً ، ولقد زود بـ ٣٧٣ بندقية

---

(١) ذكرنا المعركة التي خاض غمارها هذا القائد في قطاع باب الواد ، والتي قاد فيها قطعات من جيش الانقاذ بتاريخ ١٢ ايار في الفصل الذي خصصناه لمعارك (باب الواد) فليرجع اليها من شاء .

(٢) روى الخبراء العسكريون ان انسحاب المدافع من هناك ادى الى سقوط الخيرية وساكنه وكفرعانة بسرعة غير منتظرة (٢٨ نيسان) وسقطت بعد ذلك يازور نفسها وبيت دجن (٣٠-٤) .

(٣) حدثني احد المطلعين على بواطن الامور ان الباعث على هذه الاقالة هو البرقية التي ارسلها عادل نجم الدين الى اللجنة العسكرية مكذبا فيها الاخبار التي اذاعتها محطة الانقاذ (اي جيش الانقاذ) اللاسلكية والتي جاء فيها (ان مدافع جيش الانقاذ دكت حصون نيتر ، وتركت معظم أحياء تل ابيب طعمة للنيران) .

و ٩ رشاشات و ٤ مدافع هاون (١) وراح يعمل بالاشتراك مع حامية المدينة التي كانت هناك ، وكان لديها ١٣٥ صندوقاً من العتاد وعدد من المصفحات واربع سيارات كبيرة مليئة بالمتفجرات ، فراح الجميع يعملون على صد هجمات اليهود .

ولكن عادل نجم الدين الذي تولاه الغضب بسبب القرار المتقدم ذكره ، انساق وراء عاطفته فانسحب من المدينة في ٣٠ نيسان ، رافضاً رجاء السكان ، ناسياً قوله تعالى (٢) « ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان ، انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا (٣)

وانسحب معه جميع الذين كانوا يأتمرون بأمره (٣٠٠ مقاتل) من ضباط وجنود ، عراقيين ويوغسلافيين ؛ انسحبوا مع اسلحتهم واعتدتهم . بعضهم عن طريق البحر والبعض الاخر عن طريق البر، حتى اليمانيين الذين عصوا في بادىء الأمر امره ، وجادلوا منعه من الفرار بالقوة ، فقد عادوا هم ايضاً وانسحبوا ، ولم يبق في المدينة سوى عدد ضئيل من المناضلين المحليين .

واما الشيخ حسن سلامه فكان قد انسحب من المدينة قبل ذلك بيومين ، وفي قول انه انسحب منها عندما تسلم جيش الانقاذ مهمة الدفاع عن يافا .

وبانسحاب عادل نجم الدين ورجاله عم الخوف ، وسادت الفوضى ، وقام الرعاع باعمال النهب والسلب . واشترك في تلك الاعمال بعض الرجال ممن جاءوا لانقاذ المدينة وعندما لامهم الناس راحوا يعتذرون بانهم انما اضطروا لذلك بسائق الجوع . وتوالت الاخبار بعد ذلك معلنة سقوط الخيرية وساكيه وكفرعانه وتطويق اليهود لقرية سلمه . فازداد الموقف حرجا وسادت الفوضى . ولما لم يستطع القائد الجديد ميشال العيسى أن يحول دون هذه الفوضى ، ابرق الى رئيسه القاوقجي مخبراً اياه بما جرى ، طالباً تزويده بما يرى . ولكنه لم يتلق اي جواب على برقياته المتكررة (٤) ، ولهذا انسحب هو ايضاً

---

(١) هذه الارقام اقتبستها من مذكرات آمر الفوج نفسه . وقد اطلعني عليها بعد خروجه من يافا

(٢) الاية ١٥٥ من سورة (آل عمران) .

(٣) ترك عادل نجم الدين وراءه في يافا سمعة سيئة للغاية . واذا ما ذكره القوم ثارت نفوسهم ضده . كان قبل مجيئه لفلسطين ، مقدماً في الجيش العراقي . واشترك في اخماد ثورة الاشوريين عام ١٩٣٣ ولما تقاعد ارسلته جمعية انقاذ فلسطين الى دمشق ليقود بعض العراقيين المتطوعين في حرب فلسطين

(٤) اطلعني ميشيل العيسى عليها ، بعد سقوط يافا . واليكها بالحرف الواحد .

«الى فوزي القاوقجي يكرر اللجنة العسكرية : »

«عادل يترك المدينة دون تسليم وبرفض التسليم -قف - الحامية انهارت واسلحتها تبددت ، المدينة والحامية في حالة فوضى، تامة وموقف عادل من هذا سلبي بل ربما ارتاح اليه - قف - نهب الجنود

مستعيناً برجال الجيش البريطاني الذين اركبوه في احدى مصفحاتهم واخرجوه من المدينة في ٥ أيار ، وكان يرافقه يومئذ ستة وعشرون جندياً من فوج اجنادين ، وغادر المدينة في اليوم نفسه معظم رجالات المدينة واعضاء اللجنة القومية فلم يبق منهم سوى احمد ابو لبن وصلاح الناظر ومحمد عبد الرحيم .

وارتفعت اسعار الكاز والبنزين ، فوصلت حداً لا يطاق ، اذ بيعت صفيحة الكاز بجنيه والبنزين بخمسة جنيهات . وكذلك قل عن اجور النقل . اذ بلغت اجرة السيارة بين يافا ومدن فلسطين مئة وخمسين جنيهاً ، وبينها وبين المدن الواقعة خارج فلسطين ثلاثمئة جنيه . والمركب المعد لنقل خمسين شخصاً راح يحمل خمسمئة شخص من النازحين وكثيراً ما اختل توازن بعض المراكب فانقلبت ، وغرق من فيها . وكان لا بد من عبور البحر من اجل الهرب ، اذ كانت يافا محاطة بالمستعمرات اليهودية ، والطريق البرية الوحيدة التي تربطها بالمدن العربية الاخرى (طريق يافا القدس) كانت واقعة تحت سيطرة اليهود المرابطين في مستعمرة نيتر والمستعمرات الاخرى القائمة على مقربة من تلك الطريق

امس متاجر متعددة لا تستطيع اية شخصية السيطرة على الموقف دون وجود جيش نظامي يدعمها — قف — ثمانون بالمئة من الاهلين رحلوا وسيل الرحيل متواصل بشكل محزن — قف — اللجنة القومية لا تستطيع مداومة اعمالها لانقطاع مواردها .

٣٠ — ٤ — ٤٨ ميشيل العيسى

فوزي القاوقجي يكرر اللجنة العسكرية

عادل غادر المدينة مع جميع العراقيين واليوغسلافيين بحراً والمدينة تكاد تكون مقفرة من السكان بعد ترحيل اليوم . مقدرة المدينة على تموين من تبقى من الحامية تتوقف غداً . اصدر القائد البريطاني امرا بوجوب ايقاف الضرب من الطرفين حتى منتصف الشهر الحالي . في حالة امتثال اليهود للامر ليس لدي ما يقف امامهم ، عدوى الفرار سرت لاجنادين . انتظر تعليمات مستعجلة .

١ — ٥ — ٤٨ ميشيل العيسى

فوزي القاوقجي يكرر اللجنة العسكرية

الحامية باسرها فرت كما فر القسم الاكبر من اجنادين — قف — اليهود يسيطرون على طريق يافا الرمله — قف — افران المدينة اوقفت العمل والاهلين ينهبون البيوت والمتاجر مع الجنود الفارين ولا توجد قوة تمنع هذا — قف — اطباء وموظفي المستشفيات لم يبق منهم سوى عشرين بالمئة . وحالة المرضى محزنة جدا — قف — نعاني صعوبات في ايجاد من يدفن الموتى — قف — الح في طلب تعليمات صريحة واضحة مستعجله .

٢ — ٥ — ١٩٤٨ ميشيل العيسى

وكان عدد النازحين في اليوم الواحد يتراوح بين الخمسة آلاف والثمانية (١)، وبلغ عدد الذين نزحوا الى غزة من يافا عن طريق البحر خمسة عشر الفاً.

فاغلقت المتاجر والمخازن والحوانيت والمخابز، وعز المنجدون، كما عز الرجال القادرون على دفن الموتى. وقطعت جميع الاسلاك، اسلاك البرق والهاتف واسلاك الكهرباء؛ وانقطع الماء، وامتلأت الشوارع بالاقذار. وابرقت الجمعية الطبية العربية الى ملوك العرب وزعمائهم طالبة نجدات طبية تساعدها على مواجهة الوضع الخطر من الناحية الصحية. وكان الجواب الوحيد الذي تلقاه سكرتيرها هو الذي ارسله مرافق بشاره الخوري رئيس جمهورية لبنان وقد جاء فيه ما يلي: ـ

«امرني فخامة الرئيس أن أعلمكم أن اربع بواخر ستبحر الى يافا لنقل المرضى والجرحى» هذا كان في الاسبوع الاول من شهر أيار. وقد انقضى الاسبوع الثاني دون أن تطل على يافا اية باخرة. وكانت الحال خلال ذلك تسير من سيء الى اسوأ. فانعزلت المدينة عن الخارج انعزالا تاما وخيمت عليها سحب قاتمة. ورحل عنها معظم سكانها فلم يبق منهم سوى اربعة الاف شخص. هذا من مجموع عدد سكانها وقد بلغوا في اواخر عهد الانتداب ٦٦,٢٨٠ نسمة، وكاد اليهود يقتحمون المدينة، لولا ان الجنود البريطانيين ـ وكانوا يومئذ بقيادة الجنرال موري والبريغادير مور منعوهم. ولقد اقاموا بين الفريقين سداً منيعاً قوامه الجنود والدبابات، قاصدين الحيلولة دون احتلال يافا قبل ان ينتهي الانتداب، ولم يأبه اليهود في بادىء الامر لامر الانكليز هذا. بل ارادوا المضي في زحفهم. الا ان الجنود البريطانيين راحوا يقصفونهم من معسكرهم عند المحطة فسقطت بعض القنابل في بيت يام، والبعض الآخر في تل ابيب (٢) وارسل المستر فولر حاكم اللواء الى رئيس بلدية تل ابيب الاضون اسرائيل روكاخ انذاراً جاء فيه انه اذا لم يقف الهجوم على يافا فان الجيش البريطاني سيتدخل في المعركة تدخلا فعليا، وسيخرج اليهود منها. ووقف طراد حربي في عرض البحر وراحت الطائرات البريطانية تحلق في الجو وضربت مستعمرة بيت يام فانصاع اليهود للانذار. ووقف القتال.

---

(١) من تقرير للاستاذ احمد حمدي الطاهر وضعه بتاريخ ١-١٢-١٩٤٩ وارسله الى الاستاذ محمود فهمي درويش سكرتير جمعية انقاذ فلسطين ببغداد.

(٢) زعم اليهود انه قتل منهم يومئذ احد عشر مقاتلا وجرح كثيرون وان بين القتلى القائدان (عوزي) و (يهوشع) من قادة الارغون.

ان ما فعله الانكليز في يافا يناقض كل المناقضة ما فعلوه في حيفا وصفد وطبريا وبيسان حيث اتاحوا لليهود احتلال هذه المدن ، بانسحابهم منها قبل انتهاء الانتداب واما يافا فقد منعوا اليهود عنها عندما انهارت المقاومة العربية . ليس هذا فحسب .فقد حدثني احد رجال القيادة الذين حملوا على درء الخطر عن يافا ان الانكليز باعوهم الفي صندوق من الذخائر اخذ الشيخ حسن سلامه الفا منها فاستعملها من اجل الدفاع عن القرى . واخذوا هم الفا . ثلثها بلا ثمن،والثلثان بثمن يتراوح بين الخمسة عشر والثلاثين من الجنيهات للصندوق الواحد . وكان الملازم الاول بويد الانكليزي يساعد المناضلين العرب . ولا سيما اولئك الذين تولوا نسف معملي السبرتو والمسامير على طريق القدس . ذانك المعملان اللذان اتخذهما اليهود حصنين ، وكانوا منهما يصطادون العرب

وقال آخرون ان الانكليز انما فعلوا ذلك وساعدوا العرب ليكتسبوا ودهم وثقتهم . وانهم عن طريق هذه الثقة تمكنوا من الاطلاع على ما كان يجري في صفوفهم . وكثيراً ما كانوا ينقلون اخبارهم الى اليهود . هذا فضلا عن ان تجارة الاسلحة كانت يومئذ رائجة ، عمل فيها مختلف الصفوف في الجيش البريطاني . ولطالما باعوا اليهود كما باعوا العرب اما لانهم ، اي الانكليز ـ كانوا في حيرة من امر تلك الاسلحة التي فاضت كثيراً عن حاجتهم . وان ارجاعها الى انكلترا يحتاج الى نفقات باهظة ، او لانهم كانوا يريدون ان يتفاقم الخطب بين الفريقين ولا سبيل الى تفاقمه الا اذا تسلح الفريقان .

هذا ما قيل عن الموقف الذي وقفه الانكليز من العرب واليهود في يافا . وهناك قول اخر لا بد من ذكره ، اذا ما اردنا ان نفهم السر الذي ادى لوقف القتال في يافا على النمط الذي ذكرناه .

فقد حدثني القائد حابس بك المجالي ان السرية الثانية من السرايا التابعة لكتيبته الرابعة كانت يومئذ تحاصر كيشر القريبة من جسر المجامع ، وكان يقودها عبد الله السالم ولقد ضيق هذا الخناق على المستعمرة حتى كادت تسقط بيده . حتى ان سكانها رفعوا علم التسليم . ومات منهم يومئذ مئة رجل . ولكنه قبل أن يدخل المستعمرة تلقى من الملك برقية أمره فيها الا يدخلها . ولما استفسر عن السبب قيل له ان الحكومة الاردنية قبلت رفع الحصار عن كيشر لقاء رفع الحصار اليهودي عن يافا .

وقيل ان الملك اتخذ هذه الخطوة اثر زيارة وفد جاءه من يافا مستنجداً ، طالباً انقاذ يافا . فامر برفع الحصار عن كيشر لقاء رفع الحصار عن يافا كما قدمنا .

وكان الوفد مؤلفا من امين عقل ومصطفى الطاهر ومحمد نمر عوده والفرد روك

ويوسف هيكل والقاضي بشاره عازر والشيخ راغب ابو السعود الدجاني :

ولقد حدثني احد اعضاء هذا الوفد بشاره عازر ، فقال : —

ان اجتماعا كان قد عقد في دار الحكومة بتاريخ ٢٦ نيسان ١٩٤٨ حضره عن العرب يوسف هيكل رئيس البلدية ، وادوار بيروتي من اللجنة القومية وعادل نجم الدين قائد قطعات الانقاذ وحضره عن اليهود كولونيل يهودي هو نجل بن غوريون زعيم الماباي ، والمحامي ماكس زليغمان . وعن الانكليز المستر فولر حاكم اللواء وتم الاتفاق في هذا الاجتماع على وقف القتال وجعلت المدرسة الاميرية في المنشية جدا فاصلا بين الفريقين المتحاربين .

ولكن هذا الاتفاق لم يدم اكثر من اربعة ايام اذ نقضه اليهود . فهاجموا العرب ونشبت بين الفريقين معارك جديدة ، اشترك فيها رجـــال جيش الانقاذ الذين اتوا الى يافا يقودهم الرئيس ميشال العيسى .

ولما تازم الموقف راح العرب يتشاورون هل يعقدون صلحاً مع اليهود ؟ ام ينزحون عن المدينة . وعقدوا لهذه الغاية اجتماعات عديدة وقد حضر الاجتماع الاخير الذي عقد في الثلاثين من شهر نيسان وفي دار محمد عبد الرحيم بالعجمي قائد الحامية ميشال العيسى وممثلون لجميع الهيئات والطوائف . فآثر المجتمعون باديء ذي بدء المضي في القتـــال على التسليم . ولكن اين السلاح الذي يحاربون به ؟ وهذا مـا حملهم على ان يتبعوا نصيحة القائد الذي نصحهم بالنزوح عن المدينة قائلا انه يتحمل المسؤولية .

عند ئذ اضمحلت المعنويات . وانهارت المقاومة . وبدأ النزوح فنزح معظم اليافيون عن طريق البحر . وقليل منهم عن طريق البر الى اللد فنابلس ورام الله وعمان .

ويقول مناحيم بيغن زعيم منظمة الارغون الذي قاد المحاربين اليهود في معركة يافا الاخيرة انه لولا سقوط يافا على هذا الشكل قبل نهاية الانتداب لما تمكن اليهود من صد المصريين اللذين راحوا فور انتهاء الانتداب يزحفون صوب تل ابيب ولـــكنهم وقفوا عند (يبنا) ولم يجرؤوا على انزال جنودهم في ثغر يافا .

ومهما كان الامر فقد عانت المدينة خلال الفترة التي انقضت بين اليوم الثاني واليوم الرابع عشر من شهر ايار من البلاء الوانا لا بسبب المعارك الحربية — اذ كانت هذه قد وقفت كما قدمنا — ولكن بسبب الفوضى واعمـــال النهب والسلب اذ راح اللصوص والقرصان ينسلون اليها من البر والبحر ، ومن كل حدب وصوب . حتى العدد القليل من المناضلين الذين لم يبرحوا المدينة ، والجنود البريطانيون اللذين اقامتهم السلطة للحراسة ،

فقد اشتركوا في اعمال السلب . ولقد سمح الجنود البريطانيون لمن شاء من الاهلين ان يغشوا عنابر الجمرك المعروفة بالـ(بوندد) وان يأخذوا منها ما يشاؤون ، على ان لا يمكث الواحد منهم في داخل المخزن اكثر من ساعة من الزمن ، وان يدفع لهم لقاء ذلك ثمانين جنيهاً فلسطينياً . وكانت هذه العنابر طافحة بالدقيق والسكر والارز ولحم البقر المعلب (بولي بيف) والزبدة الهولندية والاقمشة من مختلف الالوان .

وقامت في المدينة مظاهرات اشترك فيها الغوغاء والفوضويون وانفقد الامن بالمرة فهللت تل ابيب لهذا الوضع .وتنفس سكانها الصعداء وخرجوا من منازلهم وراحوا يجوبون الشوارع بحرية تامة ، بعد ان فقدوا الراحة ، وعاشوا في المخابىء اشهراً طوالا .

وتألفت في يافا ، (في ٣ ايار) لجنة اسموها (لجنة الطوارىء) مهمتها تدارك الخطب وانقاذ ما يمكن انقاذه . وانتخبت هذه من الاشخاص الذين بقوا في يافا من اعضاء اللجان وكان قوامها . ـــ محمد عبد الرحيم ، الحاج احمد ابو لبن ، صلاح الناظر ، امين اندراوس ، سعيد ابو زياد ، حسن ابراهيم بركات . وكان هؤلاء على اتصال بحاكم اللواء المستر فولر ومساعده المستر ليفاك . فزودهم باثنين وعشرين بندقية وصندوقين من الذخيرة وبمبلغ قدره ثلاثة آلاف جنيه يستعينون به على قضاء الحاجات الضرورية في مثل تلك اللحظة الرهيبة .

واعتبر الحاج احمد ابو لبن (١) المسؤول الأول عن شؤون المدينة فتسلم هذا مفاتيح الدوائر من حاكم اللواء ، اذ كان رئيس البلدية ، الدكتور يوسف هيكل ، قد نزح عنه حاملا معه الرصيد الباقي في صندوق البلدية وقد قدره بتسعة آلاف جنيه .

ووافق الفريقان (العرب واليهود) على اقتراح قدمه حاكم المدينة الانكليزي المستر فولر بجعل يافا منطقة (٢) مفتوحة غير ان اليهود ابوا ان يتم ذلك بوساطة الانكليز واصروا على التفاوض رأساً مع العرب . وتم التفاوض في تل ابيب . فامضيت الاتفاقية في ١٣ ايار ، ولقد استشار المندوبون العرب ، الملك عبد الله وعبد الرحمن عزام باشا الامين العام للجامعة العربية ، قبل الاقدام على توقيعها ، وفيما يلي نصها :

فيما بين قائد الهاغاناه في لواء تل ابيب (الذي يشمل بات يام وحولون ومكفة اسرائيل)وبين السكان العرب الذين تحيط بهم تل ابيب ومكفة اسرائيل .

في اليوم الثالث عشر من شهر أيار سنة ١٩٤٨ في مركز رئاسة الهاغاناه في لواء تل تل ابيب بما أن الموقعين بذيله : ـــ

احمد ابو لبن	صلاح الناظر
امين اندراوس	احمد عبد الرحيم

---

(١) يافي الاصل . ولد عام ١٩١٠ واكمل دراسته الجامعية في الجامعة الاميركية ببيروت .

(٢) أو غير مدافع عنها كما جاء في النص الانكليزي

يشكلون لجنة الطوارىء في يافا .

وبما انهم يقيمون في يافا لادارة شؤون العرب في المنطقة المذكورة اعلاه وذلك بعد ان أعلنوا يافا منطقة غير محصنة :

من اجل المحافظة على السلام وعلى مصالح العرب في المنطقة المذكورة .

لذلك فانهم يصرحون ويؤكدون ان جميع العرب في المنطقة المذكورة ممثلين لهم وانهم سينفذون جميع التعليمات التي اصدرها اوالتي سيصدرها لهم قائد الهاغاناة في تل ابيب واي ضابط معين او مفوض من قبله اليوم او فيما بعد منفردين او مجتمعين .

وكذلك فانهم يصرحون ويؤكدون بانهم قرأوا التعليمات الصادرة اليوم من قبل قائد الهاغاناه في لواء تل ابيب الى العرب في المنطقة المذكورة وانهم وقعوا هذه الاوامر اشعاراً منهم بفهمها فهما تاماً وانهم يتعهدون بتحمل المسؤولية التامة بتنفيذ هذه التعليمات تنفيذاً تاماً من قبل العرب.

ومن المفهوم ان الهاغاناه تحترم دوما وستحترم فيما بعد ميثاق جنيف وجميع شرائع وتقاليد الحرب الدولية.

واشعاراً بما تقدم قد وضعوا تواقيعهم في هذا اليوم الثالث عشر من شهر ايار ١٩٤٨ على هذا الاتفاق في رئاسة الهاغاناه في لواء تل ابيب .

قائد الهاغاناه في لواء
تل ابيب

احمد ابو لبن ، صلاح الناظر ، امين اندراوس
احمد عبد الرحيم

اننا نشهد بهذا ونؤكد صحة تواقيع احمد افندي ابو لبن ، وصلاح افندي الناظر، وامين افندي اندراوس واحمد افندي عبد الرحيم .

تعليمات صادرة الى السكان العرب

عن قائد الهاغاناه في لواء تل ابيب

بتاريخ ١٣ ايار سنة ١٩٤٨

بما ان ممثليكم وقعوا اتفاقية اليوم فانني آمر بما يلي :

١ - ان كل طلقة نارية تطلق على اية منطقة يهودية او على اي يهودي او على اي عضو من اعضاء الهاغاناه او اية مقاومة لهم ستعتبر سبباً كافيا لاطلاق النار على المذنب

٢ – تخزن جميع الاسلحة والذخيرة والعتاد الحربي مهما كان نوعه في المكان والزمان اللذين يعلن عنها فيما بعد ويجري تسليمها الى ممثلي . وكل من توجد في حيازته اية اجهزة عسكرية بعد التاريخ المذكور يعاقب بشدة

٣ – كل من له اطلاع اولديه اية معلومات عن وجود الغام او متفجرات صغيرة او ايـة اشياء كهذه يترتب عليـه أن يبلغ تلك المعلومات الى اقرب عضو من اعضاء الهاغاناه او ممثل من ممثليها. وكل من يخالف هذا الأمر يعاقب بشدة

٤ – (أ) على جميع الذكور الموجودين في المنطقة المحددة في الاتفاقية ان يجتمعوا فى المنطقة الواقعة بين شارع فيصل وشارع المختار وشارع الحلوة والبحر الى ان يتم تشخيص كل واحد منهم وفق الترتيبات التي سيعلن عنها فيما بعد

(ب) وفي غضون هذا الوقت كل ذكر يوجد خارج هذه المنطقـة يعاقب بشدة الا اذا كان مزوداً باذن خاص.

٥ – بعد اتمام التشخيص تصدر لجميع الاشخاص ، باستثناء اولئك المشار اليهم في الفقرة السادسة ، بطاقات هوية خاصة ويكونون احراراً بالعودة الى بيوتهم الاصلية الا اذا كانوا يقيمون في منطقة تعلن منطقة عسكرية .

٦ – يستجوب جميع الاشخاص الذين يعتبرون خطراً على السلام والامن في المنطقـة ويعتقلون عند الضرورة . وفي استطاعة ممثلي السكان العرب حضور هذه الاجراءات بصفة استشارية .

يعلن قائد الهاغاناه انه ليس في نيته توقيف او اعتقال الذكور من سكان المنطقـة المعينة رغم انهم قد اشتركوا او ان اي واحد منهم قداشترك في القتال سابقاً . وسيقتصر الاعتقال على المجرمين والاشخاص المشتبه بانهم خطر على السلم والامن .

٧ – ان عدد ومساحة الحظائر العسكرية اي المناطق التي لن يسمح للمذنبين دخولها ستحدد حسب المقتضيات العسكرية فقط وتسير الحياة العاديـة لجميع العرب المسالمين خارج تلك المناطق في جميع انحاء المنطقة .

٨ – يمكن لكل من يرغب في ترك المدينة من الذكور أن يقدم طلباً الى ممثلي للحصول على تصريح منه بذلك . وكذلك يمكن لكل ذكر عربي غادر يافـا ويرغب في العودة اليها ان يقدم طلبا للحصول على تصريح بذلك وستعطى التصاريح لدى التأكد من صحة الطلبات بشرط ان يقتنع قائد الهاغاناه بان الطالبين لن يشكلوا خطراً على السلم والامن وسيجري هذا بتعاون ممثلي السكان العرب الذين يعملون بصفة استشارية .

٩ ـ يحافظ على جميع الدوائر العامة من بلدية وحكومية كما هي ويحافظ على جميع المستندات والسجلات الموجودة فيها للرجوع اليها فيما يتعلق باية ادعاءات قد يتقدم السكان بها .

١٠ ـ يجب الحصول من ممثلي على تصريح بنقل اية اموال (املاك) واقعة ضمن المنطقة المحدودة قبل نقل تلك الاموال (الاملاك) .

١١ ـ تأميناً لتنفيذ هذه التعليمات واية تعليمات تصدر فيما بعد فانني اعين ممثلا عني ليساعد على اقامة دعائم القانون واستتباب النظام في يافا .

١٢ ـ تبذل مؤسسات الصحة والخدمات الاجتماعية التابعة لبلدية تل ابيب جهدها لمساعدتكم الى ان تعود الحياة الطبيعية الى يافا .

تلك هي الاتفاقية .

ولكن اليهود لم يأبهوا بها ، كما لم يأبهوا بالاتفاقيات التي امضيت قبلها في جهات اخرى ، اذ ما كاد الانكليز ينسحبون من المدينة في ١٤ ايار سنة ١٩٤٨ حتى اقتحموها ورفعوا الاعلام الصهيونية على مبانيها وعملوا فيها وفي مخازنها يد النهب والسلب (١) . وقتلوا من رجالها من قتلوا واخرجوا منها من اخرجوا ، واعتقلوا من اعتقلوا ، رغم انهم تعهدوا (في الاتفاقية) ان لا يخرجوا منها الا المجرمين ، ولقد جرى ذلك في اليوم الذي كان فيه ابناء يافا وفلسطين يتوقعون بفارغ الصبر دخول الجيوش العربية لانقاذهم . ولم يبق في يافا سوى أربعة آلاف نسمة (٢) . وقال مناحيم بيغن قائد منظمة الارغون ان

---

(١) قال في الصفحة ٢٣٦ من كتابه

ان شباب الارغون نهبوا الملابس والمجوهرات ، وراحوا يهدونها الى عشيقاتهم . واما المفروشات والصور والاواني الخزفية فقد نقلوها الى تل ابيب . وما لم ينقلوه مزقوه وحطموه . وقال لي صديق بقي في يافا . بعد ان وضعت الحرب اوزارها ، ان اليهود جمعوا كل ما وقعت عليه ايديهم من اشياء ثمينة كالسجاد والات الراديو والثلاجات والرياش الفاخرة ، وخزنوه ، بادىء ذي بدء ، في مدرسة الروم الارثوذكس بالعجمي . وانهم ظلوا يفعلون ذلك مدة ثلاثة شهور . ولما تجمع لديهم من ذلك الشيء الكثير ارسلوا السجاد الى الولايات المتحدة ، وباعوه هناك باثمان باهظة وبالعملة الصعبة . والاشياء الاخرى باعوها لمن شاء من يهود تل ابيب والمستعمرات المجاورة بثمن بخس . واما الاثاث البسيط فقد حرقوه في وسط الشوارع .

(٢) عاش هؤلاء في بادىء الامر ، متفرقين ، كل في منزله ، ولكن اليهود عادوا فحشروهم في حي واحد (هو العجمي) فعلو ذلك في ٢٨ تموز ١٩٤٨ وقد احاطوا ذلك الحي بسياج من الاسلاك الشائكة . وجعلوا الدخول اليه والخروج منه باذن من السلطة . وراحوا يوزعون المؤن عليهم بنظام وعن طريق لجنة مؤلفة من احمد ابو لبن وامين اندراوس ونقولا سابا .

منظمته وحدها خسرت في يافا الفاً بين قتيل وجريح اصيب معظمهم بعاهات مستديمة وان معارك سلمه ويازور وحولون كلفتهم ١٦٣ قتيلا و ٤٦٠ جريحاً ، هذا ولسنا ندري كم كانت خسائر الهاغاناه واليهود المدنيين بسبب هذه الحوادث ، واما ضحايا العرب فكانت كما يلي : —

القتلى ٤٥٠ (٣٠٠ مدنيون و ١٥٠ مناضلون) هذا من سكان يافا ، واما من الاغراب فالقتلى ٢٥٠ ، واما الجرحى فقد بلغوا زهاء سبعة آلاف نصفهم من سكان يافا ، والنصف الآخر اغراب ، ولقد عينت حكومة اسرائيل الموقتة ، فور احتلالها يافا ، حاكماً عسكرياً هو الاضون شيزيلك وكان هذا في عهد الانتداب موظفاً في ادارتها ، واصدر بن غوريون في ٢٢ ايار بوصفه رئيساً للوزراء ووزيراً للامن امراً الى القائد المسؤول عن منظمة الارغون طالباً اليه ان يضع نفسه وجنوده تحت تصرف ذلك الحاكم حتى صدور اشعار آخر ، هذا ما امكنني جمعه عن معارك يافا وفوق كل ذي علم عليم .

وبعد شهرين اقاموا بدلا من شيزيلك الاضون (ماير ليباديا) حاكماً على يافا وهو ام من يهود القدس .

وهكذا سقطت يافا .. المدينة العربية الجميلة .. عروس فلسطين ...

سقطت بيد اليهود ... وانها لكارثة بذت جميع الكوارث التي المت بها على مر الدهور فقد استوطنها الفينيقيون والكنعانيون ، ودانت لهم الفراعنة (١٤٧٢ ق م) وجعلها بنوا اسرائيل من نصيب سبط (دان) . الا ان سكانها ما لبثوا ان تقووا واخرجوا الدانيين منها ، فاحتلها الفلسطينيون وكان ذلك حوالي القرن الثالث عشر قبل الميلاد .

وفي الحروب التي قامت بين العبرانيين (في الجبال) والفلسطينيين في السهول) والتي انتهت بانتصار الاولين في حكم داود (١٠٠٠ ق م) ، بقيت يافا خاضعة لحكم الفراعنة وكانت من اهم مرافئهم التجارية ، ورأى سليمان الحكيم من مصلحة بلاده أن يساير المصريين فتزوج من اميرة مصرية ، وسمح له باستيراد الخشب من صور الى اورشليم عن طريق يافا فبنى به الهيكل .

وخضعت بعدئذ لسلطان الاشوريين (حدد نيرارس) ٨٠٣ ق م والبابليين (نبوخذ رزر) ٦٠٤ ق م ، ثم للفرس (سيروس) ٥٣٨ ق م واهداها هذا الى الفينيقيين اعترافاً بفضلهم اذ وقف اسطولهم (اي الاسطول الفينيقي) الى جانب الفرس عندما غزوا مصر . وأصبحت بعد ذلك من اعمال صيدا ، وزالت سيطرة الفينيقيين عن يافا عندما تغلب

الفرس عليهم ، وهدموا عاصمتهم صيدا (٣٥١ ق م) .
واحتلها بعدئـذ اسكندر ذو القرنين (٣٣٢ ق م) فانقلبت الى مدينة هيلينية وكانوا الى ذلك الحين يسمونها اسمها الجديد هذا مشتق من (يوبي) بنت ايلوس) اله الريح ، ولما مات الاسكندر وراح خلفاؤه يتحاربون راحت يافا تسير في مهب الريح : تارة في ظل البطالسة وطوراً في كنف السلوقيين ، وذاقت الامرين في عهد المكابيين الى ان جاء الامبراطور بومبوس فضمهـا الى بـلاده ، واصبحت خاضعة الى (روما ٦٦ ق م).

الا ان هيرودوس الملك اهملها واتخذ بدلا منها قيسارية فجعلها قرصنة بلاده (٣٩ق م) وسيطرت عليها بعدئذ (٣٦ ق م) ملكة مصر (كليوباترا) . ولما ماتت هذه ومات عشيقها انطوني امر القيصر اغسطس ان تعود الى هيرودوس (٣٠ ق م) . وبعـد موت هيرودوس انتقلت الى ولده (ارشيلاوس) ٤ ق م . ولما اخذ الملك منه (٦ ب م) عادت تدين بالولاء الى روما ، وراحت تخابر قيسارية عاصمة ولاة الرومان .

ودانت فترة من الزمن الي زنوبيا ملكة تدمر (٢٧٠ م) . ولكنها ما لبثت ان عادت الى حكم الرومان . (٢٧٢ م)

ولما انقسمت امبراطورية الرومان (٣٩٥ م) الى قسمين واصبحت فلسطين من نصيب البيزنطيين ، اصبحت يافا ايضاً بيزنطية ، وجعلت اسقفية تابعة لبطريركية اورشليم ، وكانوا يسمونها في ذلك الحين .

ولما غلب الروم على امرهم ، وهزم هرقل قائدهم في معركة اليرموك ، وفتحت هذه البلاد على يد المسلمين في زمن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (٦٣٦ م) احتلوا يافا ، وكان احتلالها على يد عمرو بن العاص ، واستبدلوا اسمها القديم باسمها الحالي يافا ، وكبرت يافا بعدئذ فاتسعت تجارتها واصبحت فرضة للرملة ثم صارت فرضة لجميع فلسطين، وكانت ترسو فيها المراكب الواردة من جميع الجهات ولما ذكرها المقدسي قال «عنها انها خزانة فلسطين وفرضة الرملة ، عليها حصن منيع ، بابواب محددة ، وباب البحر كله حديد »...

وكانت يافا تحت سيطرة الفاطميين عندما شرع الصليبيون في زحفهم صوب فلسطين ولهذا خربها (اي خرب يافا) القائد الفاطمي وهدم حصونها ومرفأها ، لئلا يتخذهـا الصليبيون مقراً لحركاتهم .وتركها ابناؤها، ولما دخلها غورفرس دوبوبون (في ايار ١٠٩٩م) وجدها خاوية على عروشها ، ثم سار الى القدس فاحتلها ، ولما خلا له الجو ، عاد الى يافا ، فبناها من جديد ، وبنى سورها ؛ وحصونها ومرفأها ،وعندما انشئت دولة القدس

اللاتينية جعلت الأراضي الممتدة من يافا الى عسقلان مقاطعة تابعة لتلك الدولة (١١٥٧م) واتسعت تجارتها في القرن الثاني عشر للميلاد ، وطرد الصليبيون منها اليهود ، حتى ان السائح اليهودي المشهور (بنيامين تيوديلا) عندما مر بها عام ١١٧٠ لم يجد فيها سوى يهودي واحد ، وكان هذا صباغاً .

ظلت يافا بيد الصليبيين الى ان جاءها صلاح الدين وحاصرها (٢٨ تموز ١١٨٧) وكان الاسطول البريطاني قد خف لنجدتها ، فتم الاتفاق (٢ ايلول) بين ريكاردوس قلب الاسد وصلاح الدين على قيام هدنة مدتها ثلاث سنوات وثمانية شهور . على ان تبقى يافا والسهول الواقعة بينها وبين الجبال بيد الصليبيين .

وحوصرت يافا مرة اخرى من لدن السلطان الملك الظاهر بيبرس ، عندما هاجمها في ٧ آذار ١٢٦٨ وافتتحها في ذلك النهار ، فهدم المدينة وحصنها واسوارها ومنازلها ونقل الحجارة الرخام التي كانت فيها الى مصر ، فزين بها مساجد القاهرة ، ولكن سكان يافا عادوا اليها بعد قليل ، فعمروا منازلهم ، وعمروا اسوارها والقلعة ، ودبت روح العمل في ميادين الزراعة والتجارة من جديد ، فما عتمت ان ازدهرت واصبحت زهرة البحار .

وقام الصليبيون بغزوها مرة اخرى في عام ١٣٣٦ م وكان ذلك بتحريض من البابا جون الثاني والعشرين قاصداً وضع حد للأختلافات القائمة بين انكلترا وفرنسا وراح ملك فرنسا فيليب السادس يستعد لحصارها ، ولما بلغ السلطان الملك الناصر محمد قلاون هذا النبأ امر بتخريب مرفأها ومنع نزول الحجاج فيها ، ومع هذا فلم يأتها الصليبيون ، اذ كانت الحرب المعروفة بحرب المئة قد نشبت (١٣٣٧ م) بين فرنسا وانكلترا ، وظلت المدينة خراباً بلقعا الى ان احتلها السلطان سليم الاول (١٥١٧ م) ودخلت في حوزة الاتراك العثمانيين ، واضطر الاتراك لتحصينها بسبب موقعها الاستراتيجي على شاطيء البحر ، فبنوا حصناً متيناً فوق قمة التل المطل عليها ، وكانت النتيجة ان راح بنوها يعودون اليها ، فلم ينقض بضع سنين حتى كان فيها (١٦٤٤ م) زهاء خمسين خشابية اعدت للتجارة

ولكن البنايات الحجرية ظلت مفقودة حتى عام ١٦٥٤ م . وراح الناس يؤمونها من كل صوب ، ولا سيما من الرملة . وكثيراً ما كانت يافا تتعرض لغزوات البدو ونهبهم . وكانت أشد هذه الغارات في عام ١٦٨٩ م . وفي عام ١٧٢٢ م . وذاقت يافا

الامرين على يد عثمان باشا (١٧٦٥ م) والي الشام وفلسطين الذي جمـع من يافا ومن المدن المجاورة لها أموالاً طائلة .. وكذلك قل عنها عندما حاصرها محمد بك ابو الذهب (١٧٧٦ م) وافتتحها ..

دع عنك ما اصابها على يد نابليون بونابرت يوم حاصرهـا هذا (١٧٩٩ م) ثم احتلها ، واعمل السيف في رقاب سكانها . واعترف نابليون في مذكراته أنه لم يسلم من اذى الجنود احد ممن كان فيها من رجال ونساء وشيوخ واطفال .

ورجال الحامية الذين كانوا في القلعة ، وعددهم اربعة الاف ، اسرهم بونابارت ؛ ولما لم يكن لديه عدد كاف من الجنود لمرافقتهم في طريقهم الي القـاهرة امر بقتلهم . فقتلوا رمياً بالرصاص (١٠ آذار ١٧٩٩ م) والقيت جثثهم في البحر .

اضف الي ذلك ان وجود هذا الحشد الكبير من القوم (اربعة الاف تركي واثنا عشر الف افرنسي) في يافا ادى الى انتشار الطاعون فيها فمات من جراء ذلك خلق كثير .

ولما فشل بونابارت في حملته انسحب ، لا من امام عكا فحسب ، بل ومن فلسطين كلها . فعاد الاتراك الى يافا وراحوا يحصنونها من جديد . وقد ساعدهم على تحصينها يومئذ خبراء من الضباط الانكليز . وقبل ان يتم تحصينها جاء اليها الجزار ، فحاصرها . وقاومته حاميتها تسعة شهور . وكان يقودها (ابو صرة) . ولكن هذا اضطر بعد قليل على الهرب . فغادرها بحراً .

وعادت يافا ، فانتعشت على يد حاكمها ابو نبوت (١٨١٠ - ١٨٢٠ م) فقـد عمر هذا اسوارها؛ وحفر خندقاً جديداً حولها. وبنى فيها مسجداً كبيراً وسوقاً (١٨١٥م) وعلى احدى العينين الجاريتين في وسط السوق بنى سبيلاً . وعلى مسافة نصف ميـل من باب المدينة الشرقي على طريق القدس ايضاً بنى سبيلاً آخر .

ولما رفع والي مصر محمد عـلي لواء العصيان ضد الاتراك (١٨٣١ م) جاء ولده ابراهيم باشا على رأس جيش كبير . فحاصر يافا . حاصرها من البحر والبر . وما ان رآه سكانها حتى رفعوا علم التسليم . فدخلها ابراهيم باشا دون قتال .

وعندما طلب اليهم تزويده بألف مقاتل عصوا امره ، وانضموا الى الثوار الاخرين في القدس ونابلس والخليل وسائر انحاء فلسطين. ولكن ابراهيم باشا عاد ، فتغلب عليهم.

وما كادوا ينسون ما اصابهم على يده حتى الم بمدينتهم زلزال (١٨٣٨ م) وهـدم

عدد كبير من منازلهم . والحصون . وعندما انسحب الجيش المصري من يافا بقي فيها عدد كبير منهم . فسكنوا في المواضع التي سميت بعدئـــذ بالسكنات . كسكنة ابو كبير ، والسكنة المصرية وسكنة حماد وسكنة درويش .

وفي سنة ١٨٧٩ بدأ السكان بهدم السور . وفي سنة ١٨٨٨ كان قد تم هدمه . وطموا الخندق الذي حوله . واقيمت الابنيـــة ، فاتسعت المدينـــة من الشمال والجنوب . وازدادت اتساعاً عندمـــا انشيء حي المنشيه وانشئت السكة الحديدية التي تربطهـــا بالقدس (١٨٩٢ م) .

وعمل القائمقام حسن بك الجابي (البصري) على ازدهارها عام ١٩١٤ . فهو الذي فتح الشارع الكبير المعروف بشارع جمال باشا (١٩١٥) . وفي داخل المدينة هدم عدداً كبيراً من المباني . واحدث مكانها طرقاً وشوارع عريضه وهدم السوق التي انشأهـــا سلفه ابو نبوت حيث كانت تلتقي الطرق الموصلة الى القدس وغزة ونابلس . هدمهـــا خصيصاً ليوسع الطريق المؤدية الى المرفأ . وانشأ في حي المنشية وعلى مقربة من البحر ومن تل ابيب جامعاً عرف فيما بعد بجامع حسن بك .

وعندما نشبت الحرب الكونيةالاولى(١٩١٤م)وثار الشريفحسين على الاتراك نفى هؤلاء خمسة واربعين رجلا من أحسن عائلات المدينة . نفوهم الى القدس ثم الى دمشق وحلب . ومن هناك ارسلوهم مع نسائهم واطفالهم الى الاناضول .

ولما احتل الانكليز غزه ، وراحوا يقتربون من يافا امر سكانها باخلائها ولم يسمح لاحد بالبقاء فيها خلا اصحاب البيارات وعائلاتهم . فهجروها بعد ان باعوا اموالهم المنقولة بارخص الاثمان (١٩١٧ م) .

وفي ١٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٧ احتل الجيش البريطاني يافا . فدخلهـــا فيلق الانزال المؤلف من جنود اوستراليين ونيوزيلنديين . وما انقضى عـــلى احتلالها بضعة ايام حتى عاد السكان الى منازلهم .

واصاب المدينة (١٩١٧ – ١٩٤٧) ما اصاب القدس وسائر مدن فلسطين بسبب الانتـــداب والوطن القومي اليهودي . ولولا ذلك مـــا قامت (تل ابيب) ولا قامت الحرب الاخيرة (١٩٤٨) بين العرب واليهود . تلك الحرب التي انتهت بضياع يافا ، وضياع معظم فلسطين .

ولقد خسر العرب ، بسقوط يافا ، مدينة من اقدم مدنهم تاريخاً ، وأخصبها أرضاً، واغناها مالا وثقافة ورجالا . ولو لم يكن فيها سوى البرتقال ، ومرفأها الذي يزهو على مرافيء البحر الابيض بقدمه وكثرة رواده لكفاها ذلك فخراً .

فقد بلغ عـدد السفن التي القت مراسيها عـلى شاطئها في اوائل عهـد الانتداب (١٩٢٢) الفا ومئة وخمسين سفينة . وبلغت قيمـة البضائع المستوردة عن طريقهـا في السنة نفسها مليونين وربـع المليون من الجنيهـات . واما صادراتهـا فقد بلغت نصف المليون .

وبلغت أرقام الواردات والصادرات في نهاية عهد الانتداب اضعافاً مضاعفة . فبعد أن كانت تصدر من البرتقال ١٣٩٤٩١٢ صندوقاً (١٩٢٢) راحت تصدر تسعة ملايين. وبلغ ما نتج من هذه الثمرة سنة ١٩٤٧ – ١٩٤٨ اثني عشر مليوناً من الصناديق . وعن طريق هذا التصدير كانت الالاف المؤلفة من الناس ، لا من ابناء يافا وحدهم ، بل من سائر المدن والقرى المجاورة ، يعيشون .

والبرتقال في يافا والسهول الفسيحة من حولها ، كشجرة الزيتون في القدس وفي سائر مناطق فلسطين الجبلية ، شجرة مباركة . وكذلك قل عن شجرة الليمون . وهما (اي البرتقال والليمون) يرجعان بالاصل الى بلاد الهند وقد اتى بهما العرب الى عمان ، فالبصره ، فبلاد الشام . وكان ذلك خـلال القرن العاشر للميلاد . وقد اخذهمـا عن عرب فلسطين الصليبيون ، فانتشرتا في البقاع المنتشرة على شواطيء البحر الابيض المتوسط . وكان ذلك في اواخر القرن الحادي عشر واوائل القرن الثاني عشر .

هذا عن البرتقال المر وأما البرتقال الحلو فقد اكتشفه الملاحون البرتغاليون في الهند عندما اكتشفوا طريق البحر اليها (١٤٩٧ م) وقيل لهم يومئذ ان ذلك النوع من البرتقال جاء الى الهند من الصين .

وفوق كل ذي علم عليم .

سلمة

لا نستطيع ان نمر بمعارك يافا دون ان نشير الى المعارك التي قامت في سلمه(١) القريبة منها ، تلك المعارك التي ابدى فيها ابناء سلمه من البطولة ما هو جدير بالذكر .

وكان بديهياً ان يتأهب هؤلاء الصيد للنضال عندما زرّ قرن النضال ، اذ كانوا في خطر وكانت قريتهم محاطة من الجهات الاربع بعدد من المستعمرات اليهودية المسلحة .

مونتفيوري ورامات غان من االشمال (وكانت الاخيرة مركزاً لتدريب الهاغنا) . كفار سركن من الشرق الشمالي . عزرا من الجنوب . هاتيكفا من الغرب . تل ابيب من الغرب الشمالي . وتحرش اليهود بهم ، فضربوا في اليوم الاول من ايام الاضراب الثلاثة (٢ كانون اول ١٩٤٧) عاملا عربياً كان يعمل في احدى البيارات القريبة من حدود هاتيكفا . فقابلهم العرب بالمثل ، وكانت نفوسهم ثائرة. فقتلوا في اليوم والقطاع نفسه وعلى بعد بضعة امتار من الموضع الاول يهوديين .

وتنادى شباب القريـــة بعدئذ للعمل ، فراحوا يتأهبون للقـــتال . واجتمعوا في النادي الرياضي، فقرروا توحيد الصفوف وتنظيم الجهود. والفوا من رؤساء حمائلهم لجنة للدفاع قوامها السادة مفلح علي صالح (اميناً للسر) موسى ابو حاشيه (اميناً للصندوق): وستة اعضاء هم :

الحاج نجيب ابو نجم عن آل نجم — عبد الرحيم حماد عن آل حماد

حسن ابو عيد عن الخطاطرة — موسى محمود سويدان عن الفلاحين

سعيد ابو العينين عن آل علي صالح — شعبان الغزاوي عن الغزازوة

والاربعة الاولون هم مخاتير القرية .

---

(١) قرية عربية تقع الى الشرق من مدينة يافا وعلى بعد خمسة كيلو مترات منها ، والى الجنوب الشرقي من مدينة تل ابيب و لى بعد كيلو مترين منها . تربطها بالمدن المجاورة طرق مرصوفة . ولا سيا تلك التي تربط يافا بمطار اللد .

مساحة اراضيها ٦,٧٨٢ دونمًا يملك اليهود منها ٨٨٥ دونما ، يسكنها ٦,٧٣٠ نسمة من السكان (١٩٤٥) كلهم عرب مسلمون . ومعظمهم من اصل مصري . وكلهم مزارعون . واهم زراعتهـا الاشجار الحمضية . فيها مئة وخمس بيارات ، وثلاث مطاحن ، ومسجد قديم . وفيها مدرسة ابتدائية كاملة ، ومضخة تدفع الماء العذب الى ثلاثة خزانات . ومن هذه الخزانات يجري الماء الى منازل القرية في انابيب تتألف منها شبكة منظمة للمياه على احدث طراز .

وجندت اللجنة ، بادىء ذي بدء ، ثلاثين من شبابها المجاهدين ، مزودين بثلاثين بندقية من البنادق الاعتيادية ، ومقدار لا بأس به من العتاد كان قائد القطاع الغربي للمنطقة الوسطى حسن سلامه زودهم به قبل صدور قرار التقسيم بقليل . وكان هـذا من قادة (الجهاد المقدس) . وقد اتخذ (ملجأ الرجاء) على مقربة من الرملة مقراً لقيادتـه ؛ وعندما نسف اليهود ملجـأه هذا انتقل الى العباسية . وكان يتلقى أوامره من الهيئـة العربية العليا .

كذا كان عدد المجاهدين عند صدور قرار التقسيم . وهذه هي اسلحتهم . وقـد انتشروا على طول الحدود التي تفصل بينهم وبين اليهود . وانتشر اعضاء اللجنـة في الوقت نفسه في البلدان المجاورة باحثين عن السلاح ، يبتاعونـه حيثما وجدوه وبالسعر المطلوب . وعاد امين سر اللجنة بعد ثلاثة ايام قضاها في القاهرة يحمل ستين صندوقاً من الذخيرة(١) وثلاثين بندقية . وكان ثلثا هذا السلاح انكليزي والثلث الآخر الماني ؛ وبهذا يكون مجموع ما بيد المدافعين عن سلمه في منتصف كانون الاول ستين بندقية ، استعملوها احسن استعمال . وكان لديهم مدفع الماني من طراز هوشكس ورشاشان من طراز برن ، كما كان لديهم مدفع واحد مورتر عيار بوسن . لانهم لم يستعملوه لفقدان العتاد . ومع ذلك فما كان يقضي يوم واحد منذ صدور قرار التقسيم الا ، وكان الفريقان يصطدمان ، وكان الرصاص ينهمر عليها مثل المطر وصمد ابناء سلمه الصناديـد لخصومهم ؛ فكانوا امامهم كالحديـد . لم يتزحزحوا عن مواضعهم ، ولم يرحلوا عن منازلهم . وانه لما يدعو للفخر والاعجاب ان احدا من سكان سلمـه لم يرحل عن منزله ، رجلا كان ام امرأة ، شيخاً كان ام طفلا . لا لان لجنـة الدفاع حرمت عليهم مغادرة منازلهم فحسب بل لانهم كانوا يعتبرون الفرار عاراً . فاما صمود وحياة او فرار وموت ...

وظلوا على تلك الحال ثابتين في مواضعهم الى ان سقطت يافا ؛ ولما سقطت هـذه غادروا منازلهم مضطرين . وفي قول آخر ان سكان سلمه لم يغادروها الا بعد سقوط قرى الخيرية وكفر عانة وساكية . وهذه سقطت في (٢٧ - ٢٨ - ٤ - ١٩٤٨) .

ومن الحوادث التي يجدر بنا ذكرها انهم في اثناء القتال انـذروا قادة الجيش

---

(١) في الصندوق الواحد ٢٥٠ مشطاً ، وفي كل مشط خمس طلقات .

البريطاني الا يسمحوا لجندهم بالمرور من سلمه في طريقهم الى مطار اللد والى تل لتفنسكي. ذلك التل الذي انشأ الانكليز عليه ابان الحرب الكونية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٣) معسكرهم. وكانوا على الدوام يمرون من تلك الطريق في الليل والنهار. وخشي ابناء سلمه ان يصيبهم ما أصاب اخوانهم في يازور عندما مر حوالي ١٨ كانون اول ١٩٤٧ عدد من المقاتلين اليهود متزيين بزي الجنود، وكانوا يومئذ قادمين من عيون قارة في طريقهم الى تل ابيب فالقوا على العرب الموجودين في المقهى على الشارع العام عدداً من قنابلهم وقتلوا ستة اشخاص.

وهذا ما حدا بهم لتقديم الطلب. قدموه للجيش بوساطة حاكم اللواء المستر فولر. ورغم ان هذا ابى طلبهم، الا انه لم يستطع ان يقنع الجيش. فرفض هذا الانصياع.

ومرت بعد يومين ٢٠ كانون اول سيارة عسكرية، فهاجمها المناضلون، واحرقوها. كما جرحوا سائقها، واستولوا على بندقيته. فجاء الى القرية قائد المنطقة العسكري يقود ثلاثين دبابة من الدبابات الثقيلة وعشر سيارات كبيرة تحمل الجنود. جاء من معسكر تل لتفنسكي، وقد انذر اهل القرية فور وصوله طالباً اليهم ارجاع البندقية التي سلبوها، ودفع خمسة الاف جنيه فلسطيني تعويضاً عن السيارة التي احرقت والسائق الذي جرح. ولما لم ينصع السكان لانذاره مشيرين الى انذارهم الذي سبق فارسلوه الى الجيش بوساطة حاكم اللواء، اعتقل القائد عدداً من رجال القرية في طليعتهم اعضاء لجنة الدفاع. ولكنه لم يفز منهم بطائل. وانتهى الامر عند التدبير التالي الذي اتخذه حاكم اللواء. وقد أصدر أمره لسد الطريق التي تصل يافا بمطار اللد. فسدت هذه باعمدة صنعت من الاسمنت المسلح (٢٨ كانون اول). ومعنى ذلك انه أصبح من المستحيلات وصول النجدات الى سلمه من تلك الناحية أي الناحية الشرقية وهي الناحية الوحيدة التي كانت مفتوحة ومتصلة بالقرى العربية كاللد والعباسية. وما كادت تلك الطريق تسد حتى قام اليهود بهجوم شديد على سلمه اتوا اليها من ناحية هاتيكفا. وكانوا مزودين بالاسلحة الاوتوماتيكية السريعة. وكان الوقت حوالي الساعة السابعة مساء (٢٨ كانون اول). فصدهم المجاهدون. وكان اليهود يقصدون من هجومهم هذا تضليل المجاهدين اذ كانوا في الحقيقة قد حشدوا في رامات غان اكبر عدد ممكن من بوليس المستعمرات ومن رجال عصابة الارغون ليهاجموا بهم سلمه من تلك الناحية. ولكن المجاهدين كانوا على استعداد لمقاومتهم، في هذه الناحية أيضاً. وقد قاوموهم. ثم تغلبوا عليهم. فردوهم

الى الوراء . وقام المجاهدون بهجوم مضاد على مستعمرة (هاتيكفا) فتغلبوا على سكانها . وتبعهم المجاهـدون ، وظلوا يطاردونهم الى ان دخلوا المستعمرة ، واشعلوا النـار في منازلها . واشترك نساء سلمه في هذا الهجوم . فرحن يزغردن ويشجعن الرجال على القتال . الامر الذي اثار فيهم روح الحماس وكانت الغلبة في جانبهم . فغادر اليهود المستعمرة ، تاركين وراهم امتعهم واطفالهم . ولم يصب المجاهدون هؤلاء الاطفـال بأذى . بل سلموهم الى البريطانيين ، وكان عددهم ستة وعشرين . تتراوح اعمارهم بين السنة الواحدة والرابعة. فتسلمهم البريطانيون من العرب وسلموهم الى احد المستشفيات اليهودية في تل ابيب .

وتمكن عدد من مناضلي اللد والعباسية على وهج النيران المتأججـة من الوصول الى مستعمرة هاتيكفا . فراحوا يؤازرون اخوانهم مناضلي سلمة : وانتشر الفريقان عـلى حدود المستعمرات المجاورة . فدحروا القوات اليهودية التي أتت من الشمال لانقـاذ تل ابيب . ووقف المناضلون على حدود تل ابيب يلقون الرعب في افئدة سكانها واشعلوا النار في عدد من منازل مستعمرة شابيرو . تلك المستعمرة التي تعـد حيا من احياء تل ابيب . فتدخل حاكم يافا. وجاء الجنود البريطانيون لنجدة تل ابيب اثر ورود الاستغاثة من بلديتها . وطلب البريطانيون من المناضلين مغادرة المستعمرة فوراً ، والا أخرجوا منها بالقوة . وهكذا أخليت المستعمرة ، وتسلمها القائد البريطاني . ولاقي اربعة عشر مجاهداً عربياً حتفهم في تلك المعركة . وكذلك قل عن امرأتين كانتا تعملان في حض المجاهدين .

وقتل من اليهود مئة مقاتل ، جمعت جثثهم ، وسلمت الى البريطانيين. وراح هؤلاء يرابطون على الحدود بين سلمة والمستعمرات اليهودية المجاورة لها .

ولكن على الرغم من وقوف الجنود البريطانيين عـلى الحدود بين العرب واليهود لم يمضي يوم دون قتال . ومن اهم المعارك التي قامت بين الفريقين ، تلك التي وقعت في ١٨ كانون الثاني ١٩٤٨ وفي ١ شباط و ٢٨ شباط ١٩٤٨ ففي المعركة الاولى قتـل من اليهود خلق كثير ، وقتل من العرب اثنان . ونسفت عمارة للحاج محمد داود من سكان سلمة ، فسقطت على اليهود الذين كانوا فيها . . .

وفي الثانية صد العرب هجوماً قوياً قام باليهود على سلمة من ناحية هاتيكفا . وقتل من العرب اثنان .

وفي الثالثة قتل من اليهود زهاء خمسة عشر مقاتلا سحب المناضلون جثث ستة منهم الى القرية . واستولوا على مدفع يهودي من طراز برن وثلاثة من طراز ستن وبندقية باراشوت وماكنة لاسلكي ولغم ارضي وعدد من القنابل . واشترك في هـذه المعركة خمسون مقاتلا عربياً . ثلاثون منهم من ابناء سلمة ، والباقون من جيش الانقاذ يقودهم الشيخ دحام ، وقتل فيها من العرب ثلاثة . اثنان من سلمة والثالث من جيش الانقاذ . وانك لواجد اسماءهم في الملحق التاسع .

ودام الحال عـلى هذا المنوال سبعـة وعشرين يوماً . دأب اليهود خلالها على بناء الاستحكامات بالاسمنت المسلح . وعندما انسحب الجنود من خط الحدود ، كان اليهود قد اتموا استعداداتهم ، وحصنوا حصونهم ، وراحوا يشنون على العرب هجمات عنيفة مستعملين في هذه المرة قنـابل المورتر وراجمات الالغام من صنع محلي . ولكنهم عبثاً حاولوا الانتقام لقتلاهم من سكان هاتيكفا .

وبعث المجاهدون الى القاهرة برسلهم ، يستنجدون برجال الهيئـة العربية العليا . ورأوا من هؤلاء تذمراً . لان الجامعة العربية كانت تؤثر عليهم جيش الانقاذ . وكانت تزود هذا الجيش بالسلاح وتمنعه عن المجاهدين الفلسطينيين . ومع ذلك فقد تمكن رجال سلمه من الحصول على ثلاثة من المدافع المضادة للمصفحات ، وعشر بنادق ، واربعين صندوقاً من العتاد ، وثلاثة مدافع رشاشة من النوع المعروف بالبرن . وراحوا يقاتلون الاعداء بعزم لا تزعزعه الرياح . وباع نساء القرية حـلاهن ، كما بعن معظم امتعتهن المنقولة ليشترين به السلاح .

وهاجم اليهود قرية سلمة في منتصف شهر نيسان (١٥ - ١٦ - ٤) فقذفوها بمـا لا يقل عن ثلاثين قذيفة من قذائف المورتر من عيار ثلاث بوصات ، وصمد لهم حمـاة القرية براجمات الالغام . سقطت ثلاث منها في مستعمرة هاتيكفا . فتراجع اليهود .

وظل المجاهدون صامدين في وجه العدو الى ان نضب معينهم ، ونفذ عتادهم ، ولم يبق لديهم ما يدرأون به عنهم شر اليهود . وكانت مقاومة العرب في يافا قـد انهارت (٢٨ نيسان) . كما كان معظم القرى المجاورة لها قد استسلمت . فراح سكان سلمه

أيضاً يغادرون قريتهم . وكان ذلك في اليوم الاخـير من شهر نيسان ١٩٤٨ وبقيت القرية مهجورة بضعة ايام. فلم يدخلها اليهود الا بعد ان تأكدوا انها اخليت من سكانها اخلاءاً تاماً . وفي اليوم الذي سقطت فيه قرية سلمة (٣٠ نيسان ١٩٤٨) سقطت ايضاً قرية يازور .

واشترك سكان سلمة في المعارك التي وقعت بعدئذ في العباسية وفي اللد والرملة . كما اشتركوا في معركة (رأس العين) . تلك المعركة التي استشهد فيها قائد القطاع الغربي الشيخ حسن سلامه .

ولما سقط ذلك القطاع في يد اليهود ، وسقطت اللد والرملة ، تشتت ابناء سلمه ، وتفرقوا ايدي سبا. فمنهم من يعيش الآن (١٩٥٢) في رام الله وقراها كجفنة وبيرزيت وعابود ، وعددهم يقرب من خمسمئة . ومنهم من يعيش في نابلس وقراها كاللبن وحجه (٥٠٠) . وفي قلقيلية (٥٠) وفي اريحا (٢٠٠) وفي عمان والزرقاء ومادبا واربد وغيرها من المدن الاردنية (١٠٠٠) وفي العراق (١٠٠) وفي غزه وخان يونس (٥,٠٠٠) . هذا مع العلم انه كان يعيش في سلمه في اواخر عهد الانتداب اثنا عشر الفاً من السكان .

لجنة الهدنة القنصلية

●

وفي ٢٧ نيسان ١٩٤٨ انتدب مجلس الامن لجنة اسماها (لجنة الهدنـــة) بفلسطين Palestine truce Commission الفها من قناصل الدول الثلاث في القدس اميركا Wasson وفرنسا R. Neuville والبلجيك J. Q. Neuven hugs وقد عهد اليها بمهمة من شأنها ان تتخذ التدابير اللازمة لتنفيذ الامر الذي اصدره من اجل وقف القتال ، طالباً اليهـا ان ترفع اليه تقريرها عن الوضع في المدينة حدثني المسيو نوفيل العضو الافرنسي ، في هذه اللجنة ، ان السر الن كننغهام ، المندوب السامي البريطاني ، رفض الاعتراف باللجنة ، وأبى ان يقدم لها التسهيلات اللازمة ، قائلا ان هذه المهمة (مهمة التوسط بين الفريقين) مـا برحت من المهام الداخلة في اختصاصه بوصفه الممثل للدولة المنتدبة .

ومما قاله لي المسيو نوفيل انه حدثت في اليوم الثاني عشر من شهر ايار مشاداة بـين

المندوب واعضاء اللجنة ، يوم زاره هؤلاء في قصره وبحثوا معه مسألة وقف القتال ، اذ قال القنصل للمندوب يومئذ . انكم تريدون القتال ، فاحتج المندوب على هذا القول ولكن الاعضاء لم يأبهوا لاحتجاجه . فخرجوا من قصره دون أن يقولوا له : Good by

وقيل يومئذ ان ممثلي العرب واليهود في ليك سكسس وافقوا على طلب مجلس الامن بوقف اطلاق النار في البلدة القديمة لمدة مؤقتة ، وأمل اليهود ان يتمكنوا ، عن طريق هذا القرار ، من تزويد الحي اليهودي في البلدة بالمؤن ، اذ كان قد انقضى اسبوعان على آخر قافلة وصلت الى القدس مزودة بالمؤن .

وبعث اعضاء اللجنة القنصلية ، في ٢٩ نيسان مذكرة الى الملك عبد الله بن الحسين اشاروا فيها الى الانباء المنتشرة في البلاد والقائلة بأن الجيش العربي يعتزم القيام بحركات عسكرية في فلسطين ، وطلبوا اليه أن يحجم عن اتخاذ اي قرار او القيام بأي عمل يتنافى مع قرار مجلس الامن ، ولقد جاء في هذه المذكرة قولهم انما يفعلون ذلك بوصف كونهم أعضاء اللجنة التي الفها المجلس المذكور لاجل البحث في شروط الهدنة .

وأبرقت اللجنة المتقدم ذكرها في ٣٠ نيسان ، الى هيئة الامم تقول :

ان القتال لم يقف : لا في القدس القديمة ولا في الجديدة ولا في غير القدس من الجهات ففي يافا قام اليهود بهجوم كاسح على المدينة قاصدين احتلالها ، وفي القدس قاموا بهجوم شديد على حي القطمون قاصدين احتلاله ، وكان ضغطهم على هذا الحي يومئذ (اي في ٢٩ نيسان) شديداً بدرجة كادت تعصف بالمجاهدين ، واستشهد منهم يومئذ خمسة وثلاثون

وبلغ عدد النازحين عن المدينة ٤٨١٧ عائلة (١) . هذا منذ بدء القتال ، ولم يكن قد تبقى فيها سوى ثلاثين موظفاً من الموظفين البريطانيين على رأسهم المندوب السامي . وأما الباقون فمنهم من رجع الى بلاده ، ومنهم من ذهب الى قبرص حاملاً معه عدداً من الاضبارات والملفات والسجلات الحكومية بقصد تصفية حساباتها التي تحتاج الى تصفية

وراحت الهاغانا (٢٧) نيسان تستعرض جنودها في شوارع المدينة جهاراً ، وفي وضح النهار ، بعد ان كانت تعمل في الخفاء ، وراح اليهود يصطفون في الشوارع والارصفة هاتفين بحياة الجنود وحياة اسرائيل ، وقرر مجلس الوصاية انتداب رئيس فوق العادة ليدير الشؤون البلدية في المدينة ، تلك الشؤون التي راحت تسير من سيء الى اسوأ . ولكن هذا الرئيس لم يتمكن من مباشرة اعماله ، فاستقال ولما يمكث في المدينة سوى يوم او بعض يوم .

---

(١) هذه الارقام مقتبسة من سجلات الجمارك والمرور .

جبل الرادار

في ليلة ٢٧ - ٢٨ نيسان ١٩٤٨ ، كر اليهود على المرتفعات الكائنة الى الشمال من مدينة القدس ، بينها وبين قطاع رام الله ، فاحتلوا الرادار ، وقتلوا جنديين من رجال حاميته وجرحوا ثالثاً ، ثم تقدموا فاحتلوا قرى بيت اكسا وبيت سوريك ووصلوا الى بدو وكادوا يصلون الى الاكمة التي يقوم عليها مقام (النبي صموئيل) ولو تيسر لهم احتلال تلك الاكمة لسيطروا على طريق القدس - رام الله ، وقطعوا كل اتصال بين المدينة وسائر انحاء فلسطين الشمالية ، ذلك لانها تشرف على عدد كبير من المدن والقرى وعلى الطرق والمواضع الاستراتيجية الهامة (١) ولكن فوج اليرموك الثالث الذي كان قد وصل الى هذا القطاع قبل ثلاثة ايام في طريقه الى القدس ، وكان يقوده المقدم عبد الحميد الراوي ، خف الى المكان في صبيحة اليوم التالي (٢٨ نيسان) فأخرجهم منها ، ودحرهم الى الوراء ، فاندحروا تاركين وراءهم ١٨٥ قتيلا وثلاث مدرعات وثلاث راجمات الغام و٨٥ بندقية ومقادير غير قليلة من الاعتدة والذخائر وقتل من رجال فوج اليرموك ، هذه المعركة خمسة وجرح واحد .

ويظهر ان اليهود عادوا ، فكروا على هذه المرتفعات في اواسط شهر ايار ، وتمكنوا من احتلال الاكمة المتقدم ذكرها (٢) .

وبلغ عدد القتلى ، في فلسطين كلها في آخر شهر نيسان ١٩٤٨ ، خمسة آلاف وأربعة عشر قتيلا ، موزعين كما يلي :

٣،٥٦٩	عرب
١،٢٥٦	يهود
١٥٢	انكليز
٣٧	غيرهم
٥،٠١٤	

(١) اكتشف الخبراء العسكريون ، في عهد الاحتلال البريطاني ، أهمية هذا الجبل ، فأسسوا على قمته محطة للرادار ، وأقاموا فيه معسكراً لحراسة ذلك القطاع . انه واقع على بعد خمسة اميال من القدس وفي ناحيتها الشمالية من الغرب .

(٢) اقرأ ما كتبناه عنها في ٢٦ ايار .

هذا في ميادين القتال ، وأما في المدن فقد اضطربت الاحوال ، وساء الأمن ، وفقدت الحكومة سيطرتها في جميع الميادين ، فاضطرت الى اخلاء السجون (١) واطلقت سراح السجناء الذين قضوا ثلث المدة المفروضة ، وكانت في شهر آذار الفائت اطلقت سراح اولئك الذين قضوا نصف المدة ، وارسل سجناء القدس الآخرون (الذين لم يشملهم العفو) الى نابلس وعكا ، ولكنهم لم يمكثوا هناك اكثر من بضعة أيام ، اذ ما كاد شهر ايار يطل حتى كان العفو قد صدر عن الجميع ، ولم يبق في سجن عكا سوى المجانين ، وشملت التدابير نفسها السجناء اليهود ، فأطلق سراح عدد منهم ، ونقل الباقون الى مخيم المعتقلين في عتليت ،

مؤتمر سياسي بعمان

في ٢٣ نيسان ١٩٤٨ عقد في عمان مؤتمر (٢) حضره عدد كبير من وزراء الخارجية والمالية والدفاع العرب نذكر منهم .

عن الاردن : توفيق ابو الهدى رئيس الوزراء فوزي الملقي وزير الدفاع .

عن لبنان : رياض الصلح رئيس الوزراء ، الامير مجيد ارسلان وزير الدفاع ؛ الجنرال فؤاد شهاب رئيس الاركان .

عن العراق : ارشد العمري وزير الدفاع ، صادق البصام وزير المالية ، اللواء صالح صائب رئيس الأركان رئيس الاركان

عن سوريا . احمد الشراباتي وزير الدفاع .

وقد حضر الاجتماع كل من الملك عبد الله (ملك الاردن) . الامير عبد الاله (الوصي على عرش العراق) عبد الرحمن عزام الامين العام للجامعة العربية .

واستأنف المؤتمرون اجتماعهم في اليوم التالي (٢٤ نيسان) فبحثوا قضية فلسطين وقرروا انه لامناص من دخول الجيوش العربية لانقاذها وانه لابد من تزويد تلك الجيوش بكافة الوسائل

(١) كان في سجن القدس يومئذ زهاء خمسمئة سجين ، نصفهم عرب والنصف الاخر يهود ، وكان بين المساجين العرب اربعون اعتقلوا بسبب مبادئهم السياسية واشتراكهم في اضطرابات عام ١٩٣٦ والحوادث التي تلتها .

(٢) اقتبست انباء هذا المؤتمر من مذكرات وزير مالية العراق صادق البصام وقد اطلعني عليها يوم زرته ببغداد في اليوم التاسع عشر من شهر ديسمبر عام ١٩٥٣

العسكرية والمالية : وكان قرارهم هذا بالاجماع .

غير انهم تركوا امر التنفيذ الي رؤساء الاركان (١) . وسافروا في ٢٥ نيسان الى القاهرة ليقنعوا مصركي تشترك في هذا الانقاذ .

وفي الاجتماع الذي عقده مجلس الجامعة العربية في قصر الزعفران بالقاهرة تقرر تزويد الجيوش الغربية بماتحتاج اليه من مساعدات ماليةواقتصادية.

وفي هذا الاجتماع تقرر منح الجيش العربي الاردني مليوناً ونصف مليون دينار .

مؤتمر عسكري بعمان

●

في ٣٠ نيسان ١٩٤٨ عقد رؤساء اركان الجيوش العربية مؤتمراً في عمان حضره كل من :

الفريق الركن صالح صائب باشا رئيس اركان الجيش العراقي
الزعيم الركن صبور بك عن رئيس اركان الجيش المصري
الزعيم عبد الله عطفه رئيس اركان الجيش السوري
الزعيم فؤاد شهاب رئيس اركان الجيش اللبناني
امير اللواء عبد القادر باشا الجندي ـ نائب رئيس اركان الجيش العربي الاردني
امير اللواء الركن اسماعيل صفوت باشا القائد العام لقوات المتطوعين
العقيد محمود الهندي مدير الشؤون الادارية في قيادة المتطوعين

وقد حضره ايضاً الامين العام لجامعة الدول العربية عبد الرحمن عزام . وقد ترأسه الملك عبد الله .

وبعد ان تدارس هؤلاء الرؤساء الوضع الحالي واستمعوا الى بيانات رئيس اللجنة العسكرية قرروا بالاجماع ما يلي :

اولا : ان التغلب على القوات اليهودية يتطلب ما لا يقل عن ست فرق كاملة التنظيم والسلاح وستة اسراب من الطائرات القاصفة والمقاتلة .

---

(١) اقرأ ما كتبناه عن مؤتمر رؤساء الاركان في عمان ٣٠نيسان١٩٤٨ .

ثانياً : يجب ان تكون جميع القوات العربية التي ستخوض غمار القتال خاضعة لقيادة عربية موحدة على ان تسيطر تلك القيادة عليها فتحركها وفق خطة معينة . وقد انتدبوا للقيادة العامة امير اللواء الركن نور الدين محمود قائد القوات العراقية . وكانت القيادة الى ذلك الحين بيد اللواء الركن اسماعيل صفوت باشا(١)

ورفعوا قرارهم هذا الى اللجنة السياسية العامة لمجلس الجامعة العربية ، وكانت يومئذ مجتمعة في عمان . الا ان اعضاء اللجنة استكثروا هذه الارقام. ورأوا ان تشرع الجيوش عملها بالقوات المتيسرة لديها مهما كان قدرها ، معتقدين ان مجرد حشد القوات النظامية وشروعها او تظاهرها بالحركات سيؤدي حتما الى تدخل الدول الكبرى في صالح العرب، ويرغم اليهود على قبول المطالب العربية

وتذمر العسكريون يومئذ لان السياسيين القابضين على زمام الحكم في البلاد العربية لم يطلعوهم على حقائق الاحوال(٢) ، ولان معظمهم ما كان يعلم الا النذر اليسير عما جرى في مؤتمري عالية بتاريخ ٩ تشرين اول ١٩٤٧ والقاهرة بتاريخ ٨ كانون اول ١٩٤٧ . وكأن على الفريقين ان يسيرا جنباً الى جنب في كل عمل من اعمالها .

تابع مؤتمر عمان ٣٠ ـ ٤ ـ ٤٨

●

حدثني اللواء الركن عبد الله عطفه رئيس اركان الجيش السوري الذي مثل سوريا في هذا المؤتمر وكان يومئذ زعيما : ـ ان الذين حضروا المؤتمر لم يكونوا كلهم صريحين فان بعضهم جنح الى الصدق. وذكر بصراحة ما كان يملك من اسلحة ورجال والبعض الآخر كان يصدق تارة ، ويراوغ طورا .

واما الارقام التي ذكروها عن عدد جيوشهم واسلحتهم فاليكها فيما يلي : ـ

---

(١) اقرأ ما كتبناه عن القيادة في ١٦ شباط ١٩٤٨

(٢) هذا ما قاله لي العقيد عبد الوهاب الحكيم الذي قاد الرتل السوري في معركه سمخ بتاريخ ١٥ ايار ١٩٤٨ والزعيم عبد الله عطفه رئيس اركان الجيش السوري . وهذا ما قاله اللواء محمد نجيب بطل الانقلاب المصري الى وكالة الانباء المتحدة (يونايتد برس) في القاهرة بتاريخ ١٠ أيلول ١٩٥٢

(١) الاردن

قواته مؤلفة من لوائين آليين مؤلفيين من سريته قيادة مصفحة (٣) فئة من مدافع الهاون (٦) وفئة من المدافع من عيار ستة ارطال (عدد ٦) وسرية مدرعات (عدد ١٢) واربع سرايا من المشاة (في السرية ٤٠٠ جندي واربعة مدافع هاون) .

وفي كل لواء كتيبة مدفعية (عدد١٦) من عيار ٢٥ رطل وكتيبة (عدد ٨) من عيار ٣ و ٤ رطل ولواء مشاة مؤلف من فوجين (في كل فوج عدد من الرشاشات والبرنات) وفي الفوج ١٤٠٠ مسلح . وفئة هندسة . ومستشفى ميدان .

(٢) العراق :

قوة آلية مؤلفة من :

(أ) فوج آلي

(ب) كتيبة مدرعات (٥٠ مدرعة)

(ج) كتيبة مدفعية (٣ بطاريات) من وزن ٢٥ رطل

(د) سرية نابرات

(ه) سرية هندسة

(و) مستشفي ميدان

(ز) سرب طائرات

(٣) سوريا :

(أ) لواء مؤلف من فوجين من المشاة

(ب) كتيبة مدرعات (١٤ مصفحة و ٩ دبابات)

(ج) سرية مشاة محمولة

(د) فوج مدفعية من بطارية (٣) ٧٥ ملم

(ه) مخابرة اللواء

(و) فصيل هندسة

(ز)سرب طائرات (١٠) ووعدت سوريا بأن ترسل بعد شهر :

لواء ثان احتياطي فيه التجهيز وفوجين من المشاة (٢٠٠٠) وفوجين من المدافع (عدد ١٢)

(٤) لبنان

(أ) اربعة افواج مشاة
(ب) بطارية مدفعية من عيار (١٠٥) مم
(ج) فصيل مدرعات (عدد ٤)
(د) فصيل مصفحات (عدد ٦)
(ه) فصيل دبابات (عدد ٩)
(و) سرية فرسان (عدد ١٥٠)

ملحوظة :

ارسل لبنان من هذه القوة الى ميدان القتال :

اربعة مدافع واربع مصفحات وست دبابات وفوجاً من المشاة .

(٥) مصر :

(أ) فرقتان من الجنود كاملتا العدد : موجودتان في العريش ومستعدتان للعمل في ١ أيار ١٩٤٨ .

(ب) مع كل فرقة عشرة اسراب من الطائرات القاذفات والمقاتلات .
(ج) فرقة من المتطوعين المصريين (موجودة في فلسطين) .
(د) بعض المزوارق الخفيفة المسلحة بمدفع واحد من عيار رطلين
(ه) عدد قليل من كاسحات الالغام
(و) باخرتان مسلحتان . يمكن استخدامها فوراً في القتال :

وقالت مصر انها على استعداد لان تجهز فوراً قوة بحرية تستطيع فرض الحصار على الشواطىء اليهودية كما انها على استعداد لان تدفع عما قريب الى القتال لواء مؤلفاً من ثلاثة افواج عدد الفوج ٨٠٠ شخص . وفي كل فوج ستة مدافع من عيار ستة ارطال . وستة مدافع من النوع المعروف بالهاون وكتيبة مدرعات ولواء مدفعية مؤلف من ثلاث بطاريات في كل بطارية ثمانية مدافع .

هذا وقد استمع رؤساء الاركان في مؤتمر عمان الى التقرير الذي رفعه رئيس اللجنة

العسكرية اللواء اسماعيل صفوة باشا والذي قال فيه ان القوة اليهودية تتراوح بين اربعين الفاً وخمسين وان مستعمراتهم محصنة تحصيناً كاملا ، وان هذه المستعمرات المحصنة منتشرة على الطرق الرئيسية .

وانه ليؤسفنا ان نقول ان الدول العربية ، رغم هذه البيانات والتقارير لم تستطع ان تنزل الى الميدان اكثر من خمس القوة التي طلبها رؤساء الاركان ، وان مجموع القوات العاملة في الجيوش العربية لم يزد عن العشرين الفاً .

ولقد سألت رئيس الاركان المتقدم ذكره : كيف كانوا يريدون سوق الفرق الستة التي طلبوها فيما اذا لبيت طلباتهم فقال :

١) فرقة من حدود لبنان هدفها عكا وحيفا .

٢) فرقة من حدود مصر : هدفها غزة - المجدل تل ابيب

مهمة هاتين الفرقتين اشغال اليهود ومنع اتصالهم بالعالم الخارجي عن طريق البحر .

٣) ثلاث فرق تقوم بالعمليات العسكرية الرئيسية :

تزحف هذه الفرق الثلاثة من الشرق الى الغرب على الطرق الرئيسية الثلاثة الآتي ذكرها :

١) جسر بنات يعقوب - صفد - الناصرة - حيفا

٢) جسر الشيخ حسين - بيسان - عفولة - ناتانيا

٣) جسر اللنبي - اريحا - القدس - يافا

٤) فرقـــة احتياط - وراء الفرق الثلاثة المتقدم ذكرها تدخل الحرب حسب تطور المعركة .

ولكن السياسيين الذين كانوا قابضين على زمام الامور الذين اجتمعوا في عمان بعد ارفضاض الجلسة التي عقدها العسكريون لم يقروا هذا الرأى بـــل اعتبروه مبالغة . والغريب في الآمر انهم (اي السياسيين) لم يبلغوا العسكريين ما الذي قرروه لكسب الحرب الفلسطينية وهذا ما حدا بـرئيس اركان الجيش السوري ليقدم اقتراحه القائل بأن يدخل السوريون معارك فلسطين كعصابات غير نظامية ، لا كجيش منظم . الامر الذي فصلناه في غير هذا الموضع من الكتاب .

مؤتمر عسكري بدمشق

●

وعقد في الشام ايضاً بعد انتهاء مؤتمر عمان ، ذلك المؤتمر الذي انعقد في ٣٠ نيسان ، مؤتمر عسكري ثان . فاجتمع رؤساء اركان الجيوش العربية الذين ذكرناهم في المؤتمر السابق . وفي قول ان الاجتماع الثاني هذا وقع في درعا .

فاشار المجتمعون على القائد العام امير اللواء الركن نور الدين محمود ان يستهدف في خطته عزل الحولة وطبريا والمستعمرات اليهودية عن الساحل ، وقطع مواصلاتها مع المراكز اليهودية في الغرب . ولهذا يقتضي ان تتحرك الجيوش على الوجه التالي(١) :

(أ) على الجيشين السوري واللبناني ان يتحركا من الشمال الى الجنوب مستهدفين الوصول الى منطقة نهاريا ـ صفد . ثم يسيران في اتجاه الناصرة

(ب) على الجيشين العراقي والاردني ان يتحركا من شرق الاردن نحو الغرب ؛ وان يسيرا على خطوط متقاربة نحو منطقة العفولة ـ الناصرة . ومن هناك يشرعان في مرحلة ثانية من الحركات وفقاً لما يتجلى من الموقف بعدئذ ، ويسيران في اتجاه العفولة .

(جـ) على الجيش المصري ان يتقدم من الجنوب باتجاه تل ابيب .

ولكن ظهر من تطور الحركات بعدئذ ان الموما اليه نور الدين محمود باشا لم ينفذ هذه الخطة ، قائلا ان السلطات العسكرية الاردنية لم توافق عليها(٢) ، بالنظر لظروفها الخاصة وانه هو نفسه يجهل تلك الظروف .

وادخل نور الدين التعديلات التالية على الخطة ، فأمر :

(أ) بنقل الجيش السوري من المنطقة الشمالية الى منطقة سمخ . على ان يتمركز في مواضع معينة على جناح الجيش العراقي الايمن .

---

(١) اقتبسنا نبأ هذا المؤتمر العسكري والمؤتمر الذي عقد قبله في عمان من الصفحة ١٩٤ من تقرير موصفته لجنة التحقيق النيابية العراقية في قضية فلسطين بتارخ ٤ ايلول ١٩٤٩ وقد ذكرناه في موضع آخر من هذا الكتاب .

(٢) ذكرنا في موضع آخر من هذا الكتاب ان الذي غير هذه الخطة هو غلوب باشا رئيس اركان حرب الجيش العربي الاردني .

(ب) وراح الجيش العربي الاردني يحتشد في قطاع القدس والخليل وفي المثلث العربي . ولقد اصر رجال هذا الجيش على هذه الخطة رغم مخالفتها لما تقرر في القصر الجمهوري بدمشق .

واما الزعيم صبوربك رئيس أركان الجيش المصري فقد ايد السلطات الاردنية في رأيها ، لما فيه من مصلحة للجيش المصري . اذ ان الجناح الايمن للجيش المصري ، عند زحفه شمالا يصبح مستوراً

اليهود يتجسسون

●

واراد اليهود ان يستطلعوا نتائج المؤتمرين في عمان والشام، ومبلغ تأثيرهما على المناضلين فراحوا يبثون الاعوان ويتغلغلون في الصفوف . وما كانت تنقصهم الخبرة في مثل هذه الحال . فقد كان بينهم من جاور العرب وخبر طبائعهم ، ومن خالطهم فحذق لغتهم: وما كان جواسيسهم ليوفقوا في مهمتهم لولا نقاوة قلوب العرب ، وسذاجتهم ، ومع هذا فقد تمكن هؤلاء من اكتشاف بعض الجواسيس ، فقتلوهم .

كالارهابي المعروف الذي اسمى نفسه (يوسف سابيلا) . وقد تمكن من غش العرب فترة من الزمن ، فزعم انه عربي ، وانه كان ضابطاً في قوة الحدود ، وانه عامل الان على تأليف كتاب يدعو فيه الناس لشد ازر العرب والاخذ بيدهم في محنتهم . وآمن بعضهم به وبقوله الى درجة انهم استخدموه في مهام الشؤون ، وفي قول انه كان في فترة من الزمن سكرتيراً للشيخ حسن سلامه قائد القطاع الغربي في المنطقة الوسطى . وثبت بعد قليل انه يهودي ، وانه ارهابي خطير ينتمي الى منظمة الارغون ، وانه اشترك في نسف جناح العمارة المعروفة (كنغ ديفيد) حيث كانت السكرتيرية العامة لحكومة فلسطين ولعله هو الذي نسف (مركز الرجاء) الذي اتخذه الشيخ حسن سلامه مقراً لقيادته ، وان اسمه الحقيقي هو (هيلبرن) .

عرفه شاويش انكليزي كان يعمل في مصلحة الاستخبارات ، والفضل في اكتشاف امره يعود لروحي الخطيب من موظفي (المكتب العربي) في القدس وكان ذلك في شهر نيسان ١٩٤٨ .

وتمكن العرب بعد ذلك بقليل من اكتشاف يهودي آخر من يهود اليمن ، ومن منظمة الارغون ، قال انه مسلم ، وانه يدعي (سليم الجاعوني) . رأوه على مقربة من باب الخليل وكان يقود سيارة معبئة بالجلنجيت ومختلف انواع المتفجرات ، فاقتفوا اثره الى ان

وقف امام عمارة (١) وقعة في ظاهر باب الساهرة كان يعمل فيها جماعة الاخوان المسلمين ، وقبل ان يفجرها مسكوه ، ولدى التحقيق اعترف انه يهودي من اليمن ، وانه ينتمي الى منظمة الارغون ، وانه كان ينوي نسف مقر الاخوان المسلمين .

فاخذوه الى الحرم ، وقتلوه وكان ذلك قبيل رحيل الانكليز عن البلاد ببضعة ايام :

معارك القطمون

●

في ١ ايار ١٩٤٨ سقط (حي القطمون) بيد اليهود . ولكي نتبين الاسباب التي ادت الى سقوطه نرى من الفائدة ان نلقي نظرة على الحوادث التي جرت فية خلال الشهور الاربعة الاخيرة فنقول : —

(القطمون) حي عربي واقع غربي المدينة الى الجنوب ، يقوم على رابية مشرفة على البقعة التحتا والفوقا وما بينهما من سهول ، وعلى الرابية دير قديم يعرف بـ (دير القطمون (٢)) ، وهذه الرابية من المواقع الاستراتيجية الهامة . من احتلها سيطر على القطاعين الغربي والجنوبي من المدينة .

ولكن الاغنياء من سكان هذا الحي لم يعدوا للامر عدته . وكان بامكانهم ان يفعلوا ذلك لو شاءوا اذ انهم — وان شئت فقل معظمهم — من الثراء على جانب عظيم (٣) . ولكنهم بدلا من ان يثبتوا في اماكنهم ويضحوا بجزء يسير من اموالهم فيؤلفون فرقة من الحرس للذود عن حيهم ، راحوا ينزحون عن الحي (٤) اثر حادث (فندق سميراميس

---

(١) ملك المرحوم سعيد الحسيني

(٢) انه من ديارات الروم القديمة . فيه كنيسة . وفي داخل الكنيسة قبر قديس يسمونه القديس سمعان . وكان فيما مضى يسمى (دير سمعان) . انه مقر الكرسي البطريركي في فصل الصيف . وقد ظل كذلك من سنة ١٨٨٥ الى سنة ١٩٠٨ وكان الروم في العهد التركي يضيفون فيه الحكام والمتصرفين .

(٣) يؤسفنا ان نقول ان هذا الخطأ (اي هرب الاغنياء وابناء الذوات ، وتقصيرهم ، وعدم قيامهم بالواجب الملقى على عاتقهم نحو وطنهم ، وتركهم الميدان لابناء الطبقة الفقيرة والمتوسطة واكثر هؤلاء من العمال والقرويين ومن صغار الملاكين) ، اقترف في سائر الاحياء والمدن الفلسطينية ، لا في القدس وحدها ، ولا في حي القطمون وحده . هذا مع اعترافنا بان معسكرات القتال ما كانت تخلو في بعض الاحايين ، من عدد من الاغنياء وابناء الذوات المجاهدين . كما ان بعض الجبهات قد تصدعت بسبب جهل سكانها من ابناء الطبقة الفقيرة والمتوسطة وجبنهم .

(٤) كان في هذا الحي ، في اواخر عهد الانتداب ، اربعمئة عائلة عربية . رحل نصفهم في اوائل شهر كانون الثاني ١٩٤٨ ، ورحل النصف الاخر بعد ذلك تباعا . وعندما اشتد القتال في شهر نيسان لم يكن قد تبقى في الحي انسان سوى المناضلين الذين جاءوا من القرى المجاورة :

الذي نسفه اليهود في ٥ كانون الثاني ١٩٤٨ وكان اليهود قبل ذلك بثلاثة ايام ، نسفوا ثلاثة منازل عربية ، فتولى الدفاع ابناء الطبقة الفقيرة والمتوسطة بالاشتراك مع فريق من ابناء الاحياء والقرى المجاورة . « واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ، ففسقوا فيها فحق عليها القول ، فدمرناها تدميرا (١) » انما السبيل على الذين يستأذنونك وهم اغنياء رضوا بان يكونوا مع الخوالف ، وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون (٢) »

كان عدد المناضلين في هذا الحي ، قبل نسف سميراميس ، ستة واربعين (٣) فانخفض هذا العدد بعد النسف الى ثمانيـــة عشر والذين بقوا هم الفلسطينيون . ولم يكن هؤلاء مزودين بالسلاح الكافي ، ولا كان لديهم المال اللازم لشراء السلاح (٤) ولقد قامت بين الفريقين ، خلال الشهرين اللذين سبقا نهاية الانتداب (آذار ونيسان) حوادث جمةمنها: ان اليهود احتلوا جميع المنازل والمرتفعات المطلة على حي القطمون . فحصنوها كما حصنوا عمارة زلبرشتاين ، تلك العمارة المؤلفة من اربعة طوابق وستمئة غرفة فاتخذوها حصنا .

وسيطروا على جميع وسائل النقل العربية . فاصبحت باصات القطمون عاجزة عن الوصول الى نقطة ابعد من الثورى ، ومن هناك كان الركاب ، يُنقلون الى باب الخليل في باصات مصفحة ، كما كانت مصفحات البوليس تقف في مفترق الطرق عند بركـــة السلطان ، او على رأس التل في (صهيون) لتحول دون اصطدام الفريقين ، اذ كـــان اليهود يطلقون النار من (مونتفيوري) والعرب من جبل صهيون .

في ١٠ آذار اشتد النضال . فقطع اليهود جميع الاسلاك وقطعوا التيار الكهربائي عن الاحياء العربية ، ونسفوا ثلاثة منازل للدكتور فوتي فريج ولثريا منى البديري وعبد الله مني واستشهد من رجال الحامية حسين الدخدري العراقي .

---

(١) سورة الاسراء — الاية ١٦

(٢) سورة التوبة — الاية ٩٣

(٣) اكثرهم من القرى وبعضهم عراقيون وحجازيون ، يرأسهم شفيق عويس من الناصره .

(٤) الف سكان الحي في باديء الامر لجنة جمعت مبلغا لايزيد على الف جنيه . ولما جد الجد ، عادوا فالفوا لجنة اقوى من الاولى . فجمعت هذه زهاء ثلاثة الاف جنيه . ولكن الوقت كان قد فات . واليهود كانوا قد سيطروا على معظم المرتفعات في ذلك الحي .

وفي ١٣ اذار استهدفت القنصليات العربية (المصرية والعراقية والسورية واللبنانية) لوابل من الرصاص اطلقه اليهود من حي رحافيا . فقابلهم الحرس الوطني وجرح عدد من العرب ، وصرع اثنان من اليهود ، وكان يقوم على حراسة القنصلية المصرية يومئذ جنود مصريون ، وكذلك قل عن القنصلية اللبنانية واما القنصلية العراقية فكان يحرسها جنود اردنيون .

حاول اليهود الاستيلاء على القطمون كله في ٧ نيسان ، وفي ٢٩ نيسان كان ضغطهم على الحي شديداً بدرجة كادت تعصف بالمجاهدين ، حتى انه استشهد منهم يومئذ خمسة وثلاثون ، واضطر الآخرون للانسحاب من معظم منازل الحي ؛ فتلقى قائد فوج اليرموك الثالث المقدم عبد الحميد الراوي من رئيس الهيئة العسكرية بدمشق ؛ طه باشا الهاشمي ، امراً بالانسحاب من باب الواد ومرتفعات بدو والنبي صمويل ، والسفر حالاً الى القدس بقصد تقوية حاميتها التي كانت ملتحمة مع اليهود بالقطمون .

وجاء هذا مع جنده (١) ، وقيل انه (اي الراوي) لم يهبط القطمون ، وانما الذي هبطه هو فاضل عبد الله وكان يرافقه زهاء ستين مقاتلا من رجـال جيش الانقاذ ؛ واشترك هؤلاء مع المناضلين الفلسطينيين الذين كانوا بقيادة ابراهيم ابي ديه في مقاتلـة اليهود ، ولكنهم لم يمكثوا في هذا الحي سوى ليلة واحدة . ولم يستطيعوا انقاذ الموقف لجهلهم طبيعة البلاد . فاضطروا للانسحاب ، وتحرجت الحال في القطمون بدرجة انها اصبحت لا تطاق ، فقد خلا الحي كله من سكانه . فما كنت ترى فيه احـداً وزاد في الطـين بلة ان الجيش الانكليزي الذي كان الى ذلك الحين مخيما في معسكر العلمين جنوبي البقعة الفوقا وكان يحجز بين الفريقين انسحب من الميدان (٢٥ نيسان) ولولا ان تولى قيادة المناضلين يومئذ شاب عرف بالجرأة والاخلاص والمقدرة على النضال هو

وفي ١٢ اذار اصيبت دار القنصلية اللبنانية برصاص اليهود ، فجرح سكرتيرها ، احد المناضلين المقدسيين ، وجندي بريطاني كان يتولى حراسة مقر القائد العام .

---

(١) اكثرهم عراقيون ، وبعضهم سوريون وفلسطينيون . وكان بين العراقيين يهودي عاش في بغداد ردحا طويلا من الزمن ويتكلم العربية كاحد ابنائها وكان هذا جاسوسا . تطوع مع المتطوعين وراح يعمل في صفوفهم وينقل اخبارهم . وقد اسمى نفسه (علي بك) . اكتشف العرب امره وهو يبعث برسالة لاسلكية الى تل ابيب . فالقوا القبض عليه وساقوه الى الشام ، حيث حوكم واعترف وقتل رميا بالرصاص .

(ابراهيم ابو ديه (١)) لاحتل اليهود حي القطمون في اوائل شهر نيسان ، ولكن ثبات هذا الرجل آخر احتلاله شهراً كاملا ، والفضل في ذلك يرجع اليه والى رفاقه من ابناء جبال القدس والخليل ، ولقد ابلى هؤلاء في الدفاع عن هذه البقعة بلاءاً حسناً ، رغم ان عددهم ما زاد في يوم من الايام على مئتين وسبعة عشر مقاتلا قتل منهم في معارك القطمون مئتان او يزيد وجرح كثيرون . ولما ضيق اليهود عليه الخناق استنجد بالهيئة العربية العليا وبا للجنة القومية وبقيادة الجهاد المقدس ببئر زيت . فجاءته نجدات ، وقيل ان عدد المنجدين لم يزد يومئذ على الخمسين بينهم عدد من العراقيين والسوريين ينتمون الى جماعة الاخوان المسلمين ، وجاء في فترة من فترات هذا النضال ستون اردنيا كانوا مزودين بمدفع من النوع المعروف بـ (الهاون) ودبابتين ، ولكنهم لم يشتركوا في النضال .

ولكن لا هذا العدد ولا العدد الذي كان هناك قبل ذاك من رجال الحامية ، كان كافيا لصد هجمات البالماخ الذين انزلوا الى الميدان عشرة اضعاف ما انزله العرب ، اضف الى ذلك موقف الانكليز من الفريقين ذلك الموقف الذي ينم عن تحيز ظاهر لليهود ، اذ كانوا كلما اشتد ضغط العرب على اليهود ، يضربون العرب بقنابلهم من مدفع ذي بوصتين ، وضعوه على ظهر احدى الدور المرتفعة هناك ، الامر الذي ادى الى انهيار مقاومة العرب في ذلك الحي ، فانهارت وسقط حي القطمون بيد اليهود . ولقد هاجم هؤلاء الدير الكبير القائم على رأس التل ، من ناحيتين ، فسقط بايديهم ، وكان

---

(١) ابراهيم عبد الفتاح ابودية . ولد في صوريف من اعمال الخليل سنة ١٩٢٠ واتم الصف الرابع من مليمه الاولي في مدرسة القرية . وتولى بعد موت ابيه عمله كحلاق للقرية . ثم التحق بالثورة الفلسطينية ١٩٣٦ - ١٩٣٨ وعمل في صفوف المجاهدين بقيادة عبد الحليم الجولاني . وعمل (مع الحزب العربي) في مقاطعة البضائع الصهيونية ١٩٤٦ • ثم انخرط في صفوف (الجهاد المقدس) بقيادة عبد القادر الحسيني ١٩٤٧ واشترك في اكثر المعارك التي وقعت في قطاع القدس ، منها معارك القطمون التي نحن في صددها فقد انتدب لادارة دفة القتال في هذا الحي اثر اشتداد الهجمات اليهودية عليه • وزود يومئذ بخمسة من المدافع القوسية (المورتر) وعدد من الرشاشات الالمانية والانكليزية ومقادير من البنادق والالغام وكان يصحبه عدد من الاجانب الخبيرين في صنع الالغام وانشاء المتاريس . وكان بينهم خمسة انكليز وعشرة بوغسلافيون . بعضهم مخلصون والبعض الاخر جواسيس يعملون لحساب اليهود • وكان معه مصفحتان غنمها العرب من اليهود في معركة كفار عصيون • ومن المعارك التي خاض غمارها (الدهيشة ، وصوريف ، وبيت سوريك ، والقسطل ، ورامات رحيل . ولقد جرح في المعركتين الاخيرتين وكانت جراحه الاخيرة بالغة الى درجة انها شلت اعصابه ، وابعدته عن ميادين القتال . وقد لاقى ربه في بيروت ٦-٣-١٩٥٢

ذلك في ١ ايار ١٩٤٨ . ونال الشهادة يومئذ مئة من المجاهدين .

تضعضع موقف العرب في القطمون بسقوط الدير (١) اذ انه كان احد الحصون الخمسة التي اقامها ابو ديه هناك ، وكانت الحصون الاربعة الاخرى في دار الدكتور فريج ودار شاهين والى الشرق من الحرش تجاه ميكورحاييم وبالقرب من دار القنصلية العراقية ، وكانت هذه الحصون مرتبطة بخطوط هاتفية مع القيادة التي كانت ترابط في الوسط .

ولقد احتفظ اليهود بالراهبات السبع اللواتي كن في الدير وبالخادم وزوجه واولاده لئلا يكر العرب عليهم وينسفوا الدير .

وجاءت فرقة اخرى من اليهود من الناحية الاخرى . فاحتلوا منازل اخرى قريبة من دار الدكتور فريج ، التي نسفها اليهود قبل مدة ؛ فاستشهد يومئذ ١٩ مناضلا عربياً وجرح ٢١ كانوا هناك؛ فنقلت جثث بعضهم ، وظلت جثث البعض الاخر تحت الانقاض

وباحتلال اليهود للدير من ناحية ، والمنازل العربية من الناحية الاخرى تمت لهم السيطرة على المرتفعات ، واتتهم نجدات جديدة فاصبح عددهم ينوف على ثلاثة الآف (٢) ، وراحوا من هناك يشنون الهجوم تلو الهجوم ، بالمشاة والمصفحات ، على العرب الذين دافعوا عما بقي بايديهم دفاع المستميت . ذلك لانهم كانوا يعلمون انه اذا سقط هذا الحي سقطت معه الاحياء الاخرى في المدينة الجديدة ، واستمات اليهود ايضاً في الهجوم ، وراحوا يتقدمون ، رغم انهم كانوا يتساقطون امام الاستحكامات العربية تساقط اوراق الشجر في فصل الخريف . ولقد حدثني الذين حضروا تلك الموقعة ان اليهود خسروا يومئذ عدداً لا يقل عن خمسمائة قتيل .

ولما تمكن اليهود من الوصول الى مركز القيادة العربية عند فندق جدع في اعالي الحي وكانت تسندهم سبع من المصفحات ، بدأ العرب في الانسحاب ، فانسحبوا الى منطقة الامن ، وكانت هذه في السهل ، يسيطر عليها اليهود من المرتفعات التي احتلوها .

---

(١) كان ابو ديه يعرف ما لهذا الدير من اهمية من الناحية الاستراتيجية . وكان بامكانه ان يحتله قبل ان يأتي اليهود اليه . وقيل ان الرهبان سمحوا له باحتلال الدير ونسفه عند الاقتضاء . ولكنه ابى ان يفعل ذلك احتراما منه للدير وللراهبات اللواتي يعشن فيه . ولقد برهنت الحوادث بعدئذ انه كان على خطأ فيما فعل . اذ انه (اي الدير) واقع على جبل يشرف على بقعة من الارض مساحتها عشرة اميال مربعة .

(٢) قائدهم يوسف (آ) من سكان عين صارود . ومعه ضابط اجنبي ، والمعتقد انه انكليزي .

اتى ابراهيم ابو ديه ، غداة اليوم الذي احتل فيه اليهود تلك المرتفعات (٢ أيار) بنجدة جديدة مؤلفة من ثلاثمئة شاب فلسطيني ، قاصداً استردادها ، واتت نجدة اخرى من الجيشي العربي بقيادة الرئيس عبد الله التل ، وكانت هـــذه مؤلفة من اثنين وثلاثين جنديا وثلاثة ضباط ، ومزودة بمصفحتين ، وكـــانت مهمتها الرسمية انقاذ القنصلية العراقية (اذكان فيها يومئذ الاميرة مقبوله كريمة الملك عبد الله وزوجة الامـــير حسين ناصرقنصل المملكة العراقية) . وما كادت هذه النجدات تصل الى المكـــان وتنزل الى الميدان ، حتى راحت تقاتل اليهود ، فقتلت زهـــاء مئة وخمسين من مقاتليهم . وتقهقر اليهود الى الوراء . فتقدم ابو ديه مع نجداته الجديدة . ولكن الانكليز الذين كانوا هناك يحرسون المنطقة المعروفة بمنطقة الامن الاولى ، منعوهم من تخطي الحد الكائن عندفندق كلاريدج بالقرب من دار القنصلية العراقية (١) . وامروا الرئيس عبد الله التل بالانسحاب فانسحب ، وما كان باستطاعته الا ان يمتثل الامر . اذ كان الجيش العربي خاضعاً لاوامر الجيش الانجليزي (٢) .

هكذا كان الوضع في القطمون في ٢ ايار : فبينما وقف الانكليز يصدون النجدات العربية من الوصول الى ذلك الحي ، كانت الطريق مفتوحة امام اليهود من الناحيةالغربية يستطيعون ان ياتوا منها الى ميدان المعركة بالعدد الذي يشاءون .

وعندما اجتمعت في ذلك اليوم بالكولونيل نيلسون ، القائد البريطاني الذي ذكرته في موضع آخر من هذا الكتاب ، ابديت استغرابي ، واستغراب قومي العرب لذلك الموقف الذي وقفه الجيش في القطمون ، اذ انه منع العرب من انجـــاد حاميتهم هناك ولم يرغم اليهود على الرجوع الى حيث كانوا قبل احتلالهم الحي . وبعد ان استشار هـــذا آمره الجنرال ماكميلان قائد القوات البريطانية في فلسطين ؛ ارسل الي رسولا يقول انهم (اي الانكليز) لا يمانعون في ارسال النجدات الى القدس ، شريطـــة ان لا يرتدي المجندون ثياب الجند ، وان يخفوا اسلحتهم عند مرورهم بالمخافر الحكومية . والغريب في الامر ان الرسول افهمني ان قادة الجيش البريطاني وان كانوا لم يبدوا اعتراضا عـــلى قصف الاحياء اليهودية بالمدافع العربية في اليومين الماضيين (١ و ٢ ايار) ؛ الا انهم لايوافقون

---

(١) ليس هذا فحسب . فقد نزع الانكليز سلاح القائد ابي ديه . وسجنوه وبعد ثلاث ساعات اطلقوا سراحه .

(٢) حدثني عبد الله التل ان قائد المنطقة الانكليز البريجادير جونز انذره قائلا انه سيضطر لمقاومته بالمدافع الانكليزية اذا هو لم يسحب مصفحاته .

البتة على المضي في هذا العمل وضرب الاحياء المذكورة اكثر من ذلك ، ورجاني الرسول ان انقل هذا الانذار الى المجاهدين ، والا فان الجيش البريطاني يضطر لضرب المواقع العربية بالطائرات .

ولما بلغتُ الرسالة الى قائد المنطقة ، مهدي بك صالح العاني ، وكان يومئذ في رام الله وكانت مدافعه تضرب القدس من جبال بدو والنبي صمويل ، قال انه لن يعبأ بهذا الانذار وانه سيظل يقصف الاحياء اليهودية بمدافعه ، شاء الانكليز ام ابوا ، او يرجع اليهود عن غيهم . وراح بالفعل يقصفها (١) ... فاصابوا عدداً كبيراً من المنازل اليهودية في الاحياء الغربية باضرار فادحة ، منها محطة الاذاعة السرية للهاغانا في رحافيا .

وفي ذلك اليوم (٢ ايار) فرض الانكليز على ذلك القطاع هدنة محلية . وكانت هذه مؤقتة ، لمدة ٤٨ ساعة ، الغاية منها التمهيد لهدنة دائمة . فاستغلها اليهود وحفروا خلالها الخنادق واقاموا المتاريس والاسلاك الشائكة وعملوا كل ما وسعهم هناك . وما كاد ظل الانتداب يزول عن البلاد في ١٥ ايار حتى انتشروا من ذلك القطاع ؛ واحتلوا القطاعات العربية الاخري المجاورة لـــه ، وعملت يد النهب والسلب في هـــذا الحي ما لم تفعله في الاحياء الاخرى .

ولم يعرف بعد السر في عدم قيام القوات الاردنية ، الـــتي كانت يومئذ مرابطة في معسكر (العلمين) الى الجنوب الشرقي من حي القطمون ، باي عمل لانقاذ الموقف . ولو قامت بعمل ما لما سقط حي القطمون ، ولما سقطت الاحياء المجاورة له . وقد غادرت تلك القوات ذلك المعسكر في ١٤ ايار ، تاركـــة المناضلين الفلسطينيين يقاتلون اليهود وحدهم ، وقيل ان عدد الذين لاقوا حتفهم في معارك ذلك الحي بلغ ٢٠٦ مجاهداً فلسطينيا من مجموع ٢١٧ مجاهداً ؛ وفي قول اخر ان عدد المناضلين الذين كانوا يرابطون في ذلك الحي ما زاد في يوم من الايام على مئة وسبعة مناضلين ، قتل منهم مئة ، وظـــل سبعة فقط على قيد الحياة .

الكتيبة السادسة على اهبة القتال
ولكنها لم تؤمر بالزحف

●

وفي ٣ أيار ام القدس لواء بريطاني ، مزود بأربع وثلاثين دبابة من النوع المعروف

(١) واستعمل العرب في قصفهم هذا ولاول مرة ، مدافع من عيار ٢٥ رطلا .

بـ Cromwells ، وفيما كانت قافلة من جنود هـذا الالواء تعبر المدينة : في ٦ ايار ، هاجمها عند جبعات شاؤول فريق من رجال المنظمة المعروفة بـ (شترن) فنسفوا عدداً من مصفحاتها ، عندئذ قصف الانكليز هذا الحي اليهودي بمدافعهم ، ودام القصف ساعتين ، وفي مساء ذلك اليوم ، ٦ أيار ، هبطت اريحا فئة من سرية المشاة الثامنة ، قوامها خمسة وثلاثون مقاتلا ، يرافقهم اربع مصفحات في كل منها مدفع من عيار بوصتين ، وبقيت هذه السرية مرابطة هناك الى ان تألفت الكتيبة السادسة ، وقد الفت هذه في ١٢ أيـار من السرية الثامنة المتقدم ذكرها ، يقودها الرئيس عبد الرزاق عبد الله ، وعدد رجالها ٥٠٠ والسرية السادسة ، يقودها الملازم الاول ضرغام الفالح ، وعدد رجالها ٢٠٠ وسرية الامن الاولى ، يقودها الرئيس محمود الموسى ، وعدد رجالها ٢٠٠ وقد اختير لقيادة الكتيبة وكيل القائد عبد الله التل ، ولقد حدثني هذا القائد انه اراد ، فور انتهاء معركة دير الشعار (١) وتسلمه زمام الكتيبة ، أن يزحف بها الى القدس ، وانه بات عـلى احر من الجمر ، ينتظر صدور الامر ، الا ان هذا ـ اي الامر بالزحف ـ لم يصدر الا في ١٧ ايار ، وهبطت القدس في ١٩ منه ، بعد ان كانت معظم المواضـع الاستراتيجية الهامة قد سقطت بيد اليهود .

مياه رأس العين

●

عاد العرب فتعرضوا الانابيب (رأس العين) . ودمروها في أربعة مواضع في اليوم السابع من شهر ايار ١٩٤٨ وذلك لانهم خشوا أن يصل اليهود الى ذلك القطاع فيستولوا على رأس النبع ، و كانت المقاومة العربية في يافا قد انهارت ، وقطع العرب كل رجاء في البقاء هناك .

المندوب السامي يتوسط لمفاوضات الهدنة

●

في ٧ أيار ١٩٤٨ عقد في اريحا اجتماع حضره السر الن كننغهام ، المندوب السامي ، وعبد الرحمن عزام باشا الامين العام لجامعة الـدول العربية ، وصفوت باشا ، ومحمود

---

(١) اقرأ ما كتبناه عن هذه المعركة في ١٥ ايار ١٩٤٨

البكري، وتقي الدين الصلح، وكان واسطة العقد قنصل الحكومة المصرية الذي قام بتلك المهمة بناء على رجاء المندوب السامي، وبحث الحاضرون الوضع الراهن في مدينة القدس، وضرورة اعلان هدنة تشمل الاحياء كلها، اذ كان القتال ناشباً في كل مكان على السطوح، وفي الشوارع، وعلى الجدران، وفي المقابر والمنازل، وفي كل مكان وكان مما قاله المندوب (١). (لقد انتدبتني هيئة الامم لبحث مسألة الهدنة في البلدة القديمة؛ ولكني ارى ان الهدنة اذا لم تشمل القدس كلها فلا خير يرجى منها، ويخيل الي انه لا العرب ولا اليهود يرضون ان يكونوا في نظر العالم مسؤولين عن دمار بيت المقدس برفضهم الهدنة ... وكان المندوب قبل ذلك بيوم واحد (٦ ايار) قد اجتمع الى ممثلي العرب واليهود في القدس نفسها، وحصل على موافقتهم في وقف اطلاق النار، ومثل الجانب العربي في هذا الاجتماع كل من احمد حلمي باشا نائب رئيس الهيئة العربية العليا والشيخ كمال اسماعيل من رجال المجلس الاسلامي الاعلى وانور الخطيب من الشباب العاملين، ولم تحط لجنة الهدنة التي الفهامجلس الامن في ٢٧ نيسان ١٩٤٨ القنصلية علما بما جرى (٢).

فقال اليهود انهم يوافقون على الهدنة شريطة ان تفتح لهم طريق القدس ـ تل ابيب وأن يسمح لهم بالوصول الى حارة اليهود، وان ينسحب المقاتلون غير الفلسطينيين من البلاد.

وقال العرب انهم يوافقون عليها شريطة ان تظل تلك الطريق (القدس ـ تل ابيب) مغلقة، وأن يرجع كلا الفريقين الى المناطق التي كانا يحتلانها عند صدور قرار التقسيم؛ وتعهد العرب ان يزودوا الاحياء اليهودية في المدينة بالماء والمؤن.

وبعد مفاوضة استمرت ثلاث ساعات تم الاتفاق بين المندوب والامين العام على الشروط الآتية :ـ

اولا : ـ يسمح بتزويد سكان القدس بالحاجيات الضرورية، وباستعمال طريق تل ابيب ـ القدس كلما امكن ذلك لهذه الغاية، شريطة أن تراقب وسائل النقل مراقبة

---

(١) اقتبست انباء هذا الاجتماع من صديق اطلع عليها من مصدرها، ومن رسالة برقية سرية وقعت بيدي وقد ارسلها المندوب نفسه الى وزير المستعمرات في الساعة الواحدة والنصف من بعد ظهر اليوم التالي (٨ ايار).

(٢) حدثني المسيو نرفيل العضو الافرنسي في هذه اللجنة انه لم يشأ الاشتراك في هذه المحادثات لانه كان يعلم علم اليقين ان الانكليز ما كانوا يريدون خيراً من وراء هذه المفاوضات.

دقيقة من لدن هيئة حيادية يرضى عنها العرب واليهود ، فلا ينقل عن هذه الطريق سوى المؤن والحاجيات الضرورية ، ولا يسمح بنقل السكان .

ثانياً : — يسمح لليهود الذين يودون زيارة البلدة القديمة لغايات دينية ان يدخلوها من باب النبي داود ، ومن هناك الى حائط المبكى ، شريطـــة ان يراقبوا خارج السور مراقبة دقيقة كما في البند السابق .

ثالثاً : — يبدأ وقف اطلاق النار اعتباراً من ظهر اليوم الثامن من شهر ايار سنة ١٩٤٨ ، شريطة ان يعمل اليهود بذلك ايضاً .

واذاع فاضل رشيد العراقي ، آمر حامية المدينة ، في صبيحة اليوم التالي (٨ ايار) أمراً الى جنوده طالباً منهم وقف اطلاق النار اعتباراً من ظهر اليوم ، وقال القائـــد في بيانه الذي اذاعه من محطة الاذاعة بالقدس أن قائد جيش التحرير امره بذلك بناء على موافقة مجلس الجامعة العربية .

ولقد تضاءل القتال في الايام القليلة التي انصرمت بعد ذلك الإجتماع — حتى انالمرء لم يعد يسمع ازيز الرصاص في احياء القدس وشوارعها ، وخيل للنـــاس ان الفريقين راغبان حقاً في وقف القتال ، الا ان الحوادث جرت بعدئذ في اتجاه لا يتفق مع رغبات القائلين بالهدنة . وثبت أن اليهود كانوا يميلون للهدوء والسكينة في قطاع القدس لمـــدة قصيرة فقط ريثما يتمون مهمتهم في صفد وبيسان وعكا والانحاء الشمالية (١) ولما انتهت هذه عادوا فوجهوا اهتمامهم الى هـــذا القطاع ، وراح الرصاص يلعلع في فضاء القدس في مساء يوم الخميس الموافق ١٣ ايار وأتت الانباء بعد قليل تحمل في تضاعيفها نبـــأ معركة عنيفة قامت عند باب الواد ، وما هي في الحقيقة الا معركـــة القدس ، ويرمي اليهود من ورائها الى فتح الطريق بينها وبين تل ابيب ليتمكنوا من نقل المؤن والمقاتلين لانقاذ اخوانهم المحصورين في القدس ، وقالت الوكالة اليهودية في بيانها الذي اذاعتـــه انها ليست على استعداد لان تقف مكتوفة الايدي ، الى أن يتم العرب استعدادهم للقتال وأذاع جلالة الملك عبد الله في ٨ أيار انه لا يقبل أن يقف القتال ، وانه سيغزو فلسطين بعد ١٥ أيار ، ولكنه وجيشه لم يفعلا شيئاً قبل ذلك التاريخ لانقاذ الموقف في القدس ، وقد وقف القتال فيها ستة ايام .

---

(١) اقرأ في السطور التالية ما كتبناه عن سقوط صفد في ١١ ايار ، وبيسان في ١٢ ايار ، وعكا في ١٤ ايار .

صفد

سقطت صفد بيد اليهود في ١١ ايار ١٩٤٨ . ونقص عليك فيما يلي بعض الاخبار عنها (١) قبل سقوطها . وفي أثناء القتال ، وعند السقوط .

١ ـ كان في مدينة صفد في اوئل عهد الانتداب (١٩٣١) ٩،٤٤١ نفساً ، منهم ٦،٤٦٥ مسلمون و٢،٥٤٧ يهود و٤٢٩ مسيحيون . وازداد سكانها في اواخر ذلك العهد فاصبحوا ١١،٩٣٠ نفساً منهم ٩،١٠٠ مسلمون و٢،٤٠٠ يهود و٤٣٠ مسيحيون . ولم يبق من سكانها عند سقوطها ، عربي واحد .

٢ ـ كان فيها اثناء القتال ، زهاء ستمئة مقاتل عربي خمسمئة الا قليلا منهم من المناضلين المحليين . ومئة وثلاثون من جيش الانقاد وهؤلاء خليط من الاردنيين والسوريين وفي قول ان عدد المقاتلين من جيش الانقاذ كان ٢٤٥ . ولسنا ندري من اين اتى اليهود بالارقام التي ذكروها في تقاريرهم بان عدد المقاتلين العرب المحليين بلغ الالفين ، يضاف اليهم سبعمئة محارب ينتمون الى القوات السورية والعراقية النظامية .

واما عدد اليهود المقاتلين فقد كان عند البدء ٧٥٠ وفي قول انه عندما انسحب الانكليز من صفد لم يكن لليهود سوى سرية واحدة من سرايا البالماخ هي السرية الاولى وصلت في ١٧ نيسان ثم ارتفع هذا العدد عندما سقطت حيفا في ٢٤ نيسان وطبريا (٢) بايديهم واصبحت صفد من اهم اهدافهم ولقد زاد عددهم في المعركة التي انتهت باحتلالها فبلغ خمسة آلاف مقاتل .

٣ ـ كان هناك تفاوت في اسلحة الفريقين . بينما كان في حوزة اليهود ولاسيما رجال البالماح الذين زحفوا اليها من الخارج مقادير كبيرة من الاسلحة الجيدة (٣) لم يكن في

---

(١) اقتبسنا هذه الاخبار من مصادر كثيرة : منها تقرير رفعه المقدم اديب الشيشكلي قائد المنطقة الشمالية الى قيادة جيش الانقاذ بتاريخ ١١ ايار سنة ١٩٤٨ رقم ٤٨ ومنها حديث شفهي ادلى به امامي وكيل القائد اميل جيعان . ومنها تقرير للسيد عبد الرحمن الحضرا كتبه في دمشق بتاريخ ١-٩-١٩٤٨ . ومنها حديث جرى بيني وبين السيد زكي قدوره بتاريخ ٢٠ تموز ٥٢ وقد كان هذا رئيساً لبلدية صفد اثناء القتال .

(٢) أكد لي زكي قدورة رئيس بلدية صفد انه عندما كانت رحى المعركة دائرة في طبريا بين اليهود والعرب اراد الصفديون نجدة اخوانهم الطبريين . ولكن قائد الحامية ساري الفنيش منعهم من ذلك .

(٣) لم يكن لليهود في معارك صفد مدافع ولا طائرات . وانما كانت لديهم صواريخ من صنع محلي وكان لهذه الصواريخ دوي شديد مزعج .

حوزة العرب سوى بنادق من النوع البسيط وثلاثة مدافع من النوع المعروف بالهـاون واحد منها من عيار ٨١ وثان من عيار ٦٠ وثالث من عيار ٢٥ وكلها افرنسية . وكانت الاعتدة والمؤن قليلة (١) وقصرت اللجنة العسكرية بدمشق في مدهم بالسلاح .

ويقول عبد الرحمن الخضرا انه تسلم من قائد منطقة صفد الانكليزي الكولونيل وطسن قبل رحيل الانكليز من صفد مئة بندقية انكليزية وخمسة آلاف طلقة . فسلمها الى اللجنة القومية وكان لدى هذه اللجنة مئة بندقية اخرى تسلمتها من اللجنة العسكرية بدمشق . فوزعت المئتين على المناضلين من شباب المدينة . وكان لدى هؤلاء ، قبل ذلك مئة بندقية اخرى : فاصبح مجموع ما بيد العرب من سكان صفد ثلاثمئة بندقية .

قال العميد الركن طه باشا الهاشمي في مذكراته ان اللجنة العسكرية ارسلت الى صفد في ٤ كانون الاول ١٩٤٧ ، تسعاً وثلاثين بندقية ، وقليلا من العتاد . وانها (اي اللجنة) عادت فارسلت في ١٣ كانون الاول ، مئة بندقية من البنادق الافرنسية (١٢٦٠) التي تسلمتها من العراق : وكانت هذه من غير عتاد فتولت وزارة الدفاع السوريه تزويدها بالعتاد : وفي موضع آخر من مذكراته ذكر الهاشمي انه سلم في ٢٤ شباط ١٩٤٨ ، الرئيس اديب الشيشكلي قائد قطاع صفد ـ عكا خمساً وسبعين بندقية انكليزية .

وقد ارسلت اللجنة ، في الوقت نفسه خمسين بندقية انكليزية الى بيسان وخمساً وعشرين الى سمخ وخمس عشرة بندقية الى عشيرة اللهيب في منطقة الحولة

وحدثني امير اللواء الركن اسماعيل صفوة باشا ان اللجنة العسكرية الفت مفرزة قوامها ٣٥٠ متطوعاً ، وانها بعد ان سلحتها ارسلتها الى منطقة صفد بتاريخ ٧ كانون الثاني ١٩٤٨

٤ ـ قال المقدم اديب الشيشكلي في تقريره الذي رفعه بوصفه قائد المنطقة الشمالية الى قائد جيش الانقاذ بتاريخ ١١ ايار رقم ٤٨ ان الانكليز اخلوا صفد فجأة بتاريخ ١٦ نيسان ١٩٤٨ :

ويقول عبد الرحمن الخضرا ان الشيشكلي كان قد اجتمع بمنزل سليمان سعـد الين وبتاريخ ١١ نيسان ، بالقائد البريطاني الكولونيل وطسن ، فطلب منه ان يفسح له المجال كي يهاجم صفد ومستعمرتي عين زيتم و (وبيرية) اليهوديتين ، على ألاَّ يتدخل الجيش البريطاني في الامر . فقال هذا انه يريد ان يستشير الجنرال ستوكويل قائد منطقة حيفـا وشمال فلسطين . وفي اليوم التالي ١٢ نيسان عقد اجتماع في منزل محمد يوسف الخضرا

---

(١) زعم اليهود انهم وجدوا في السرايا القديمة مقادير كبيرة من المؤن والاعتدة والمتفجرات .

حضره الجنرال ستوكويل قائد منطقة حيفا وشمال فلسطين ، والبريغادير والكنهد قائد منطقة الجليل والكولونيل وطسن قائد منطقة صفد ، وكان المحدث اي (عبد الرحمن الخضرا) يقوم بمهمة الترجمة . وقد تم الاتفاق بين الجميع على ان يرجىء الشيشكلي مهاجمة المستعمرات المذكورة الى ما بعد ١٦ نيسان ١٩٤٨ كيما تتمكن القوات البريطانية من الانسحاب من المنطقة واتفق مبدئياً على بعض الشروط المتعلقة بسلامة المستأمنين من اليهود ومعاملتهم معاملة حسنة . واتفق ايضاً على بعض الشروط فيما اذا طلب اليهود من الجيش ان يتدخل لحمايتهم ، وعقد هدنة بينهم وبين العرب .

فتعهد الشيشكلي ان لا يقوم باي هجوم قبل ١٦ نيسان .

٥ ـ قال عبد الرحمن الخضرا ان القائد البريطاني دعاه وابن عمه محمد يوسف الخضرا في مساء ١٤ نيسان ، وافهمهما ان الجيش البريطاني سيغادر مراكزه بصفد في صباح ١٦ نيسان . وان البريطانيين من عسكريين ومدنيين سينسحبون في الساعة الثالثة بعد ظهر ذلك اليوم .

فسافر على اثر ذلك ، وفد من ابناء صفد الى دمشق ليخبر ولاة الامور بما جرى وليتلقى منهم تعليماتهم : ماذا عليهم ان يفعلوا بعد اليوم

٦ ـ في ١٥ نيسان اخلى الجيش البريطاني معسكر النبي يوشع فاحتله العرب وبقي في ايديهم الى ان اخلاه جيش الانقاذ . ولا يعلم احد الى الآن السبب في اخلائه .

٧ ـ حوالي الساعة ٣ من بعد ظهر ١٦ نيسان تم انسحاب الانكليز من المدينة وفي الوقت نفسه بدأ العرب هجومهم . فما لبثوا ان احتلوا ، في بحر ساعة واحدة لا اكثر مركز رئاسة البوليس على جبل كنعان ومركز بوليس المدينة ، والقلعة ، ودار الحاج فؤاد الخولي وفندق صفد وبيت شلوه ، والمدرسة الصناعية اليهودية وما الى ذلك من المواضع ذات الاهمية الاستراتيجية . فانسحب اليهود اثر ذلك من الخطوط الامامية الى الخطوط الخلفية واخلوا الطريق العليا وتحصنوا في مركز مزراحي ، وبيت بوصل والفندق المركزي ، وراحوا يصدون هجمات العرب وكان مع اليهود ستنات وقنابل يدوية ومدفع مورتر واحد .ودامت المعركة اربع عشرة ساعة وكان يقود العرب في تلك المعركة الملازم (احسان قوم آلماز) الذي اقامه الشيشكلي آمر للحامية . وقتل يومئذ من اليهود ١٨ قتيلا وجرح اربعون (١)

٨ ـ ارسل الشيشكلي الى صفد في ١٧ نيسان فصيلين من سريه مقر القيادة يقودهما الملازم عبد الحميد السراج وفصيلين من سرية ادلب يقودهما الملازم هشام العظم .

---

(١) هذا ما اعترف به مايرفيشر اليهودي . اقرأ العدد ٢٤ من مجلة (الهدف) بتاريخ ٣-٩-١٩٥٠

ومجموع هذه الفصائل الاربعة سبعون جندياً بين سوريين وعراقيين ، ووصلت في الوقت نفسه سرية اردنية مؤلفة من مئة جندي اردني يقودها الرئيس سارى الفنيش . فعينه الشيشكلي (اي عين الفنيش) قائداً للحامية ، وعين رفيقه اميل جميعان مساعداً له (١) ومنح القائد سلطة اعلان الاحكام العرفية ، وفي اليوم نفسه ١٧ - ٤ وصلت اليهود نجدات من البالماخ .

- وفي ١٨ نيسان شن العرب هجوماً عنيفاً على اليهود فنسفوا (بيت ويدبرغ) وعمارة مجلس الطائفة وفرن بيريا .

- وفي ٢١ نيسان نسف رجال البالماخ (فندق صفد) اليهودي الذي كان العرب قد احتلوه ، وبيت رمزي .

٩ - وسارت الامور حتى ٢٨ نيسان سيراً حسناً . وتحطمت معنويات اليهود اذ انقطع كل اتصال لهم بالخارج، وظل الامر كذلك الى انهاجم الملازم حسان قوم الماز في ٢٨ نيسان بعض المواضع اليهودية ، مخالفا بعمله اوامر القيادة ، فخسر العرب بعض الجنود والمناضلين ، هذا بالاضافة الى ان اليهود اتتهم نجدات اخرى من رجال البالماخ وتمكنوا يومئذ من معرفة مواضع الضعف في الناحية العربية .

١٠ - وكانت انباء سقوط حيفا ٢٤ نيسان قد وصلت الى صفد فاثرت في معنويات سكانها كما اثر عليها نبأ سقوط الجاعونة ، وفرعم ، والطباعة ؛ والمنار ، والمنصورة ، والقديرية . وباحتلال اليهود لهذه للقرى اصبحت صفد مطوقة من الشرق والجنوب .

١١ - ولقد قامت في المدينة نفسها بالرغم مما تقدم معارك ضارية ، معارك ، لم يقصر فيها كلا الفريقين من اجل التغلب على خصمه وكثيراً ما اشتبكا بالسلاح الابيض والقنابل اليدوية . وصمد يهود البلدة القديمة رغم انهم قلة ضد العرب الذين ضيقوا علهم الخناق فحولوا (٢) حمام النساء الكائن في حيهم الى موضع لتصليح السلاح ، وصنعوا فيه نوعاً من السلاح اسموه راجمات دويد ، وحولوا معمل الثلج الى مولد للكهرباء وقد استعاضوا به عن محطة الكهرباء التي نسفها العرب عند انسحاب البريطانيين ، وكان العرب في

---

(١) كان هذان الضابطان من ضباط الجيش العربي يعملان قبل صدور قرار التقسيم في المملكة الاردنية . ولما صدر القرار المذكور استقالا من الجيش ، وهبطا الشام ، فعرضا خدماتهما على طه الهاشمي فضمهما الى جيش الانقاذ .

(٢) هذا ما نشرته مجلة (الهدف) المقدسية في العدد ٢٦ بتاريخ ١٧-٨-١٩٥٠ والعدد ٢٧ بتاريخ ٢٤-٨-١٩٥٠ نقلا عن الكاتب اليهودي (مايرفيشر) .

الوقت نفسه قد حطموا المصابيح الكهربائية وكل مـا وقعت عليه ايديهم من ماكنات والآت ونوافذ وسيارات يهوديـة وراح اليهود بعد ذلك يعيشون في اقبيـة ومخابيء تحت الارض .

وتقدم المناضلون العرب قاصدين احتلال الحي اليهودي ، او بعض المراكز الامامية لهذا الحي ولكن وكيل القائد اميل جميعان ارجعهم (١) ونال الشهادة في هذه المعركـة عربيان ، وقتل من اليهود قائدان هما : عمشلوم ، وجدعون ، وهما من رجال البالماخ :

١٢ ـ بدأ القتال الجدي في صفد في ١ ايار . وكان الى ذلك اليوم عبارة عن مناوشات بسيطة بين الفريقين اللذين كانا يعيشان جنبا الى جنب في الاحياء القديمة داخل المدينة .

وبينما كان العرب يهاجمون في ذلك اليوم مستعمرة (الهراوي) ، راح اليهود يهاجمون (عين الزيتون) و (بيريا) العربيتين ، وكانت قد اتتهم نجـدة كبيرة من رجال البالماخ فتمكنوا من احتلالها ، ودمروا عين الزيتون تدميراً تاماً ، وكانت حركتهم هـذه من قبل جس النبض .

وعبثا حاول الصفديون اقناع القائد ساري الفنيش كي ينجد عين الزيتون . اذ راح يعتذر لهم قائلا ان اختصاصه لا يتعدى حدود المدينة ، وانه ليست لديه قوات كافيـة ولا عتاد .

عندئـذ اكتسبت المعارك بين الفريقين شكلا خطيراً . وباحتلال القريتين المتقدم ذكرهما تمكن اليهود من وضع اسفين قوي بين صفد العربية والقرى الواقعـة الى الشمال والشمال الغربي منها . وبهذا حالوا دون وصول النجدات اليها فباتت المدينة في خطر . وراح سكانها العرب يرحلون عنها . وتأزم الموقف .

١٣ ـ لفت الشيشكلي بوصفه القائد المسؤول عن هذه المنطقة ، نظر قيـادة جيش الانقاذ الى خطورة الحال ، فاجابت هذه انه ليس لديها اية قوة احتياطية ترسلها للتقوية وعبثا حاول رئيس البلدية ورجال اللجنة القومية ان يفهموا اللجنة العسكرية والرجال المسؤولين عن حركة القتال بدمشق حقيقة الحال .

١٤ ـ في ٥ ايار اتت يهود صفد نجـدة كبيرة . في خمس وثلاثين سيارة كبيرة.

١٥ ـ وفي ٦ ايار اتتهم نجدة اخرى اكبر من الاولى ، وقـد جاءت هذه في ١٣٧ سيارة.

الامر الذي اثر على معنويات الشعب فجعلها تنهار . وراح جنود الانقاذ يهربون ،

---

(١) هذا ما قاله لي رئيس بلدية صفد السيد زكي قدوره بتاريخ ٢٠ تموز ١٩٥٢

ولم يبق منهم في المدينة سوى مئة وعشرين شخصا .

١٦ ـ سافر وفد من صفد على اثر ذلك الى دمشق ولكن عبثا حاول هذا اقناع ولاة الامور بان الموقف خطر ، واصراللواء الركن اسماعيل صفوت علي عناده المعتاد ، فراح يكرر الكلمات التي كان يقولها لوفود المدن الاخرى :

« انكم جبناء ! . . انكم تفرون من المعركة ! . . ثاروا على القتال ! . . . »

ولكنه لم يقل لهم كيف وبأي سلاح يقاتلون ؟

١٧ ـ في ٧ ايار هبط الشيشكلي صفد وبعد ان تفقد الوضع فيها ، عاد الى مقر قيادته في (الصفصاف) . وراح يقصف المواضع اليهودية بمدافعه ، فابتهج الصفديون ، وراحوا يأملون الخير على يده .

١٨ ـ تكرر القصف في ٨ ايار وفي ذلك اليوم جاء عدد من رجال جيش الانقاذ (من العرافيين) واحتشدوا في عين التينه ، ومن هناك ومن حرش الحكومة المجاور لميرون راحوا يقصفون الحي اليهودي بمدفع (او مدافع) من عيار ٢٥ رطلا ، فدمروا عدداً كبيراً من المنازل والاستحكامات اليهودية .

١٩ ـ وفي اليوم نفسه اي في ٨ ايار قام اليهود بهجوم على الاحياء العربية في ثلاثة صفوف مستعملين راجمات دويد التي تقدم ذكرها ، وقنابل الهاون ، وصمد العرب لهذا الهجوم رغم قلة عددهم وعتادهم ، وقابلوا المهاجمين بنيران حامية ، والتحم الفريقان عند الفيطمة ، وكان العرب قد حصنوها تحصيناً تاماً ، فقتلوا من اليهود عدداً كبيراً ، وتمكنوا من صدهم عن الفيطمة والقلعة

الا ان ذخائرهم كادت تفقد بالمره ، فراحوا يتربصون رجوع الوفد الذي سافر الى دمشق ليأتي بالعتاد والسلاح . . .

٢٠ ـ فيما كان الوفد الذي سافر الى دمشق يصف الى رئيس اللجنة العسكرية الوضع في صفد دخل عليه الشيشكلي الذي اكد للرئيس كل ما قاله رجال الوفد ، وطلب النجدة ، الا ان الرئيس قال : ـ ماذا افعل ؟

العين بصيرة ، واليد قصيرة . . .

٢١ ـ عندئذ سافر رئيس البلدية زكي قدوره الى عمان مصطحباً معه جميعان . وهناك قابلا الملك ، وقال الملك للرئيس قدوره : لِمَ لم تذهب الى القوتلي الذي دخل المعركة قبل ان يكون مستعداً لها ، ولما حاول هذا اقناع الملك بضرورة انقاذ صفد : اعتذر الملك قائلا انه لا يستطيع ان يدخل فلسطين قبل انتهاء الانتداب ... هذا ما انذرني به الانكيز وغادر الرئيس عمان تاركاً وراءه اميل جميعان .

٢٢ - قابل رئيس البلدية ، بعدئذ شكري القوتلي رئيس الجمهورية ، في ٨ ايـــار فطمأنه هذا قائلا : - ان صفد قيد اهتمامه :

٢٣ - ارسلت اللجنة العسكرية ، اثر هذه المقابلة مئة وثلاثين جنديا من جنود جيش الانقاذ ، وفي قول ان القوة الجديدة كانت مؤلفة من خمسين جنديا نظامي وسرية واحدة من سرايا فوج اليرموك الرابع ، ووصلت هذه القوة الجديدة التي كان يقودها عز الدين التل في ٩ ايار ، فامكن استبدال الجنود القدمـــاء الذين انهكهم العمل المتواصل بجنود احداث ، ولكن هذا الاستبدال اتى علي صفد بالوبال ذلك لانهم لم يكونوا مدربين :

٢٤ - في الوقت نفسه ٨ ايار كان قد عاد الى صفد اميل جميعان ــ مساعد قائـــد الحامية وكان قد غادر المدينة قبل ذلك بستة ايام ٢ ايار الى عمان . وقد صرح لاكثر من شخص واحد من الصفديين عند رجوعه انه قابل في عمان الملك عبد الله والفريق غلوب باشا . . . وان الملك قال له :

(انت اصبحت رئيساً . خذ ارديبك (اي رجال الاردن) في صفد . والتحق بالجيش العربي) . وهذا هو السبب في روح الانهزام التي كانت تسيطر عليه يومئذ في اقوالــه وفعاله . ولقد بدت ظاهرة اثناء المعركة الاخيرة بعد ان بذل جهداً كبيراً من اجـــل الانتصار في المعارك التي سبقتها .

ويقول المطلعون على بواطن الأمور انه (اميل جميعان) سحب جنوده من العـمارة المعروفة ب(تيجارت) والقائمة في اعلى موضع بصفد . سحبهم ولما يكون ثمة مبرر لسحبهم اذ لم يقم اليهود بهجوم على تلك العمارة ، لا ولا اطلقوا عليها طلقة واحدة : لا في يوم الانسحاب ولا في الايام التي سبقته .

حدثني رئيس بلدية صفد انه عندما التقى في دمشق باميل جميعان الذي كان قد تركه في عمان قال له هذا ما يلي :

بعد ان امرني الملك بالرجوع الى صفد مصطحباً معي مئتي جندي ـــن جنود الجيش العربي مع اسلحتهم وعتادهم جاءني مساعد رئيس اركان الجيش عبد القـــادر باشا الجندي فأمرني الا اعود الى صفد قائلا انها(اي صفد) داخلة في القطاعين السوري واللبناني واضاف اميل جميعان الى ذلك قوله انه ذاهب الى صفد ليسحب القوة منها . اذ لا يمكنه التفريط بها وقد حاول الرئيس ان يقنع جميعان بالعدول عن تلك الفكرة . ولكنه لم يقبل قائلا : تلك هي اوامر رؤسائي بعمان . . ولا بد من اطاعتها . . .

٢٥ - قام العرب في ٩ ايار وبعد وصول نجدة الانقاذ من دمشق بهجوم معا كس

في جبهة الفيطمه فحسب ، بل في جميع الجبهات . واستعادوا المدرسة الصناعية التي كانت قد اصبحت طللا . وما كادوا يحتلونها حتى انفجر لغم كهربائي كان اليهود وضعوه فيها قبل انسحابهم فقتل من جراء ذلك عدد من المناضلين .

وقام اليهود في اليوم نفسه بحركات عسكرية

٢٦ ـ قال الكاتب اليهودي المعروف (مايرفيشر) في مقال له نشرته الصحف العبرية عن (معركة صفد) ما يلي :

ان العرب استأنفوا قصف المدافع في يوم السبت (٩ ايار) والاحد (١٠ ايار) وكانت المرة هذه اشد فتكاً . واكثر احكاماً . وكانت قذائفهم تزرع الموت والدمار حيثما سقطت وكادت صفد تسقط بيد العرب . لولا ان ركضت نجدات كبيرة اخرى من قوات البالماخ يقودها قائدها الاعلى . وكانت هذه القوات مسلحة بأسلحة جديدة ووفيرة . وكان بينها عدد غير قليل من مدافع (القيات) وكان الجو ماطراً . فالتحم الفريقان في كل مكان ولاسيما في عمارة البوليس من دار الى دار ومن غرفة الى غرفة وقد استعملا السلاح الابيض عندما سكت صوت المدفع ونفذت ذخائر العرب فسقطت عمارة البوليس في ١١ ايار ، انتهى

٢٧ ـ بينما كان العرب يتقلون على احر من الجمر لنقص في ذخيرتهم اتاهم الفا طلقة ، ومقادير اخرى من العتاد عن طريق الهيئة العربية بدمشق . الا ان هذه الذخيرة كانت سيئة وكان ضررها اكثر من نفعها .

وكانت مقادير اخرى من السلاح والعتاد قد وصلت الى صفد (١) . الا انها وصلت متأخرة (٢) ويا للاسف .

٢٨ ـ غادر الشيشكلي صفد في ٩ ايار ليأتيها بالسلاح ، وقد غادرها بعد ظهر اليوم نفسه ساري الفنيش قائد الحامية (٣) . غادرها هذا حاملا معه جميع ثيابه ، فتسلم القيادة

---

(١) اتت هذه عن طريق البحر الى صور ، فنقل بعضها الى دمشق ، وارسل البعض الاخر الى صفد وشحن هذا في ثلاث سيارات كبيرة للشحن ، وهذه الاسلحة اشتراها صبحي الخضرا عضو اللجنة العسكرية من مصر ومن ليبيا . وهى من بقايا الحرب الكونية الثانية (١٩٣٩–١٩٤٣) في شمال افريقيا

(٢) وصلت في اليوم نفسه الذي سقطت فيها صفد .

(٣) قضى الفنيش الليلة الاولى ١٠–٩–٥ في (عين التينه) بين ميرون والسموعية في ضفة وادي الطواحين وعلى شفا الجبل المشرف على ذلك الوادي وهو كائن مقابل صفد . ويبعد عنها بضعة كيلو مترات منها قضاها هناك بينما كانت المدينة تتقلى على جمر النار والانهيار . ولقد اقدم على عمله هذا دون ان يحصل على اذن من الشيشكلي قائده . ولما وصل الى دمشق القي القبض عليه بامر من وزارة الدفاع . وكانت النية متجهة لمحاكمته . لولا ان تدخل الملك عبد الله في الامر . فأطلق سراحه .

منه اميل جميعان . وفي الساعة الواحدة من بعد منتصف الليل (١٠ ـ ٥) صدرت الاوامر من اميل جميعان الى قوات المرابطة في مختلف المراكز في المدينة بالانسحاب .

٢٩ - في ١٢ ايار كانت السرايا القديمة ، وحارة الجورة وحارة الاكراد بيد اليهود ومن هناك راح اليهود يتوغلون في قلب المدينة الى ان وصلوا الى مركز البوليس الكبير القائم على جبل كنعان ، وهكذا سقطت صفد كلها بيد اليهود .

٣٠ ـ يقول الشيشكلي في تقريره ان اليهود بدأوا هجومهم الاخير على صفد في الساعة التاسعة والدقيقة ١٥ من ليلة ٩ـ ١٠ /٥/١٩٤٨ وانهم استولوا على القلعة ؛ فانهزم منها جنود السرية الجديدة من السرايا التابعة لفوج اليرموك الرابع ، وتبعهم سكان المدينة وتلقى من وكيل آمر الحامية اميل جميعان ، في الساعة ٤٥ ، ٣ اشارة لاسلكية مآلها انه لم يبق في صفد قوة مقاومة سواه وهشام العظم وفي قول آخر أن (اي جميعان) ذكر في برقية ان ذخيرته قد نفدت ، فأمره الشيشكلي بالانسحاب وصدر هذا الامر في تمام الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة والخمسين من صباح يوم الاثنين الموافق ١٠ ايار ١٩٤٨ .

٣١ ـ الذي امر بالانسحاب من صفد هو اللواء الركن اسماعيل صفوت اصدره بوصفه رئيساً للجنة العسكرية ومسؤولا عن جيش الانقاذ ، وقد وجه امره الى المقدم اديب الشيشكلي قائد المنطقة الشمالية وكان ذلك بحضور رئيس بلدية صفد ، والذي تلقى الامر من الشيشكلي هو ساري الفنيش الذي كان مسؤولا عن الحامية وهناك من يعتقد ان في الامر حيلة وان القطعات الاردنية سحبت من صفد عندما سرى الخبر بأن الحاج امين جاء من مصر قبل ذلك ببضعة ايام ، وهبط (المالكية) (وتبنين) وما الى ذلك من القرى القريبة من الحدود ، وكان يقصد دخول فلسطين من تلك الناحية ليؤلف فيها حكومة عربية فلسطينية :

حدثني زكي قدورة رئيس بلدية صفد انه التقى في صباح اليوم العاشر من شهر ايار (اي بعد سقوط صفد ببضع ساعات) برجال الحاج امين ، جاءوا في ثلاث سيارات كبيرة على رأسهم صالح الشيخ احمد التوبة وصالح العفيفي من صفوري ، التقى بهم عند المفرق الكائن بين قريتي سعسع وكفر برعم ، ولما سألهم عن سبب وجودهم هناك ، قالوا انهم بانتظار المفتي الذي ينوي دخول فلسطين الى الناصرة ، ولما رأوا ما حل بصفد عادوا الى بنت جبيل ومنها الى تبنين (١) حيث التقوا بالحاج امين ، وحدثوه بما جرى .

---

(١) من اعمال صور « لبنان » .

٣٢ ـ تم الانسحاب من صفد بشكل غير منظم ، وكانت معنويات الجنود قد انهارت الى الحضيض ، فأتوا الى ميرون والقرى الواقعة في الشمال ، ويقول الشيشكلي انه حاول توقيفهم وجمعهم بوساطة سرية صلاح الدين ، ولكنه لم يفلح ، وان كان قد افلح ، الى درجة ما ، في تجريد بعضهم من السلاح .

٣٣ ـ بقي اليهود ، بعد سقوط صفد ، يومين كاملين مشدوهين ، لا يصدقون ان صفد قد سقطت ، ذلك لان العرب كانوا قبل ذلك بقليل مسيطرين على الوضع في المدينة وكانت مواضعهم امتن واعلى من المواضع اليهودية ، وكان لديهم من السلاح والعتاد ما يكفي لمتابعة القتال ، بدليل انهم (اي اليهود) عثروا بعد ان تمت لهم السيطرة على مقادير كبيرة من السلاح والعتاد في السرايا القديمة وفي عمارة (تيجارت) على جبل كنعان . هذا ما قاله اليهود ، وليست لدينا من المعلومات ما يثبت ذلك او ينفيه .

٣٤ ـ خسائر العرب في معركة صفد خمسون شهيداً : ٣٠ مناضلون و ٢٠ مدنيون غير محاربين ، هذا ما قاله لي مساعد قائد الحامية اميل جميعان ، واما قدورة رئيس البلدية فقد قال لي انها تتراوح بين المئة والمئة والخمسين .

واما عدد القتلى من اليهود فقد بلغ ٨٥٠ (ثمانمئة وخمسين) قتيلا .

٣٥ ـ رفع المقدم اديب الشيشكلي بوصفه قائد منطقة صفد تقريراً (تاريخه ١١ ايار ١٩٤٨ ورقمه ٤٨) الى قيادة جيش الانقاذ ، وقد لخص فيه اسباب الهزيمة كما يلي : ـ

١ ـ انسحاب ساري الفنيش آمر الحامية بصورة غير مشروعة (ويقول انه ترك صفد حوالي الساعة ١٨ من يوم ٩/٥/٤٨ ويشكو الشيشكلي من ان ساري كان يتغيب عند كل هجوم).

٢ ـ توزيع سرية الفوج الرابع (فوج اليرموك) بصورة واسعة مع عدم معرفتهم لمواقع القتال .

٣ ـ عدم تدريب السرية المذكورة على أعمال القتال وعلى استعمال السلاح ؛

٤ ـ انسحاب الاهالي بطريقة سببت الذعر للجميع .

٥ ـ استعمال اليهود للاسلحة الاوتوماتيكية ومدافع الهاون وقاذفات الالغام بكثرة هائلة وحرقهم الحرش في القلعة ؛

٦ ـ معاكسة الاحوال الجوية للعمليات الحربية ، حتى ان المقاتلين العرب لم يكونوا يرون شيئاً في الظلام الدامس والمطر الغزير .

٧ ـ عدم عمل آمر الحامية بالوكالة الملازم اميل جميعان على الصمود ، فقد كان

موقفه ظاهر الضعف من ابتداء الهجوم، ولا ادري ان كان ذلك بسبب انهياره المعنوي اولسبب مقصود بعد رجوعه من عمان .

وهكذا سقطت صفد بيد اليهود ، هذه المدينة التي ظلت بيد العرب اجيالا طوالا وكان الناس فيما مضى يسمونها (صفت) بمعنى العطية، ثم راحوا يسمونها (صفد) لها تاريخ طويل واقعة فوق جبل عال اسمه جبل كنعان ، وهو مطل على بحيرة طبريا .

قال ابن الواسطي : بناها الفرنج سنة ٤٩٥ هـ . ١١٠١ م .

كانت عندما هاجمها صلاح الدين بيد الفرقة المعروفة (الداوية) من الصليبيين وهم الذين اطلقوا عليها اسم صفت ، اذ انها اعطيت لهم دون غيرهم ، ولما اخذها صلاح الدين منهم ٥٧٥ هـ - ١١٧٩ م أقام على حمايتها خمسمئة فارس ، يقودهم الامير طغرل الخازندار .

ظلت بيد المسلمين الى أن اعطاها الصالح عماد الدين الى الصليبيين (٦٣٨ هـ ١٢٤٠ م) كي ينصروه في حروبه مع الملك الصالح نجم الدين .

وعاد المسلمون ففتحوها في زمن السلطان الملك الظاهر بيبرس ٦٦٤ هـ - ١٢٦٥ م بعد ان حاصروها حصاراً شديداً ، وكان السلطان يشترك بنفسه مع البقر والجنود في جر الاخشاب التي استعملت يومئذ لنصب المجانيق (هكذا كانوا يجمعون كلمة المنجنيك).

وولى السلطان قلعتها الامير مجد الدين الصواريء ، وجعل الامير عز الدين العلائي نائباً له . وقبل أن يغادرها عمر القلعة ، وبنى فيها جامعاً ، وبنى جامعاً آخر في الربض وكتب على اسوارها هذه الكلمات (١) :-

« ولقد كتبنا في الزبور (٢) من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادي الصالحون ... امر بتجديد هذه القلعة وبتحصينها وتكميل عمارتها وتحسينها ، بعد أن خلصها من اسر الفرنج الملاعين . وردها الى يد المسلمين ، ونقلها من حوزة الديوية الى حوزة المؤمنين ، وأعادها الى الايمان كما بدأ بها اول مرة . وجعلها للكفار خسارة وحسرة ، واجتهد وجاهد حتى بدل الكفر بالايمان والناقوس بالآذان والانجيل بالقرآن ، ووقف بنفسه حتى حمل تراب خنادقها وحجارتها منه بنفسه وبخواصه على الرؤوس ، السلطان الملك الظاهر بيبرس ابو الفتح ، فمن صارت اليه هذه القلعة من ملوك الاسلام ، ومن سكنها من المجاهدين فليجعل له نصيباً من أجره ، ولا يخله من الترحم في سره وجهره ... والعاقبة للمتقين الى يوم الدين . »

---

(١) (السلوك لمعرفة دول الملوك) للمقريزي ص ٥٦٣

(٢) الاية ١٠٥ من سورة (الانبياء) .

كانت في عهد المماليك معدودة من جند الأردن ، ونائبهامن اكرم الأمراء المقدسين وهو ((اي النائب)) مستقل ، يوليه السلطان بمرسوم ، وكانت تشتمل على الف ومئتي قرية .

لجنة الهدنة القنصلية تجدد مسعاها

وفي ١٢ ايار جددت لجنة الهدنة القنصلية مسعاها ، بناء على أمر (١) تلقته من مجلس الامن في ليك سكسس . فتقدمت الى الفريقين ، العرب واليهود ، باقتراح من شأنه ان يقف كل منهما حيث كان ، وأن يوافقا على وقف اطلاق النار ، تمهيداً لمفاوضة يقومان بها من اجل عقد هدنة دائمة وتجنيب القدس ويلات القتال على الدوام ، ان الوكالة اليهودية أبدت موافقتها الشفهية على هذا الاقتراح ، وكذلك فعل قائد الهاغانا فانه وان كان في بادىء الامر قد رفض التوقيع على مشروع الاتفاق الذي عرضته اللجنة الا انه عاد فوافق عليه ، ووقع على اتفاق موقت سلمه الى لجنة الهدنة ، مشترطاً ان يقبل العرب الشروط نفسها ، وقد نص الاتفاق على ان يقف القتال ، وان يقف كلا الفريقين حيث كان ، ويمتنعا عن اطلاق النار اعتباراً من الساعة التاسعة عشرة من اليوم الخامس عشر من شهر ايار ، وان يشمل هذا الاتفاق منطقة التنظيم من مدينة القدس . ووافق العرب على ذلك ، الا ان اليهودنسوا تعهدهم . اوتناسوه ، وراحوافورانسحاب الانكليز يحتلون المباني الحكومية والعمارات الواقعة على مقربة منهم ، كما سنذكر ذلك في حوادث اليومين الرابع عشر والخامس عشر من الشهر نفسه ، ولما ابدت لجنة الهدنة القنصلية استغرابها لهذا التقدم ، لمخالفته الشروط المتفق عليها ، قال اليهود : لقد اعطانا الانكليز مفاتيح هذه العمارات ، فلماذا لا نتقدم لاشغالها .(٢)

---

(١) اطلعت على نسخة هذا الامر في ملفات لجنة الهدنة .

(٢) هذا ما قاله لي المسيو نوفيل ، القنصل الافرنسي ، وكان يومئذ احد الاعضاء الثلاثة الذين تؤلف منهم لجنة الهدنة . ومما قاله لي هذا القنصل انه عند حد اليقين بان الانكليز كانوا راغبين في القتال وما كانوا يريدون وقوفه في اي حال .

سقوط بيسان

●

سقطت بيسان بيد اليهود في ١٢ أيار ١٩٤٨. احتلوها بعد هجوم دام ثلاث ساعات. جاءوا من ناحية تل الحصن . ولما سقط هذا التل بايديهم (وكانت الساعة قد دقت الواحدة بعد نصف الليل) سقطت بيسان .

كانت حاميتها يومئذ مؤلفة من نحو خمسة وسبعين مناضلاً اردنيا جاءوا بقيادة الملازم اسماعيل طهبوب ، يسندهم زهاء مئة مناضل فلسطيني يقودهم توفيق التهتموني ، وكان هذا – في عهد الانتداب البريطاني – ضابطا في قوة الحدود .

ولم يتعد سلاح الحامية البنادق الاعتيادية خمسون منها ارسلتها اللجنة العسكرية في ٢٤ شباط ١٩٤٨ وهي انكليزية ورشاشين من طراز برن . ومئة بندقية ارسلتها اللجنة المذكورة في ٢٣ نيسان ١٩٤٨ ورشاشين من طراز هوشكز وبعض العتاد(عشرآلاف طلقة) و٣٠ لغماً ومئتي قنبلة يدوية .

واما قوة العدو الذي هاجم بيسان في ذلك اليوم فقد قدرت بثلاثمئة مقاتل معظمهم جاءوا من المستعمرات المجاورة ، يقودهم مخاتيرهم ، ويتلقون اوامرهم من مستعمرة العفولة . وهم من رجال الهاغاناه . وسلاحهم كان عبارة عن بنادق ، ورشاشات من طراز برن وستن .

سمح اليهود بادىء ذي بدء لسكان المدينة بالبقاء حيث كانوا ، شريطة ان يسلموا اسلحتهم . ولكنهم عادوا بعد شهر فامروهم بالرحيل . وَرَحَّلوهم بالقوة . فنزل فريق منهم الناصرة ، وفريق اخر حملهم اليهود في سياراتهم واوصلوهم الى الحدود السورية . وفي قول انهم فصلوا المسلمين عن المسيحيين . اما المسلمون فقد نقلوهم الى جسر الشيخ حسين ، ومن هناك امروهم بالتوجه الى شرق الاردن . واما المسيحيون فقد حملوهم في سياراتهم ، والقوا بهم في القسم الوعر من قطاع الناصرة .

كان يعيش فيها في اواخر عهد الانتداب (١٩٤٥) ١٨٠و٥ نسمة من السكان ٧٣٠و٤ منهم مسلمون و٤٥٠ مسيحيون . ولم يكن فيها يهودي واحد .

واما في اوائل عهد الانتداب (١٩٣١) فكان يعيش فيها ١٠١و٣ نسمة واما اليوم (١٩٤٩) فلم يبق فيها عربي واحد ، لا مسلم ولا مسيحي .

معركة كفار عصيون

●

سقطت كفار عصيون بيد العرب في ١٣ أيـار سنة ١٩٤٨ وفي اليوم التالي ١٤ أيار سقطت المستعمرات الثلاثة الاخرى المجاورة لها : ريفاديم، ماسوئوت اسحق، عين تسوريم ولكي تعرف كيف سقطت نرى لزاما علينا ان نقص عليك انباء المعارك التي سبقتها فنقول (١)

في ٦ أيار تحرش اليهود المتمركزون في (دير الشعار) (٢) بقافلة من الركاب تحرسها سيارات الجيش العربي ، بينما كانت هذه في طريقها الى الخليل . وكانت القافلة مؤلفة من ثلاثين سيارة ، بعضها سيارات مدنية ركابهـا مدنيون ، والبعض الاخر مدرعات وسيارات عسكرية تنقل الجنود . وكان هؤلاء يرافقون القافلة بقصد الحماية ، عددهم ستة عشر يقودهم ضابط برتبة ملازم ثان هو رستم يحيي . وكان مع القافلة ضابط يحمل مبلغا كبيرا من المال لدفع رواتب السرايا المرابطة فى غزة والخليل والقدس ، وهـذا الضابط هو الرئيس قسيم محمد .

كانت الساعة تدق الثالثة بعد الظهر عندما قصف اليهود القافلة بقنبلة من قنابـل مدافعهم القوسية (مورتر) من عيار ثلاث بوصات . قصفوها من دير الشعار ، فأصابت قدم احد السائقين المدنيين (٣) واعقبوها بقنبله ثانية اصابت رفيقا لـه فخر صريعا ، وسقط عجل احدى السيارات في الخندق ؛ فسُدت الطريق ، وتعذر على السيارات التي في المؤخرة اجتيازها . وراح الفريقان يتبادلان النار ، فقتل جندي وجرح آخر . وطلب قائد القافلة النجدة ، فجاءته نجدة عسكرية من القدس معها تسع مدرعات (٤) واخرى مدنية ، معها عدد من المناضلين من ابناء الخليل ، وجاء مع هؤلاء عدد من الجنود يقودهم

---

(١) اقرأ ما كتبناه عن الاصطدام الاول الذى جرى بين المناضلين ورجال قافلة كفار عصيون بتاريخ ١٣ شباط سنة ١٩٤٨ والثاني بتاريخ ٢٧ آذار سنة ١٩٤٨ .

(٢) احتل اليهود هذا الدير بعد صدور قرار التقسيم ببضعة أيام . واتخذوه حصناً امامياً يدرأ عن مستعمراتهم الواقعة في ذلك القطاع من اعمـال جبل الخليل . ورغم الانذار الذي وجهه اليهم المستر سمرست مساعد حاكم اللواء في الخليل . فانهم لم يخلوه . بل راحوا يقنصون القوافل العربية التي تمر من امامه . وهو من املاك الروس .

(٣) . . . بترت فيما بعد .

(٤) في كل مدرعة سائق وجنديان . وفيها مدفع من عيار رطلين ورشاش من طراز فيكرز .

حكمت مهيار ، وما ان وصلت هذه النجدات حتى راح الفريقان يتبادلان النار بشدة : العرب من ثلاثة مواضع على الطريق العام ، واليهود من ثلاثـة مواضع مقابلة : من دير الشعار ومن على هضبة واقعة على مقربة من الدير المذكور وعلى بعـد كيلومترين منه الى الشمال ، ومن على هضبة اخرى واقعة على بعد ثلاثمئة متر منه الى الجنوب . واما سلاح الفريقين في هذه المعركة فيكاد يكون متعادلا ، وهو عبارة عن مدافع خفيفة ورشاشات سريعة الطلقات .

ولم يحاول اي فريق ان يتقدم ، ويبدو ان كفة العرب كانت هي الراجحة ، فلم يكد يمضي على وصول النجدات سوى بضع دقائق حتى توقف اليهود عن اطـلاق النار ، ومرت القافلة . مرت عن طريق الحراج الكائنة الى الغرب من بيت فجار ، لاعن الطريق العام . اذ كانت هذه كما سبق وقلنا في اول هذا الفصل ـ مسدودة بالعراك الـذي قلنا انـه تعطل .

ان هـذا الحادث جعـل رجال الجيش العربي ، يفكرون في احتلال دير الشعار ليؤمنوا مرور القوافل من هناك ، ، فتحركت من حلحول في صبيحة اليوم الثاني (١٧) ايار قوة مؤلفة من تسع مدرعات وفئة (أي ثلاثة) من مدافع المورتر مـن عيار ثلاث بوصات . ومع هذه القوة ثلاثون جندياً وثلاثة ضباط هم : حكمت مهيار ، قسيم محمد وعبد الله ابو دخينة . قائدهم وكيل القائد عبد الله التل ، وكان هذا هو المسؤول عـن حراسة الطريق وحماية القوافل في ذلك القطاع ؛ وهو الذي وضع الخطة لاحتـلال دير الشعار ، فوقفت مدرعتان عند مفترق الطرق بين كفار عصيون وبيت فجار ، واخريان على مقربة من خزان الماء على الدرب العام ، وباقي المدرعات وقفت على الدرب نفسها تجاه زارع الحكومة ، وبين المدرعات نصبت مدافع المورتر ، وفيما كانت هذه وتلك تقذف حممها على مواضع الدفاع اليهودية راح المناضلون من ابناء الخليل وقراها وعددهم يقرب من الاربعمئة يزحفون صوب الدير .

بدأ القذف في الساعة الخامسة والدقيقة الخامسة والاربعين من صباح اليوم السابع من شهر ايار ، وظل هذا مستمراً حتى العاشرة ، عندما راح المناضلون يزحفون . ومـا كادت الساعة تدق الحادية عشرة حتى كان الدير بيد العرب ، وقد انسحب اليهود منه الى كفار عصيون ؛ انسحبوا عبر خندق اولبي كانوا قد حفروه هناك عندما احتلوا الدير .

عندما دخل العرب الدير وجدوا فيه خمس عشرة جثة يهودية كما وجدوا في الخندق ثلاث جثث . هذا غير القتلى الذين جر اليهود جثثهم عندما انسحبوا الى كفار عصيون .

ولا يقل عدد شهداء العرب عن هذا ، بعضهم استشهد اثناء القتال : جندي نظامي واثنان من المناضلين ، هؤلاء قتلوا بصلية رشاش يهودي ، والبعض الآخر لاقوا حتفهم بسبب الالغام التي زرعها اليهود حول الدير ، زرعوها الى جانب ثوب أو قميص !! او آنية !! او ورقة من الاوراق النقدية ذوات الخمسة جنيهات !! وهكذا دواليك ...

لم يتقدم العرب في زحفهم بعد احتلالهم الدير ، لا ولا فكروا في احتلال الام كفار عصيون ، وان كانوا اقدقصفوها من الدير بنيران مدافعهم ألا انهم عادوا فتوقفوا عن القصف .

ليس هذا فحسب ، فقد اقترف وكيل القائد خطأ بانسحابه وجنده من الدير ، مكتفياً بعدد من المناضلين لا يزيدون على الثمانين ، أبقاهم هناك ، ولم يبق معهم ولا واحداً من الضباط النظاميين . وقال قائل ، ان الانكليز الذين كانوا في البلاد ولم يبرحوها بعد ، كانوا يعارضون في اشتراك الجيش العربي او اية فئة من فئاته في قتال قبل انتهاء الانتداب فما كاد الليل يجن (٧-٨/٥/١٩٤٨) حتى عاد اليهود الى الدير واحتلوه ، وراحوا منه يقتنصون المارة ، حتى ان كلوب باشا رئيس اركان الجيش تجنب سلوك الطريق العام هناك عندما اراد ان يزور الخليل بعد ذلك الحادث بثلاثة ايام (١٠ أيار) فأتاها عن طريق بيت جبرين . ورجاه رجالات الخليل ان يضع حداً لهذه المهازل قائلين انه لا مناص من احتلال كفار عصيون نفسها اذاما ارادتأمين الامن وصيانة القوافل ، ويبدو انه وافق على هذا الاقتراح ، اذ ما كاد صبح اليوم التالي (١١ أيار) ينبلج حتى رأينا العتاد يحمل في صناديق من عمان الى اريحا ، ومنها الى القدس فالخليل ، ووصل مع العتاد ثلاثون جندياً يقودهم الملازم محمد المفلح ، وكان هناك ستون آخرون : ثلاثون مع قسيم محمد وثلاثون مع حكمت مهيار ، وراح المناضلون ايضاً يتنادون ، فتجمع منهم في قطاع العروب زهاء خمسمئة مقاتل ، وكان مع الفئات النظامية الثلاثة فئة مدرعات (عددها تسعة) وفئة من مدافع المورتر من عيار ثلاث بوصات (عددها ثلاثة) وراحت هذه تقذف الدير ، بدأ القذف في الساعة الخامسة من صباح اليوم الثاني عشر من شهر ايار ، وما كادت الشمس تتوسط كبد السماء حتى كان الدير قد سقط بيد العرب ، ومن هناك سار الجنود النظاميون والمناضلون الفلسطينيون جنباً الى جنب ، قاصدين احتلال كفار عصيون ، وكان مع الجنود خمسة ضباط ، كبيرهم هو الرئيس حكمت مهيار ، والباقون الملازم الاول محمد المفلح ، والملازم الاول قاسم الناصر ، والملازم عبد الله ابو دخينة . ووكيل ضابط لا ندري ما اسمه . وأما المناضلون فكان يقودهم عبدالحليم الجولاني وكان معهم الشيخ محمد علي الجعبري رئيس بلدية الخليل ، ورشاد الخطيب . وعبد

الرحيم الشريف ، وغيرهم كثيرون .

كان المهاجمون يتوقعون سقوط كفار عصيون والمستعمرات الثلاثة الاخرى المجاورة لها في بحر اربع وعشرين ساعة ، لا اكثر ، الا انهم ما لبثوا ان رأوا ان سقوطها بمثل تلك السرعة ضرب من المحال ، اذ لاقوا من اليهود مقاومة شديدة ، وقذفت طائرة يهودية برميلا طافحا بالمتفجرات ، الا انه سقط في ارض جرداء بين العرب والجسر الكائن على طريق القدس ـ الخليل ، ويقول السيد اسماعيل حجازي ، ان الطائرات اليهودية حلقت هناك مرتين : مرة انزلت ثلاثة رجال وفتاة بالمظلات ، وقعوا اسرى بيد العرب ، وفي الثانية هبط اربعة من الفدائيين في وسط المستعمرة .

هكذا انقضى الليل كله (١٢ - ١٣ أيار) دون ان يتقدم العرب ، وفي صبيحة اليوم التالي (١٣ ايار) وصل الى ميدان المعركة وكيل القائد عبد الله التل ومعه ستون جندياً وعدد من الضباط نذكر منهم الملازم الاول حسين المفلح ، والرئيس قسيم محمد والملازم الاول نزار المفلح ، والرئيس محمد الموسى(؟) وتولى التل قيادة المعركة ، فراحوا يقصفون كفار عصيون بشدة ، وبدأ القصف في الساعة الثامنة والدقيقة الخامسة والاربعين ، وعند الضحى كانت معظم منازل المستعمرة قد دمرت الا ان المشاة لم يزحفوا ، وكاد اليأس يستولي على المهاجمين ، لولا ان تقدم في تلك اللحظة الملازم الاول نواف جبر يرافقه اربعة من جنوده ، وراحوا يزحفون الى ان وصلوا حد الاسلاك الشائكة المحيطة بالمستعمرة فقطعوا جانباً منها ، ودخلوا عبر الثغرة التي فتحوها بين الاسلاك ، وجاء من خلفهم باقي الجنود والمناضلين ، واجتازوا الاسلاك ، وما هي الا برهة حتى رأى المهاجمون علماً ابيضا يرفع على عمارة من عمارات المستعمرة ، وكانت الساعة قد دقت الواحدة بعد الظهر (١٣ أيار) عندئذ اصدر التل امره بوقف اطلاق النار . فوقف وزحف الجنود والمناضلون صوب المستعمرة ، ولكنهم ماكادوا يقتربون منها حتى اطلقت النار عليهم من وكر يهودي ، هو المكان الذي رفع عليه العلم الابيض ، فتمركز الجنود والمناضلون في الخندق المحفور حول المستعمرة وراحوا يصوبون نيران بنادقهم نحو الوكر فدمروه ، عندئذ رفع العلم مرة ثانية ، ولكن تذكر المجاهدون انه لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ، ولهذا تقدموا نحو الوكر فنسفوه على من فيه ، ومن لم يمت منهم تحت الانقاض وخرج الى الفلاء قتلوه بنيران بنادقهم ، والذي فعل ذلك هو الضابط الذي حطم الاسلاك : الملازم الاول نواف جبر ورفاقه الاربعة .

حدثني خالد الحسيني الذي تولى قيادة المناضلين من افراد الجهاد المقدس بعد

المغفور له عبد القادر الحسيني انه دعي قبل منتصف الليل (١٢ - ١٣-٥) لينوب عن الجانب العربي في المفاوضات التي جرت بين الفريقين من اجل تعيين شروط الاستلام انه ادخل غرفة غير الغرفة التي كان فيها وفد الوكالة اليهودية، وكان ذلك في دار القنصلية الافرنسية ، وكان الليل قد انتصف، وان الفريقين راحا يتفاوضان بوساطة القنصل نفسه المسيو نوفل ، وانهما اتفقا على وقف اطلاق النار في الساعة الرابعة من صباح اليوم التالي ١٣ أيار على ان يجري التسليم في الساعة السابعة ، وان وقف اطلاق النار قد تم فعلا في تمام الساعة الرابعة ، فجاء مختار اليهود مع اثنين من رجاله الى المكان المتفق عليه في الساعة السابعة . وكان المختار يحمل ثلاث قنابل يدوية ، اخذت منه . وحضر الاجتماع الدكتور لورنر ، ممثل الصليب الاحمر الدولي . ولكنهم (اي اليهود) بدلا من التسليم حسب الشروط المتفق عليها راحوا يطلبون اعادة البحث في الامر ، فرفض العرب .

وما كاد الاجتماع ينفض حتى راح اليهود في المستعمرة يطلقون النار من مدافعهم الرشاشة . فقتلوا اثني عشر عربياً وجرحوا اربعة وثلاثين ، عندئذ ثاورت ثائرة العرب فشنوا على اليهود غارة شعواء متذكرين قوله تعالى (١) : - فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا . . . فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا ايديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم : وهذا ما فعله العرب ، وقد قتلوا منهم خلقا كثيراً .

ولما رأى اليهود انهم لامحالة مغلوبون قرروا الاستسلام للمرة الثانية، ورفعوا العلم الابيض مرة اخرى كما ذكرنا في السطور السابقة ؛ وهكذا سقطت مستعمرة كفار عصيون حوالي الساعة الثانية والدقيقة الثلاثين من بعد ظهر ١٣ أيار ، وأما المستعمرات الثلاثة الاخرى المجاورة لها فقد سقطت في ١٤ أيار سنة ١٩٤٨ .

كان في مستعمرة كفار عصيون عند نشوب المعركة ٦٦٤ يهودياً ويهودية ، وأما الحامية نفسها فقد كانت مؤلفة من ٥٠٠ مقاتل ، مئة منهم نساء . ولقد خسر اليهود في هذه المعركة على قول المناضلين مئتي قتيل و٣٧١ اسيراً ، وقد حدثني ضابط اثق بصدق روايته انهم (أي الاسرى) ٣٣١ ، خمسة وثمانون منهم نساء والباقون رجال ، وقتل من الاسرى ثلاثة وجرح كثيرون ، عندما مرت السيارة التي تقلهم من فوق لغم انفجر وكان اليهود انفسهم بثوه في الطريق ليدرؤا عنهم غارات العرب ، وأرسل الباقون على

(١) سورة النساء : الاية ٩٠

قيد الحياة من الاسرى القادرين على القتال الى عمان ، واما الشيوخ والنساء والاطفال وعددهم ٨٧ فقد سلموا الى ذويهم بوساطة جمعية الصليب الاحمر الدولية ، وغنم العرب كل ما وجدوه في هذه المستعمرة من سلاح وعتاد .

وقال اليهود ان قتلاهم ٦٢وجرحاهم ٤٢،وأما العرب فقد خسروا اربعين شهيداً(١) من المناضلين ، واربعة عشر من رجال الجيش العربي منهم الضابط محمد المفلح ، واما الجرحى من هؤلاء واولئك فكثيرون ، هذا في المعركة . واما في خارج المعركة فقد لاقى كثيرون حتفهم حين راحوا يتسللون الى اطراف المستعمرات باحثين عن الغنائم والاسلاب ، وقيل ان خسائر العرب من هذه الناحية لا تقل عن مئة نسمة ، لاقى معظمهم حتفه بفعل الالغام .

وقبل ان نختم كلامنا عن معارك كفار عصيون نرى من المصلحة ان نعطيك بعض ما نعرف من معلومات عن هذه المستعمرة ؛ وعن المستعمرات الثلاثه الاخرى المجاورة لها . فاليك اولا اسماءها :

(١) كفارعتسيون Kfar Etzion ويعرفها العرب باسم : عصيون

(٢) ريفاديم Revadim ويعرفها العرب باسم بيت سكاريا والمساطيح .

(٣) ماسوئوت اسحق Masuoth Yishak ويسميها العرب الحبيله

(٤) عين تسوريم EinTsorim ويسمها العرب : عين ابو زيد .

اما كفار عتسيون وهي الام فانها اكبرها ،وهي واقعة على تل مرتفع استراتيجي هام وكان هذا التل يعرف فيما مضى بـ (ظهر الكدس) . كان في الاصل ملكاً لرجل يدعى (جورج حلبي) فباعه هذا لرجل الماني ، وباعه الالماني ليهودي يدعي (يعقوب روزنبلوم) وهي من اراضي بيت أمر ، وصوريف ، والجبعة ، ونحالين من اعمال جبل الخليل .

في كفار عتسيون خزانان كبيران للماء وفيها ثلاث آبار رومانية قديمة . يعيش فيها زهاء ١٥٠ نسمة . مختارهم (ايجائيل) ويعرف بأبي هلال . واما ريفاديم فانها قائمة على تل مرتفع وعلى مقربة من قرية سكاريا . اشترى اراضيها حنا ميلادة من بيت لحم ، وباعها الى اليهود . فيها زهاء ٨٠ نسمة من السكان مختارهم (باروخ).

واما ماسوئوت اسحق ، ففيها بركة واسعة ، تتسع لـ٥٠٠ متر مكعب من الماء ، يسكنها زهاء ١٠٠ نسمة ، مختارهم هارون .

واما عين تسوريم فانها في الاصل من اراضي ارطاس ونحالين : اشتراها من اصحابها عيسى احجا من بيت لحم وباعها الى اليهود ، فيها نبع يعرف بعين ابي زيد . يسكنها

(١) اقرأ اسماءهم في الملحق التاسع

زهاء ٥٠ من السكان . مختارهم ابرام (ابراهيم) . ومساحة الاراضي التي تقوم عليها هذه المستعمرات ٢٥٠٠ دونم . رحل الشيوخ والنساء والاطفال قبل القتال وحل مكانهم رجال الهاغانا ، وقدر عدد المحاربين هناك بـ ٥٠٠ مقاتل .

هذا ولا بد لنا قبل انهاء هذا الفصل من القول ان التعاون بين رجال الجيش العربي وبين المناضلين المحليين في هذه المعركة كان على اتمه . وانه لولا هذا التعاون لما نجح العرب في قهر اعدائهم . ومن الذين ابلوا في هذه المعركة بلاء حسناً المجاهد الفلسطيني المعروف عبد الحليم الجيلاني . والضابط الاردني الجويء نواف جبر . ووكيل القائد عبد الله التل .

اما عبد الحليم الجيلاني فانه قائد المناضلين في جبل الخليل ،وهو من المخلصين اشترك في ثورة عام ١٩٣٦ وفي عام ١٩٣٨ واشتهر بالجرأة والاستقامة وكان يومئذ يحمل لقب (منصور) ولما نشب القتال في فلسطين (١٩٤٧) اثر صدور قرار التقسيم انتدبته الهيئة العربية العليا قائداً لمنطقة جنوب القدس : فاتخذ مقره في (دير الطنطورة) وكان ذلك في ٢٢ نيسان سنة ١٩٤٨ . وكان يعمل تحت قيادته خمسمئة مقاتل ، ستة منهم برتبة ضابط وهم : عبد القادر زلوم ، عبد الحفيظ عسيلي ، يونس احمد ابو عمر الجيلاني ، مصباح مصطفى حجازي ، محمد يوسف الجيلاني ، شحادة ابو ميالة ، كانوا يتقاضون رواتبهم من الهيئة العربية العليا ، وكان الجيش المصري يمونهم بالمؤن والذخائر .

واشترك عبد الحليم وصحبه في معارك عديدة نذكر منها معركة دير الشعار هذه ، وكفار عصيون ومعركة القسطل التي استشهد فيها عبد القادر الحسيني ، وفي صور باهر وجبل المكبر .

وقام هو ورجاله بحراسة اعضاء حكومة عموم فلسطين يوم تكونت في غزة :

ولد في الخليل عام ١٩١٣م من عائلة يرجع نسبها الى العالم العارف عبد القادر الجيلاني صاحب الطريقة المعروفة باسمه . ويلقب بـ(الشلف) وهو فخذ من فخوذ تلك العائلة .

واما نواف جبر فانه . . (يجب الحصول على نبذة من تاريخ حياته اما منه رأساً او من قيادة الجيش العربي)

واما عبد الله التل . فقد ذكرنا نبذة عن تاريخ حياته في موضع آخر من هذا الكتاب .

اليهود يعدون العدة لاعلان دولتهم

●

في ١٣ ايار اعلن ناطق باسم الوكالة اليهودية ان الخطط اللازمة قد رسمت لاعلان الدولة اليهودية ، وان الالة الحكومية ـ من اكبر منصب في الدولة الى اصغر عامل فيها قد اصبحت جاهزة للعمل . وانها ستبدأ عملها فور انتهاء الانتداب .

وارسل الدكتور حاييم وايزمن ، في اليوم نفسه ، رسالة الى الرئيس ترومان يرجوه الاعتراف بالدولة التي سيعلن اليهود قيامها بعد يومين . كما ارسل الى صديقه المستر جيكبسون (١) يرجوه ان يتوسط لدى الرئيس ، ويقنعه بالاعتراف ، على ان يتم ذلك بالسرعة الممكنة .

وراح اليهود في الوقت نفسه يتظاهرون بالميل الى التفاهم والسلام . فاعلنوا (في ١٣ ايار) انهم يوافقون على الهدنة التي عمل لها المندوب السامي في ٧ ايار .

ولكنهم ـ على ما ذكر اعضاء لجنة الهدنة بعدئذ (٢) ناقضوا القول بالفعل : اذ احتلوا في ذلك اليوم وفي اليوم الذي تلاه (١٤ ايار) بعض الاحياء العربية في القدس الجديدة . ولما ابدت لجنة الهدنة استغرابها ، ووجهت الى الوكالة اليهودية لومها ، قالت هذه (ان عصابة شترن هي التي خرقت الهدنة) ! ... ولم تفعل اللجنة شيئاً ! . . .

ولقد حدثني مسيو جان قروازيه ، مندوب الصليب الاحمر الدولي ، انه عندما هبط القدس في ذلك اليوم (١٤ ايار) رأى الفريقين مشتبكين في جميع انحاء المدينة فتحدث اليهما ناصحاً كلاهما بوقف اطلاق النار . وكانت الساعة قد دقت السابعة مساء : فقبل العرب رجاءه واصدروا اوامرهم بوقف القتال . فوقف هذا في تمام الساعة التاسعة . وقبلت الوكالة اليهودية ايضا اقتراحه فوعدت باصدار الامر اللازم ، وهدأت الحال ثلاث ساعات ، الا انها عادت ، فاشتعلت عند منتصف الليل . وكانت في هذه المرة اشد من كل مرة سبقت ، ورأى مسيو قروازيه بعينه اليهود وهم يزحفون (٣) تحت

---

(١) يهودي كان له مخزن لبيع الثياب في ولاية (ميسوري) وكان المستر ترومان ، قبل ان يدخل حلبة السياسة وينتخب رئيساً للولايات المتحدة ، شريكاً له في تجارته . وقد توطدت صلات الصداقة بين الاثنين بعد ان انتخب ترومان للرئاسة .

(٢) ذكر ذلك اثنان من قناصل الدول الثلاث الذين تؤلف منهم اللجنة ، وهما قنصلا فرنسا واميركا ؛ في مؤتمر صحفي عقداه في القدس بتاريخ ٨ تشرين الثاني ١٩٤٨ . واما العضو الثالث فهو قنصل البلجيك .

(٣) زحفوا من ناحية جبل الزيتون ، اي من مباني الجامعة العبرية ومستشفى الهداسا تلك المباني التي قالوا انها مؤسسات انسانية لا تعنى بشؤون القتال

ضوء القمر صوب المدينة . ولما تحدث الى رجال الوكالة بالهاتف مستطلعا طلع الخبر ، اعتذر هؤلاء قائلين : — (ان الوكالة ليست بمسؤولة عما تفعله عصابة الارغون)! ...

الملك عبد الله يعلن للملأ ان للفلسطينيين الحق في تقرير مصيرهم.

●

وفي ١٤ ايار ١٩٤٨ اذاع جلالة الملك عبد الله ملك المملكة الاردنية الهاشمية ، بيانا قال فيه : —

« لقد انتهى الانتداب البريطاني على فلسطين ، وزال بزواله عهد بلفور . ولقد رفض العرب قبول التقسيم والوصاية، ولذلك نعلن بهذا انه لا وجود لاي ادعاء استقلالي للطائفة اليهودية في فلسطين ، والشعب العربي يناضل عن عروبة هذه البلاد ، ولن ينازعه في سيادتها منازع بعد الآن ، وانا نعلن للجميع ان لأهل فلسطين العرب حق تقرير المصير بعد الظفر بالسكينة والامن » .

وفيه اذاع الملك خطابا وجهه الى مفتي فلسطين ، الحاج امين الحسيني ، بوصفه رئيسا للهيئة العربية العليا ، اثنى فيه على الخدمات التي اداها المفتي للقضية الفلسطينية فيما مضى ، وفي الخطاب توجيه اعتبره الناس بمثابة انذار في قالب ادبي كي يتنحى الحاج امين عن الوصف الذي لازمه الى الان كرمز للقضية العربية الفلسطينية ، وتمنى الناس ان لو يلهم الله الزعماء كلهم الحق ؛ فيعملون من اجل هذه القضية يدا واحدة ، وما كانت هذه في حاجة الى اتحاد القوى فيما مضى مثل ما هي في هذه الايام .

وتوقع الفلسطينيون ان يعقب هذين البلاغين بلاغ يبشرهم بزحف الجيش العربي صوب القدس التي كانت واقفة على حافة البركان . ولكن شيئاً من هذا لم يقع . فراحوا يتساءلون عن السبب .

تعيين الكونت فولك برنادوت وسيطا دوليا

●

وفي ١٤ ايار عرضت هيئة الامم على الكونت فولك برنادوت ان يكون وسيطا دوليا بين العرب واليهود في الحرب القائمة بينهما في فلسطين .

وفي ١٩ منه ابلغه المسيو ترجفي لي ، السكرتير العام لتلك الهيئة ، ان الخمسة الكبار (مندوبي انكلترة والولايات المتحدة وفرنسا وروسيا والصين) مجمعون على تعيينه وان

صلاحياته تتلخص في :

١ ـ اتخاذ جميع الوسائل التي تضمن سلامة السكان ، وصيانة الاماكن المقدسة ، والسعي لاحلال السلم بين العرب واليهود في فلسطين .

٢ ـ التعاون مع لجنة الهدنة التي عينها مجلس الامن بموجب قراره في ٢٣ نيسان ١٩٤٨

٣ ـ التعاون مع جميع فروع هيئة الامم الاخرى كالمنظمة الصحية وما الى ذلك من المنظمات الدولية من اجل تأمين مصالح السكان .

فقبل الكونت هذا التكليف ، وجاء من فوره الى فلسطين . وراح يتنقل بين عواصم الدول العربية وبين تل ابيب ، يرافقه عدد من المراقبين الدوليين الذين وضعوا تحت تصرفه ، وجلهم من الافرنسيين والبلجيكيين والسويديين ، وبعضهم من الاميركيين . ورفض مجلس الامن ، بتأثير من اميركا ، تدخل روسيا في شؤون الرقابة ، خشية ان تتسرب الشيوعية الى هذا الجزء من الشرق .

وراح الناس ، عندما سمعوا بهذا الخبر ، يتساءلون عن مهمة الكونت : هل هو مقيد بتنفيذ قرار التقسيم ، ام انه حر يستطيع ان يقترح ما يشاء من اجل التوفيق بين الفريقين ، وظلوا في حيرة من امرهم الى ان نشر الكونت مذكراته ، وقد جاء فيها :

انه ما كان مقيداً بقرار التقسيم الذي اصدرته هيئة الامم بتاريخ ٢٩ـ١١ـ١٩٤٧ ، وانه لو كان مقيداً بذلك القرار لما كان ثمة حاجة لانتدابه كوسيط ، وان فشل تنفيذ ذلك القرار واصطدام العرب واليهود المسلح هما اللذان جعلا هيئة الامم تبحث عن حل جديد لمستقبل الحكم في فلسطين ، وهذا هو السبب الذي حدا بتلك الهيئة لانتدابه كوسيط .

نقلت جريدة (الدفاع) المقدسية في عددها ٥٣٠٩ الصادر بتاريخ ٦ آب ١٩٥٣ عن جريدة (اميركان ميركوري) مقالاً كتبه مستر كيرت سنجر قال فيه : ـ « ان اليهود استقبلوا الكونت برنادوت ، عندما وصل الى المدينة المقدسة ، بلافتات كتب عليها : «استوكهولم لك يا برنادوت ، واما القدس فلنا . » و« عد الى بلادك يا برنادوت ، فجهودك سدى ، ونحن هنا » .

وهبط الوسيط بعدئذ فلسطين ، وبذل في الحقيقة كل ما في استطاعته من جهد لاصلاح ذات البين والتوفيق بين رغائب الفريقين المتنازعين . الا انه لم يكن موفقا في اعماله . لا ، ولا نجح في اقناعهما انه كان على الحياد في مساعيه . فقد كان كلاهما ينظر اليه نظرة ريب وحذر . فاعتبره العرب آلة بيد اليهود ، ويد المستعمرين الذين يؤيدون قضية الوطن القومي اليهودي . واتهمه اليهود انه صنيعة بيد لندن وواشنطن ، واما الكونت نفسه فقد

اعترف في مذكراته انه كان ينعم بثقة العرب، وان اليهود كانوا يناوئونه مناوأة شديدة :

وكان في طليعة الاشخاص الذين قابلوا الوسيط ، قبل قدومه الى فلسطين المستر اشلي كلارك القائم باعمال المفوضية البريطانية في باريس ، فاكد له هـذا (١) ان في الجيش العربي رجالا من الانكليز يعملون جنبا الى جنب مع العرب في ميادين القتال ، وان بريطانيا ستنفذ تعهدها ، وستثابر على تزويد العرب بالسلاح ، وانها لا توافق الولايات المتحدة في قولها ان العرب هم المعتدون . ولكنها ـ أي بريطانيا ـ ستعمل باخلاص على تنفيذ اي قرار تقرره هيئة الامم حتى ولو كان قرارها يقضي بتجريم العرب . . . وقال لـه المسيو بيدو Bidault وزير الخارجية الافرنسية (٢) ان فرنسا يهمها صيانة القدس وصيانة ما فيها من مقدسات مسيحية ، وانها لا ترغب ان تكون القدس في حوزة العرب . . .

واتاه ، وهو في باريس ، الدكتور غولدمان نائب رئيس الوكالة اليهودية وممثل حكومة اسرائيل المؤقتة في لندن ، فتحدث اليه (في ٢٦ ايار) في الوضع القائم بفلسطين قائلا انه انما جاء الى باريس ليوضح للوسيط الاماني القومية التي يسعى لتحقيقها يهود العالم ، وانه لا شيء يرضيهم سوى الاعتراف بقيام دولتهم : اسرائيل (٣) .

عدد المقاتلين في بيت المقدس وفي سائر انحاء فلسطين

قبيل رحيل الانكليز عن البلاد

في ١٢ ايار ١٩٤٨ هبط عمان وفد من رجال بيت المقدس مؤلف من الدكتور داود الحسيني والدكتور عزة طنوس ومنير ابي فاضل . فقابل الملك عبد الله ، وتحدث اليه في موضوع القدس وحاميتها . وكان يرافق الوفد القائد فاضل رشيد العراقي آمر الحامية : فاوضحوا للملك حقيقة الحـال ، وقالوا له ان القدس في خطر ، إذا لم تُمد حاميتها بالذخائر اولا ، ثم بالسلاح والرجال . فاجابهم الملك انه لا يريد حصر جيشه في القدس

---

(١) مذكرات برنادوت . ص ٦

(٢) مذكرات برنادوت . ص ٩

(٣) بعد هذا اقرأ ما كتبناه عن الاقتراحات التي قدمها الوسيط الى العرب واليهود في ٢٧ حزيران ١٩٤٨ والتقرير الاخير الذي ارسله الى المستر تريجفي لي السكرتير العام لهيئة الامم بتاريخ ١٦ ايلول ١٩٤٨ . وما كتبناه عن اغتياله في ١٧ ايلول ١٩٤٨ .

وانه ينوي ان يزحف به رأساً الى تل ابيب ، ليهشم رأس الحية في وكرها (١) :

واتصل الوفد ، اثر هذه المقابلة ، بالهيئة العربية العليا بمصر ، فارسلت هذه الى القدس بعض الاسلحة والاعتدة في طائرات استأجرتها لهذه الغاية ، وتفضلت الحكومة اليمنية المتوكلة فاعارتها ثلاث طائرات بدون مقابل .

هذا كل ما فعلته اليمن . ولم يصل الى علمنا اية نجدة اخرى قامت بها اليمن من اجل نصرة فلسطين ، لا ، ولا ارسلت اية قوات محاربة .

وقامت هذه الطائرات بنقل الاسلحة على ثلاث مرات متوالية (من ١٤ الى ٢٠ ايار) كانت حمولتها في كل مرة ، تكفي للقتال يوماً او بعض يوم ، وكانت هذه الطائرات تهبط في مطار قريب من اريحا . ولولاها لسقطت القدس يومئذ في يد الاعداء . وكذلك قل عن الاسلحة التي أرسلت الى حلمي باشا في طائرات مصرية : ١٢ مدفعاً من المدافع المضادة للدبابات مع ستة الاف قذيفة من قذائفها و ٧٠ رشاشاً و ٧٠ بندقية ومقادير لا بأس بها من خراطيش البارود.

قال الزعيم منير ابو فاضل ، المفتش العام لقوات الجهاد المقدس في حرب فلسطين (١٩٤٨) في مقال له نشرته جريدة (النهار) البيروتية ، في عددها ٤٥٣٣ الصادر بتاريخ ١٧ حزيران ١٩٥٠ ، ان غلوب باشا رئيس اركان حرب الجيش العربي طلب ، بتاريخ ١٧ ايار ١٩٤٨ ، من القيادة المصرية في القاهرة ان تمنع طائرة سيف الاسلام عبد الله ولي عهد اليمن وطائرة شركة مصر للطيران عن العودة الى اريحا . وقد هدد باطلاق النار على تينك الطائرتين اذا حلقتا فوق اريحا او انزلتا سلاحاً وعتاداً للمجاهدين في مطارها الصيفي

ولما كان هذا المقدار من السلاح والعتاد لا يكفي للقتال وصون المدينة المقدسة من السوء ، فقد راح المجاهدون يشترون باموالهم العتاد الذي وجدوه ، وكان هذا غالي الثمن وفي بعض الاحيان كان يفقد بالمرة ، فكان المشط الواحد من قرطاس البارود (الفشك) الالماني يشترى بثمانية وثلاثين قرشا ، والانكليزي بثمانية وعشرين ، والطلقة الواحدة من

---

(١) يظهر ان الملك غير ، بعد قليل رأيه ، ولا سيما عندما رأى ان الرأى العام صاخب ، يريد انقاذ القدس . وذكر الملك لاصحابه بعدئذ انه ما كان ينوي مهاجمة القدس لولا ان رأى في منامه اباه الملك حسيناً ، فعتب عليه هذا لاهماله مدينة يثوى هو في احشائها . فقام من فوره ، واصدر امره الى رئيس وزرائه كي يزحف جيشه الى القدس ولكن هذا المنام والامر الذي اعقبه جاءا متأخرين : فلم يتحرك الجيش الا في اليوم الثامن عشر من شهر ايار وقد اطلت طلائعه الاولى على المدينة في اليوم التاسع عشر كما سنذكر ذلك في حينه .

قرطاس التومي (نمرة ١٢) بعشرة قروش والستن (نمره ٩) بسبعة .

وقصارى القول ان الوضع العسكري في المدينة كان على درجة قصوى من الخطر ، ولا سيما لان اليهود حشدوا معظم قواتهم فيها ، وكانوا مزودين بمقادير ضخمة من آلات القتال ، بينما لم يزد عدد المجاهدين من العرب يومئذ على الالف الا قليلا ، ثم ازدادوا ، فاصبحوا الفين ، بعضهم من رجال الجهاد المقدس والبعض الاخر من رجـال جيش الانقاذ ، وهناك متطوعون نزلوا الى الميدان ، وراحوا يصولون فيه على انفراد ، وقد ابتاعوا باموالهم سلاحهم وعتادهم .

اما رجال الجهاد المقدس فقد كانوا يومئذ موزعين في اطراف المدينة كما يلي :

العـدد	
٨٠	في البلدة القديمة بقيادة حافظ بركات (ابي الفيلات) يساعـده الشيخ يس البكري .
٥٥	في وادي الجوز والشيخ جراح بقيادة محمود جميل الحسيني ، ولما استشهد هـذا تولى القيادة محمد عادل النجار ، ولما جرح هـذا تولى قيادتهم عادل عبد اللطيف .
٦٠	في المصرارة وسعد وسعيد بقيادة صبحي ابو غربية ، ولما جرح هـذا تولى القيادة اخوه بهجت ابو غربية .
٤٥	في باب الساهرة بقيادة بهجت أبو غربية ، ولما جرح هذا تولى قيادتها رؤوف درويش .
٣٥	في باب الخليل وشارع مأمن الله بقيادة محمد ابي ذاب :
٣٥	في النبي داود بقيادة صبحي بركات ، ولما استشهد هـذا تولى القيادة احمد امين الدجاني .
٣٥	في الثورى بقيادة محمد سعيد بركات (المعروف بابي حمدي)
٤٥	في البقعة الفوقا بقيادة شفيق عويس .
١١٥	في القطمون والبقعة التحتا بقيادة ابراهيم ابي دية .
٧٠	في ابي ديس بقيادة الحاج رشيد عريقات .
٤٥	في العيزرية بقيادة ابراهيم ابي الريش .
٥٥	في بيت صفافا بقيادة عبد الله محمد العمري :
٢٥	فرقة التدمير العربية (١) بالبلدة القديمة بقيادة فوزي القطب .
٧٠٠	

(١) تألفت هذه الفرقة قبل حوادث ١٨ اذار ١٩٤٨ • اقرأ ما كتبناه عنها في غـير هذا المكان .

وكانت لدى الجهاد المقدس الاسلحة الآتي ذكرها : ٥٠٠ بندقية ١٠٠ رشاش من طراز ستن ٧٠ من طراز برن ١٥ بندقية مضادة للدبابات ومثل هذا العدد من البنادق المضادة للطائرات وعدد قليل من مدافع الميدان (بريدا) والهاون من عيار بوصتين وثلاث بوصات والبنادق متنوعة : اكثرها ايطالي وبعضها الماني وانكليزي والبعض الاخر افرنسي. وكذلك قل عن الرشاشات، وكانت لديهم سبع مصفحات ولكن الذخائر التي تحتاجها الاسلحة المتقدم ذكرها لم تكن متوفرة .

حدثني احد قادة المناضلين انه كان لدى كل قائد من القادة المتقدم ذكرهم ست بنادق المانية سوارية وعشر بنادق ايطالية صحراوية . وكان مع كل قائد مدفع براون وآخر براوننغ . وكان مع المناضلين مقادير لا بأس بها من الالغام .

واما القطعات التي تنتمي الى جيش الانقاذ (١) والتي كانت تعمل في قطاع القدس، فقد كانت مسؤولة عن الجزء الواقع بين باب الخليل والنبي داود وحي الثوري . وكانت مؤلفة من فوج اليرموك الثالث ، يقودها الرئيس فاضل عبد الله رشيد العراقي (٢) ، وكان عدد افراد هذا الفوج ، في بادىء الامر ، مئتين ، ثم ازدادوا فاصبحوا خمسمئة معظمهم اكراد ، وبعضهم جراكسة والبعض الاخر عراقيون ، وسوريون، جاءوا من حلب وحمص وحماة وسائر بلاد الشام ، وكان بينهم عدد قليل من الفلسطينيين .

وكانت هناك سرية من الاخوان المسلمين السوريين قوامها خمسة وثمانون مقاتلا ، على رأسهم ثلاثة من رجالات سوريا هم : الشيخ مصطفى السباعي رئيس جماعة الاخوان المسلمين في سوريا ، وجمال الصوفي وعبد الرحمن الملوحي من رجال الجيش السوري وجلهم ان لم نقل كلهم من الاسر المرموقة في سوريا ومن حملة الشهادات المثقفين اشتركوا في معارك الحي القديم وفي القسطل والقطمون . وفي الحي الاخير هذا استشهد منهم كثيرون .

---

(١) اقرأ ما كتبناه عن هذا الجيش في ١١ نيسان و ٢٠ ايار ١٩٤٨

(٢) انه (آمر حامية القدس) جاء اليها من العراق في شهر شباط ١٩٤٨ ، اثر اتفاق تم بين الهيئة العربية العليا لفلسطين واللجنة العسكرية في الشام . وكان المفروض ان يكون تابعاً في حركاته الى قيادة الجهاد المقدس . الا انه انشق عنها فيما بعد ، كما انشق عن القاوقجي من قبل . واختلفت اراء الناس فيه . فمن قائل انه مخلص وامين ، وانه اصاب في عمله ، ومن قائل انه اخطأ في ادارته دفة القتال . وهناك فريق ثالث يقول : انه ما كان يخفق لولا ان اللجنة العسكرية ضنت عليه بالسلاح والمال . اضف الى ذلك انه رجل لين العريكة ، لا يصلح لقيادة الكتائب المؤلفة من اجناس مختلفة كالكتائب التي الف منها جيش الانقاذ والله اعلم بالصواب .

وهناك ايضاً (سرية منكو) للمتطوعين الاردنيين ، قوامها مئة وخمسون مناضلا ، يقودهم الرئيس بركات طراد من الخرشاف . وقد جاء هؤلاء من عجلون والبلقاء ومن سائر انحاء شرقي الاردن . حطت كتيبتهم رحلها على جبل الزيتون . ولقد سميت بهذا الاسم نسبة الى ابراهيم منكو (١) الذي تولى الانفاق عليها من ماله الخاص .

وهناك ايضا المناضلون الفلسطينيون (٢) الذين لم ينخرطوا في صفوف الجهادالمقدس ولا في جيش الانقاذ . وكان هؤلاء موزعين في اطراف المدينة كما يلي :

الموضع	ضباط	صف ضباط	جنود	المجموع	اسم القائد المحلي
مقر القيادة	٤	٣	٤	١١	محمود الجراح (مساعد القائد)
رجال الامن	١	٧	١٨	٢٦	مهدي البغدادي
منظمة الشباب	٤	١٣	٣٨	٥٥	موسى ابو الهوى الطوري
فرقة التدمير	٢	٥	٢٣	٣٠	يوسف الحايك
حامية النبي داود	٤	١٥	٨٥	١٠٤	محمد منيب الدسوقي
حامية الثورى	٤	٦	٨٥	٩٥	مهدي البغدادي
حامية جبل المكبر	٢	٦	٢١	٢٩	احمد علي عودة السلواني وعبد الهادي فخر الدين
فرقة النيل الفدائية	١	١٠	٢٩	٤٠	حفني المصري
مناضلو سلوان	١	٦	١٥	٢٢	موسى حسين الغول
مناضلو ابي ديس	١	١٣	٣٤	٤٨	سلامة الديسي
مناضلو عرب السواحرة	٢	١٢	٤٦	٦٠	مناوي اسماعيل واحمد قاسم ابو دهيم
	٢٦	٩٦	٣٩٨	٥٢٠	

ولقد عهد بقيادة المناظلين الى طارق الافريقي (٣) . وكانوا يتقاضون رواتبهم من

---

(١) من تجار عمان و كبار ملاكيها .

(٢) الف هذه القوة احمد حلمي باشا بوصفه نائبًا لرئيس الهيئة العربية العليا ، وكان ذلك قبل انتهاء الانتداب بقليل . وعندما دخل الجيش العربي المدينة عينه الملك عبد الله حاكما عسكريًا عليها فراح يدفع رواتب هؤلاء المناضلين من الضرائب التي جمعها من الاهلين .

(٣) افريقي الاصل . ولد في نيجيريا ١٨٨٨م وتخرج من الكلية الحربية في استانبول ١٩٠٨ ، واصبح ركنًا من اركان الحرب في الجيش العثماني ١٩١٤ واشترك في حركة النضال الفلسطيني ١٩٤٨ . كان في بادىء الامر في قطاع المجدل ، ثم جاء الى القدس وتولى قيادة هذا القسم و كان تابعًا للحاج امين

مجلس الجامعة العربية عن طريق جيش الانقاذ اولا ، والجيش العربي بعد ذلك .
تسلم قيادة هؤلاء المناضلين بعد طارق بك الافريقي وعندما تولى الجيش العربي القتال في قطاع القدس ضابط الماني يدعى (الهرفون شتاينبورغ) . وكان يسمي نفسه (محمد ماهر) ورتبته في الجيش العربي رئيس اول . ومقره في الروضة ويتكلم اللغة العربية برطانة اجنبية . وكان قبل ذلك يعمل مع قوات الجهاد المقدس في بئر زيت بقيادة عبد القادر الحسيني . وكان قائداً للمدفعية وكان يعمل وقتئذ في تعبئة الالغام وكان يسمي نفسه وهو في الجهاد المقدس (محمد ابراهيم دلول) ويدعي انه من السلمية من اعمال حماه .
وارتاب به في يوم من الايام ، احد المناضلين فشكوه الى القيادة. ولما بحثت هذه في امره تبين لها انه جاسوس . ابوه عربي مسلم سوري وامه يهودية من سلانيك . فالقي القبض عليه وسيق مخفوراً الى عمان .
وكانت في المدينة قوة تدعى (البوليس البلدي)(١) قوامها ثلاثمئة رجلا قادهم بادىء الامر خالد الحسيني ، ثم تسلم قيادتهم سليمان عازر من بير زيت . وكانت مهمة هذه القوة حراسة الطرق ومداخل الشوارع ثم اشتركت في القتال .
وهناك (حراس الحرم) . كانوا في البدء سبعة مسلحين بالمسدسات . ثم زيد عددهم بطلب من المجلس الاسلامي الاعلى – وهو الذي دفع رواتبهم – فاصبحوا عشرين . ستة عشر منهم مسلحون بالبنادق الانكليزية ، واربعة بالرشاشات من طراز ستن . كانوا بقيادة الحاج عبد الحميد المدني الحجازي . وعندما استقال هـذا تولى قيادتهم الحاج احمد شاهين من ابناء القدس .
وكانت هناك شرطة نظامية تابعة لمصلحة البوليس الحكومية . عملهـا منحصر في الحرم وعددها خمسة مجهزون بالة لاسلكية للمخابرة .
وكانت هناك منظمة تضم عدداً قليلا من الشباب ، اسموها (منظمة الشباب العربي) انخرط في صفوفها في بادىء الامر مئة وخمسة عشر شابا من شباب البلاد (٢) كانوا في

---

(١) تألفت هذه القوة في زمن الحكومة الفلسطينية في اوائل شهر اذار ١٩٤٨ ، وكان مجموع افرادها ستمئة . نصفهم عرب والنصف الاخر يهود : والعرب اختيروا من اهل القدس وقراها ومن جبل نابلس والخليل . وقد سلحتهم الحكومة ببنادق انكليزية ، اكثرها من النوع القديم الذي لاينفع ومنها (٥٠) من النوع الجديد المعروف بالباراشوت . وزودتهم بواحد وعشرين الف فشكة .

(٢) سبعة واربعون منهم من مواليد القدس : وخمسة عشر من قراها (بني حسن والوادية) واربعة من قرى (رام الله ، وعشرة من الخليل ، وعشرة من السودان ، وواحد وعشرون من شرقي الاردن وثلاثة من نابلس ، واثنان من لبنان ، وواحد من طبريا ، وواحد من يافا ، وواحد من مراكش .

بادىء الامر تابعين للجهاد المقدس . ولما تألف البوليس البلدي الذي ذكرناه في الاسطر المتقدمة انضم اليه فريق من رجال هذه المنظمة ، وبقي اربعون يعملون في صفوفها ، يقودهم الملازم الاول يوسف الفتياني (١) ثم ازداد عددهم فصاروا خمسة وخمسين . وانخرط هؤلاء في صفوف المناضلين التابعين للجيش العربي عندما هبط هذا بيت المقدس فراح يقودهم طارق الافريقي . وعندما وقف القتال في المدينة اندمج افراد هذه المنظمة في سرية الحسين التابعة لقيادة الميسرة ، والغيت المنظمة .

كذلك كانت حامية المدينة عند انتهاء الانتداب البريطاني ، واليها يعود الفضل في الذود عن الحمى في تلك الفترة العصيبة من الزمن ، وانا لنجملها كما يلي :

٧٠٠	الجهاد المقدس
٥٠٠	جيش الانقاذ
٨٥	الاخوان المسلمون السوريون
١٥٠	سرية منكو للمتطوعين الاردنيين
٥٢٠	المناضلون الفلسطينيون التابعون للجيش العربي .
٣٠٠	البوليس البلدي .
٢٥	حراس الحرم
٢٢٨٠	

ولكن هذا العدد من المناضلين لم يكن مستقراً ، بل كان تارة يزداد ، وطوراً ينقص ، تبعاً للظروف والاحوال ، هذا في المدينة، واما في قطاعها الجنوبي (بيت لحم وبيت جالا وبيت صفافا وصور باهر ...) فلم يكن عند زوال الانتداب ، اكثر من مئة وخمسين مقاتلا ثم ازدادوا فبلغوا ثمانمئة (٢) بعضهم ينتمون الى الجهاد المقدس ؛ والبعض الآخر مستقلون ، ثم انضم اليهم المتطوعون من مصر والسودان وليبيا وتونس ومراكش ، وكان هؤلاء خاضعين لقيادة القائمقام احمد عبد العزيز المصري ولما استشهد هذا قادهم محمد

---

(١) من شباب بيت للقدس . ولد عام ١٩١٥ وحد انصار النجادة والفتوة بالقدس في منظمة واحدة اسماها (منظمة الشباب العربي) .

(٢) ٢٢٠ من صور باهر يقودهم جاد الله محمود ١٣٠ من بيت صفافا والولجة يقودهم عبد الله العمري ، ١٥٠ من بيت لحم يقودهم ابراهيم ابو دية ١٥٠ من بيت جالا يقودهم رفيق عويس ، ١٥٠ من الخليل يقودهم عبد الحليم الجولاني .

علي فكري ، ثم اسندت قيادتهم الى عبد الجواد طبالة ، وكان يشرف على القوات المصرية القائد سيف اليزن بك ، وكان المصريون في هذا القطاع ، مزودين بأربعة مدافع من مدافع الميدان ، بعضها ذوات ٢٥ رطلا والبعض الاخر ١٨ ، وكانت هذه منصوبة في رأس بيت جالا ، والصليب ، وعند الطنطور ، وفي نقطة قريبة من فندق وطسون في بيت لحم وبيت ساحور ، وكان لديهم عدد كبير من مدافع المورتر والفيكرز ، ومن المدافع المقاومة للدبابات والطائرات ، ولكن لم يكن لديهم طائرات .

ولقد ازداد عدد المصريين وعدد المتطوعين المنخرطين في صفوفهم خلال فترة الهدنة ، فأصبحوا ثلاثة آلاف مقاتل اكثرهم (٧٥ ٪) متطوعون والباقون (٢٥ ٪) نظاميون ، وأما الضباط فكلهم نظاميون ، كانوا في الجيش المصري ثم استقالوا وتطوعوا في حركة النضال الفلسطيني .

وأما في القطاع الشمالي (بير زيت وعابود ورام الله) فكان يرابط زهاء اربعمئة من رجال الجهاد المقدس ، ومئتان من جيش الانقاذ ، ومئتان او اكثر مستقلون .

وكثيراً ما كان هؤلاء واولئك (اي المرابطون في بيت المقدس وفي قطاعيها الجنوبي والشمالي) يستنجدون بسكان القرى المجاورة ، فينجدهم هؤلاء ما استطاعوا الى ذلك سبيلا ولهذا كنت ترى عدد المجاهدين في مختلف القطاعات يزداد تارة ، وطوراً ، يقل ، وما كان بين هذه الفئات المختلفة اي تعاون عسكري وانما كانوا يعملون منفردين .

وكانوا يزودون بالعتاد والاكل من لدن الجهة التي يركضون لنجدتها .

كذلك كان الوضع ، من حيث عدد المقاتلين العرب في القدس وفيما حولها من البلدان ، عند نهاية الانتداب (١٥ ايار ١٩٤٨) .

وأما اليهود ، فكان يومئذ اكثر عدداً واسلحة وتدريباً ، فقد كان لمنظمة الارغون الارهابية وحدها في القدس ، على ما ذكره (ي . رعنان) قائدها العام في هذا القطاع ، الف جندي مدرب على القتال ، وهم الذين قارعوا الانكليز واغتالوا الكثيرين منهم . وكانت لدى الهاغانا قوات اكثر بكثير مما لدى الارغون ، ويقول رعنان انه وان لم يكن لدى ارغون اكثر من ٣ مدافع برن و٣٢ مدفع رشاش و ٣٩ بندقية اعتيادية و ٨٠ مسدساً ومقداراً من القنابل والمواد المتفجرة ، الا انه كان تحت تصرف الهاغانا مقادير هائلة من الاسلحة والعتاد الحربي والمواد المتفجرة .

وقال احد اليهود السوريين يوم جاء الى مقر القيادة العربية في الروضة وسلم نفسه قائلا انه سئم الحياة بين اليهود السفراديم ومل حياة الجندية ، وانه يبغي الرجوع

الى الشام حيث نشأ وترعرع ، قال ان قوة اليهود في المدينة مؤلفة من حوالي سبعة آلاف وخمسمئة مقاتل .

والاهم من هذا وذاك انهم (اي اليهود) كانوايعملون يداً واحدة ، اذ كان الاتفاق قد تم ، في شهر نيسان ، بين رجال الارغون والهاغانا ، فدفنوا اختلافاتهم ولو الى حين واقتسموا الاعمال وقسمت مدينة القدس الى اربع مناطق قتال :

المنطقة الاولى = الاحياء الواقعة في جنوب القدس (الكولونية الالمانية والطالبية) .

المنطقة الثانية = جزء من الاحياء الواقعة في غرب المدينة (فندق الملك داود ودار جمعية الشبان المسيحيين وعمارة داود اخوان وكلية التراسانطة وراحافيا) .

المنطقة الثالثة = الجزء الآخر من الاحياءالواقعةفي غرب المدينة(مقبرة ماملاوطريق باب الخليل والمسكوبية والنوتردام) .

المنطقة الرابعة = الاحياء الواقعة في شمال المدينة وشمالها الغربي (من المستشفى الايطالي حتى الشيخ جراح ومدرسة البوليس على طريق القدس ـ نابلس) . فكانت المنطقة الرابعة من نصيب الارغون ، والمناطق الاخرى من نصيب الهاغانا ، ومجموع افراد الهاغانا سبعة آلاف (١) وهناك (البالماخ) وهي القوة العسكرية الوحيدة المنظمة ، يقودها Yigal Alon وهو شاب في الثلاثين من عمره انها عبارة من اربع كتائب ، مجموع افرادها في فلسطين كلها ثلاثة آلاف ، ومعنى ذلك ان عدد اليهود المنضمين الى المنظمات الثلاثة (الهاغانا ٧٠٠٠ + الارغون ١٠٠٠ +البالماخ ٣٠٠٠) احد عشر الفاً. قال جون كمشه في كتاب (الاعمدة السبعة المتساقطة) ص ٢٣٣ ان القادرين على القتال بالفعل لا يزيدون على ٦٠٠٠ .

ويقول الزعيم منير ابو فاضل (٢) ان الحكومة كانت في اواخر عهد الانتداب قد داهمت دار الوكالة اليهودية وعثرت فيها على ارقام تشير الى العدد الحقيقي للقوات اليهودية ، وان ضابطاً كبيراً من حكومة فلسطين اسمه (ك . ر) حمل تلك الارقام الى غلوب باشا رئيس اركان الجيش العربي في عمان ، وانه هو ايضاً (اي منير ابو فاضل)

---

(١) كان يقود الهاغانا ، عند بدء النضال ، يهودي يدعي **Israel Galilé** وقد اختلف رجال الهاغانا بعد قليل على القيادة فتسلمها رئيس الوزراء بن غوريون .

(٢) اقرأ مقاله المنشور في العدد ٤٥٣٢ من جريدة (النهار) البيروتية بتاريخ ١٦ - ٦ - ١٩٥٠ وكان ابو فاضل من كبار ضباط الامن في عهد الانتداب كما كان مفتشاً لقوات الجهاد المقدس اثناء القتال (١٩٤٨) .

ارسل ما لديه من معلومات في هذا الصدد الى الحكومات العربية ، وكان ذلك قبل نشوب الحرب الفلسطينية (١٩٤٨) وتدل تلك الارقام على ان قوة اليهود كانت قبل بدء القتال (١٩٤٨) عبارة عن .

العــدد	
٢٠،٠٠٠	جندي دربوا تدريباً كاملاً ، وكانوا مزودين بالسلاح الكامل
١٠،٠٠٠	جندي دربوا تدريباً كاملاً ، ولم يزودوا بالسلاح الكامل
٣٠،٠٠٠	جندي دربوا تدريباً جزئياً ، ولم يزودوا بالسلاح
٦٠،٠٠٠	هؤلاء ينتمون الى جيش الهاغانا
٦،٠٠٠	مسلح ينتمون الى منظمة الارغون ، وكانوا مسلحين
١،٠٠٠	مسلح ينتمون الى منظمة شترن ، وقد عهد اليهم بأعمال التخريب
٦٧،٠٠٠	

انتهى قول ابي فاضل ، وتحدث المستر ريفس ، حاكم لواء السامرة ، الى رئيس بلدية جنين حلمي العبوشي في يوم السبت الموافق ٢٧ آذار ١٩٤٨ فقال ان المعلومات التي تمكنت دائرة الاستخبارات البريطانية من جمعها تدل على ان اليهود اقوياء اكثر مما يتراءى للناس ، وان النكسات والهزائم التي منوا بها في الايام الاخيرة لا يجوز اعتبارها مقياساً لقوتهم ، وان لديهم اسلحة ومعدات حربية حديثة لا يوجد مثلها عند المقاتلين العرب في فلسطين ، حتى ولا لدى جيوش الدول العربية النظامية ، منها :

١ ـ مئات من محركات الدبابات الخفيفة والثقيلة يمكن تركيبها في اي وقت :

٢ ـ مدافع كبيرة بكميات وافرة لم يستعملوا اياً منها الى الآن ، ومنها نوع يرمي قنابله الشبيهة بالصواريخ الى مسافة ٣ كيلومترات .

٣ ـ معمل كبير للمصفحات كان يزود بريطانيا بالمصفحات خلال الحرب ، ويقول المستر ريفس ان رصاص البنادق لا يخترق هذه المصفحات .

٤ ـ بنادق يخترق رصاصها المصفحات، ويوقفها عن العمل ، وهي نوعان: انكليزي واسمه Fieat واميركي واسمه Bazoka .

٥ ـ يملك اليهود ايضاً عدداً وافراً من الطائرات قاذفات القنابل والمقاتلات، ولديهم مطارات قريبة من مراكزهم الرئيسية .

٦ ـ لدى اليهود ما لا يقل عن ٥٠ الى ٦٠ الف مقاتل مدرب . وقد قرروا البدء بهجومهم قبل يوم الجلاء (١٥ ايار) ببضعة ايام .

تلك هي المعلومات التي نقلها المستر ريفس الى رئيس بلدية جنين ، وقد نقلها هذا بدوره الى اللجنة العسكرية بدمشق . وكان ذلك في ٢٨ آذار ١٩٤٨ (١)

هذا عن قوة اليهود في فلسطين كلها ، واما القدس وحدها، فقد كان لهم فيها ـ على ما جاء في التقرير الذي رفعه الرئيس فاضل عبد الله العراقي (٢) ـ نحواً من عشرة آلاف جندي من جنود الهاغانا ، يقودهم جنرال برلوني .

رحيل الجيش البريطاني

ولا بد لنا من القول بأن الايام الخمسة التي انقضت بين الرابع عشر من شهر ايار ١٩٤٨ ، وهو اليوم الذي رحل فيه الانكليز عن البلاد ، والثامن عشر وهو اليوم الذي دخل فيه الجيش العربي ، كانت اكثر الايام هولا واعظمها اثراً في مصير القدس ويسميها المقدسيون : ـ (الايام الحمراء) .

اذ ما كاد الفوج الاخير من الافواج الانكليزية يغادر المدينة في اليوم الرابع عشر (٣) حتى وقف الفريقان العرب واليهود ، وجها لوجه ، واشتعلت نيران القتال في جميع

---

(١) يجدر بك ايها القارىء الكريم ، ان تقرأ بعد هذا ما قاله دافيد بن غوزيون رئيس وزراء اسرائيل الى اعضاء الكنيست في ٢ اب ١٩٤٩ وما قاله آرثر كوئتلر في الصفحة ٢٤٢ من كتابه (وعد ووفاء) عن ضعف اسلحة اليهود وقبل الهدنة الاولى . وقد ذكرنا القولين عند ذكرنا حادثة الباخرة (آلطالينا) في ٢٠ حزيران ١٩٤٨ .

(٢) ذكر العميد الركن طه باشا الهاشمي هذا التقرير في مذكراته المنشورة في العدد ٢٧ من جريدة (الحارس) العراقية بتاريخ ٢٨ ايار ١٩٥٣ .

(٣) مع انه كان مقررا ان يغادروها في الخامس عشر وقد بدأ رحيل الفوج الاخير في الساعة العاشرة من ذلك اليوم وانتهى في الرابعة بعد الظهر ، وهناك الافواج الاخرى بدات بالانسحاب في منتصف ليلة ١٤ ايار ، وكان عدد المدنيين من الانكليز المقيمين في القدس عند انتهاء الانتداب ٦٢٠٨ رحلوا كلهم عنها .

انحاء المدينة واشتدت الفوضى (١) .

ففي الساعة العاشرة من ذلك اليوم الجمعة (١٤ ايار) بدأ الجنود يغادرون ثكناتهم فريق منهم ميممين رام الله فحيفا ، وفريق الى الخليل فبئر السبع ومصر ، وقد غادرها في الوقت نفسه ، السر الن كاننغهام المندوب السامي . SirAlan Cunningahm .

فقد سافر في سيارته الى مطار قلندية ، وهناك امتطى طيارة اقلته الى مطار حيفا ، وانزل العلم البريطاني عن دار الحكومة على جبل المكبر ورفع مكانه علم الصليب الاحمر. ومن حيفا اقلت المندوب باخرة بريطانيه الى بلاده وبرحيله ، وجنده ولى عهد الانتداب الادبار ، ذلك العهد الذي دام ثلاثين عاماً في هذه الديار ، ومما هو جدير بالذكر انه ما من احد من سكان هذه البلاد ، لا مـــن العرب ولا من اليهـــود ، خرج لوداع المنـــدوب ولا ذكر احـــد منهم الانكليز وحكمهم بكلمة خير .

وفيما كان الجيش يجتاز شوارع المدينة مودعاً ، دخل اليهود عمارة المسكوبية (٢) دخلوها من بابها الغربي والشمالي القريبين من الاحياء اليهودية ، وكانت فئات اخرى من من رجال الارغون ، في ساعة مبكرة من صبيحة ذلك اليوم ، قد احتلت العمارات . ذات القيمة الاستراتيجية . المجاورة لها . ومنها عمارة جنرالي ودار البرق والبريد : وبنك انجلو – بالستاين ومقر البوليس العام : والسجن المركزي .

وحاول العرب ، في الوقت نفسه ، ان يدخلوا المسكوبية من بابها القبلي ، الا ان مؤخرة الجيش التي لم تكن قد برحت ذلك المكان بعد ، صدتهم ، وعندما رحلت هذه

---

(١) بدأت الفوضى ، في الحقيقة ، بعد قرار التقسيم وانتشرت في جميع انحاء فلسطين ، لا في القدس وحدها ، فما كنت ترى اينما حلت سوى الفوضى والنار والخوف والدمار . فلا ادارة ولا امن ولا برق ولا بريد ولاطيران ، ولا تجارة ، ولا كسب ولاهم يحزنون .

وكانت الخسائر في الارواح من الطرفين قد بلغت في اللحظة التي انتهى فيها الانتداب ، ستة آلاف نسمة .

(٢) جاء في الصفحة ١٥٢ من كتاب Jerusalem Embaltled لمؤلفه الكاتب اليهودي Harry Levin انه كان هناك اتفاق سابق بين قائد هذه المنطقة الانكليزي وبين رجال الهاغانا ، عقده الفريقان في الليلة السابقة ان يقوم على حراسة المنطقة حراس من الجانبين (انكليز ويهود) كي يتمكنوا من صداية غارة يقوم بها الاعداء (العرب ?) في اللحظة الاخيرة ، وان رجال الهاغانا قضوا ليلتهم تلك مع الجنود البريطانيين في ساحة المسكوبية بين اكل وشرب ودق ورقص وغناء ولما غادر البريطانيون المكان استولى اليهود عليه بسهولة .

كان اليهود قد احتلوا جانباً كبيراً من ساحة المسكوبية وكان الجندي الاخير من جنودها ممتطياً دبابته ، مشيراً الى اليهود الزاحفين من ورائه ، مخاطباً العرب بقوله : ـ « انظروا ها قد بدأ اليهود زحفهم ! » ولقد اطل من الدبابة ، في الوقت نفسه ، ضابط بريطاني ، وراح ينادي بأعلى صوته الجنود اليهود قائلا لهم (١) (الآن تستطيعون التقدم واحتلال مكاننا . »

ولقد تمكن فريق من المناضلين من الانحدار الى ساحة المسكوبية من الناحية الشرقية وتحصنوا في العمارات القائمة هناك وقاتلوا اليهود قتالا شديداً ، الا انهم عادوا فانسحبوا تجاه العدد الكبير من المهاجمين وسقطت المسكوبية .

وزحف اليهود عند الظهيرة من ناحية دار الوكالة اليهودية ، نحو القنصلية الافرنسية مجتازين شارع الملك جورج ، ووا كوب ، وسان جوليان ،وكانت هذه البقعة من المدينة من دار جمعية الشبان المسيحيين وفندق الملك داود حتى مأمن الله ، وشارع الاميرة ماري خالية من السكان ، لا انس فيها ولا جان ، الا دار جمعية الشبان ، فقد كان فيها عدداً من الموظفين التابعين لهيئة الصليب الاحمر الدولية، وكانت (لجنة الهدنة) القنصلية ملتئمة في دار القنصلية الفرنسية ، تحاول عبثاً ايجاد وسيلة لتجنيب المدينة المقدسة ويلات القتال ولكن القتال اشتد ، بدل الانقطاع ، وراح صوت الرصاص يلعلع في الفضاء .

وكان البلدة في القديمة داخل السور حامية بريطانية رابطت هناك، عند بدء النضال ، للحيلولة دون اشتباك الفريقين . فانسحبت هذه من الحي اليهودي ومن القلعة(٢) وقشلاق البوليس دون ان يخبر قائدها احدا من المناضلين ، لا ولا رجال البوليس (٣) الذين كانوا مرابطين في ذلك القطاع ، وكان هؤلاء على يقين بان الانكليز لن ينسحبوا ـ كما جاء في البلاغ قبل اليوم الخامس عشر .

---

(١) سمع هذا القول كثيرون منهم الاميرة تانيانا – وهي راهبة روسية كانت تقيم في الجسمانية وتعمل في المسكوبية – فقد ذكرت هذه مارانه بعينها وسمعته باذنها في ذلك اليوم الى الوسيط الدولي الكونت برنادوت عندما زار هذا مدينة القدس بعد وقف القتال .

(٢) لم يكن في القلعة ، عندما انسحبت منها الحامية البريطانية ، سوى فئة قليلة لا تجاوز عدد اصابع اليد ، ولما فوجىء العرب بانسحابها راحوا يتنادون ، فخف منهم الى الميدان في بحر ساعة خمسون . وما كاد الليل يجن حتى كان العدد قد ارتفع الى مئتين .

(٣) يقودهم الضابط سليمان عازر ، وهو الذي قص علي هذا الخبر .

كان فريق من المناضلين يرابطون على الاسوار (١) ووقف فريق منهم عند الابواب من الداخل والخارج ، وراح آخرون يحاصرون حارة اليهود .

ومع ذلك فقد تمكن اليهود من احتلال جانب من فندق داروتي ونسفوا الجانب الآخر كما احتلوا كنيسة الخضر الارثوذكسيـــة وفندق الاوقاف المقابل لمقبرة مأمن الله (٢) والمستشفى الايطالي (٣) وكلية تراسانطة (٤) والطالبية وعمـــارة داود ودار الاذاعـــة الفلسطينية (٥) ومدرسة البوليس في حي الشيخ جراح . وما كاد النهار ينتصف حتى خلت الشوارع العامة ، خارج السور ، من الناس فما كنت ترى من ساحة بنك باركلس حتى باب العامود ، ومنها الى باب الخليل انسا ولا جانا . واغلقت الحوانيت والـــدكاكين . ورجع اليهود الى حيهم (يمين موشه) المعروف بالمنتفيوري القديم وكانوا قد انسحبوا منه قبل ذلك ببضعة ايام .

وماكاد الليل ينتصف (١٤–١٥ ايار) حتى كان اليهود قد احتلوا بنك باركلس (٦)

---

(١) انزل هؤلاء العلم البريطاني الذي كان يرفرف على القلعة ورفعوا مكانه العلم العربي .

(٢) كان يرابط في هذا الفندق قبل اربعة ايام عدد من المناضلين فجاءهم في اليوم العاشر من الشهر فريق من الجنود البريطانيين في مصفحتين تحملان المدافع الرشاشة من طراز برن ، وارغموهم عـــلى الانسحاب من الفندق ، ثم راحوا ينتزعون السلاح من كل مناضل وجدوه في الشارع الممتد من مقبرة مأمن الله الى باب الخليل الامر الذي ادى الى انهيار المقاومة العربية في ذلك القطاع .

(٣) أخذوه من لجنة الصليب الاحمر الدولي وكانت هذه قد تسلمته من الانكليز قبل رحيلهم بثلاثة ايام (١١ ايار) ولم يحترم اليهود الصليب الاحمر الذي كان مرفوعاً على برجه ، فأنتزعوه واقاموا العلم الصهيوني مكانه .

(٤) حدثني الاستاذ يعقوب العودات ان مدير هذه الكلية كلف المجاهدين ان يحتلوا عمـــارة الكلية اذا كانوا يرون في احتلالها مصلحة عامة وان التكليف نقل الى قائد الحامية فاضل رشيد العراقي ، بواسطة الاستاذ عيسى ابراهيم الناعوري والاستاذ العودات والاستاذ الشيخ عبد الحميد السائح ، الا ان القائد رفضه بحجة ان الاوامر التي لديه تمنعه من الاقدام على عمل كهذا قبل انتهاء الانتداب .

وفيما كان الانكليز ينسحبون من المدينة اسرع اليهود اليها واحتلوها وهي من العمارات المرتفعة المسيطرة على معظم انحاء المدينة .

(٥) كان الجيش العربي في شهر نيسان يرابط في هذه الدار ، وكانت حاميتها يومئذ مؤلفة من اربعين مقاتلا ، وكانت هذه مزودة بعدد من المدافع القوسية (مورتر) والصاروخية ، وقد استبدلت الحامية العربية في اوائل شهر ايار بحامية بريطانية ، ولم يعلم بعد السر في ذلك الاستبدال الذي ادى الى سقوط هذا المكان والامكنة المجاورة بيد اليهود .

(٦) منظمة شترن هي التي احتلت هذا البنك .

ومعظم المباني والمرتفعات المطلة على الاحياء العربية . وانشأوا فوق سطح البنك حصناً صغيراً راحوا يتصيدون منه الناس من ومدنيين ومناضلين على حد سواء . وبعد معركة حامية تمكن رجال منظمة شتون من الوصول الى عمارة النوتردام .

الا ان المناضلين العرب كروا عليهم فاخرجوهم منها ، وانزلوا بهم خمسا وثلاثين اصابة . وكذلك قل عن (باب الخليل) فقد فشل اليهود في اقتحامه .

وفيما كان صوت الرصاص يلعلع في شوارع المدينة وفي احيائها المختلفة كان رجالات اليهود مجتمعين بدار الوكالة اليهودية يعلنون قيام دولة (اسرائيل). وقد تم ذلك في الساعة الثانية عشرة من مساء ١٤ - ١٥ ايار. وما كاد ينقضي على ذلك احد عشر ساعة وخمس دقائق حتى اعلنت الولايات المتحدة اعترفها بها .

ومما فت في عضد العرب يومئذ فقدان الذخيرة(١) وكانوا يعلقون الآمال على دخول الجيوش العربية في ذلك النهار ، وفقدان الارتباط بين رجال الحامية ، وضعف القيادة وعدم تحصين المواضع العربيـــة ، حتى ان اليهود ردوهم الى الاسوار ، فاصدر آمر الحاميه ، فاضل رشيد العراقي ، امره بترك الاحياء الكائنة خارج السور ، والانسحاب الى البلدة القديمة في داخل السور (٢) . ومهما كانت الاسباب فان هذا الامر احدث بلبلة وضجيجاً في صفوف المجاهدين . فاطاعه فريق منهم (٣) وعصاه آخرون (٤) والذين

---

(١) لم يكن قد تبقى لدى المجاهدين الا النذر اليسير من الذخائر وقد استنجد هؤلاء بالمراكز المجاورة فامدهم حماتها باربع وعشرين الف طلقة : الفان من العتاد الالماني ارسلها المقدم مهدي البغدادي من رام الله ، واحد عشر الفاً ارسلها فوزي القاوقجي من جبع ، واحد عشر الفاً من العتاد الانكليزي ارسلها فايز الادريسي من مركز البوليس باريحا ، فوزع نصفها على المجاهدين واحتفظ بالنصف الاخر في المخزن الاحتياطي بالروضة .

(٢) اختلف الناس في تاويل هذا الامر فمن قائل ان فاضلا اصدره من تلقاء نفسه ، اذ رأى من من الحكمة عندما تازم الموقف العسكري في المدينة الجديدة ان لا يطيل خطوطه وان يحتمي بالسور . ومن قائل انه تلقاه من مصدر عال في عمان ، ولقد اعطى الامر الى جميع الحاميات في المدينة . وهو يحمل نواقيع ثلاثة من كبار المجاهدين هم فاضل رشيد المتقدم ذكره وجمال الصوفي والشيخ مصطفي السباعي ؛ واما انصار الملك فيقولون انه (اي الملك) ما كان ليصدر امره بالانسحاب الى داخل السور لولا ان فاضلا شكا اليه همه قائلا ان اليهود وصلوا الى الاسوار . فقال له الملك : - اذا احتفظ بالسور حتى تأتيك النجدة .

(٣) جيش الانقاذ

(٤) فرق الجهاد المقدس

اطاعوه وانسحبوا عادوا ، فرجعوا واحتلوا اواضعهم الاولى. اذ عز عليهم ان يتخلوا عن اماكنهم فيحتلها اعدائهم . واما المدنيون الذين نزحوا الى داخل السور فقدظل معظمهم فيها ورحل بعضهم الى اريحا ورام الله ونابلس والخليل ، والى ما وراء الاردن .

والعرب المدنيون الذين رحلوا عن منازلهم القريبة من الاحياء اليهوديـة التجأوا الى الحرم والاديرة القريبة منه كدير الصلاحية الذي كان فيه ما لا يقل عن ٥٠٠ لاجيء . واما في الحرم فقد كان ما ينوف عن الالفين من اللاجئين .

ولم يكن موقف اليهود من الناحية العسكرية ، بافضل من موقف العرب في المدينة اذ انهم وان كانوا قد تمكنوا من دحر العرب من بعض احيائهم الكائنة خارج السور ، الا انهـم راحوا يضربون اخماساً باسداس عندما فاقوا من غفلتهم ، ورأوا انهـم محصورون (١) بالعرب المرابطين حول المدينة والمحيطين بها من جهاتها الاربعة ، فلا طعام لديهم ولا ماء (٢) حتى ولا كهرباء يستعملونها لتشغيـل آلات الراديو والاطلاع على الاخبار ، ولم يكن ثمة سبيل للاتصال مع اخوانهم في تل ابيب سوى آلة لاسلكية واحدة وطائرة صغيرة لاتسع اكثر من راكبين الامر الذي حطم اعصابهم ، وقد ازدادوا خوفاً وبؤساً عندما رأوا ان المدافع العربية (٣) لم تنقطع عن قصف الاحياء اليهودية لحظة واحدة . فراحوا يتساءلون ، الى متى ؟ وكيف المصير ؟

حتى قناصل الدول الاجنبية ، فانهـم لم ينجوا من الخوف والفزع . لا ، ولا من الخطر . فقد قبعوا جميعا في منازلهم ، اذ كان التجول في الشوارع خطراً . وما كـان ليجدي ، في تلك الاونة الرهيبة ؛ الاوراق الرسمية التي كانوا يحملونها للدلالة على انهم

---

(١) ظل الحصار مضروبا ؛ وظل اليهود في ضيق من جراء ذلك ، الى ان اتم اليهود طريقهم الجديدة التي انشاوها سراً ، وكانوا يسمونها (طريق بورما) وقد تم انشاؤها في ٩ حزيران سنة ١٩٤٨

(٢) قطع العرب مياه رأس العين عن المدينة ، ولولا الابار التي كانت في الاحياء الجديدة (وفيها مياه الامطار) لمات اليهود عطشاً ، وهذه ايضاً كانت من القلة بدرجة اضطرت السلطات اليهودية الى وضع تشريع لتوزيعها على السكان بقدر معلوم ، وما كان يجوز للمرء ان يستعمل اكثر من نصف صفيحة من الماء في اليوم الواحد .

(٣) مدافع جيش الانقاذ كانت يومئذ تضرب الاحياء اليهودية من قطاع النبي صموئيل الى الشمال من القدس .

ينتسبون الى السلك القنصلي . قال المونسيور جبرائيل ابوسعدى النائب البطريركي للروم الكاثوليك في مذكراتــه التي سجّلها اثناء القتال والتي يحتفظ بهـا في دار البطريركية ان الوضـع في القدس تأزم يومئذٍ الى درجـة ان قناصل الـدول لم يستطيعوا ان يبرحوا منــازلهم ، وان قنصل فرنسا ، مسيو رينه نوفيل ؛ قـد تضور جوعــاً ، وكاد يقضى عليه ، لولا ان زوّده السيد فليكس رئيس معهد الفرير بمقدار من الطعام اقتسمه هو ورجال قنصليته .

فهرس الاماكن

(أ)

(ب)

(ت)

(ج)

(ح)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

(ي)

فهرس الاعلام

(أ)

---

١) يدخل في هذه الصفحات كل ما ذكر في الكتاب عن بريطانيا والبريطانيين

(ح)

(خ)

(د)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(غ)

(ف)

(ق)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

(ي)

مصادر الكتاب

آ – المصادر العربية

	اسم الكتاب	اسم المؤلف	تاريخ التأليف	ملاحظات
١	صك الانتداب	الحكومة البريطانية	١٩٢٣	مترجم عن الاصل باللغه الانكليزية
٢	سجل احصاء النفوس	حكومة فلسطين	١٩٣٣	〃 〃 〃 〃 〃
٣	سجل احصاء النفوس	حكومة فلسطين	١٩٤٥	آخر احصاء تولته حكومة فلسطين في عهد الانتداب
٤	سجلات مصلحة الاراضي	حكومة فلسطين	١٩٤٥	آخر احصاء تولته حكومه فلسطين في عهد الانتداب
٥	انظمة الطوارىء (الدفاع)	حكومة فلسطين	١٩٤٥	مترجم عن الاصل باللغه الانكليزية
٦	تقرير اللجنة الملكية	الحكومة البريطانية	١٩٣٧	الرقم الرسمي ٥٥١٣
٧	تقرير لجنة التقسيم	الحكومة البريطانية	١٩٣٨	الرقم الرسمي ٥٨٥٤
٨	مقررات جامعة الدول العربية	الامانة العامه للجامعه	١٩٤٥ – ١٩٥٢	تفضل الامين العام للجامعة العربية فزودني بهذه المقررات من اجل هذا الكتاب
٩	تقرير مؤتمر زهراء انشاص	〃 〃 〃	١٩٤٦	
١٠	تقرير مؤتمر بلودان	〃 〃 〃	١٩٤٦	
١١	تقرير لجنة التحقيق النيابية العراقية	البرلمان العراقي	١٩٤٩	
١٢	تقرير مكتب الارتباط الخارجي	مكتب الارتباط بالقدس	١٩٤٨	
١٣	تقرير عن كنيسة نياحة العذراء	رهبان الدورميشيون	١٩٤٨	
١٤	معتقل هاكستب	محمد علي الطاهر	١٩٤٨	
١٥	معارك باب الواد	الرئيس محمود الروسان	١٩٥٠	
١٦	معارك صفد	ماير فيشر	١٩٥٠	ترجمته مجلة (الهدف) لمنشئها برهان الدين الدجاني
١٧	معركة جنين	برهان الدين العبوشي	١٩٤٨	
١٨	عبرة فلسطين	موسى فيضي العلمي	١٩٤٩	
١٩	انقاذ فلسطين	الشيخ تقي الدين النبهاني	١٩٥٠	
٢٠	مصرع فلسطين	عوده بطرس عوده	١٩٥٠	
٢١	جيشنا في فلسطين	السيد فرج	١٩٤٩	طبع في مصر
٢٢	كارثة فلسطين	محمود فهمي درويش	١٩٤٩	طبع في العراق
٢٣	هؤلاء اضاعوا فلسطين	يوسف العيد	١٩٥٢	طبع في بونس أيرس
٢٤ ٢٥	الاخوان المسلمون في حرب فلسطين	كامل اسماعيل الشريف	١٩٥١	طبع في مصر
٢٦	بعد النكبة	قدري حافظ طوقان	١٩٥٠	
٢٧	معنى النكبة	قسطنطين زريق	١٩٤٨	
٢٨	اثر النكبة	الشيخ محمد نمر الخطيب	١٩٥١	

اسم الكتاب	اسم المؤلف	تاريخ التأليف	ملاحظات
٢٩ الخطر الصهيوني	ابن العراق	١٩٤٩	واضعه محمد فاضل الجمالي وزير خارجية العراق
٣٠ حقائق عن العراق وفلسطين	نوري السعيد	١٩٤٩	رئيس وزراء العراق
٣١ في خط النار	لعدد من الكتاب اليهود	١٩٤٩	ترجها عن العبرية درويش الشامي من مكتب الارتباط الخارجي في القدس
٣٢ قبل ان ننس	صبحي زيد الكيلاني	١٩٥٢	
٣٣ حقائق واحصاآت	سامي هداوي	١٩٥١	
٣٤ مخابرات قيادة القطاع الغربي	الشيخ حسن سلامة	١٩٤٨	تفضل المناضل محمد نمر عوده فوضع اضبارة هـذه المخابرات تحت تصرفي من أجل الكتاب
٣٥ مذكرات محسن البرازي	محسن البرازي	١٩٥٣	وزير خارجية سوريا
٣٦ مذكرات الهاشمي	طه الهاشمي	١٩٥٣	المفتش العام لجيش الانقاذ
٣٧ مذكرات التل	عبد الله التل	١٩٤٩	قائد الكتيبة السادسة من كتائب الجيش العربي وحاكم القدس العسكري أثناء القتال
٣٨ يوميات معهد الفرير	معهد الفرير	١٩٤٨	تفضل الاب هونورية فاطلعني عليها
٣٩ يوميات بطريركيـــة الروم الكاثوليك	البطريركية	١٩٤٨	تفضل المونسنيور جبرائيل ابو سعدي فاطلعني عليها
٤٠ تقرير الجمعية الطبية العربية	الجمعية الطبية بالقدس	١٩٤٧) ١٩٥٠)	تفضل الصديقان الدكتور توفيق كنعان والدكتور محمود الدجاني فاطلعاني عليه
٤١ ثمن اسرائيل	الفرد ليلينتال	١٩٥٤	ترجمه عن الانكليزية حبيب نحولي وياسر هواري
٤٢ ادفع دولاراً تقتل عربياً	لورانس غريز وولد	١٩٥٤	نقله الى العربية منير البعلبكي

(ب) المصادر الانكليزية

S. NO.	NAME OF BOOK (RECORD OR DOCUMENT)	AUTHOR	DATE	REMARKS
1	Official records of the United Nations	Secretary General of the United nations	1947 1949	The S. G. of the U. N. was kind enough to furnish me these documents writh for sake of reference
2	Official records of the Security Council	- do -	1947 1949	
3	Armistice Agreement Between Israel & Egypt	- do -	1949	- do -
4	Armistice Agreement Between Israel & Jordan	- do -	- do -	- do -
5	Armistice Agreement Between IsRael & Lebanon	- do -	- do -	- do -
6	Armistice Agreement Between Israel & Syria	- do -	- do -	- do -
7	Trial & Error	Dr. Chaim Weizmann	1949	
8	Promise & Fulfillment	Arthur Koestler	1949	
9	To Jerusalem	Folke Bernadotte	1951	
10	Going to Jerusalem	W. S. Ethridge	1950	
11	Jerusalem Embattled	Harry Levin	1950	
12	Seven Fallen Pillars	Jon Kimche	1950	
13	Behind the Silken curtain	Bartley C. Crum	1947	
14	Nisi Dominus	Nevill Barbour	1946	
15	Winged Dagger	Roy Farran	1949	
16	Jerusalem is called liberty	Walter lever	1951	
17	A soil survey of Palestine	Sami Hadawi	1951	
18	Experiment in Anarchy	R. M. Graves	1948	
19	In The Cause of Peace	Trygve Lie	1954	
20	Papers on Palestine	The Institute of the Arab American Affaires, New York	1947	Nos. 5 . 6
21	New Star in the Near East	Kenneth W. Bilby	1950	
22	The Struggle for Palestine	J. C. Hurewitz	1950	
23	Rebirth &Destiny of Israel	David Ben Gurion	1954	Prie Minister of Israel
24	The Revolt	Menachem Begin	1951	Story of the Irgun
25	Progress Reports	Conciliation Commission for Palestine	1951	
26	Proposals for the Internationalization of Jerusalem	- do -	1949	
27	What Price Israel ?	Alfred Lélienthal	1953	

تصويب الجزء الاول

خطأ	صواب	صفحة	سطر
نشر	نشرت	٦	٢٤
الجديتين	الجديدتين	٩	٢٣
الدستو	الدستور	١٠	٢٦
التشرتعية	التشريعية	١١	٢
في قوره	فيما قرر	١٦	١٠
اختبر	اختير	١٧	٢
نامزوي	نامزدي	١٧	١١
لم اتولى	لم اتول	١٧	٢٥
البسكرية	العسكرية	١٨	٢٥
ثلهم	ثلثهم	٢٠	١٦
انسحات	انسحاب	٢٣	٥
نصر	نفر	٢٣	١٦
نقسها	نفسها	٢٦	١٣
هنداوي	هداوي	٢٦	٢٣
خلال	خلا	٣٠	١١
نفذ	نقد	٣٠	٢٠
لم نشتري	لم نشتر	٣٠	٢٧
صورة	سورة	٣٠	٢٩
السعودة	السعودية	٣٦	٨
ابنى داود	النبي داود	٣٩	٢٨
تمكنتك	تمكنت	٤٧	١٠
ثم	تم	٥١	١١
ان	انها	٥٤	٢
٣٧	٢٧	٥٤	٢٠
فحصن	فحص	٥٩	١٠
يفحص	بفحص	٦٠	١
الا ان	لان	٦٣	١٥

خطأ	صواب	صفحة	سطر
احدى	احد	٦٤	١٥
ينرز	ينذر	٦٩	١
نحسبهم	تحسبهم	٧٠	٢
الطالية	الطالبية	٧١	٥
قامت	قاست	٧٢	١
الحسين	الحسيني	٧٣	٢٣
الاخرين	الاخرى	٧٣	٢٥
الغربية	العربية	٧٦	٢٦
انفجرت	انفجر	٧٧	١٦
عبد القادر	عبد اللطيف	٧٩	١٢
المناضلون	المناضلين	٨٠	١٣
زراعوا	زرعوا	٨٠	٢٥
عجلوة	عجلون	٨٢	١٧
ستجل	سنجل	٨٣	٩
أصلت	أصليت	٨٤	٢٥
طرباس	طوباس	٩٠	١٩
الرعاوي	الريماوي	٩٤	١٥
الديهم	لديها	٩٥	٢٢
حصونها	حصنوها	١٠٦	٩
للقادة	للقيادة	١٠٧	١٢
ابو قوزة	ابو قورة	١١٢	١٥
المظربة	المغاربة	١٣٣	٤
ترمسعينا	ترمسعيا	١٤٠	١
السالبزيان	السالبزيات	١٤٨	٢٠
بيفن	بيغن	١٥٣	١٨
المنشرة	المنتشرة	١٥٦	٢٠
مستعمرتين	مستعمرتي	١٥٨	٧
كم	لم	١٦٠	١٢

خطأ	صواب	صفحة	سطر
بيت سورين	بيتسوريك	١٦١	٢٦
الانغام	الالغام	١٦٢	١٤
ابي ديمس	ابى ديس	١٧٤	٦
قريت	قريب	١٧٤	٢٨
عادر	غادر	١٨٥	٢٣
تيلسون	نيلسون	١٩١	٦
ني	في	١٦٥	١
مشارها عميك	مشارهاعيمك	١٩٨	١
نقض	يقضي	٢٠١	١
ابناء	انباء	٢٠٦	٢١
من	في	٢٠٧	١
من	في	٢٠٧	١٦
اذا	اذ	٢٠٧	١٢
الغراوي	العزاوي	٢١٠	٦
القطعان	القطعات	٢١٤	
الانسحاب	لانسحاب	٢١٩	٣
ستوكوتيل	ستوكويل	٢١٩	٤
الوحدة	الواحد	٢٣٢	١٢
٢٢	٢	٢٣٣	٥
نتير	نيتر	٢٣٥	٦
حصنها	حصنها	٢٣٥	
يبدوا	يبدو	٢٣٦	١
اذا	اذ	٢٣٦	٣
الرجم	للرجم	٢٣٧	٥
الالغاء	الالغام	٢٣٧	٦
للذين	الذين	٢٣٨	٤
بيتا	يبنا	٢٤٠	١٧
اضطلعنا	اطلعنا	٢٤١	٣

خطأ	صواب	صفحة	سطر
١٤١	٢٤١	٢٤١	٣١
١٥٠٠٠	١٥٠٠	٢٤٥	١٩
لم ينقضي	لم ينقض	٢٤٨	١٤
الغربية	العربية	٢٤٨	٢٢
واحد	احد	٢٥٠	٧
احدى	اجدى	٢٥٣	٢٤
العدلي	العبدلي	٢٥٥	٢٨
مكافاة	مكفى	٢٥٧	٢
ساكنة	ساكية	٢٥٨	٢٣
استنزلهم	استذلهم	٢٥٩	٦
جادلوا	حاولوا	٢٥٩	٩
الخبرية	الخيرية	٢٥٩	١٧
لهم	لحكم	٢٦٨	١٦
قرصنه	فرضة	٢٦٩	٨
غورفرس / دوبوبون	غودفري / دوبويون	٢٦٩	٢٦
الانزال	الانزاك	٢٧٢	٢١
بوسن	بوصتين	٢٧٥	١٤
لانهم	لكنهم	٢٧٥	١٤
لم يمضى	لم يمض	٢٧٧	٢٢
باليهود	اليهود	٢٧٨	١
مشاداة	مشادة	٢٧٩	٢٤
المزوارق	الزوارق	٢٨٦	٨١
موصفته	وضعته	٢٨٨	٢٠
وقعة	واقعة	٢٩٠	١
عين صارود	عين جارود	٢٤٩	٢٨
الانكليز	الانكليزي	٢٩٥	٢٧
سعد الين	سعدالدين	٣٠١	٢٢

خطأ	صواب	صفحة	سطر	خطأ	صواب	صفحة	سطر
العرافين	العراقيين	٣٠٥	١١	السحره	الشجره	٣٥٠	١٧
ارديك	اردنيك	٣٠٦	١٢	مشارها عميك	مشارهاعيمك	٣٥٠	٦
الثلاثة	الثلاث	٣١٣	٣	متكو	منكو	٣٥٣	١٤
١٧	٧	٣١٤	١٣	ارثر كرسنلر	ارثركو ستلر	٣٥٤	٢٠
زارع	مزارع	٣١٤	٢٠	الرهاوى	الزهاوي	٣٥٥	١٢
المناظلين	المناضلين	٣٢٧	٢	الضورى	الغوري	٣٥٥	١٥
الحرشاف	الحرشان	٣٢٧	١٢	مدترة	مدمرة	٣٥٥	٨
عدداً	عدد	٣٣٥	٢٥	وافار	دافار	٣٥٨	١
الاكوادو	الاكوادور	٣٤٠	٤	جون كيمش	جون كيمشى	٣٥٨	٥
بيت سوريا	بيت سوريك	٣٤١	٥	عبوش	عبوشي	٣٥٩	٢٤
دار شيز	دار شبر	٣٤٣	١٦	الحسيتى	الحسيني	٣٦٠	١١
دار قطنية	دار قطينة	٣٤٣	١٨	الناجى	التاجي	٣٦٠	١
يريس	ديريس	٣٤٣	١٨	العباس	العباسى	٣٦٣	٢٤
عمارد	عمارة	٣٤٦	١٥	النشاشى	النشاشيبي	٣٦٣	٣
عين قارة	عين فارة	٣٤٧	٤	الادريس	الادريسي	٣٦٧	٢١
تباح تكفا	بتاح تكفا	٣٥٠	١	الغراوى	العزاوي	٣٦٧	١٠
الخضرة	الخضيرة	٣٥٠	٨	فوهين	قوهين	٣٧٠	٩
بيت فتيان	بيت فيتان	٣٥٠	٣				

كلمة الناشر

عن

المؤلف ونبذة من سيرته

الآن ، وقدوفقني الله لنشر هذا الكتاب عن نكبة فلسطين ، ارى اتماماً للفائدة ان اقدم مؤلفه لمن لا يعرفه من القراء ؛ وان انقل فيما يلي نبذاً اقتبستها عن سيرته من كتاب (الذكريات) لواضعه الدكتور قيصر خوري ومن كتب السير لرجال فلسطين . فأقول :

ولد عارف العارف في القدس عام ١٨٩٢ . وأتم دراسته الاولية فيها . واما دراسته الثانوية والجامعية فقد اتمهما في استانبول . وفي غضون دراسته الجامعية كان يتعاطى الصحافة ليلاً ليتمكن من تحصيل نفقاته ومتابعة دروسه . وانتخب عضواً في ادارة (المنتدى الادبي) . ذلك المنتدى الذي انشأه الناطقون بالضاد في استانبول. ومن اهدافه استقلال العرب ووحدتهم .

ولمّا اتم دراسته الجامعية وحصل على شهادة في (الادارة والسياسة والاقتصاد) من المكتب الملكي ، عين في ديوان الترجمة بوزارة الخارجية في استانبول .

ولمّا نشبت الحرب الكونية الاولى عام ١٩١٤ سيق الى جبهة القتال في القفقاس ، مع من سيق اليها من الخريجين ، بعد ان قضى في الكلية الحربية مدة التدريب ستة شهور . وهناك ، في احدى المعارك العنيفة التي دارت رحاها بين الترك والروس ، على مقربة من (ارض الروم) ؛ اباد الجيش الروسي الكتيبة التركية التي كان ينتمي اليها . فلم ينج من رجالها سوى احد عشر نفراً كان هو منهم . فاسره الروس . وارسلوه الى سيبريا ، حيث قضى في معتقل للاسرى

أُقيم في (قراسنويارسق) على ضفاف نهر (ينى ساي) ثلاثة اعوام .

وفي ذلك المعتقل القائم في اواسط سيبريا وصقعها المتجمد لقي عدداً من الضباط الذين اسرهم الروس في نواخ اخرى مـن جبهات القتال .. من مجر ونمساويين والمان .. فتعلم من هؤلاء اللغة الالمانية . واصدر جريدة عربيـة هزلية اسماها : (ناقة الله) . وعلى الرغم من ذلك فقد قاسى ما قاسى من شدائد الاسر في ذلك المعتقل النائي .. ومـن برد سيبريا المخيف .. ومن الجوع والحرمان والبعد عـن الاوطان .. الى ان نشبت الثورة الروسية ، ودكّ البـلاشفة عرش القياصرة ، فقتلوا القيصر نقولا الثاني .. قتلوه هو وامرأته واولاده .. وتسلموا هم زمـام الحكم في البلاد ..

هذا الانقلاب التاريخي الذي جرى في روسيا عام ١٩١٧ والذي قامت عـلى اثره حربٌ اهلية كادت تلتهم الاخضر واليابس في تلك البـلاد .. رآه العارف بعينيه ، وشهد معظم ادواره ، وسجله في مذكراته .. واصابه ورفاقه في الاسر رذاذ من الالم والخوف والحرمان بسبب الفوضى الذي رافقته ..

ومن حسن حظه انه ، في تلك الفترة الرهيبة من الزمن ، سمع بالثورة العربية التي اوقـد نارها جـلالة المغفور له الملك حسين بن علي في الحجاز ضد الاتراك العثمانيين . فهرب العارف من الاسر لينضم الى الثائرين . وهرّب معـه واحداً وعشرين ضابطاً مـن الضباط العرب الناقمين عـلى الحكم التركي . فعادوا الى بلادهم ، عن طريق منشوريا واليابان والصين والهند والبحر الاحمر . عادوا والامل يحدوهم للعمل على تحرير بلادهم من الاتراك العثمانيين .

ولكن قبل ان تطأ اقدامهم ارض الوطن كانت الهدنة قد أُعلنت عام ١٩١٨ والحرب قد وضعت اوزارها ، وكان الاتراك قد انسحبوا من البلاد . فعاد كل واحد من الاسرى الى مسقط رأسه . وعاد عارف الى وطنه فلسطين .

ويا لخيبة امله مـا اشدها عند ما رأى ، بدلاً مـن الحكم العربي الذي كان ينشده والاستقلال الذي طالما مَنّى النفس به ، الجيش البريطاني وقد احتل فلسطين . وهنا ، لاول مرة ، سمع بالانتـداب البريطاني والوطن القومي اليهودي . فاعتزم مـن فوره مقاومة هذين الشرين . واصدر هو وصديقه المحـامي حسن البديرى جريدة (سورية الجنوبية) . وكانت هذه اول جريدة عربيه صدرت في القدس

بعد الاحتلال وحملت حملات شعواء عـلى الاستعمار والوطن القومي اليهودي . ولهـذا حاربها اليهود .. وحاربها الانكليز .. وعطلوهـا مراراً . ولكنهم لم يستطيعوا ان يخمدوا صوتها او يطفئوا جذوة الحماس التي راحت كل يوم تزداد تأججاً في صدر الشعب الفلسطيني الابي ... فنشبت ثورة في البلاد .. واعقبها ثورات .. واشتباك الفريقـان ، العرب واليهود ، لاول مرة في مدينة القدس . وكان ذلك في ٤ نيسان (ابريل) ١٩٢٠ . فاعتبره الانكليز محرضاً على الثورة . واعتقلوه . واغلقوا جريدته . وفيما كانوا يسوقونه للمحاكمة امام محكمة عسكرية هرب . فولّى وجهه شطر الاردن ، فالشام . وهناك بلغ الحكم الغيـابي الذي اصدرته المحكمة بسجنه عشر سنين .

وقدر له مواطنوه موقفه هـذا ، فانتخبوه ليمثلهم في (المؤتمر السوري) ، ذلك المؤتمر الذي كان منعقداً في دمشق . وقد اعلن استقلال سوريا ووحدتها من طورس الى رفح ، وتوج فيصلاً ملكاً عليها .

عندما اقامت بريطانيا على ادارة فلسطين المندوب السامي الاول السر هربرت صموئيل ، وكان هـذا يهودياً ، رأى من مصلحة قومه ان يتقرب مـن العرب . فاصدر فور وصوله الى البـلاد ، ما اسماه بالعفو العام عن جميع الاشخاص الذين اشتركوا في الثورة . واطلق سراح الموقوفين منهم . وسمح للغائبين بالعودة الى فلسطين : إلا عارف العارف والحاج امين الحسيني ؛ فقد استثناهما من العفو ، ومنعهما من دخول فلسطين ، الا اذا استسلما للسلطة البريطانية ! ..

فرفض عارف الاستسلام .. وكذلك فعـل وزميله في الجهـاد .. الحاج امين .. الذي كانت المحكمة نفسها قد حكمت عليه بالسجن عشر سنين ..

وبقى صاحب الترجمة في دمشق الى ان احتلها الجيش الفرنسي بقيادة الجنرال غورو : وفي اليوم الذي دخلها هذا ، غادرها العارف مع من غادرها مـن رجال سوريا ، وفي طليعتهم الملك فيصل . غادرها خشية ان يعتقله الفرنسيون ويسلموه لزملائهم الانكليز .. والمستعمر للمستعمر صنو .. فيَمَّمَ وجهه شطر الاردن . وراح يتنقل في مضارب البدو .. من عشيرة الى عشيرة .. الى ان سُمح له بالعودة الى فلسطين . فعاد اليها . وتولى عدداً من الاعمـال الادارية فيها : قائمقاماً في جنين ، فنابلس ، فبيسان ، ويافا . ومن يافا ام عماناً بناءً عـلى طلب من الامير

عبد الله ، وكان الامير قد نزلها قبل ذلك بقليل ، ووضع الحجر الاول لامارته فيها . فاستعان بالعارف وبعدد آخر من ابناء فلسطين . وقضى العارف في عمان ثلاثة اعوام ، سكرتيراً عاماً لحكومتها ، وعضواً في مجلسها التنفيذي . وهناك في عمان وقف الى صف المعارضين الذين ناوئوا الاستعمار والمستعمرين ، واستنكر المعاهدة البريطانية – الاردنيـة الاولى التي اراد الاستعمار ان يكبل بهـا البلاد . فسحب من عمان ، واعيد الى فلسطين ، حيث عهد اليه بادارة بئر السبع . .

وهناك في بئر السبع قضى عشرة اعوام. درس خلالها عادات البدو واخلاقهم وطباعهم وطرق تقاضيهم . فالّف فيهم كتابين : احدهما عن (القضاء بـين البدو) والثاني في (تاريخ بير السبع وقبائلها) .

ثم نقل الى غزة حيث قضى اربعة اعوام . وضع خلالهـا كتابه في (تاريخ غزة) . ثم اتبعه بكتابين آخرين هما (الموجز في تاريخ عسقلان) و (رؤياي) .

وقبيل انتهاء الحرب الكونية الثانية نقل العارف قائمقاماً الى رام الله . ثم رقي مساعداً لحاكم لواء القدس وبقي فيها الى ان انتهى الانتداب عام ١٩٤٨ .

ولما صدر قرار التقسيم وقامت في البلاد حربٌ بين العرب واليهود مـن اجل فلسطين انتدبه الملك عبد الله حاكماً عسكرياً لقطاع رام الله عام ١٩٤٨ . ثم عيّنه رئيساً لبلدية القدس ١٩٤٩ وفي الانتخابات التي جرت بعـد ذلك بقليل عام ١٩٥٠ انتخب للرئاسة نفسها انتخاباً . واعيد انتخابه لرئاسة البلدية مرة ثالثة عام ١٩٥٥ . وفي اواخر تلك السنة تولى وزارة الاشغال . ولكنه مـا لبث ان استقال من الوزارة عندمـا علم ان النية متجهة نحو زج الاردن في (حلف بغداد) . ذلك الحلف الذي لا يؤمن العارف به . لان القائمين عليه ذوو ضلع في نكبة فلسطين . تلك النكبة التي سجّلها صاحب الترجمة في كتابه هذا .

وهو يتقن خمس لغات اجنبية هي : الانكليزية والتركية والفرنسية والالمانيـة والعبرية ، هذا بالاضافة الى لغته العربية .

واليك اسماء الكتب التي ألفها

اسم الكتاب	المطبعة التي اخرجته	السنة	ملاحظات
القضاء بين البدو	مطبعة (بيت المقدس)	١٩٣٣	ترجم للغات الالمانية والعبرية والانكليزية
تاريخ بير السبع وقبائلها	مطبعة (بيت المقدس)	١٩٣٤	ترجم للغات الالمانية والعبرية والانكليزية
تاريخ غزه	مطبعة (دار الايتام الاسلامية)	١٩٤٣	: : : : : :
الموجز في تاريخ عسقلان	مطبعة (بيت المقدس)	١٩٤٣	: : : : : :
رؤياي	مطبعة (الآباء الفرنسيسيين)	١٩٤٣	ترجم للغة العبرية
تاريخ الحرم القدس	مطبعة (دار الايتام الاسلامية)	١٩٤٧	ترجم للغتين الانكليزية والفرنسية
المسيحية في القدس	مطبعة (دير الروم الارثوذكس)	١٩٥١	: : : : : :
الموجز في تاريخ القدس	مطبعة (دار المعارف) بمصر	١٩٥١	: : : : : :
النكبة	(المطبعة العصرية) بصيدا	١٩٥٦	: : : : : :

وهناك مخطوطات لم تطبع بعد منها :

١ ـ كنت اسيراً
٢ ـ ثلاثة اعوام في عمان
٣ ـ الكويت : ماضيها وحاضرها

ومـــن عادة المؤلف ان يدون مذكراته في يوميات متتابعة ، ما انقطع عن تدوينها يوماً واحداً خـــلال الاعوام الاربعين المنصرمة . ويومياته تلك ، فضلاً عن كونها تاريخاً لحياته وحياة اسرته ، فانها تاريخ للحركة الوطنية في فلسطين .